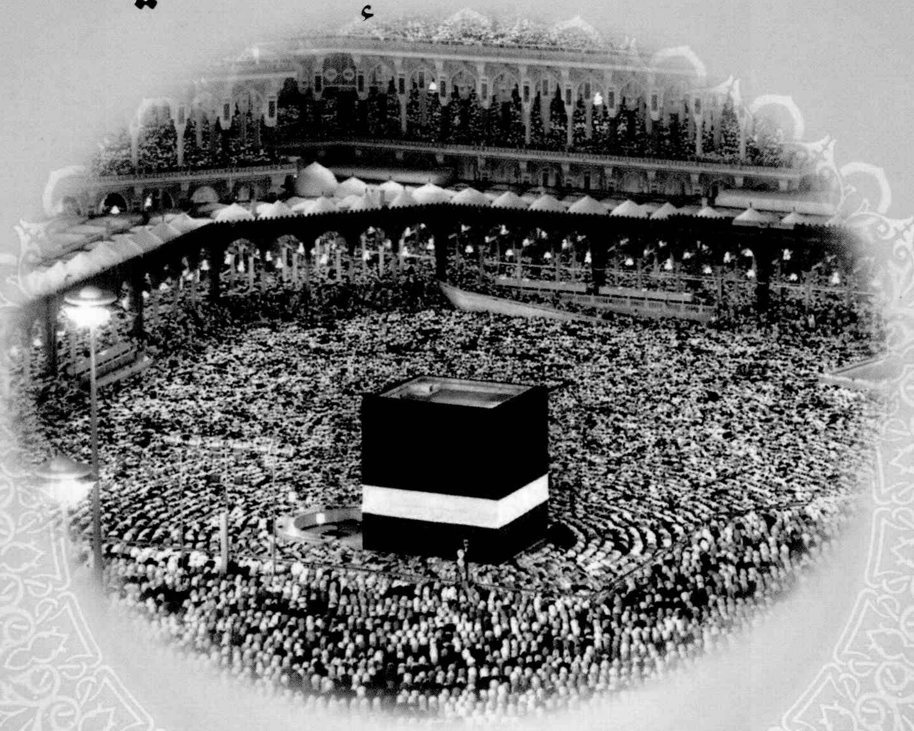
جامعة الملك عبد العزيز

Makkah Capital of Islamic Culture 2005

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

مكة المكرمة
عاصمة الثقافة الإسلامية



سجل توثيقي لجهود جامعة الملك عبد العزيز
في فعاليات مكة المكرمة
عاصمة الثقافة الإسلامية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م





صاحب السمو الملكي الأمير
عبد المجيد بن عبدالعزيز آل سعود
أمير منطقة مكة المكرمة



صاحب السمو الملكي الأمير
مشعل بن ماجد بن عبدالعزيز آل سعود
محافظ جدة



صاحب المعالي
أ.د. خالد بن محمد العنقري
وزير التعليم العالي



معالي
أ.د. أسامة بن صادق طيب
مدير جامعة الملك عبدالعزيز

كلمة مدير الجامعـــة



أ.د. أســـامة بن صادق طـــيب

حمداً لله على ما أنعم به علينا من العلم والمعرفة ، والصلاة والسلام على من أرشدنا إلى أنفع المعارف . سيدنا سيد الخلق محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

دأبت جامعة الملك عبدالعزيز على المشاركة بفعالية في جميع المناسبات والأحداث الوطنية ، وذلك من خلال توظيف قدراتها البحثية والمعملية وخبرات أعضاء هيئة التدريس ، وجاء اختيار مكة المكرمة أول عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ فرصة ذهبية للمشاركة الفعالة وتسخير كل مقدرات الجامعة وإمكاناتها في إبراز هذه المناسبة وبما تستحق من تقدير وإقتداء .

مكة زادها الله تشريفاً ، ليست في حاجة إلى تخصيص عام بعينه لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية ، ولكن جاء ذلك من باب الاختيار الانتقائي من المدن والعواصم الإسلامية ، لأن مكة هي منبع كل الثقافات المشرعة في بقية المدن الإسلامية . فنحن بصدد مكة البيت ، ومكة الوحي ، ومكة الرسالة ، ومكة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومكة الصحابة رضوان الله عليهم . فكل ذلك مؤشرات لهذا الإرث الثقافي الذي نبع من هذه الأرض الندية (واد غير ذي زرع) ، والمعروف أن جميع الحضارات الإنسانية قامت على عناصر الأرض والطبيعة إلا ما كان من أمر مكة المكرمة فإن عناصر حضارتها وثقافتها عناصر فكرية عقدية .فاحتفاءً بهذه المدينة المقدسة ، كأول اختيار للعواصم الثقافية من بين المدن الإسلامية ، شمرت الجامعة عن سواعد الجد ، فكانت اللقاءات العلمية والمحاضرات والندوات والأبحاث ، ومن ثم الإصدارات الطباعية . وكان أن تم تجميع نتاج ذلك في الإصدارة الأولى التي صدرت عن الجامعة، ثم كان هذا الإصدار الثاني الذي يجمع بين دفتيه جميع النشاطات التي نفذتها الجامعة في سبيل الإسهام في فعاليات الاحتفاء بموطن الرسالة ومهبط الوحي وملتقى أفئدة المسلمين وقبلة المصلين .وقد قامت اللجنة الإشرافية العليا بالجامعة للاحتفاء بمكة باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ بجهود مقدرة من خلال تنفيذ البرنامج الخاص بذلك المتضمن جميع النشاطات العلمية والاجتماعية والثقافية ، ومنها الإصداران : الأول ، وهذا الذي نحن بصدده . فلهم جميعاً الشكر والتقدير .والشكر موصول لكل من أسهم في إعداد وإصدار هذا السفر المتميز لإبراز دور جامعة المؤسس في هذا التوجه الثقافي .وأسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير هذه الأمة ، وأن يزيد مكة شرفاً على شرفها ، وقداسة على قدسيتها .

كلمة وكيل الجامعة



أ.د. عبدالرحمن بن عبيد اليوبي

إنه شي بديهي أن تكون مكة عاصمة الثقافة الإسلامية ليس في عامنا هذا ولكن منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها إلى قيام الساعة – فهي مهبط الوحي وفيها الكعبة المشرفة مركز ثقل العالم وهي البلد الحرام .. ومنها خرجت الثقافة الإسلامية إلى جميع شعوب العالم دون استثناء لتنير لهم دروب العلم والمعرفة والتقدم وشهد بذلك الجميع من العرب والعجم في العديد من الكتب.

ولا غريب أن يتفضل أصحاب المعالي وزراء الثقافة والإعلام في العالم الإسلامي باختيار مكة المكرمة كاول عاصمة للثقافة الإسلامية فهي في عقولهم ومهوى أفئدتهم وكان الاختيار بالإجماع حينما تقدم صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز الرئيس العام لرعاية الشباب بطلب المملكة بان تكون مكة المكرمة أول عاصمة للثقافة الإسلامية ، بدعم من ولاة الأمر حفظهم الله ولما لهذه المدينة المقدسة من مكانة عظيمة في قلوبهم وقلوب المسلمين جميعاً في شتى أنحاء العالم وبرعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير/ عبدالمجيد بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة رئيس اللجنة العليا للفعاليات ودعم ومساندة من صاحب السمو الملكي الأمير مشعل بن ماجد بن عبدالعزيز محافظ جدة وبتوجيه من صاحب المعالي أ.د. خالد بن محمد العنقري وزير التعليم العالي .

ولقد كان لجامعة الملك عبدالعزيز شرف عظيم لاحتضانها فعاليات محافظة جدة وبمساندة من معالي مدير الجامعة أ.د. أسامة صادق طيب أعدت اللجنة العليا المنظمة العديد من البرامج والنشاطات والفعاليات وتبارى أبناء الجامعة في إلقاء المحاضرات وتأليف الكتب ، وعمل البحوث العلمية ، وتنظيم المسابقات ، وجميعها ذات صلة بمكة الإسلامية ، والتاريخية ، والثقافية ، والحضارية ... وغيرها .

أشكر معالي مدير الجامعة والإخوة الزملاء وكلاء الجامعة وأعضاء هيئة التدريس وأعضاء اللجنة العليا المنظمة للفعاليات وكل من شارك في هذه الفعاليات كما أوجه خالص شكري للقائمين على إعداد هذا الكتاب التوثيقي

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقـــديم



أ.د. اسماعيل بن خليل كتبخـانة

في إطار المسئولية الملقاة على عاتق جامعة الملك عبدالعزيز ودورها الريادي في المنطقة الغربية بمملكتنا الحبيبة - بادرت الجامعة بإعداد برنامج حافل في إطار المنظومة الشاملة لجميع قطاعات المملكة للاحتفال بمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ١٤٢٦هـ حيث احتضنت الجامعة فعاليات المنطقة الغربية وكان لها دور متميز في إعداد البرامج الإعلامية والتثقيفية والعلمية... وغيرها.

فمنذ صدور قرار معالي مدير الجامعة بتشكيل اللجنة العليا للفعاليات برئاسة سعادة وكيل الجامعة - بادرت اللجنة بعقد العديد من الاجتماعات تم خلالها وضع عدة تصورات لما يمكن أن تساهم به الجامعة في هذه المناسبة العزيزة على قلوبنا جميعاً وقد تم اختيار العديد من البرامج منها المحاضرات، واللقاءات العلمية، وبرامج المسابقات والنشاطات الطلابية، وتكليف بعض المتخصصين من أعضاء هيئة التدريس بإعداد دراسات وبحوث علمية لبعض الجوانب المتعلقة بمكة المكرمة عبر عصورها المختلفة، كما تم إصدار كتاب عن مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية وعدد خاص من صحيفة أخبار الجامعة تم توزيعهما في حفل افتتاح الفعاليات.

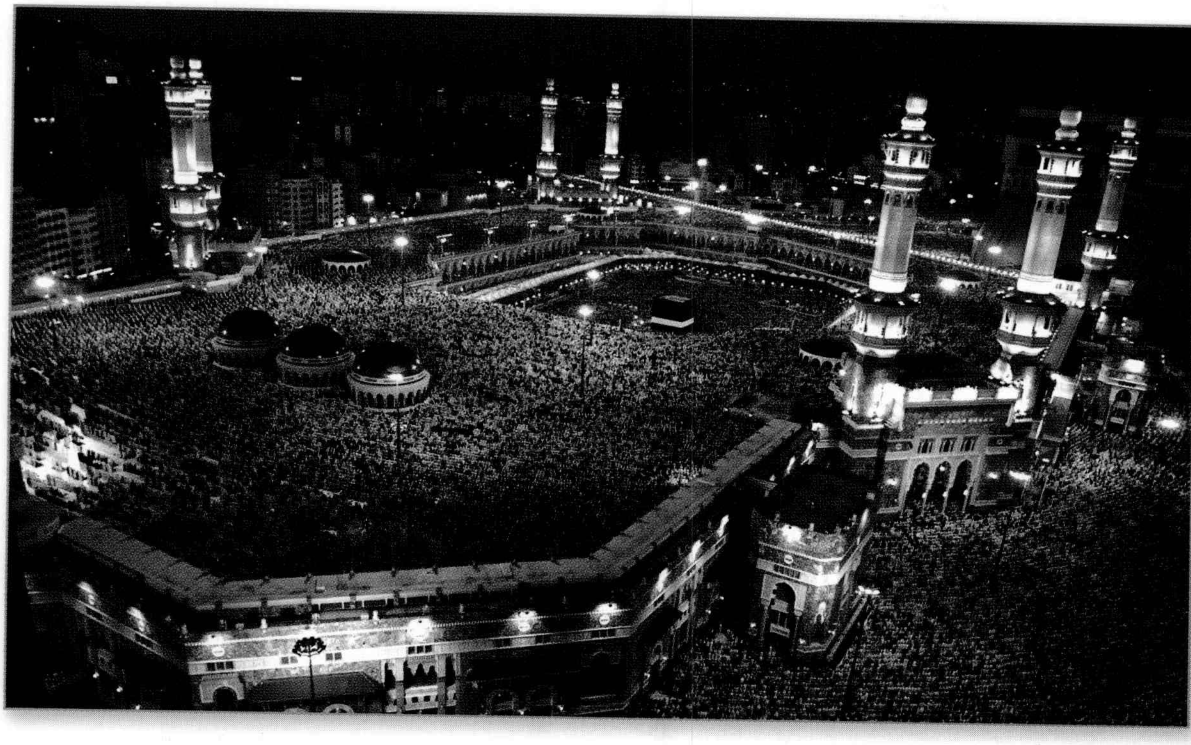
ويطيب لي أن أقدم هذا الكتاب الذي يحوي بين دفتيه سجلاً وثائقياً لكافة فعاليات الجامعة ضمن مشاركتها في الاحتفاء بمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ١٤٢٦هـ بدءاً من حفل الافتتاح والمحاضرات والبحوث والدراسات العلمية والمعارض المصورة والأنشطة الطلابية، وأنشطة شطر الطالبات .. وغيرها.

وأتوجه بالشكر الجزيل لمعالي مدير الجامعة أ.د. أسامة بن صادق طيب ولسعادة وكيل الجامعة رئيس اللجنة العليا للفعاليات أ.د. عبدالرحمن بن عبيد اليوبي على ما قدماه من دعم ومساندة من أجل إنجاح الفعاليات.

كما أتقـدم بالشـكر للأخـوة الزمـلاء أعضـاء اللجـنة والذين عملوا بجد وإخلاص وبذلوا كل الجهد من أجل مساهمة متميزة للجامعة في الفعاليات. نسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه خير وطننا الغالي وجامعتنا ،،،

أمين اللجنة العليا للفعاليات

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية



قال تعالى في سورة إبراهيم آية (٣٧) : ﴿ **رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ** ﴾ ، وقال تعالى في سورة آل عمران الآية (٩٦) ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ . ويقول الرسول الكريم : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة مرة» رواه أحمد وابن حبان ، ويقول الرسول العظيم : «والله إنك لخير أرض وأحب أرض الله إلى الله ولولا إني أخرجت منك ما خرجت». رواه أحمد والترمذي وهو حديث صحيح. ويقول الحبيب المصطفى يوم فتح مكة :«إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلى خلالها» صحيح مسلم.

هذه بعض أفضال مكة المكرمة التي شرفها الله بالكعبة المشرفة والمسجد الحرام ومن معالم مكة

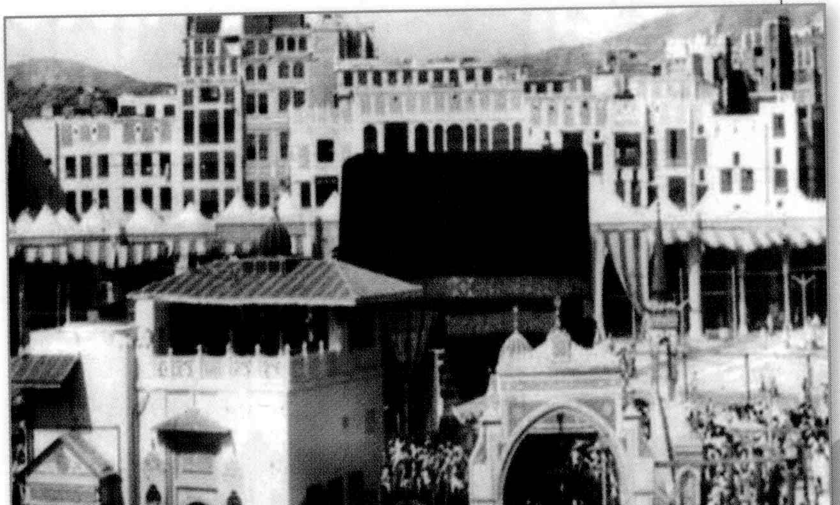
المكرمة بئر زمزم وكما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم «فإن ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم وهو لما شرب له» ويقول : الرسول الكريم أيضاً : « خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم فيه طعام الطعم وشفاء السقم».

ومن معالم مكة المكرمة أيضاً « عرفات» وهي مشعر خارج حدود الحرم ويجتمع فيه الحجيج في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة ، و « مسجد نمرة « ، ومسجد الصخرات، وجبل الرحمة، ووادي عرنة، ومنى. وتقع بين مكة المكرمة ومزدلفة وبها يبيت الحجاج ليالي ٩ ، ١١ ، ١٢ من ذي الحجة لمن يتعجل وليلة ١٣ لمن يتأخر ، والجمرات وتقع بمنى وجمرات المناسبة ثلاث الصغرى والوسطى والكبرى، ومزدلفة وتقع بين منى وعرفة وينزل بها الحجاج ليصلوا المغرب والعشاء ويجوز جمع حصى الجمار منها وإلا فمن الطريق أو من منى.

كما يوجد في مكة المكرمة العديد من المساجد التاريخية (البيعة ، والراية، والجن، والحنيف، ... وغيرها) ومن أشهر جبال مكة (أبي قبيس ، وحراء (النور) ، وثور، والرحمة، وعمر) ... وغيرها.

ومن أشهر الأسواق القديمة بمكة المكرمة : (الجودرية، سوق الليل، والراقوبة، والعصر..) وتزخر مكة بالعديد من المكتبات العامة منها (مكتبة الحرم المكي الشريف، ومكتبة مكة المكرمة، والمكتبة العامة) ، ومن أهم معالم مكة المكرمة أيضاً معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج.

ولقد شهد الحكم السعودي منذ أن دخل الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - مكة المكرمة في ١٣٤٣/٣/١٧هـ حتى اليوم تحقيق منجزات متميزة في مشروعات التوسعة والإعمار والتجديد بصفة مستمرة وبشكل غير مسبوق على المسجد الحرام ومدينة مكة المكرمة بأكملها لخدمة ضيوف الرحمن شملت تعبيد الطرق وتعددها وتوسعة المشاعر وتطورها وإقامة الخيام المقاومة للحريق بمشعر منى وإقامة الجسور والأنفاق ، وتأمين مياه الشرب وتهيئة الجو الآمن لحجاج بيت الله الحرام ليؤدوا شعائرهم في سكينة واطمئنان.



اللجنة العليا


أ د. عبدالرحمن بن عبيد اليوبي


أ د. اسماعيل بن خليل كتبخانة


د. محسن بن أحمد منصوري


أ د. حسني محمد عزيز الرحمن


أ د. صالح بن عبدالعزيز الكريّم


د. عبدالرحمن بن إبراهيم الحبيب


د. سعد الله قاري عزيز


أ. سامي بن عبدالقادر حنبظاظة

١ - وكيل الجامعة — رئيساً للجنة .

٢- أ. د. إسماعيل خليل كتبخانة — أميناً للجنة .

٣ - عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية — عضواً .

٤- عميد كلية تصاميم البيئة — عضواً .

٥- عميد شؤون الطلاب — عضواً .

٦- رئيس قسم الإعلام — عضواً .

٧- مدير مركز النشر العلمي — عضواً .

٨- المشرف العام على العلاقات العامة والإعلام — عضواً .

الجامعة في سطور

- بدأت الجامعة عامها الدراسي الأول كجامعة أهلية في عام ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م بأقل من مائة طالب وطالبة.
- في عام ١٣٩١هـ صدر قرار مجلس الوزراء الموقر بضم الجامعة إلى الدولة كمؤسسة تعليمية تخضع لإشراف وزارة التعليم العالي وبلغ عدد طلابها في ذلك الوقت (٢٤٠) طالباً وطالبة.
- في عام ١٣٩٢هـ صدر المرسوم الملكي الكريم رقم ٥/م باعتبار الجامعة مؤسسة تعليمية ذات شخصية اعتبارية.
- تضم الجامعة بين جنباتها ثماني عشرة كلية وست عمادات مستقلة بالإضافة إلى ستة مراكز للبحوث العلمية، كما تضم سبعة مراكز أكاديمية مساعدة، ومركزاً طبياً ومرافق وخدمات أخرى (الإدارة الطبية - والملاعب - والخيمة الرياضية، ونادي الفروسية ، وقاعة الاحتفالات ومركز المؤتمرات، وفرع لسامبا).
- للجامعة أربعة أفرع في تبوك ورفحاء وعرعر وطريف.
- تضم الجامعة شطراً للطالبات.

وهي مؤسسة علمية تربوية وثقافية تعمل على :

- هيكلة برامجها لمواكبة متطلبات سوق العمل.
- تعميق مفهوم الانتماء للوطن.
- مواكبة المستجدات في التقنيات الحديثة وصولاً إلى جامعة إلكترونية.
- تعضيد الجهود في خدمة المجتمع والتعليم المستمر.
- التميز في مجال الأبحاث العلمية.

المقر الرئيس للجامعة مدينة جدة وعنوانها : ص.ب: ٨٢٠٠ جدة الرمزي البريدي : ٢١٥٨٩ المملكة العربية السعودية .

الموقع على الإنترنت : www.Kau.edu.sa

العواصـــم الثقافية

تعود فكرة إعلان العواصم الثقافية إلى عام ١٩٨٢م حين عقد المؤتمر الدولي الأول للسياسات الثقافية من أجل التنمية في العاصمة المكسيكية مكسيكو، حيث طرحت مبادرة التعريف بالعواصم والمدن التي تتميز بديناميكية ملحوظة في خدمة الثقافة والإبداع، لكي لا يكون الأمر مقصورًا على العواصم الكبرى المعروفة والتي رئي آنذاك أنها تحتكر واجهة الثقافة العالمية.

وتمخض عن هذا المؤتمر مشروع العقد العالمي للتنمية الثقافية، وطلب المشاركون في ذلك المؤتمر اليونيسكو تحمل مسؤولية الإعداد لذلك العقد، الذي بدأ في عام ١٩٨٧م وانتهى في عام ١٩٩٧م ونتج عن ذلك المشروع الكبير الذي شهد نشاطات دولية مصاحبة عدة مبادرات منها:

مشروع السياحة الثقافية.

التعريف بالتراث الثقافي في الدول الأعضاء بالاشتراك مع لجنة التراث العالمي

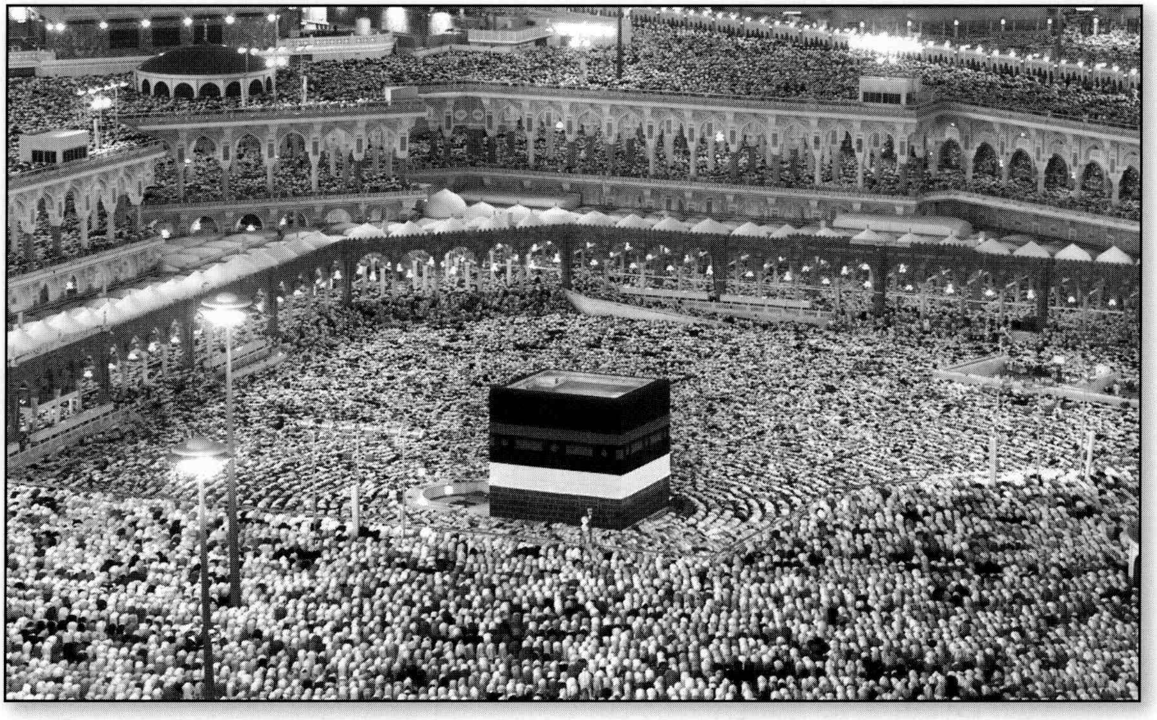
الاهتمام بثقافة الطفل

تفعيل مبادرات أخذت شكل مشاريع طموحة

وقد أقر بالنتائج الإيجابية لذلك العقد المؤتمر الدولي الثاني للسياسات الثقافية من أجل التنمية الذي عقد في العاصمة السويدية ستوكهولم في مارس - ابريل ١٩٩٨م وطلبت خطة العمل التي أقرتها الوفود المشاركة من اليونيسكو الاستمرار في تنفيذ المشاريع التي أقرت أثناء ذلك العقد والتي حققت نتائج استفاد منها العديد من العواصم والمدن الصغيرة والمتوسطة وأثناء انعقاد المؤتمر العام التاسع والعشرين لليونسكو في باريس في اكتوبر - نوفمبر تقدمت عدد من الدول بمشروع قرار يطلب من اليونيسكو الاستمرار في تبني فكرة العواصم الثقافية وتم إقرار ذلك المشروع بغالبية كثيرة من الأصوات.

Makkah Capital of Islamic Culture 2005
مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

مكة المكرمة.. وعواصم الثقافة الإسلامية



عواصم الثقافة الإسلامية برنامج ترعاه وتشرف عليه المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (اسيسكو)، وهو مشروع يستهدف ابراز الوحدة الثقافية للأمة الإسلامية وترسيخها وتنوعها الثقافي، والتعريف بمساهمة مختلف مناطق العالم الإسلامي في تطوير الثقافة الإسلامية، وتشجيع التعاون الثقافي بين الدول الإسلامية، بالإضافة الى ابراز مفهوم المدينة الإسلامية، والتعريف بمؤسستها الثقافية وخصائصها المعمارية والتعريف بتاريخها وتراثها.

لقد اعتمد المؤتمر الإسلامي الثالث لوزراء الثقافة في العالم الإسلامي مشروع برنامج عواصم الثقافة الإسلامية، وتعيين مكة المكرمة اول عاصمة للثقافة الإسلامية، ثم جرى تأكيد ذلك في ختام اعمال الدورة الرابعة للمؤتمر التي عقدت في الجزائر في اواخر العام الماضي الميلادي، لتكون مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠٠٥م، وانطلاقاً من هذا التقدير واستثماراً لهذه المناسبة صدرت التوجيهات العليا بأن تساهم جميع الجهات الحكومية والأهلية ذات العلاقة في المملكة بهذه المناسبة.

وشكل لذلك لجنة عليا برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة وعضوية عدد من المسؤولين والشخصيات البارزة الذين يمثلون الجهات المعنية في هذا المجال، ثم قامت كل جهة

بالاستعداد وإعداد خطتها للمشاركة في هذه المناسبة.

ولاشك ان اختيار مكة المكرمة اول عاصمة للثقافة الإسلامية يمثل تقديراً من المؤتمر لمكانة العاصمة المقدسة واعترافاً باستحقاقها لهذا اللقب دون منازع، فهي مهبط الوحي ومنبع الرسالة المحمدية ومهوى أفئدة المسلمين في كافة ارجاء الدنيا، فيها نزلت (اقرأ) ومن جبل النور فيها شع نور العلم والإيمان وعلى ثراها ترعرع معلم البشرية الأول الذي بعث للناس كافة هادياً ومبشراً ونذيراً، وهذا الاختيار انما هو تتويج وتأصيل لمكانة ام القرى في ميادين العلم والمعرفة ولتأريخها العريق في الثقافة والأدب وإرثها الثقافي العظيم الذي امتد عبر قرون ولازالت العاصمة المقدسة تواصل تقديم هذا الإرث الخالد وتضيف اليه بما يجعلها جديرة بهذا اللقب على الدوام.

وبإلقاء نظرة على مشروع برنامج عواصم الثقافة الإسلامية نرى مجموعة من الأهداف التي يسعى المشروع الى تحقيقها كترسيخ الوحدة الثقافية للأمة الإسلامية، وإبراز التنوع الثقافي لها والتعريف بمساهمة مختلف مناطق العالم الإسلامي في تطوير الثقافة الإسلامية، وتشجيع التعاون الثقافي بين الدول الإسلامية وتسهيل تبادل المنتوجات الثقافية، وتعريف غير المسلمين بالثقافة الإسلامية ومثلها وقيمها وإسهامها بالثقافة الإنسانية، وكذلك تشجيع الحوار بين الحضارات وتفاعل الثقافة الإسلامية مع الثقافات الأخرى داخل الدولة الواحدة، وتنمية التعاون الثقافي بين البلدان الإسلامية من جهة وبينها وبين العالم الخارجي من جهة ثانية بالإضافة الى ابراز مفهوم المدينة الإسلامية والتعريف بتاريخها وتراثها، مع تشجيع الإبداع في مجالات العمل الثقافي المختلفة، وتأكيد دوره في حركة التنمية الشاملة في المجتمعات الإسلامية.

ومكة المكرمة التي هي الآن عاصمة الثقافة الإسلامية، وهي على الدوام صاحبة هذا الإرث العظيم الذي امتد عبر قرون سلفت تواصل الآن تقديم هذا الإرث الثقافي الخالد لتؤكد انها باكورة عقد الثقافة الإسلامية الأصيل، ولاشك ان مثل هذه المناسبة ينبغي استثمارها في تحقيق الأهداف التي وضعت من اجلها كما يمكن استثمارها لتوضيح كثير من الحقائق عن الإسلام كدعوة للسلام وكدين يحث على طلب العلم والمعرفة ويشجع على التفكير والتدبر ويدعو الى التعارف والتآلف.

صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد يدشن مكة عاصمة للثقافة الإسلامية



برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة ورئيس الهيئة العليا الإشرافية لبرامج مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ انطلقت مساء السبت الموافق ١٤٢٦/٨/١٣هـ فعاليات مناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية،. وقد بدأت الفعاليات بآيات من الذكر الحكيم تلتها كلمة معالي مدير جامعة أم القرى والأمين العام للجنة العليا الإشرافية لبرامج مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية الدكتور ناصر بن عبدالله الصالح كلمة عبر فيها عن شكره لسمو أمير منطقة مكة المكرمة على رعايته لحفل افتتاح هذه المناسبة الغالية على الجميع متمنيا أن يقدم فيها من البرامج والفعاليات ما يحقق الأمل المنشود وتسعد المثقف المسلم وينقل الصورة الحقة لثقافتنا الإسلامية التي تقوم على خالص الولاء لله عز وجل وصدق الانتماء لديننا الإسلامي الحنيف. وأكد أن هذه المناسبة حظيت باهتمام كبير من خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز منذ تأييد مقترح وزراء الثقافة في الدول الإسلامية باختيار مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية مشيرا إلى انه تم تشكيل اللجان التحضيرية والفرعية العامة وسارعت القطاعات الحكومية والأهلية للمشاركة ببرامج وفعاليات مختلفة معربا عن الأمل في أن تتحقق الأهداف المرجوة منها وإخراجها بما يليق بمكة المكرمة.

ثم ألقى صاحب السمو الملكي الأمير عبدا لمجيد بن عبدا لعزيز أمير منطقة مكة المكرمة كلمة نقل فيها تحيات وتقدير خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدا لعزيز (حفظه الله) وتمنياته بأن تكلل مساعي جميع من

شارك في هذه التظاهرة الكبيرة بالتوفيق والنجاح. وأكد سموه على أن الحديث عن مكة المكرمة ممزوج بمشاعر من الحب والرهبة، وقال سموه فالحب منبعه تجذر هذه الأرض بمقدساتها في وجداني، وما تحمله من عبق يسري في كياني، وأما الرهبة فمبعثها أن مكة المكرمة اكبر من أن تحد بسطور، وأعمق من أن ترسم بمداد. إن كل مدن العالم تحشد قواها لتشكل هويتها الخاصة، إلا أم القرى كانت السباقة دوما على غيرها من المدن فتصبغها بنور التوحيد والإيمان. وأضاف سموه: كم هو جميل أن نلتقي على بساط الاحتفاء بهذه المناسبة العزيزة على نفوسنا، إلا أن الاحتفال الحقيقي قد بدأ على هذه الأرض المباركة منذ الأزل، فالبيت المعمور في السماء قد احتفى بالبيت العتيق، وحمل النبي الأمي رسالة التوحيد قبل أربعة عشر قرنا، فكانت (إقرأ) أول كلمات الوحي، وخمس صلوات ارتبط مئات الملايين من المسلمين في أركان المعمورة بالتوجه نحو الكعبة المشرفة لأدائهن. إن الاحتفاء الكوني بطبيعة الحال لا يلغي دور المقل الذي نتوخاه في احتفاء نرجو أن يكون تتويجا لمشاعرنا نحو مكة المكرمة ودورها الفاعل في ترسيخ الوحدة الثقافية للأمة الإسلامية، وتشجيع الحوار بين الحضارات المختلفة واضعين نصب أعينكم كمثقفين دوركم الريادي لتكريس قيم التسامح والوسطية.. ونبذ كافة أشكال الإرهاب التي هي ابعد ما تكون عن جوهر الدين ومقاصده السامية. كما قال سموه: إن الأمانة الملقاة على عواتقكم -مثقفين ومثقفات- في حاجة مستمرة إلى مواكبة مستجدات الساحة الثقافية والفكرية، وصولا إلى انحسار موجة أي فكر لا ينسجم مع دين اسمه مشتق من السلام. فهاجسكم الأول يظل مرتبطا بحمل الفكر الإسلامي الصحيح لدحر فلول الفكر الظلامي أين ما كان، على أسس واضحة تستمد قوتها من كتاب الله وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم. مشددا على أن المثقفات، شقائق الرجال، أثرهن اكبر في الناشئة، منوها في ذات الوقت بالدور الحيوي الذي تقوم به المرأة كعنصر فاعل في المجتمع وإسهامها المقدر في تحصين الأجيال القادمة من شر الفكر الهدام. وأضاف سموه: وتبقى مكة المكرمة بعبقها التاريخي وبما حباها الله من قدسية وجلال تجد كل اهتمام ورعاية من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبد العزيز يحفظه الله ومنحها الأولوية القصوى، بناء، وتخطيطا، وإعمارا، ونماء، ذلك أن خدمة الحاج والمعتمر والزائر شرف لا يدانيه شرف. واختتم سموه كلمته بقوله: أمامكم عمل كبير اسأل الله سبحانه وتعالى إن يوفقكم لانجازه على الوجه الذي يرضي طموحاتكم، ويحقق تطلعات الأمة، التي تنشد الأمن والسلام والاستقرار.

بعدها أكد معالي الأستاذ/ إياد بن أمين مدني وزير الثقافة والإعلام آنذاك اختيار مكة المكرمة هو تأكيد لما أسدته للبشرية من خير وهي تنفرد عن غيرها من الحضارات فهي منبع الرسالة ومهبط الوحي ومن أرضها شع النور لكل البشرية فاختيارها ليس مستغربا فهي الحديقة الوارفة والشجرة المثمرة بالخير. وقال مدني لقد خرجت هذه المدينة العلماء وكانت جامعة للثقافة ففي حلقاتها طلب العلم وفي مواسم الحج يحضر الحجاج لأداء فريضة الحج ولطلب العلم أيضا وهو ما جعلها ذات ثقافة مفتوحة تحتضن كل من يأتي إليها من مختلف الأقطار والأمصار وبهذا استحقت أن تكون أول مدينة يختارها وزراء الثقافة والإعلام كعاصمة للثقافة الإسلامية.

فعاليات الجامعة

برنــامج حفل الافتتاح



- القرآن الكريم.
- قصيدة شعرية بعنوان « مكة المكرمة خير البقاع، ألقاها الأستاذ الدكتور/ محمد خضر عريف.
- كلمة أمين اللجنة العليا لتنفيذ برامج الجامعة.
- كلمة معالي مدير الجامعة.
- محاضرة رئيسة للأستاذ الدكتور/ عمر سراج أبورزيزة بعـنوان : « عـين زبيدة إرث حضاري – براعة هندسية – معقل تعليمي – معلم سياحي».

Makkah Capital of Islamic Culture 2005
مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

مكة المكرمة خير البقاع

أ. د. محمد خضر عريف - كلية الآداب والعلوم الإنسانية



فاضت قلوب الخلق بالنفحات   إذ أقبلوا للحج في عرفات
واستبشرت بسنى اليقين وجوههم   أملاً بنيل العفو والرحمات
قد أقبلوا لا يرتجون سوى الهدى   والصفح عن وزر وعن زلات
قدموا من الأصقاع يزخر حبهم   جمعوا بذاك الحب كل شتات
وقفوا بأكرم موقف جمع الورى   في كل سهل أو بكل فلاة
تخذوا بياض الثوب كسوتهم به   أنعم بها من كسوة لهداة
قد وحدتهم رغم بعد بقاعهم   وتباين الألوان والعادات
فروابط الإسلام خير روابط   تلغي الفروق وتهدم الطبقات
كم من غني أو فقير قد فدوا   هدياً زكياً أو رموا جمرات
أو أسود أو أبيض لبوا معاً   طافوا معاً بروية وأناة
بمنى يبيت القاصدون لرحمة   رجموا بها الأوزار بالحصوات
بالمروتين سعوا جميعاً واجتنبوا   فضل الصلاة وآثروا بصلات
حلوا ببيت للأنام مطهر   رفع الخليل بناءه بثبات
يبني وإسماعيل ساعد نصرة   بيتاً عظيم الشأن والبركات
يامكة والقلب فيك معلق   والعين في نأي همت عبرات
خير البقاع أحبها يامكة   سوداء قلبي مهجتي وحياتي
رمضاء صيفك مثل ظل وارف   وسموم قيظك أعذب النسمات
إن كان أفئدة الورى تهفو لها   كيما ينالوا العفو عن هفوات
فلنحن أقرب للمحبة منهم   فالعيش فيها مبعث الحسنات
والمكث فيها رحمة وعبادة   وكذا الصلاة تفوق كل صلاة
ما استقبلت يوماً حجيجاً وافداً   إلا بوجه ضاحك القسمات
أحببت مكة والموارد ثرة   وعشقتها في أحلك الأوقات
يا أمة الإسلام آن أواننا   كي ندحر الظلم الشديد العاتي
هلا اجتمعنا واتحدنا مرة   مثل اجتماع الحج في عرفات
ورجمنا أعداء لنا بحصى الجهاد   وسطوة الإقدام والعزمات
إن الصغار بقدسنا قالو لنا   إنا لأرض القدس خير حماة
في رجمهم للبغي دون هوادة ووقوفهم   صفاً بوجه طغاة
وكأنما يدعون أمة أحمد   للصحو واستقبال ما هو آت
فتعجلوا للأمر قبل ندامة   واستدركو للنصر قبل فوات

كلمة أمين اللجنة العليا

أ.د. إسماعيل بن خليل كتبخانة



بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف خلق الله والذي أنزل عليه نور القرآن بغار حراء بمكة المكرمة سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. معالي مدير الجامعة راعي هذه المناسبة العزيزة ، أصحاب السعادة وكلاء الجامعة وعمداء الكليات الكرام لقد اختيرت مكة المكرمة شرفها الله عاصمة للثقافة الإسلامية.. تقديراً لمكانتها المقدسة كقبلة للمسلمين، إضافة لاحتضانها أول بيت وضع للناس مباركاً وهدىً للعالمين، ومعها أنزل الله بالوحي القرآن الكريم على نبيه سيدنا محمد، وأول ما نزلت من آيات قرآنية تحث على طلب العلم والتعلم (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) ولقد أراد الله عز وجل أن تكون انطلاقة المسيرة العلمية متزامنة مع نزول أول آية قرآنية في مكة المكرمة لتكسب هذه البقعة تفرداً دينياً إسلامياً وثقافياً وحضارياً تفوق به سائر بلاد الدنيا.

لقد اختيرت مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ بإجماع كل المشاركين في مؤتمر وزراء الثقافة بالدول الإسلامية الذي عُقد في العاصمة القطرية الدوحة مؤخراً عام ١٤٢٤هـ، وفور إعلان اختيارها كأول مدينة إسلامية تحظى بهذا اللقب فقد شكلت لجنة عليا برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز أمير منطقة مكة المكرمة لوضع برنامج الاحتفال وصياغة الفعاليات التي ستقدمها العاصمة المقدسة مؤخراً وافتتاح الندوة العلمية الكبرى بجامعة أم القرى في الفترة ما بين ١٣-١٥ شعبان ١٤٢٦هـ واليوم تنطلق فعاليات اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ بجامعة الملك عبدالعزيز وعلى شرف قائد ريادتها معالي الأستاذ الدكتور/ أسامة بن صادق طيب والذي أصدر قراراً بتشكيل لجنة عليا برئاسة سعادة وكيل الجامعة الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن بن عبيد اليوبي ليقوم بوضع تصور للعديد من الفعاليات والبرامج الهادفة التي تليق بهذه المناسبة ، وقد وضعت اللجنة في اعتبارها أن تكون الفعاليات لهذه المناسبة العزيزة على أمتنا مستمرة لنهاية هذا العام الهجري وأن تتضمن العديد من البرامج الثقافية الأدبية على النحو التالي :

أولاً : تنظيم محاضرات عديدة وهي :

١ - محاضرة للأستاذ الدكتور/ عمر بن سراج أبو رزيزه بعنوان «عين زبيدة إرث حضاري – براعة هندسية – معقل تعليمي – معلم سياحي » وسوف يتم إلقاؤها بعد حفل الافتتاح مباشرةً.

٢ - محاضرة بعنوان (مظاهر العناية بالقرآن الكريم خلال القرن الرابع عشر الهجري) يقدمها الدكتور/ أحمد بن محمد مغربي.

٣ - محاضرة بعنوان (الأسواق والتجارة بمكة المكرمة) يقدمها الأستاذ الدكتور/ إسماعيل بن خليل

كتبخانة.

٤ - محاضرة بعنوان (الحياة الثقافية والفكرية في مكة المكرمة من القرن الأول إلى القرن الثامن الهجري) يقدمها الأستاذ الدكتور/ أبوبكر بن أحمد باقادر.

٥ - محـاضزة بعنوان (عمارة الحرم المكي الشريف) يقدمها الدكتور/ هشام مرتضى من كلية تصاميم البيئة.

كما أن هناك مشاركات أخرى للجامعة متوقعة داخل الجامعة وخارجها بالإضافة إلى مشاركات شطر الطالبات بهذه المناسبة.

ثانياً : بجانب المحاضرات واللقاء العلمي سيكون هناك فعاليات أخرى للمناسبة وهي :

١ - تنظيم معرض عن عمارة الحرم المكي الشريف بأحد المراكز التجارية المهمة قرب الحرم المكي الشريف وستتولى تنظيمه كلية تصاميم البيئة والذي يتضمن بعض اللوحات والأعمال الفنية المختلفة. كما سيتضمن المعرض المزمع إقامته بعض الأدوات والمقتنيات التراثية الخاصة بمكة المكرمة تقدمها عمادة شؤون الطلاب.

٢ - نشاطات عديدة ستقوم بها عمادة شؤون الطلاب ومن أبرزها مايلي :

- إعداد برامج ثقافية واجتماعية وفنية ورياضية مرتبطة بمكة المكرمة.
- تنظيم زيارات عمرة في رمضان يتخللها زيارة المواقع الإسلامية مثل : جبل النور وغار حراء، ومصنع الكسوة ومتحف مكة المكرمة ومركز جامعة أم القرى.

٣ - إصدار عدد خاص من جريدة (أخبار الجامعة) يحتوي العديد من الموضوعات الخاصة بمكة المكرمة.

٤ - قيام مركز النشر العلمي بطباعة عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه المرتبطة موضوعاتها بمكة المكرمة.

٥ - إصدار كتاب إعلامي عن مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٥ هـ.

- كما سيتم إن شاء الله في نهاية الفعاليات إصدار كتاب وثائقي شامل عن جميع البرامج والأنشطة التي قدمتها الجامعة بهذه المناسبة.

إن مبادرة جامعة الملك عبدالعزيز ، بتفعيل الاحتفاء بهذه المناسبة الثقافية يؤكد على حرص الجامعة على رعاية هذه البرامج والفعـاليات باعـتبارها واجهة الثقافة ومركزاً للإشعاع العلمي بكل ما تحويه من مراكز علمية وبحثية فاعلة.

وفي نهاية كلمتي هذه أهيب بكل مثقف وعالم وخاصة من سكان مكة المكرمة، أن يقدم شيئاً مفيداً ويرد بعض الجميل لعاصمة الثقافة الإسلامية (مكة المكرمة) حفظها الله وحرسها من كل سوء وكيد الفجار. نسأل الله عز وجل التوفيق والسداد للجميع وأن يكلل جميع الفعاليات بالنجاح الباهر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

كلمة معالي مدير الجامعة

أ.د. أسامة بن صـادق طيب



الحمد لله الذي وضع البيت للناس ببكة، وهدانا لهذا الدين القويم، والصلاة و السلام على من كان مولده مكة المكرمة، بعثه الله بالحق فعم به النور مجاهل الضلالة ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأخيار .. وبعد ،

أصحاب المعـالي والسمو و الفضيلة و السعادة .. ضيوفنا الأجلاء من قطاعـات محافظة جـدة ..

الإخوة الكرام .. **أيها الحفل الكريم ..**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدينة خصها الله بأن وضع فيها أول بيت للناس مباركاً. مدينة احتضنت سيدنا إسماعيل و أمه هاجر عليهما السلام أحياءاً و أمواتاً ، مدينة شهدت مولد و مبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، مدينة تحتضن الكعبة المشرفة قبلة ملايين المسلمين في أرجاء العالم، وهكذا لا تحصى مآثر و أوجه فضلها .. ويقول المثل العربي (لا عطر بعد عروس) .

الإخوة الكرام ..

ماذا أنا قائل عن مدينة سماتها تتواضع عندها المدن الأخرى، وصفاتها تعجز عنها الكلمات، ويقصر البيان عن شرحها مدينة موسومة بطابع القدسية وعبق التاريخ، وجذور التوحيد و أفول نجم الأصنام والأوثان. مدينة لا تضاهيها أخرى .. أليست مهبط الوحي ؟ ومنزل القرآن ؟ ومنطلق دعوة التوحيد ؟ وأحب البقاع إلى الله ؟ فماذا يستطيع البيان مع سحره من إضافة، فمكة المكرمة سهل ممتنع، ومهما تفنن الشعراء والأدباء والمفكرون في وصفها وتبيين مآثرها، كان العجز والتقصير : عجز اللسان وتقصير البيان، ومع هذه الآلاف المؤلفة من المخطوطات و التآليف و التصانيف التي تناولت مكة المكرمة، فإنها ما زالت أرضاً خصبة، و مازالت الخطوات لسبر أغوارها ممتدة لمزيد من البحث والتقصي، فما زال آخرها غوراً .

لا شك أن اختيار جامعة المؤسس منطلقاً لفعاليات محافظة جدة لهذه المناسبة الطيبة، قلادة عز في عنق الجامعة، ووشاح فخر تتشح به، ووسام شرف في صدرها . ومع كل هذه الاستعدادت التي بذلتها الجامعة لاستضافة هذه التظاهرة الثقافية في رحابها، إلا أن ذلك من باب جهد المقل، والتناول المخل، فالمناسبة لا تضاهيها ولا كل أنواع الاستعداد و إن تميزت فلا بد من قصور ، لأن المدى أوسع من شعاب مكة وأعلى من جبالها، وأعمق من تاريخها، فكان صعباً أن يحتوى، إلا أن عزاءنا في أننا تطاولنا لنصل إلى ذرى المناسبة، ولكن هيهات، فلتلتمسوا لنا العذر إن كان هناك مالم يرق إلى مستوى المناسبة، ولنا ثواب السعي والاجتهاد .

الإخـــوة الكرام :

باسمكم جميعاً أرفع لمقام خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز «حفظه الله» وسمو ولي العهد الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز «حفظه الله» على ما يولونه من اهتمام ورعاية دؤوبة بهذه المدينة المقدسة، وعلى وقوفهم شخصياً ، على كل ما من شأنه الارتقاء بها في جميع المجالات وعلى رأسها خدمة الحرمين الشريفين و المشاعر المقدسة و استقبال ضيوف الرحمن من الحجاج و المعتمرين .

وأصالة عن نفسي ونيابة عن منسوبي الجامعة أشكر الإخوة الكرام في اللجنة العليا لتنفيذ برامج الجامعة على جهودهم المقدرة، مرحباً بالأخوة الكرام من قطاعات محافظة جدة في جامعتهم الأبية ، لا ضيوفاً بل أهل دار، متمنياً للجميع التوفيق والسداد، ولأم القرى حرماً ومشاعر مقدسة و مكاناً، وإمارة، وسكناً، وثقافة وتاريخاً، وإنساناً التقدم والازدهار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...





المحاضرات

عين زبيدة .. براعة هندسية ، معقل تعليمي ، إرث حضاري ومعلم سياحي

أ.د. عمر سراج عمر أبورزيزة - كلية الهندسة



تقع عين زبيدة بوادي النعمان الذي يعتبر من أكثر الأودية المحيطة بمكة المكرمة ثراءً بيئياً نظراً للتعدد الحياتي والتباين الأيكولوجي في المنظومة الطبيعية والذي تنعم به الأجزاء المختلفة للوادي، كل ذلك يعلل أهمية إعداد دراسة عمرانية تاريخية بيئية متكاملة بهدف تحديد الطريقة المثلى للحفاظ على المقتنيات الوطنية للمملكة التي تتمثل في هذا الإرث التاريخي البديع ومن ثم تطوير آلية يتم من خلالها استغلال هذا الأثر الفني الهندسي في تشكيل مرفق سياحي يتبنى الشخصية المتحفية ليساهم في تكوين نوعية جديدة من الترفيه الثقافي لمكة المكرمة.

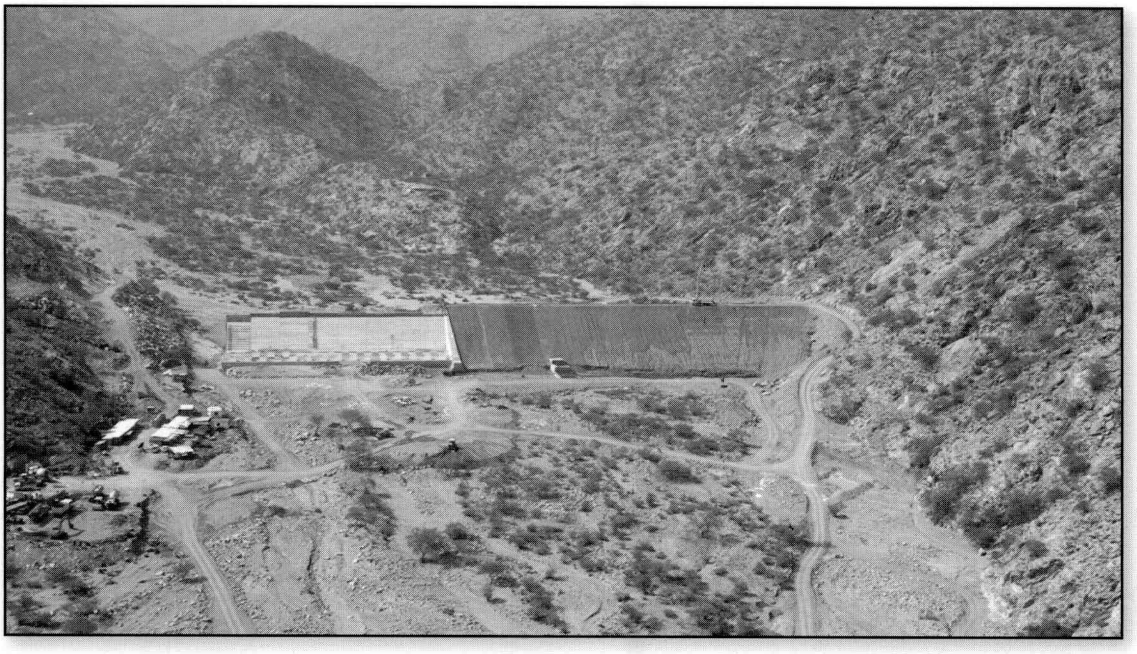
أعضاء فريق الدراسة :

أ.د. عمر سراج أبـورزيـزة	الباحث الرئيس
د. عبد الله مصطفي مهرجي	باحث مشارك
د. عبد الله سـعـد الوقداني	باحث مشارك
د.طـلال عـلـي مختـار	باحث مشارك
د. أسعـد سراج أبورزيـزة	باحث مشارك
د. منصـور القـرني	باحث مشارك
د. أشرف عبدالقادر التركي	باحث مشارك
أ.د. عبدالمحسن فرحـات	باحث مشارك
د. سهيل أحمـد مكي المدني	باحث مشارك
د. سعود عبد العزيز قطب	باحث مشارك

م. رمزي إبراهيم دميرلكن كبير مهندسين

- أبرز سمات العصر التقدم العلمي المذهل.
- نجاح المشاريع مرتبط بما يجري عليه من دراسات وبحوث من متخصصين وذوي خبرة.
- مشروع عين زبيدة مشروع عملاق عظيم النفع فقد كان بحاجة إلى الدراسات التالية:
  - الجيوفيزيائيّة.
  - الهيدروجيولوجيّة.
  - المياه السطحيّة والجوفيّة.
  - تحديد الحاجة للتنقية.
  - المطابقة لمواصفات مياه الشرب.
  - التغذية الطبيعيّة من مياه السيول.
  - تقويم نوعيّة المياه الجوفيّة.
- ويتم من خلال النمذجة العدديّة :





- تحديد المعايير اللازمة لتصميم وحدات المشروع.
- تقود نتائج هذه الدراسات إلى اختيارات متعددة تحتاج إلى المفاضلة بينها لاختيار الأمثل.
- تؤدي المهارة العلميّة والخبرة الحقليّة دوراً رئيساً في التمكين من اختيار البديل الأمثل.
- يتم ذلك عبر مناهج علميّة وركائز عمليّة بيئيّة واجتماعيّة واقتصاديّة وفنيّة.

- بعد اختيار البديل الأمثل، يأتي دور علوم الهندسة بفروعها المختلفة لتحديد وتصميم عناصر المشروع وهي عبارة عن :

. قنوات (أنابيب) . . محطات ضخ. . خطوط طرد. . خزانات أرضيّة وخزانات علويّة. . وحدات تنقية. . وحدات تعقيم. . شبكات توزيع، وما إلى ذلك.

- إعداد ملف المناقصة وذلك على النحو التالي :

. الخرائط الهندسيّة. . حساب الكميات. . إعداد المواصفات الفنيّة والعامّة. .

تقدير التكلفة التقريبيّة. . الوقت اللازم لتنفيذ المشروع.

- تنفيذ وتشغيل المشاريع :

صناعة تحتاج إلى معارف متخصّصة، ومهارات وخبرات حقليّة مثل : إعداد برنامج تنفيذي وآخر تشغيلي فعّالٍ ومرنٍ، يشملان الأعمال اليوميّة، والأسبوعيّة، والشهريّة، ويتصديان لأي طارئ بما يناسبه في أسرع وقتٍ وفق منهج علميّ وعمليّ.

- **تمويل المشروع :**

لضمان استمرارية المشروع، وجب أن يكون هناك مصدر تمويل دائم للتشغيل والصيانة، حتى لا يتعثر المشروع أو يخفق في تحقيق النتائج والأهداف المنشودة.

- في ظل المُعطيات السابقة، يمكننا أن نحكم بأن مشروعاً عملاقاً بُني قبل أكثر من ألف ومائتي عامٍ، يسقي الحجّاج، والمُعتمرين، والمجاورين، ماءً عذباً ولا يزال شامخاً مشروع ناجح.



- مشروع مدروس ووراءه جهود بحثية، وأخرى تطبيقيّة ومعرفة بالعلوم الهندسيّة، وتجربة وإحاطة عريضة بمتطلبات تنفيذ، وتشغيل، وصيانة المشاريع العملاقة.
- إن هذا ما تعكف هذه الورقة العلميّة عليه، لتجلية جوانب الإبداع الهندسي لأحد المشاريع القديمة التي بناها المسلمون في المشاعر المقدّسة في نهاية القرن الثاني الهجري

أهداف البحث :

- استخراج ونقل ٣٠ ألف م٣ من المياه يومياً على مدار السنة.
- إعداده ليكون خزاناً استراتيجياً لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة.
- إحياء عين زبيدة كـ :

ـ معلم أثري حضاري

ـ معقل تعليمي و ثقافي

ـ مزار سياحي و ترفيهي

- إبراز الجوانب الإبداعية من خلال مناقشة المفاهيم الهندسيّة للمشروع (دراسة، وبحثاً، وتصميماً، وتنفيذاً، وتشغيلاً وصيانةً).

منهجيّة البحث :

- استقصاء الجوانب الإبداعيّة من خلال :

ـ الوثائق التاريخيّة ـ المكتبات التراثية.

ـ معلومات فنيّة من المظانّ المختلفة.

ـ برامج التشغيل والصيانة القديمة.

ـ صكوك أوقاف عين زبيدة.

ـ نقوش المعالم الأثرية.

ـ التصوير الفوتوغرافي والجوي.

ـ المشاهدات المتكرِّرة، والدراسات النظريّة، والأعمال الميدانيّة.

- تحليل المعلومات النظرية والميدانية المتوفرة للتوصل إلى المفاهيم الهندسيّة والجوانب الإبداعية للمشروع.

مُشاهدات شخصيّة:

لقد سعِدتُ بالعمل في مشروع عين زُبيدة أيّما سعادة، وزاد من سعادتي أني وجدت بُغيتي، وعثرت على ضالتي في هذا المشروع العملاق، فكم كنت أتساءل عما إذا كان هناك منهجية

علمية روعيت في دراسات وتصميم وتنفيذ مثل هذه المشاريع القديمة أم أنها وليدة المحاولة والخطأ والتجريب ؟.

وإن كانت الأولى فكيف تم تطبيق هذه المنهجية دون توفر العلوم والتقنيات وتنفيذها في عصر أعوزته المعدات والآلات الحديثة.

لقد أسعدني ما وجدته في دراسات وتصميم وتنفيذ وتشغيل وصيانة عين زبيدة من منهجيّة فريدة لا يزال الكثير منها متبعًا حتى الآن في المشاريع المائية المشابهة.

آلية المشـــروع :

يجمع هذا المشروع المياه المنحدرة من مسايل وروافد وادي نعمان ـ المتاخم لمكّة المكرّمة من جهتها الجنوبيّة الغربيّة ـ لتجد مستقرها في باطن المكامن الجوفيّة حيث تتسرب إلى داخل قنوات حجريّة أو أنفاق صخريّة أو شبه صخريّة تنساب في طمأنينة نحو عرفات، ومزدلفة، فمكّة المكرّمة، رقراقة، عذبة كالزلال، تسقي العطاش، عبر أحواض وبازانات وبرك، وما فاض عن حاجة مستعمليه وجهوه إلى مزارعهم، فاستفادوا منه فيما يُنبت طعامهم وعلف دوابهم.

يتراوح عطاء عين زبيدة بين عشرين وثلاثين ألف متر مكعب من المياه يوميّاً

منشـــآت عـــين زُبـيــدة :

تتكوّن عين زُبيدة من عدة قنوات – خرزات – بازانات – برك ـ أحواض يرقب المشاهد في كل منها لمحة هندسيّة، أو لمسة جماليّة، أو مغزى اقتصادياً.

قنوات العين على ضربين :

- جزء مُجمّع للمياه.
- جزء ناقل للمياه.

ـ الجزء المُجمّع للمياه :

قناة تحت سطح الأرض، أعلاها أسفل منسوب المياه الجوفيّة، بدايتها نقطة الأميّة تُجمّع مياه روافد وادي نعمان العلويّة المعروفة بعذوبتها من خلال فتحات تسمح للمياه الجوفيّة بالانسياب داخلها، ونقلها بالانحدار الطبيعيّ.

ـ الجزء الناقل للمياه :

ومهمته نقل المياه فقط، وقد يكون فوق سطح الأرض مباشرة، أو مُعلقاً فوق جسور عند اختراق القناة لبطون الأودية، وقد يكون تحت سطح الأرض.

مبني بالحجارة ومملط (مُجصّص) بالنورة في قواعده وجوانبه لمنع تسرب المياه منه، ومسقوف بالحجارة العريضة الثقيلة التي يصعب تحريكها لتقليل التبخر والحفاظ على مياه العين من التلوث.

الخــرزات :

تخترق القنوات خرزات تسمى في علوم الهندسة الصحية الحديثة غرف تفتيش لغرض التشغيل والصيانة.

كما بنيت بكل خرزة سلالم حجرية داخلية وخارجية لتسهيل عملية النزول والصعود من وإلى القنوات.

وهي على ضربين :

ـ خرزات ظاهرة فوق سطح الأرض وممتدة إلى القناة، يتم استخدامها بشكل دوري.

ـ خرزات مدفونة في الأرض تفتح فقط عند الحاجة كأن يكون كل عشر سنوات مثلا.

الخــزانات :

منشآت حجرية مبنية فوق سطح الأرض لتخزين المياه

ـ البازانــات :

خزانات حجريّة تسمى بهذا الاسم، تركزت في الأحياء المحيطة بالحرم الشريف، وبلغ عددها (٣٣) بازاناً، لعل من أشهرها وأكبرها ـ حسب معرفتي ـ بازان القبة الذي يخدم أهالي حي المسفلة، وما ينزله من حجّاج ومعتمرين، وقد قُدِرت سعته بـ (١٠,٠٠٠ م٣) تقريباً×.

جـوانب الإبـداع في عـين زُبـيدة

يطول الحديث عن جوانب الإبداع في منشآت العين جميعها ولذلك نكتفي بإبرازه في بعض منها:



ـ الإفادة من الانحدار الطبيعي في تجميع ونقل المياه :

إن المتتبع لسير قنوات العين يرصد عمقها في بعض المواضع، وقربها من سطح الأرض في مواضع أخرى، وفي ثالثة فوق سطح الأرض مباشرة، وفي غيرها معتلية ظهور الجبال أومعلقة فوق قناطر، كل ذلك لتجميع ونقل الماء ذاتياً بالانحدار الطبيعيّ، مستغلين خاصية الجاذبيّة من نقطة البداية وحتى النهاية، وفقاً للسمات الطبوغرافيّة للمنطقة. وفي هذا ملمحان : هندسي واقتصادي.

ـ الحساب الدقيق لدرجات انحدار قنوات المياه :

مُدَّت هذه القنوات بدرجات انحدار محسوبة متقنة، بحيث ينساب الماء فيها بدرجة سرعة لا ينتج عنها ركود، أو اندفاع يؤدي إلى نحر القنوات وتآكلها..

ـ حماية القنوات من السيول :

لوحظ أيضاً عند بناء القنوات على سفوح الجبال وجود فتحات عبر القنوات (تُسمى في علم الهيدروليكا بالعبّارات) تسمح بتصريف مياه السيول المنحدرة من أعالي الجبال، دون إلحاق أذى بتلك القنوات.

وقد لوحظ اختلاف مساحة هذه العبّارات، لتحقيق التناسب بينها وبين مساحة الحوض الذي تُصرف فيه مياه السيول.

ـ الحـــوائط الســـــاندة :

بُنيت حوائط ساندة لحماية القنوات من السيول، بأحجام مختلفة من حيث الطول، والعرض، والارتفاع بما يتناسب مع طول الجزء المسنود.

ـ اختيار مواضع الخرزات :

لُوحظ بناء الخرزات عند تغير اتجاه مسار القناة، أو عند التقاء قناة بأخرى، ولم تتجاوز المسافة بين الخرزتين ٢٠٠ متر تقريبا.

كما لوحظ أيضاً تجنب بناء الخرزات في مصبات السيول إلاّ عندما تلجئ الحاجة إليها، وعندها تأخذ الخرزات أشكالاً هندسيّة انسيابية تقلّ من تأثير السيول على ثباتها.

ـ الشكل الكرويّ لأسقف البازانات الكبيرة :

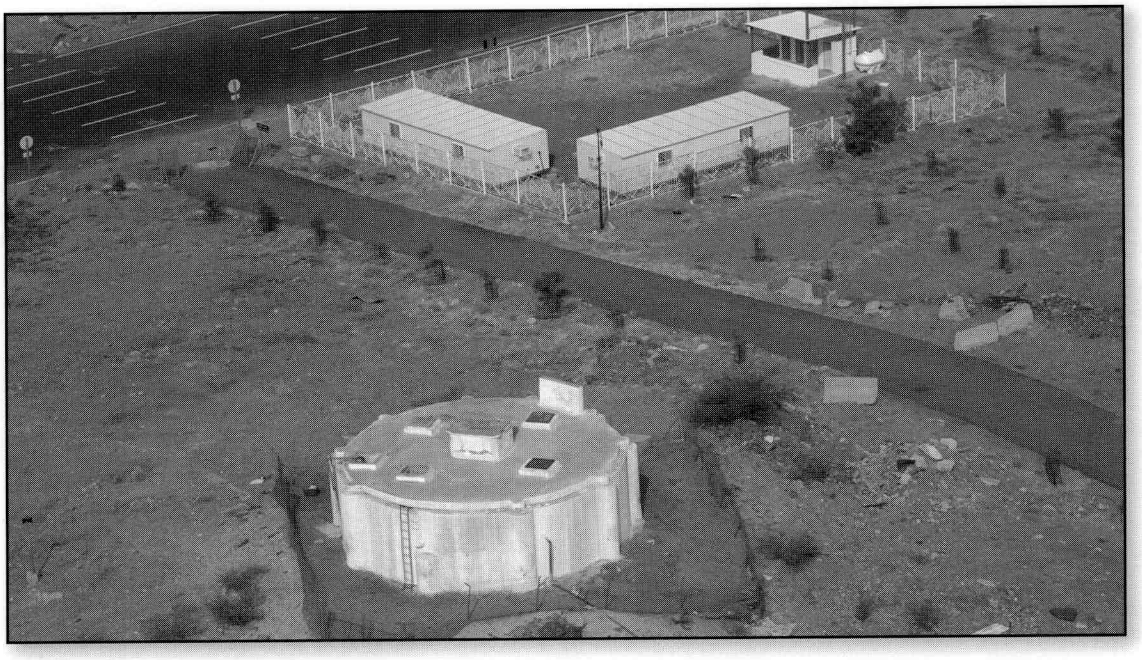
بنيت أسقف البازانات الكبيرة على شكل كروي أو شبه كروي حتى تتحمل الأوزان الكبيرة التي تعلوها. وقد شوهد ذلك في سقف بازان القبة، وفي ذلك ملمح هندسي مهم حيث تتلاشى القوى المؤثرة عليه، كما هو معلوم لدى علماء الإنشاءات.

ـ دقة تصميم القنوات :

حُدِّدت الأعماق التي بُنيت عليها القنوات بدقّة متناهيّة وحساب هندسيّ رفيع، بحيث تكون فتحات القنوات في عرفات قريبة من سطح الأرض، حتى يسهُل للحاجّ أن يشرب منها ويتوضأ.

ـ استخدام المواد المحليّة في البناء :

استخدم دائماً في بناء منشآت العين مواد محليّة من حجارة، ونورة. حتى الحنفيات



(البزابيز) الموجودة في جبل الرحمة حنفيات حجريّة جميلة مصنوعة بدقة فائقة وعناية.

ـ تجميع المياه العذبة فقط ومنع اختلاطها بالمياه الملحة :

عرف الأوائل أن مياه وادي نعمان عذبة، ومياه وادي عرنة أجاج. فبنوا القنوات في وادي نعمان بمسام تسمح بدخول المياه الجوفيّة العذبة، وعندما اقتربت القنوات من وادي عرنة بنوها صماء حتى لا يختلط الماء الزلال بالماء الأجاج.

ـ حماية المياه من التلوث:

مما يلفت النظر أيضاً حرصهم على حماية المياه من أي تلوث آدميّ أو حيوانيّ، فلم تحدثنا كتب التاريخ عن وقوع تلوث مائي في مكّة المكرّمة. صحيح أنها حدثتنا أن المياه قد شحّت عدة مرات في مكّة المكرّمة نتيجة تأخر الأمطار أو قلتها، لكنها لم تحدّثنا قط عن تلوثٍ للمياه فيها مطلقاً.

ـ الخزن الاستراتيجي للمياه :

وعى المسلمون الأوائل منذ مئات السنين أهمية الخزن الاستراتيجي للمياه خاصة في المناطق المقدسة مثل مكة المكرمة والمشاعر المقدسة بالذات في موسمي رمضان المبارك والحج، درسوا

ذلك وخططوا له ونفذوه بإتقان لزمن طويل، فمثلاً بني خزان في الواجهة المطلة من حي المسفلة على الحرم تبلغ سعته ١٠,٠٠٠م٣ حيث كان يسكن هذه المنطقة وماحولها قرابة ٢٥,٠٠٠ حاج لمدد تقارب متوسطها ٢٠ يوماً فيها يحتاج الحاج إلى ٢٠ لتراً من المياه يومياً، وكمية ١٠,٠٠٠م٣ هي الاحتياج الفعلي لتلك المنطقة خلال فترة الحج، كما يبين ذلك عملية حسابية يسيرة.

وعلى نفس المنوال يتم ملء البازانات الثلاثة والثلاثين في مكة المكرمة في آخر شهر شوّال وأوائل شهر ذي القعدة، ويتم استخدام تدفق العين طالما أنّ ذلك كافٍ، وإبقاء المخزون كاحتياطي دائم في الحج.

كما يتم أيضاً تخزين مياه العين في بازانات مكّة المكرّمة أثناء إقامة الحجيج بعرفة ومنى أيام التروية والعيد والتشريق، لتوفير حاجة الحجاج من المياه بعد عودتهم من مِنى، سدّاً لأيّ عجزٍ في تدفق العين، واستعداداً لأيّ طارئ.

- استعمال مياه الوضوء والغسل في سقي المزارع :

حرص منفذو المشروع على تُجمّع المياه المستعملة في الوضوء والغسل في قنوات حجريّة، تصب مياهها في المزارع المجاورة لجبل الرحمة.

وهذه هي فكرة إعادة استعمال المياه فيما يتناسب مع مواصفاتها وجدناها مطبقة في هذا المشروع منذ زمن قديم. مما يسجل لمنفذي هذا المشروع السبق والريادة.

- تجميع مياه السيول في مِنى واستعمالها سنداً لمياه عين زُبيدة : توصلنا إلى قرابة (١٢٦) صهريجاً في بطون أودية منى، تُخزن فيها مياه الأمطار، لتستعمل في أيام التشريق.

وقد زُودت تلك الصهاريج بشبكات (مناخل) لمنع الأتربة من الدخول إلى الصهاريج ما أمكن. ويتم تنظيف هذه الصهاريج دورياً بعد أيام منى لإعدادها لاستقبال مياه السيول.

وعند شحّ الأمطار أو عدم كفاية المخزون، يتم الاستعانة بمياه عين زُبيدة لتزويد الحجيج من بركة زُبيدة الواقعة في محبس الجنّ المُتاخم لمِنى، في حوض البقر، المُسمى الآن بالعزيزيّة. وذلك ملمح هندسيّ بديع في حُسن استخدام مياه السيول وتخزينها لاستعمالها عند الحاجة.

ـ توخي الصبغة الجماليّة في منشآت العين :

لم يصرف مراعاة الجودة والكفاءة في منشآت العين العلماء الأوائل عن مراعاة الصبغة الجماليّة في كل منشـآت المشـروع.

نلمس ذلك في القنوات المُعلقة في المأزمين، وفي الأقواس القائمة على الأعمدة الحجريّة الجميلة المُغطاة بالفسيفساء الرائعة، لتُعطي منظراً خلاباً، ممتعاً، الأمر الذي حدا بعلماء البيئة والعمارة في كلية تصاميم البيئة بجامعة الملك عبدالعزيز لترشيحه متنزهاً وطنياً يستمتع بجمال منظره رواده ومشاهدوه.

كما يوجد خزان ثمانيّ الشكل جميل في مزدلفة فوق الأرض، لا يزال ناطقا بكثير من اللمسات الجماليّة رغم مرور القرون ذوات العدد.

وثم لمسات جماليّة لافتة للنظر في الطوق المُحيط بجبل الرحمة والمتكوّن من الحنفيات الحجريّة ومجاريها لا تزال شاهدة لمنفذها بالإتقان والدقة.

كما يشاهد في مداخل البازانات بعقودها وأقواسها ولوحاتها الجميلة، وأبوابها الضخمة ما يستلفت الذهن ويسر النظر.

ـ التمويل الذاتي لتشغيل وصيانة العين :

أوقفت السيدة زبيدة وولاة أمور المسلمين بعدها والمحبون لفعل الخير أوقافاً كثيرة تدر دخلاً يكفي في الغالب لتشغيل وصيانة العين.

ومن الأشياء التي يحسن ذكرها أن معظم العاملين في عين زبيدة – عدا العمال البسطاء الفقراء – كانوا يحتسبون الأجر والثواب ولا يتقاضون على ذلك راتباً أو مكافأة.

وقد أحصى الباحث ستة وثمانين وقفاً استثمر بعضها فعلا لكن بعضها الآخر لا يزال مهدماً ينتظر المخلصين لإعماره واستثماره وذلك حسب ما ورد في البحث الموسوم بـ: ـ الأعيان والممتلكات الموقوفة على عين زبيدة (مخطوط) – إعداد مركز أبحاث المياه بجامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ

تلفيات بعين زبيدة :

نتيجة للإهمال الذي تعرض له المشروع رصد البحث تلفيات كثيرة يوضح بعضها ما يلي :

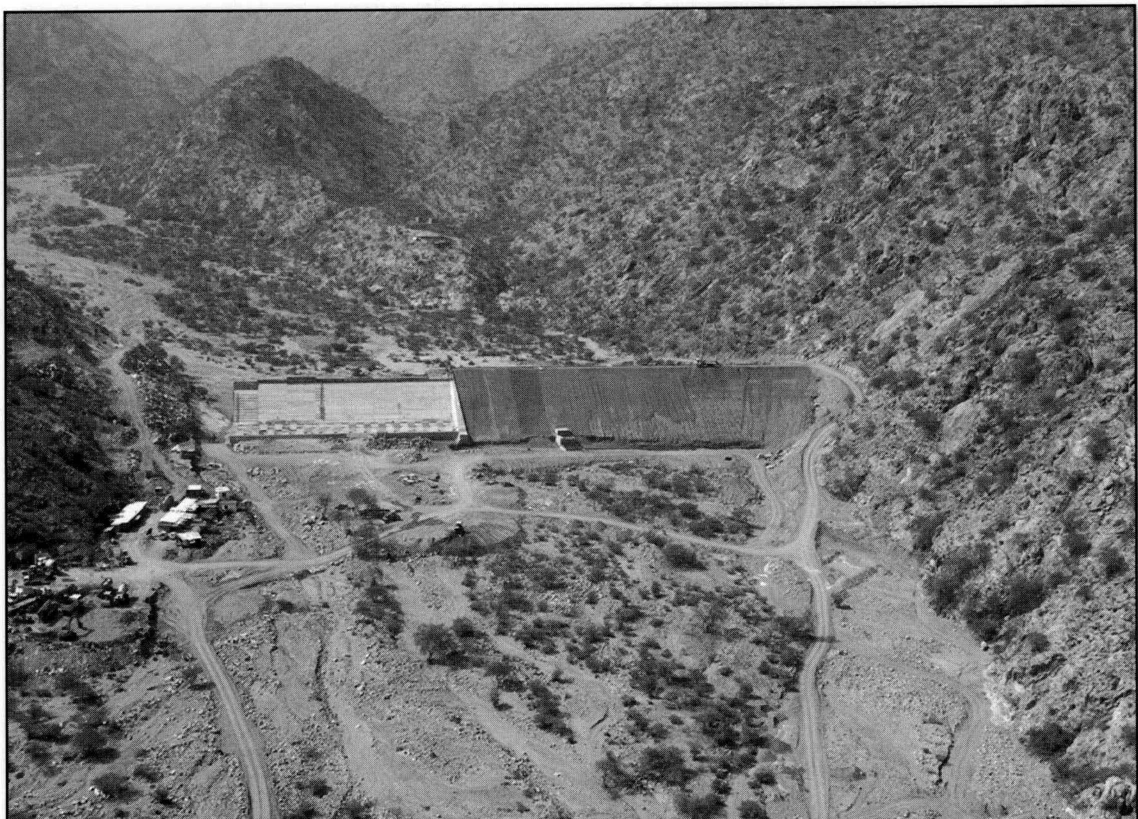
تعديات على منشآت عين زبيدة وأملاك الدولة :

رصدت الدراسة تعديات متنوعة كثيرة على منشآت المشروع كحفر آبار بطرق غير نظامية، وإقامة عقوم حول بعض المساحات وزراعتها، وتمهيد مساحات أخرى وإعدادها كمخططات وتقسيمها إلى قطع وبيعها بطرق غير شرعية ووثائق غير رسمية.

هذا.. رغم صدور العديد من القرارات السامية ومتابعة مقام إمارة منطقة مكة المكرمة واعتنائها بالأمر ومتابعته، إلا أن الأمور مازالت على ما هي عليه بل ويزداد الأمر سوءا يوماً بعد يوم.

ولا يمكن بأي حال أن يتم المشروع على الوجه المأمول إلا بعد إزالة هذه التعديات إزالة كاملة ومنع ما يمكن أن يكون مستقبلاً.

وبعد، فإن ما يقوم به فريق البحث بالمشروع عمل كبير متعدد المناحي متشعب الوجوه، يحتاج تفصيله إلى مجالٍ أرحب لأن العمل ضخم يتناسب مع عطاء المشروع وقيمته.



مظاهر العناية بالقرآن الكريم خلال القرن الرابع عشر الهجري

د. أحمد محمد المغربي



الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً أورث الكتاب للذين اصطفى من عباده. والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير الهادي إلى صراط الله المستقيم سيدنا محمد صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وطبتم جميعاً وطاب نهاركم ، وتقبل الله صيامكم وسائر قرباتكم. وبعد

فإني أشكر كلية الآداب على إسهامها في الاحتفال بمكة عاصمة الثقافة الإسلامية الأولى ، وأشكرها على اختيار هذه المناسبة المباركة للحديث عن مظاهر العناية بالقرآن في هذه الأيام المباركة ، وأشكرها أخيراً على تكرمها بدعوتي للحديث عن هذا الموضوع .

هذا الموضوع الذي لم يلق اهتماما كبيراً للأسف بين أوساط الباحثين والمهتمين بتاريخ مكة شرفها الله ، ولا بتاريخ العلوم الإسلامية بعامة. وعلى أية حال فلقد قسمت الموضوع إلى أربعة أقسام يمثل كل قسم منها مرحلة من المراحل التي مرت بها مظاهر العناية بالقرآن الكريم في مكة شرفها الله.

المرحلة الأولى تبدأ من بداية القرن الرابع عشر حتى سنة ١٣٢٩هـ ، والمرحلة الثانية تبدأ من سنة ١٣٣٠هـ ؛ وهي السنة التي تأسست فيها مدرسة الفلاح بمكة حتى سنة ١٣٦٧هـ. والمرحلة الثالثة تبدأ من سنة ١٣٦٨هـ ؛ وهي السنة التي تأسست فيها الإذاعة السعودية بمكة حتى سنة

١٣٨١هـ والمرحلة الرابعة من سنة ١٣٨٢هـ ؛ وهي السنة التي تأسست فيها جمعية تحفيظ القرآن الكريم بمكة حتى نهاية القرن .

ولنبدأ على بركة الله بالحديث عن المرحلة الأولى :

أول مظهر من مظاهر العناية بالقرآن في هذا القرن وكل القرون منذ بزوغ الرسالة المحمدية كان تعليم القرآن ؛ فهو المظهر الأساس في هذا الأمر ، وذلك لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان في غار حراء فجاءه جبريل عليه السلام فقال له : اقرأ قال : ما أنا بقارئ. قال له : اقرأ قال ما أنا بقارئ فقال له : (اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم).

وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعلم أصحابه في مكة القرآن ، وكان الصحابة - رضي الله عنهم - كذلك يعلم بعضهم بعضاً ، كما ورد في قصة إسلام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وفي الحديث الذي رواه عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - (خيركم من تعلم القرآن وعلمه).

وعلى ذلك فقد تحول المسجد الحرام بعد فتح مكة إلى مدرسة لتعليم القرآن للناس كباراً وصغارا ، ولقد سجل التاريخ عدداً كبيراً جداً ممن كان يعلم القرآن بالمسجد الحرام.

إلا أن الحاكم التركي بمكة - الحاج حسيب باشا - أخرج في سنة ١٢٦٤هـ صغار التلاميذ من المسجد الحرام فتأسست بذلك الكتاتيب. وفي مطلع القرن الرابع عشر الذي نحن بصدده كان في مكة ثلاثة وثلاثون كتاباً فيها ١١٥٠ تلميذاً. إلا أن القراءة في الكتاتيب لم تكن على ذلك الأمر الذي نظن ؛ فإن أهم ما فيها أن يحصل الإنسان على قدر من سور القرآن التي كانت تسمى في مكة بسور الصلاة.

وإذا استطاع التلميذ أن يحفظها أقيمت له حفلة اسمها (الإقلابة) وإذا أتم جزء عم أو ما يقرب من ذلك أقيمت له حفلة اسمها (الإصرافة) أو العكس هو الصحيح. وربما ختم القرآن أحد المكيين أو أحد أبناء المكيين بالنظر وليس بالغيب ، وبعضهم يحفظه خمس مرات وست



مرات ، وقد يقول أحدهم لك : حفظت القرآن سبع مرات كلها بالنظر. أما من يختم القرآن بالغيب فهذا كان نادراً في مكة. ليس معنى ذلك عدم وجود حفظة وإنما كان نادراً ، ويتمثل في أبناء العلماء ومن في طبقتهم أو من قدم إلى مكة للمجاورة وطلب العلم. إلا أن الجدير بالملاحظة أن تدريس القرآن وتعليمه بالمسجد الحرام لم يتوقف بالنسبة لكبار السن في مطلع هذا القرن ولا فيما بعد ولا من قبل.

من أهم مظاهر العناية بتدريس القرآن في هذه المرحلة كان تأسيس المدرسة الصولتية .

إن المدرسة الصولتية تأسست سنة ١٣٩٢هـ أسسها الشيخ محمد رحمت الله العثماني الهندي ؛ الذي قدم من بلاد الهند إلى مكة وأسس هذه المدرسة وهذه حكاية يطول شرحها. إلا أن هذه المدرسة. افتتحت في أول أيامها بدرس للقرآن الكريم افتتحه الشيخ / إبراهيم سعد المصري ثم ثنى مؤسس المدرسة الشيخ / محمد رحمت الله العثماني بدرس في صحيح البخاري فكأنه أراد أن يبين للناس أن رسالة هذه المدرسة هي العناية بالقرآن والسنة.

وفرضت هذه المدرسة على طلابها مقرراً من القرآن لابد لكل طالب أن يجتازه. كما فتحت

قسماً خاصاً لحفظ القرآن واختارت لهذه المهمة - فضلاً عن مؤسسها الشيخ محمد رحمت الله العثماني الشيخ / إبراهيم سعد الذي كان يدرس القرآن فيها .

وقد خرجت الصولتية في أوائل هذه المرحلة عدداً لا بأس به من خيرة تلاميذها الذين كانوا قد تولوا تحفيظ القرآن فيها وعلى رأسهم كان الشيخ / عبد الله بن محمد بشير خان الذي صار معلماً في الصولتية فيما بعد .

المظهر الثاني :

المظهر الثاني هو صلاة التراويح - كانت التراويح في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي الرجل وخلفه الرجل أو الرجلان. ثم بعد ذلك في أيام عمر بن الخطاب جمع الناس على إمام واحد. وفي أوائل القرن الرابع عشر تعدد أئمة صلوات الفريضة في مكة فكان الإمام الشافعي والحنبلي والمالكي والحنفي ؛ كل يصلي مع قومه ، كانت أربع جماعات تقام في المسجد الحرام فهذا بالنسبة لصلاة الفريضة فما بالكم بقضية التراويح ، فقد كانت هناك أمم شتى تصلي التراويح ؛ الإمام خلفه اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة حسب قبول الناس له. ومن هؤلاء الأئمة أئمة كبار في السن ، حفظة ، ومن هؤلاء الراغبون في اكتساب أجر قيام الليل في رمضان ، أو التدرب على قراءة القرآن وتكراره. ومنهم من يختم في صلاة التراويح القرآن مرة في شهر رمضان ، ومنهم من يختمه مرتين أو ثلاث أو أربع أو عشر.

ومن نوادر أهل مكة في صلاة التراويح أن هناك من كان يطوف سبعاً ثم يصلي ركعتين للتراويح ثم يطوف سبعاً أخرى. وهكذا ؛ فكأن كل ركعتين من ركعات التراويح إنما هي لسنة الطواف. وهذا من أعجب مابلغنا عنهم في هذا الأمر.

واشتهرت مكة في هذه المرحلة وفي مراحل تاريخية قديمة جداً بصغار أئمة التراويح ؛ وهم الذين سلكوا في الحفظ أو الذين أتموا الحفظ ، وهؤلاء كانت لهم حفاوة بين المجتمع المكي من أقاربهم أو آبائهم أو شيوخهم كذلك. ولقد حفظت لنا المصادر عدداً من علماء مكة الذين حفظوا القرآن وصلّوا به التراويح وهم صغار ، ومنهم في هذه المرحلة بالذات الشيخ المؤرخ المكي

عبد الله غازي الذي صلى التراويح في سنة ١٣٠٢ وكان عمره ١٢ سنة. وكان كل شيخ يفرق تلاميذه على جماعات يتنقل بينهم فيشرف على هذا وعلى هذا وعلى ذاك. وقد ذكر لنا المؤرخ المكي عمر عبد الجبار أن أحد العلماء الذين تلقوا العلم في مكة وكان اسمه ابن عكاس وترجم له وهو من المنطقة الشرقية الإحساء. قال له : يابني لقد رأيت ما يقرب من ٤٠ طفلاً يصلون التراويح في المسجد الحرام.

المظهر الثالث :

مظهر المدارسة ؛ وهو مظهر يرجع إلى أيام النبوة فقد كان جبريل عليه السلام يدارس النبي صلى الله عليه وسلم القرآن. وكان الصحابة يتدارسون القرآن فيما بينهم. وقد ورد الترغيب في مدارسة القرآن في الحديث الشريف ((ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده)).

وصورة المدارسة التي كانت عند أهل مكة في هذا القرن ولا زالت ، كانت أن يجتمع اثنان من الحفظة أو أكثر فيبدأ الأول فيقرأ نصيباً يسمى بالمقرأ وهو يعادل ثمن جزء أي ربع حزب من القرآن فإذا أتم نصيبه انتقل إلى القارئ الآخر فيقرأ مقرأ وينتقل إلى الثالث والرابع وهكذا حتى يكملوا نصيبهم أو المقرر في ذلك اليوم وعادة يكون جزءاً إلى ثلاثة أجزاء .

وفي يوم الختمة يقيمون حفلة بسيطة ؛ فيجتمعون ويزداد عدد الناس تلمساً لبركة حضور مجلس ختم القرآن. ولكن للأسف الشديد لم أتعرف على الذين كانوا يتدارسون القرآن في مطلع القرن الهجري الرابع عشر بعد... أرجو إن شاء الله تعالى أن تتاح لي فرصة ذلك مستقبلاً. إلا أن العلاّمة الشيخ عمر باجنيد كان من ضمن الحريصين على مدارسة القرآن الكريم في الحضر والسفر ؛ حتى أنه حينما يسافر إلى المدينة المنورة يردف معه في راحلته حافظاً للقرآن ليتدارسه معه أثناء السفر . وهذا أقصى ماورد في المراجع.

المظهر الرابع :

وهو مجالس الاستماع للقرآن الكريم ؛ وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحب سماع

القرآن الكريم فقد سمع تلاوة ابن مسعود وأبي موسى وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم جميعاً وعن الصحابة أجمعين. ورغّب القرآن الكريم في الاستماع إلى آيات الله تتلى وبيّن لنا شيئاً من آداب ذلك في آيات عديدة أشهرها قول الله تعالى : (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون). ولكن مجالس استماع القرآن في مكة تطورت في العصور الأخيرة ، ولاسيما في العصر المملوكي ، فظهر ما يمكن أن يطلق عليهم قراء المناسبات. إلا أن أهل مكة بصفة عامة كانوا يحفلون حفاوة بالغة بمجالس الاستماع ؛ فقد وجدت حلقات يستمع فيها الناس إلى قارئ يشدو بتلاوة القرآن في إحدى جنبات المسجد الحرام. ومن حفاوتهم بذلك ما أوقفه عدد من المقتدرين من أوقاف على تلك الحلقات وإن كانت أوقافاً بسيطة إلا أنها ذات دلالة ؛ وتتمثل في خصفة ، وخمسة دوارق مترعة بماء زمزم ، وقارئ يتلو جزءاً من القرآن الكريم إما بعد العصر أو بعد المغرب أو بعد صلاة الفجر. ويلتف حوله من الراغبين في الاستماع إلى القرآن الكريم. وتطورت هذه المجالس فتعدت إلى البيوت خارج المسجد الحرام. فقد كان بعض المكيين يقيم مجالس لاستماع القرآن الكريم في بيوتهم ومن ذلك ما كان في أول هذا القرن وهو أمر الوجيه المكي / يوسف قطان ؛ الذي كان له في هذه المرحلة مجلس في داره يقرأ فيه القارئ / حسن زهر الليالي كما تقول المراجع. ولم يكن اسمه زهر الليالي وسمي زهر الليالي لأنه كان ينعش جالسيه ولزمه اللقب ولزم ذريته إلى يومنا هذا .

المظهر الخامس : مظهر القراء العلماء :

هؤلاء طائفة اعتنوا بالقرآن الكريم على مستوى عال من الاهتمام ، قد نطلق عليه المستوى الأكاديمي تقريباً للمفاهيم ، فحرصوا على تلقيه إجازة بالسند وقرأوه بالقراءات السبع والقراءات العشر والقراءات الأربع عشرة. وظهر من بينهم في أوائل هذه المرحلة الشيخ / محمد رحمت الله مؤسس المدرسة الصولتية والشيخ / إبراهيم سعد شيخ القرآن فيها والشيخ / محمد الشربيني الدمياطي والشيخ / عمر باجنيد هذا نموذج فقط ولكن العدد أكثر.

هذه هي المظاهر الخمسة السائدة في مكة خلال المرحلة الأولى.

أما بالنسبة للمرحلة الثانية فنتكلم عن تعليم القرآن ولنبدأ بمدرسة الفلاح التي تأسست سنة ١٣٣٠هـ حين قدم الحاج محمد على زينل من جدة واختار الشيخ عبد الله حمدوه و طلاب مدرسته التي كانت في باب الباسطية ليكونوا نواة هذه المدرسة الفتية. وأنشئت فيها بطبيعة الحال شعبة لتحفيظ القرآن تمنح شهادة في حفظ القرآن.

وبرز من شيوخ الفلاح الشيخ / محمد حسن السناري الذي أفاض مؤرخ مكة وخطاطها الشيخ / محمد طاهر كردي في الحديث عنه وعن شدته في تحفيظ القرآن ، وقد بقي في الفلاح لمدة خمس سنوات ثم بعد ذلك عاد إلى السودان. ولكن كانت له بصمات باقية إلى يومنا هذا.

وتولى إدارة مدرسة الفلاح بصفة متوالية ثلاثة من أشهر العلماء القراء كانوا على التوالي الشيخ / عبد الله حمدوه والشيخ الطيب المراكشي والشيخ / السيد أبو بكر الحبشي.

في هذه المرحلة تأسست مدرسة أخرى وهي المدرسة الراقية في جبل هندي ولظهور المدرسة الراقية التي تأسست أيام الشريف الحسن في سنة ١٣٣٥هـ أو قبلها بسنة. والمعلومات عن هذه المدرسة شحيحة جداً ولكن الذي عرف عنها أن الشيخ أحمد زهر الليالي - أعود إلى زهر الليالي - كان أستاذ القرآن فيها ، وقد استقر بمكة بعد أن كان يتردد بين مكة وسيلان التي تسمى اليوم سيريلانكا. وتخرج في هذه المدرسة إمام عظيم هو الشيخ / عبد الله الخياط إمام المسجد الحرام الشهير ، وكذلك تخرج فيها أحد أساتذتي وهو الأستاذ محمد الغفوري متعه الله بالصحة والعافية فهو لازال على قيد الحياة ، وعرف من بين تلاميذ هذه المدرسة - المدرسة الراقية - ومن تتلمذ على يد الشيخ أحمد زهر الليالي الأديب السعودي ذائع الصيت الأستاذ / أحمد السباعي صاحب كتاب أبو زامل ، وقد ذكر في هذه القصة (قصة أبي زامل) حديث يتعلق بالشيخ / أحمد زهر الليالي فمن أراد فليرجع إلى هذه القصة.

أما المدرسة الصولتية التي تأسست في المرحلة الأولى كما سبق القول فقد أخرجت في هذه المرحلة الجيل الثاني من القراء وزاد فيها عدد معلمي القرآن ومعظم تلاميذ الصولتية يعودون

إلى بلادهم إلى الهند وإلى شرق آسيا وأشهرهم كان الشيخ / عبد الرحمن المكي الذي تتلمذ وتخرج في الصولتية ثم عاد إلى بلاد الهند وأقام هناك مدرسة علمية كبرى ، ولا يكاد يوجد أحد اليوم من حفظة القرآن في الهند وفي باكستان وفي نيبال وفي سيريلانكا وفي بنجلاديش وتلك الأصقاع إلا وله اتصال يتصل بسند الشيخ / عبد الرحمن المكي خريج المدرسة الصولتية وشيخه / بشير عبد الله بشير خان ، والشيخ / إبراهيم سعد المصري.

نأتي بعد ذلك إلى صلاة التراويح ، كان معظم القراء في هذه المرحلة يشرفون على صلاة التراويح التي يؤم الناس فيها تلاميذهم ورويت روايات كثيرة لا مجال للحديث عنها فيما يتعلق بالشيخ عبد الله بشير وكيف كان يشرف والشيخ الطبيب المراكشي ، وبعضها طريف بالغ في الطرافة وبعضها مثير ، كذلك الشيخ / عبد الله حمدوه والشيخ / محمد حسن السناري وأشهر من صلى التراويح من التلاميذ الصغار في أوائل هذه المرحلة - المرحلة الثانية - هو الشيخ / أحمد عبد الله القارئ الفقيه المكي القاضي الذي ألف (مجلة الأحكام الشرعية) وذلك بإشراف أبيه الشيخ / عبد الله بشير. ومن أشهر صغار الطلاب الذين صلوا التراويح في هذه المرحلة أيضاً كان السـيد علوي بن عـباس المالكي الذي صلى التراويح بعد أن حفظ القرآن وعمره إحدى عشرة سنة أو عشر سنوات.

ومعلوم أنه في هذه المرحلة دخل الملك عبد العزيز - رحمه الله - مكة وذلك في سنة ١٣٤٣هـ وصارت عاصمة مُلكه ، ثم توحدت البلاد تحت اسم المملكة العربية السعودية ، وتوحدت كذلك صلاة الفريضة بالمسجد الحرام ، فصار الناس يصلون خلف إمام واحد ولله الحمد.

وكذلك أُدخلت مكبرات الصوت وبذلك صارت هناك صلاة التراويح الرسمية التي يؤم الناس فيها إمام واحد ؛ فقد كان يصلي بالتراويح في تلك الحقبة الشيخ / عبد الظاهر أبو السمح ، وفي أواخر هذه المرحلة صلى بالتراويح رسمياً الشيخ / عبد الله خياط. ولكن صلاة التراويح خلف أئمة منتشرين في جنبات المسجد الحرام كان أمراً مألوفاً وذلك حتى يومنا هذا تقريباً.

أنتقل بعد ذلك إلى أشهر القراء في هذه المرحلة فقد ظهر في هذه المرحلة عدد كبير من تلاميذ

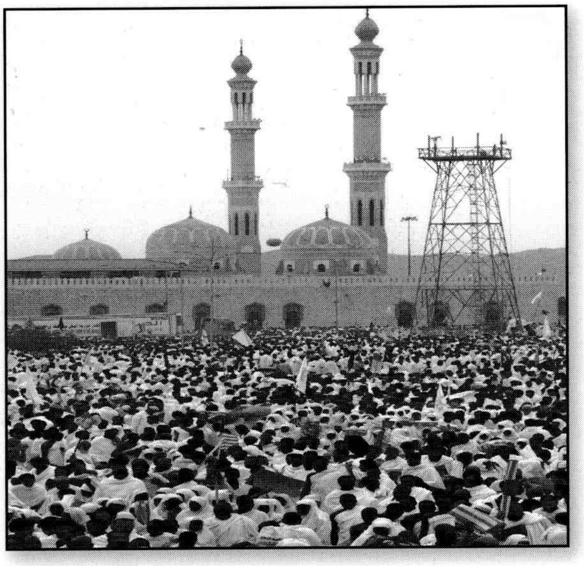
الرعيل الأول للمدرسة الصولتية وأشهرهم كما قلت الشيخ / عبد الله بشير والشيخ / محفوظ الترمسي الذي كان من كبار العلماء القراء في مكة ولكنه لم يكن من أهل المدرسة الصولتية ومنهم أي من هؤلاء العلماء القراء طائفة مخضرمة تتلمذت على الرعيل الأول والثاني مثل الشيخ / أحمد المخللاتي والشيخ / أحمد حمام والشيخ / عبد الله حمدوه الذي سبق ذكره وكذلك ظهر الشيخ إبراهيم الخزامي وكان يدرس القرآن في المسجد الحرام وفي بيته ودرس في المسجد الحرام ونقل لنا الإمام الشيخ عبد الله خياط قائلاً : إن زائره ليعجب عندما يشاهد العدد الكبير من طلبة العلم من أندونسيا وغيرها يتقاطرون على داره. فقد ختمت على يديه عشرات الختمات بل مئات.

وظهر كذلك شيخ القراء وهو الشيخ / أحمد بن عبد الله حجازي الفقيه. الذي تتلمذ على يديه أكثر قراء مكة المشهورين. وقد كان له مجلس خلف مقام الحنبلي يقرأ فيه القرآن وفوق ذلك فقد كان يدرس القرآن في منزله في حي أجياد.

ومن أشهر القراء في هذه المرحلة الشيخ / محمد حسن عبيد وهو والد المذيع الشهير في عصره الأستاذ / أحمد محمد عبيد ؛ وكان له طلاب يحفظون القرآن على يده في المسجد الحرام ، وحلقة يقرأ فيها بنفسه في حصوة باب المحكمة إضافة إلى أنه المتصدر في مجلس قراءة القرآن في بيت الأستاذ / عباس قطان أمين العاصمة المقدسة آنذاك.

ومنهم كذلك الشيخ / أحمد حامد التيجي والذي يعد من الرعيل الأول ولكنه لم يستقر في مكة إلا في سنة ١٣٤٧هـ .وقد تتلمذ عليه الشيخ/ أحمد حجازي وهو صديقه وزميله وتلميذه في الوقت نفسه وكذلك الشيخ / الطيب المراكشي وهو تلميذ أيضاً للشيخ التيجي والشيخ /محمد حسن السناري الذي سبق ذكره والسيد أبو بكر الحبشي.

أنتقل الآن إلى المرحلة الثالثة وهي المرحلة قبل الأخيرة. وأتحدث عن تعليم القرآن أولاً : يبدو في هذه المرحلة التي تبدأ بسنة ١٣٦٧هـ وتنتهي بسنة ١٣٨٢هـ أن تعليم الصبيان قد عاد إلى المسجد الحرام تدريجياً بعد دخول الملك عبد العزيز ، وصار في المسجد الحرام حلقات يتعلم فيها



الصغار والكبار القرآن لاسيما بعد العصر إلى العشاء. وممن اشتهر بتعليم القرآن في المسجد الحرام في أواخر المرحلة السابقة وفي هذه المرحلة الشيخ / عبد الحفيظ الجنيدي. وقد حفظت على يديه جزأين - الجزء السادس والسابع - من القرآن الكريم ، وحفظ على يديه عدد هائل جداً من أبناء مكة منهم الشيخ عبد الغفور بنجابي والشيخ الدكتور/ عبد الله ندير والشيخ الدكتور/ حسن سفر من قسم الدراسات الإسلامية في كليتنا والدكتور عبد العزيز جستينية من كلية الاقتصاد والإدارة.

في المقابل وللأسف الشديد أغلقت المدرسة الصولتية قسم القرآن فيها سنة ١٣٧٠هـ ولكنها أعادته في سنة ١٣٧٨هـ حسب نظام مدرسة تحفيظ القرآن. أما الفلاح فلم يعد الناس يسمعون عن تسميع القرآن فيها شيئاً إلا في أوائل القرن الخامس عشر الحالي حين تحول القسم الابتدائي فيها إلى مدرسة لتحفيظ القرآن.

تأسست مدرسة تحفيظ القرآن سنة ١٣٧٣هـ بعيد وفاة الملك عبد العزيز ؛ ويبدو أنه بدئ في أمرها أيام الملك عبد العزيز ثم بعد ذلك توفي وفتحت بعده. وكانت في دار السيدة خديجة التي يسميها أهل مكة بمولد فاطمة ولهذا المكان أهمية كبرى فهو منزل من منازل الوحي.

تولى أمر هذه المدرسة الشيخ / زهر الليالي ثم بعد ذلك تولى الشيخ / إبراهيم زاهر ذلك لفترة طويلة بعده. وقد استقطبت عدداً من القراء المشهورين وجلهم من تلاميذ الشيخ / الحجازي ومنهم الشيخ / محمد رضا قارئ وهو من تلاميذ الصولتية وابن أحد الشيوخ القراء فيها ، بعد ذلك انتقل إلى الإذاعة وصار من المقرئين. وكان يلقب برفعت الحجاز لأنه كان يقلد طريقته في التلاوة.

واستقطبت كذلك عدداً من مدرسي القرآن قدموا من مصر وأشهرهم الشيخ / عبد الرؤوف مرعي الذي لا زالت الإذاعة تذيع بعضاً من تسجيلاته إلى يومنا هذا.

أما صلاة التراويح فقد صلى التراويح بصفة رسمية في هذه المرحلة الشيخ / عبد الله خياط والشيخ / عبد المهيمن أبو السمح وكذلك الشيخ / عبد الله الخليفي الذي استمر كذلك زمناً طويلاً حتى وفاته قريباً .

أما أشهر جماعات التراويح بعد التراويح الرسمية فقد كانت في أوائل هذه المرحلة جماعة البشاورية وهم أبناء بائع النظارات الشهير في باب أجياد. وهناك جماعة تقرأ التراويح برواية ورش في باب السلام وهم جماعة من الأفارقة. وهناك جماعة ثالثة كانت خلف المهندس / عبد الرحمن الجنيدي ابن الشيخ / عبد الحفيظ الجنيدي وهو موجود حالياً في مدينة الرياض وهو مهندس في مؤسسة البترول والمعادن .

في آخر هذه المرحلة ظهر الشيخ / نعمان طاشكندي الذي كان يصلي في الباحة التي كانت أمام دار الندوة وكان يصلي كل ليلة خمسة أجزاء ويختم القرآن كل ست ليالٍ ، ويختمه خمس مرات في شهر رمضان.

أما مجالس القرآن في هذه المرحلة : فإن أشهرها كان مجلس السيد علوي مالكي والسيد / محمد أمين كتبي. ولن أكرر موضوع المجالس فقد سبق أن ذكرته وإنما كانت هناك بعض البيوت تقيم مجالس لاستماع تلاوة القرآن.

أما بالنسبة للمدارسة فإن أشهر حلقات المدارسة كانت حلقة الشيخ محمد مرداد. وكانت في الرواق الذي بين باب السليمانية وباب المحكمة وخلف القبة الثانية من القباب الأربع التي نراها في الصور القديمة للمسجد الحرام. وكان في هذه الحلقة عدد من الاساتذة حفظة القرآن ومنهم أستاذي الشيخ محمد الغفور والشيخ حسن بدر - رحمه الله - وهناك حلقة أخرى في باب أجياد وهي حلقة الشيخ / جميل دقنة وكانت كذلك تضم عدداً من حفظة القرآن.

وكان للشيخ / حسن دردوم مجلس تلاوة في الباحة المواجهة لما بين الركنين بعد صلاة الفجر. ،

فقد كان يقرأ والناس يتابعون تلاوته. وكانت هناك أيضاً مدارسة للشيخ زكي داغستاني والشيخ / محمد الكحيلي بعد صلاة الصبح أمام زيادة دار الندوة وكان معالي الدكتور / محمد عبده يماني من المواظبين على هذا المجلس في حينه وليته حضر لأسمعنا جانباً من الحديث عن هذه المدارسات.

نأتي بعد ذلك إلى تأسيس الإذاعة : تأسست سنة ١٣٦٨هـ ومثلت مظهراً هاما من مظاهر العناية بالقرآن الكريم في مكة خلال هذا القرن وكانت تبث أول الأمر في مكة. ونعود أيضاً إلى جبل هندي الذي دخل التاريخ فيه وتأسست فيه المدرسة الراقية باعتبارها أول مدرسة تأسست في أحد جبال مكة وتأسست فيه الإذاعة السعودية لأول مرة .

كانت الإذاعة تبث من مكة ، وكان العامة يطلقون عليها إذاعة مكة أيضاً ، وافتتحت بحفلة كبرى في المسجد الحرام بتلاوة الشيخ / زكي داغستاني وقد أفادني عن ذلك بنفسه واستقطبت مجموعة كبيرة من قراء مكة وجلهم وكلهم تلاميذ الشيخ/ أحمد حجازي شيخ القراء - الذي ذكرت لكم جانباً من الحديث عنه. وأظهرت الإذاعة هؤلاء القراء وهم عباس مقادمي وجميل آشي وغيرهم من القراء .

ومن أطرف ما يمكن الحديث عنه في قراءة القرآن بالإذاعة ما حدث به الشريف محمد بن شاهين الذي كان أحد رواد الإذاعة الأوائل فقد كان مذيعاً ، بالإذاعة ولكنه أحياناً يقوم بواجب المذيع الكامل يقدم الفقرات ويقرأ القرآن وينشد لهم الأناشيد ويقرأ نشرة الأخبار وهذا أطرف ما حكي عن الإذاعة السعودية حينما كانت في مكة.

المظهر الأخير الذي سأتكلم عنه في هذه المرحلة هو مصحف مكة فقد طبع هذا المصحف سنة ١٣٦٩هـ بخط الخطاط محمد طاهر الكردي المكي ، وتميز بعدة ميزات ، منها أن آخر صفحة فيه تنتهي بآخر آية ، والصفحة خمسة عشر سطراً والجزء عشرون صفحة ، وقد راجعته لجنة من مشاهير القراء في مكة وهم الشيخ / أحمد حامد التيجي وقد توفي قبل ظهور المصحف ، والشيخ عبد الظاهر السمح إمام المسجد الحرام ، والشيخ / إبراهيم النوري ،

والشيخ / محمد أحمد شطا. وتأسست مطبعة خاصة به كانت في محلة الشبيكة في المكان الذي فيه الساحة الآن بجوار فندق الأنصار .

نأتي بعد ذلك إلى المرحلة الأخـــيرة وهي المرحلة الرابعـــة وتبدأ في سنة ١٣٨٢هـ وتنتهي بنهـــاية القرن .

أول ما فيها جمعية تحفيظ القرآن أسسها رجل باكستاني قدم من باكستان ، وكان أبوه هندوسياً دخل الإسلام فتربى في دار أبيه مسلماً من أبوين مسلمين ، ثم بعد ذلك اهتم بالقرآن وجاء إلى مكة وأسس فيها جمعية تحفيظ القرآن ، واشترك معه الدكتور مصطفى محمد إبراهيم والشيخ صالح القزاز الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي ، والسيد علوي المالكي وغيرهم. وبعد ذلك تبنت حكومة المملكة العربية السعودية هذه الجمعية ، وجاءتها التبرعات من أفراد الأسرة المالكة الكريمة وذاع صيتها. ونشأت عنها عشرون جمعية تقريباً في جميع أنحاء المملكة العربية السعودية في المدينة المنورة و جدة والرياض والقصيم وأبها وبيشة والطائف وغير ذلك.

وقد خرجت جمعية تحفيظ القرآن أعداداً هائلة من حفظة القرآن الكريم من بينهم الدكتور مراد مصطفى كامل وإخوانه فؤاد وسجاد والدكتور عبد الله نذير وغيرهم. وأشهرهم الشيخ / صالح بن حميد إمام المسجد الحرام الذي تخرج فيها وقد بلغ عدد المنتسبين إلى جماعة تحفيظ القرآن في العام الماضي ٤٥ ألف طالب وطالبة ينتشرون في مكة شرفها الله. وقد ملأت جمعية تحفيظ القرآن مساجد مكة بأئمة صلاة التراويح الشباب حتى أن الحفظة فيه لا يجدون مكانا يصلون فيه بكيفية مستقلة ، فصاروا يتناوبون فيما بينهم ، وبعثت بعشرات الأئمة إلى أماكن مختلفة في العالم في أوروبا وأمريكا. إن الحديث - كما قلت - عن الجمعية يحتاج إلى محاضرة مستقلة.

وأخيراً سأتكلم عن المسابقة الدولية لتحفيظ القرآن وقد تأسست في مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ بأمر ملكي كريم ؛ فكانت تتويجاً للمظاهر القرآنية التي سبق أن ذكرتها لكم. وكان أول من فاز فيها من المتسابقين الإمام / عبد الباري الثبيتي ابن مكة وأحد خريجي جمعية تحفيظ القرآن

وإمام المسجد النبوي حالياً. وقد أطلق على هذه المسابقة أخيراً اسم الملك عبد العزيز - رحمه الله - إحياء لذكراه واعترافا لفضله في العناية بالقرآن الكريم ، فقد تأسست في عهده الإذاعة ومصحف مكة ومدرسة تحفيظ القرآن الكريم.

هذا غيض من فيض في موضوع مظاهر العناية بالقرآن الكريم بمكة شرفها الله وزادها تشريفاً وتعظيماً ، وقد أغفلت كثيراً جداً. والله أعلم.

والسؤال القائم الآن - ما هي الخطوة التالية للعناية بالقرآن الكريم ؟ والإجابة عن هذا السؤال تستغرق زمناً ودراسات وأبحاثاً - نسأل الله أن يهيئ لنا أسبابها وأهليها.

وأسأل الله تعالى أن يرحم من ذكرنا في مجلسنا هذا ممن اعتنوا بالقرآن الكريم وأن يبارك فيمن تولى أمر العناية بالقرآن الكريم بمكة وغيرها. وأسأله تبارك وتعالى أن يبارك فيكم جميعاً وأن يجزيكم خيراً على حسن استماعكم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أسواق وتجارة مكة المكرمة خلال الفترة ١٣٠٠-١٤٢٥هـ

إعداد: أ.د. إسماعيل بن السيد خليل كتبخانة



تمهيد:

كانت للعرب، ومنذ قديم الزمان، أسواق للتجارة كثيرة في معظم أنحاء الجزيرة العربية ، ولكن أسواق مكة المكرمة كانت أهم تلك الأسواق ، ويأتي في مقدمتها سوق ذي المجاز وكان بناحية عرفة في شمالها الشرقي ، وسوق مجنة في موضع قرب مكة المكرمة .

وكانت التجارة من أكبر المهن وأهمها في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم خصوصاً في مكة المكرمة، حيث لم تكن مكة بلداً زراعياً فوهب الله أهلها القدرة على التجارة، وأجادوها كمهنة رئيسة يعمل فيها الصغير والكبير، الرجل والمرأة .

واعتبرت التجارة في مكة المكرمة وفيما بينها وبين البلاد الأخرى المصدر الأول للدخل والثراء عند أهل مكة، وكانت قريش أعظم قبائل العرب تجارةً، يدل على هذا أنه في تجارة قريش وقوافلها قوله تعالى : ﴿**لإِيلَافِ قُرَيْشٍ ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ...**﴾ الآية « سورة قريش».

ويلاحظ أنه بالإضافة إلى أن أهل مكة أهل سفر وقوافل، فقد كانت التجارة تقدم إليهم من الخارج في مواسم كثيرة أهمها موسم الحج، حيث إن العرب تقدم مكة المكرمة للحج وللتجارة في آن واحد. (العمري ، ١٤٠٥هـ، ١٤٢) .

ولم تكن التجارة في قريش مقصورة على الرجال فقط، بل النساء كن يشاركن فيها، فخديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها كانت إمرأة تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال ليضاربوا لها في مالها وتجعل لهم شيئاً من العوائد. ولما علمت بأمانة سيدنا محمد صلى الله

عليه وسلم وصدق حديثة وكرم أخلاقه، أرسلت إليه، وطلبت إليه أن تخرج في مالها للمتاجرة إلى الشام، وأعطته أفضل مما تعطي غيره. (ابن الأثير، ج٢، ٣٩) .

وكان من أثرياء مكة آنذاك من التجار المشهورين «عبدالله بن جدعان»، و «الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم» ، وكان من أشراف مكة وكبرائها، ولكثرة تجارته ورواجها كان يكسو الكعبة وحده عاماً، وتكسوها قريش مجتمعة عاماً آخر. (المرجع السابق، ٧١) .

ومن كبراء قريش ومن زعمائها التجار كذلك ، «أبو سفيان بن حرب»، الذي كان يقود القافلة التي أراد الرسول التعرض لها، فكان ذلك السبب المباشر في وقوع القتال بين المشركين والمسلمين في غزوة بدر (الطبري، ج٢، ٢٧٠) . واشتهر كذلك بالتجارة من قريش «أبوطالب» عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج إلى الشام مع تجارة قريش (ابن هشام، ج١، ١٨٠) .

والنماذج من تجارة قريش في مكة المكرمة وتجارها كثيرة ويصعب حصرها إلا أننا اقتصرنا على بعض الأمثلة فقط للتوضيح .

هذا ولقد لفت نظر الروسي عبدالعزيز دولشتين الذي زار مكة المكرمة عام ١٨٩٨م امتهان معظم أهلها التجارة، وخاصة في مواسم الحج، فقال في كتابه (الحج قبل مائة سنة) : « يمكن وصف أشغال سكان مكة المكرمة بإيجاز بالغ ، يعيشون على الحجاج ، وكان زمن الحج نفسه زمن السوق التجارية السنوية وهذا الطابع بقي حتى الآن وأثناء توافد الحجاج تتحول المدينة إلى بازار هائل ينتشر لدى أبواب الحرم بالذات وفي جميع الشوارع والأزقة».

الأســـواق القديمة.

من أشهر الأسواق القديمة في مكة المكرمة (السوق الصغير) الذي ينتهي بباب إبراهيم المسجد الحرام في منطقة كانت قديماً تسمى (الحزورة) ولقد ذكر في (شفاء الغرام) أن الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وقف يوم فتح مكة على راحلته بالحزورة ، وهو يقول لمكة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي ، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت « ، ويعتبر هذا السوق من أعظم وأجمل الأسواق القديمة في مكة المكرمة بنمطه القائم على الطريقة التقليدية للأسواق في المدينة الإسلامية ، وهو إلى جانب مجاورته للمسجد الحرام كأقرب سوق إليه ،

كان يمثل السوق الرئيس للحجاج الذي يوفر لهم المواد التموينية من خضروات وفواكه ولحوم وخبز، كما يوجد فيه باعة السمن واللبن والأسماك والأطعمة الشعبية المتنوعة ، وهذا السوق أقرب لأهالي حارة الشبيكة وجبل عمر من الغرب ، وحارة الباب وجبل الكعبة شمالاً والمسفلة والهجلة جنوباً . وكانت تنتشر فيه محلات الجزارين وتكثر فيه المطاعم الصغيرة كما كانت تنتشر فيه محلات بيع الكباب والسمك المقلي واللبن والحليب. وكانت هذه السوق تضم أشهر الأفران التي تقدم الخبز طازجاً لطالبيه .

أشار لبيب البتنوني في رحلته الحجازية عام ١٣٢٧هـ ، إلى أن «السوق الصغير هو اتجاه باب إبراهيم ، وأغلب مافيه للغذاء كالخبر واللحوم والبقول الجافة والخضر التي يؤتى بها من الأودية المحيطة بمكة كوادي فاطمة شمالاً ووادي الليمون شرقاً ووادي الحسينية جنوباً ، ومنها ما يؤتي به مع الفاكهة من جهة الطائف وجبل كرا . وترى في هذا السوق دكاكين كثيرة يبيعون فيها الأسماك المقلية التي يؤتى بها من جدة » (البتنوني ، ١٣٢٨هـ ، ١٣٥) .

وظل السوق الصغير واحداً من أشهر وأعرق أسواق مكة المكرمة حتى أزالته الدولة سنة ١٤٠٧هـ لصالح توسعة المسجد الحرام .

أما من الناحية المقابلة جهة الصفا وأجياد ، فكانت هناك مجموعة كبرى من الدكاكين التي يختلف تنظيمها وشكلها عن السوق الصغير الذي كان أشبه بالخان الإسلامي الكبير. فدكاكين الصفا كانت تشبه أسواق استنبول بتركيا على نحو ما يصفها بوكهارت (من أشهر رحالي القرن الرابع عشر الهجري)، الذي رأى في رحلته أن عدداً كبيراً من هذه الدكاكين يديرها أتراك من أوروبا أو أسيا الصغرى ، وكان هؤلاء يبيعون مختلف الألبسة التركية وأنواعها. وكانت تباع في هذه الدكاكين كذلك السيوف الجميلة والساعات ونسخ القرآن المزخرفة .

من أجمل المشاهد التي كانت تميز هذين السوقين وجود المقاهي في أطرافهما ، وكانت تزدحم بالناس طوال الوقت . وتحمل هذه المقاهي ذكرى بديعة لدى عدد كبير من أبناء مكة المكرمة ، حين كان المسجد الحرام ملاذهم لمراجعة دروسهم واستذكارهم خلال الاختبارات ، إذ كانت تمثل لهم تلك المقاهي مأوى لاستراحة عذبة يتخللها تناول شيء من النواشف (الجبن والزيتون

والحلوى مع الشريك والشاهي). وكانت لتلك المقاهي بُعد اجتماعي وثقافي وفكري .

إلى الشمال من المروة على مقربة من الشامية ، يوجد سوق (سويقة) وهي سوق قديمة كانت تمتد ما بين المروة والشامية التي كان يسكنها التجار الأغنياء ، وفي تلك السوق كان يباع أنواع العطور والدهون والصندل وأنواع المصوغات وغيرها ، وكانت تباع في دكاكين الشامية السلع الشامية والحلبية من منسوجات حريرية، وكذلك قصب الذهب والفضة من حلب، والكوفيات من بغداد ودمشق والسجاجيد من تركيا ، وأيضاً تباع السبح وفصوص الفيروز والياقوت والعقيق والمجوهرات وغيرها .

كان سوق سويقة يضم عدداً كبيراً من بيوت التجارة الذين كان لهم دور فاعل في تنشيط الحركة التجارية في القرن الرابع عشر الهجري بشكل ملموس ومن تلك البيوتات المشهورة : الدهلوية ، البوقرية ، الأشموني ، ناظر ، الرمضاني ، القامة ، السقاف ، المشاط ، فاضل ، العادة ، سعيد عرب ، القزاز ، قطب ، الجستنية ، أبوراشد ، العطار ، الفارسي ، الطيب، إسماعيل ، البشاوري ، السندي ، رفيع ، عاشور، قربان ... وغيرهم من بيوت التجارة ، وما زالت كثير من هذه البيوت التجارية تمارس نشاطها التجاري في وقتنا الحاضر .

يذكر الباحث المكي عبدالله محمد أبكر ، أن سوق سويقة كانت ذات مظلات تقي حرارة الشمس وترش بالماء وقت اشتداد الحرارة، لأن الأرض كانت ترابية . وبعد إزالة السوق أنشأ أحد تجار مكة المكرمة - وهو حسين قزاز - سوقاً في غرب مكة المكرمة أطلق عليه اسم سويقة (أبكر ، ١٤٢٥هـ ، ٢٥١) .

أما في شرق الحرم وابتداءً من المسعى وانتهاءً بالمعلاة في الشمال الشرقي مروراً بالغزة والراقوبة والجودرية والسليمانية فقد وجدت العديد من الأسواق وتعددت اختصاصاتها وبضائعها .

في رحلاته إلى الحجاز ذكر ابن بطوطة أنه شاهد بين الصفا والمروة سوقاً عظيمة تباع فيها الحبوب واللحوم والتمر والسمن والفواكه لدرجة أن الساعين من الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة . وظل الوضع هكذا حتى بدايات الدولة السعودية الحديثة في السبعينات الهجرية ، حيث كانت تباع في (سوق المسعى) الأطعمة والمشروبات،

وفيها الصيارفة والخياطون وباعة الأحجار الكريمة والطيب والمساويك والحلاقون ، وكانت تشكل سوقاً مهماً من أسواق مكة المكرمة التي منها (سوق الليل) ، وهو جزء من حارة سوق الليل التي يطلق عليها جبل خندمة . (وفي تلك المنطقة كان مولد النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم) ، وإلى جنوبه جبل أبي قبيس ، وتعود أسباب تسميته (سوق الليل) وفقاً لما هو شائع عند أهل مكة المكرمة أن الباعة كانوا يجتمعون فيه ليلاً لبيع ما تبقى لديهم من بضاعة لم تنفد. لذلك كانت المأكولات هي الأكثر رواجاً في هذا السوق كالفول والخبز والمطبق والفطائر والعصيدة واللحوم ، إضافة إلى وجود عدد من باعة الأسماك . (تراوزي ، ٢٠٠٣م) . وسوق الليل يعتبر من أكبر أسواق مكة المكرمة في القرن الرابع عشر الهجري ، حيث كانت تنتشر فيه محلات بيع اللحوم والخضروات والفواكة والحبوب بأنواعها ، كما كان هنالك محلات لبيع الأسماك .

إذا استمررت في التقدم شمالاً تواجهك أسواق الغزة وبالقرب منها (سوق الجلايل) الذي يقع خلف شارع الجفالي بالقرب من شعب عامر ، والمدُعى ، والسليمانية ، والمعلاة وهي أسواق كبيرة ومشهورة ويباع فيها أنواع متعددة من السلع والبضائع التجارية والتي تخدم سكان المكان وضيوفه ، وفيها باعة الحبوب والسمن والعسل والملابس الجاهزة ، وفيها أيضاً بعض دكاكين المجوهرات والأحجار الكريمة والأحذية التقليدية والأقمشة .

وكانت الحلقة القديمة لبيع الفواكه والخضار في (المعلاة) ، وهي قديماً كانت مزارع عبدالله بن الزبير رضي الله عنه وهو الذي شق طريق الفلق إلى بيوته في النقا .

وهناك سوق قديم ما زال قائماً وهو « سوق الراقوية » وهو جزء من حارة القرارة قريب من (المدعى) ، وفيه دكاكين متعددة لبيع الأقمشة والخردوات ومستلزمات الخياطة وغيرها .

لم تقتصر حركة البيع والشراء في مكة المكرمة على الأسواق التجارية ، بل تعدت ذلك إلى تحول المدينة إلى سوق تجاري كبير في موسم الحج ، ينتشر من أبواب المسجد الحرام إلى جميع شوارع مكة (ريزفان ، ١٤٨) . وكان تجار القوافل يصرفون بضاعتهم على تجار التجزئة وأصحاب الحوانيت الذين يحققون أرباحاً كبيرة ، وأهم الصفقات التجارية لتجار الجملة كانت

تتم خلال الشهور التي تسبق موسم الحج (بوركهارت ، ١٧٥) ، إذ يعرض تجار مكة بضائع من الهند ومن شبه الجزيرة العربية ، بعد جمعها وتخزينها في مكة على التجار القادمين من مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، مما يجعل مكة أحد أكبر أسواق الشرق وأكثرها جاذبية لتنوع الأمم والشعوب التي تفد إليها .

الأسواق الحديثة.

وقتنا الحاضر نجد في مكة المكرمة بجانب الأسواق القديمة الموجودة حول الحرم ، خاصة من جهة أجياد والمدعى والغزة والشامية والقرارة والتي يباع فيها الكثير من السلع والبضائع والمواد الغذائية والتحف والمجوهرات ، وخاصة التي يحتاجها الحاج والمعتمر كهدايا أو لاستخدامه الشخصي ، نجد بأنه ظهرت أسواق مركزية ومجمعات تجارية ضخمة حديثة تضاهي مثيلاتها في العالم ، ومن ذلك (سوق مكة الدولي) الذي يقع بالقرب من الحرم المكي ، وهناك (سوق الضيافة) ، و(سوق الحجاز) و (سوق العزيزية) وغيرها . كما أن هناك العديد من المراكز التجارية الضخمة التي تشتمل على العديد من السلع والمنتجات الغذائية والمنزلية المتنوعة ومن تلك المراكز :

م	أسماء المراكز التجارية	عددها
١	بن داوود	٥
٢	النوري	٧
٣	عصمت	٤
٤	بن قبوس	٥
٥	الحرمين	١
٦	الحجاز	١
٧	العزيزية بنده	١
٨	متجر المستهلك	١
٩	مجمع الشرائع	١
١٠	مركز الشامل	١
١١	الصواري	١
١٢	مخابز ومراكز العزيزية الحديثة	٢
١٣	الباشا	١
١٤	مركز البدر	١
١٥	مركز النجوم	١
١٦	مركز الفرسان	١
١٧	متاجر وطني	١
١٨	مركز الراية	١
١٩	سوق الرصيفة	١
٢٠	سوق العزيزية	١
٢١	سوق السلام	١

وهناك مراكز تجارية أصغر حجماً متناثرة في أحياء مكة المكرمة والتي اتسعت بشكل كبير في السنوات الأخيرة استجابة لمتطلبات التنمية وتزايد عدد السكان والمقيمين والحجاج والمعتمرين والزوار لبلد الله الحرام.

ويوجد حالياً في مكة المكرمة العديد من تجار الجملة للمواد الغذائية، ومن هؤلاء: أحمد محمد با سنبل – المعابدة ، عمر عبدالرحمن بابحير – المعابدة ، على باعطية – جرول ، عبدالله الهزازي – الكعكية ، سعيد الغامدي – العزيزية ، إبراهيم عتيق السواط – جبل النور ، ملفي محمد العصيمي – الشرائع ، المهيدب - المنطقة الصناعية ، عائض الدعيجاني – الكعكية ، عمر الخفاجي – العزيزية .. وغيرهم.

كذلك يوجد في مكة المكرمة العديد من ثلاجات المواد الغذائية لحفظ المواد الغذائية المتنوعة من لحوم وخضروات وفواكه ، ومنها : ثلاجة الفيحاء ، ثلاجة مكة ، ثلاجة أم القرى ، ثلاجة الوثيقة ، ثلاجة العاصمة المقدسة ، ثلاجة أبو حرب ، ثلاجة القرشي ، ثلاجة بن شاهر ، ثلاجة الخليل ، ثلاجة الدعدي ، ثلاجة الجهني ، ثلاجة المخدوم ، ثلاجة الحلواني، ثلاجة التوفيق، ثلاجة نجوم ، ثلاجة العصيمي ، ثلاجة الخفاجي ، ثلاجة الأخوين ، ثلاجة باخشوين .. وغيرها .

مشروعات مستقبلية للأسواق .

ومن المشروعات المستقبلية الكبيرة للأسواق التجارية في مكة المكرمة ، مشروع (الشبيلي جراند مول مكة) ، وهو مشروع تكلفته حوالي مليار ريال ، وهو عبارة عن مركز تجاري ضخم جداً يقع في قلب مدينة مكة المكرمة وعلى طريق أم القرى الشريان الرئيس الذي يضمن وصولاً قريباً وسريعاً من وإلى البيت الحرام .

وفي تصريح بتاريخ ١٤٢٤/٦/١٤هـ للأستاذ خالد الشبيلي رئيس مجموعة الشبيلي للاستثمار والتطوير العقاري قال : « إنه بعد استقراء الجدوى الاقتصادية وجدنا أن مكة المكرمة بحاجة ماسة لمجمع تجاري شامل وقد أثبتت الدراسات أن الموقع الأفضل هو على الجزء من المخطط المملوك لنا لوجوده وسط المدينة وعلى طريق جميع الزوار للبيت الحرام . لذلك تم استقطاع أغلب الواجهة الرئيسة للمخطط بطول يصل إلى كيلو متر على طريق أم القرى وبمساحة ١٦٤,٠٠٠ متر مربع مستهدفين إعطاء المجمع كامل الفخامة والضخامة التي تليق ومكانة المنطقة وليكون في الوقت نفسه ملبياً لجميع حاجة سكان المنطقة القريبه منه وجميع زوار البيت

الحرام . ويأخذ المجمع شكل الطراز الإسلامي، ومقسم إلى عدة مناطق مختلفة تحقق حاجة الشركات العالمية الكبرى التي تحتاج إلى مساحات واسعة لعرض منتجاتها المختلفة وكذلك الشركات المحلية بمختلف أنواعها . كما ركز التصميم على شمولية الأغراض التسويقية مثل متاجر السلع الاستهلاكية والكمالية، والمفروشات والأدوات المنزلية والتحف والأعمال اليدوية ، كما أن هناك أقساماً للمتاجر الإدارية مثل وكالات السفر والسياحة وغيرها.

كما راعى التصميم الجوانب الترفيهية باعتبارها جزءاً من متعة التسوق ، فهناك منطقتان للمأكولات والمشروبات Food Court ، بالإضافة إلى مجموعة من المطاعم والمقاهي موزعة داخل المجمع . كما حرصت المجموعة على تصميم قاعتين لترفيه الأطفال: إحداهما مغلقة لاجتذاب أفضل شركات الترفيه . كما راعى التصميم إنشاء قاعة للاحتفالات الرئيسة تستوعب أكثر من ١٢٠٠ شخص .

أعمال وبضائع أهل مكة المكرمة في بداية القرن الرابع عشر الهجري .

وصف الضابط الروسي ، عبدالعزيز دولتشين في رحلته إلى مكة المكرمة عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م ، أعمال أهل مكة في بداية القرن الرابع عشر الهجري بقوله : « يمكن وصف أشغال سكان مكة المكرمة بإيجاز بالغ – يعيشون على الحجاج ... وأثناء توافد الحجاج ، تتحول المدينة إلى بازار هائل ينتشر على أبواب الحرم بالذات في جميع الشوارع والأزقة ... علاوة على استيراد كمية كبيرة من المنتوجات المعيشية لتلبية حاجات جموع الحجاج البالغ عددها أكثر من مائة ألف حاج، يستجلبون إلى هنا كمية كبيرة من شتى البضائع من القسطنطينية ومصر والبلدان المجاورة في آسيا ، وذلك مع قوافل الحجاج والبواخر إلى جدة، والقسطنطينية هي الوسيط الرئيس في تجارة البضائع الأوروبية ، ومنها تحصل مكة على كل الاحتياطي من الأقمشة القطنية والصوفية والأحذية والخردوات والطحين وخلافها ... وكانت مصر تقدم على الأغلب المنتوجات المعيشية : الحنطة ، الفول ، الشعير ، الذرة الصفرا ، العدس، الرز ، السكر ،زيت الزيتون ، وما إلى ذلك ، وسوريا ترسل مع المحمل الدمشقي وبحراً ، عبر بيروت كمية كبيرة من الألبسة الحريرية الجاهزة والمناديل المطرزة بالحرير والفواكه المجففة والفالوذة . وبغداد

والبصرة ترسلان مع قوافل الحجاج البضائع الحريرية والصوفية والرز والسمنة البقرية والسمنة الغنمية . وبلاد فارس ترسل السجاد والحصائر والعباءات وغير ذلك من البضائع الصوفية . والهند ترسل البضائع والآنية من النحاس والبورسلين والمطبوعات والمرجان والمواد العلاجية والمواد العطرية وخلافها ، واليمن ترسل البن والعقيق ، والسند ترسل الكندر» .

ويضيف دولتشين:

« في مكة المكرمة ينتجون كمية قليلة من الأشياء التي يجري تصريفها بين الحجاج القادمين والمقصود هنا المسابح المخروطة من الصدف وغيرها من المواد ، والخواتم الفضية المرصعة بأحجار عين الشمس اليمني ، كذلك يصنعون الخواتم من الزخارف الفضية ، كما يصنعون آنية من الصفيح لأجل نقل مياه زمزم وما إلى ذلك» .

ويواصل دولتشين وصفه قائلاً:

ثم إن سكان مكة يكسبون مبلغاً كبيراً من النقود بتأجير الغرف والشقق وقيامهم بمراسم الحج بتكليف من الحجاج أو بالنيابة عن أقاربهم الغائبين ، وقيامهم بدور المرشدين في حال أداء الفرائض والمراسم، وتأجير الحمير التي تحظى دائماً بطلب كبير نظراً لعدم وجود عربات الحوذيين وما إلى ذلك» .

في أثناء الحج ، لا يتعاطى السكان المحليون وحدهم التجارة ، بل يتعاطاها كذلك تجار قادمون كثيرون . ويلاحظ أن أسعار السلع المعيشية في أثناء تجمع الحجاج في موسم الحج تنقلب كثيراً تبعاً لحركة الاستيراد وعدد القادمين ، مثلاً في عام ١٣١٥هـ - ١٩١٨م ، كانت أسعار بعض المواد الغذائية على النحو المذكور في الجدول التالي:

جدول يبين الفروق في الأسعار في موسم الحج وفي غير الموسم
(عام ١٣١٥هـ - ١٨٩٨م)
سعر الرطل الواحد بالكوبيكات

المواد	السعر في أثناء الحج بالكوبيكات	السعر غير موسم الحج
الضأن	١٢	١٨
الطحين	٣٥	٢٧
السمنة البقرية	٤٠	٣٥
زيت الزيتون	٥٥	٥٠
الشاي الأسود	٧٠	٧٠
الشاي الأخضر	١٠٠	١٠٠
السكر	١٧	١٨
الشمع	٢٦	٢٥
الكاز	٦	٦
الخبز	٩	٦

السلع والبضائع في أسواق المنطقة المركزية في الحج .

إن أسواق مدينة مكة المكرمة في الماضي القريب وفي الحاضر بالمنطقة المركزية ، تستوعب عدداً غير يسير من المنتجات المحلية والمستوردة التي تتناسب واختلاف الجنسيات القادمة للحج أو العمرة ، مما يجعلها سوقاً جيدة لتجارة التجزئة والتي يمكن اعتبار أنها أخذت دورة كاملة في مراحل نموها منذ بداية ظهور الأسواق الموسمية المرتبطة بالحـج (مجنة وغيرها) ، لذا سوف أتعرض خلال هذا الجزء للسلع التي يبيعها التجار في موسم الحج والتي تفضلها أعداد الحجيج القادمة .

إن غالبية التجار يبيعون السلع التي تكون خليطاً من المحلي والمستورد في موسم الحج ، ولقد أشار إلى ذلك عدد كبير من التجار داخل المنطقة المركزية وخارجها من الذين تمت مقابلته. وتظهر معظم شوارع المنطقة المركزية زيادة واضحة في نوعيات السلع الخليط وعلى الأخص شارع إبراهيم الخليل وأم القرى وحمزة بن عبدالمطلب وخالد بن الوليد وغيرها .

ويلاحظ أن التجار خلال موسم الحج يحرصون على تنوع السلع لتتناسب مع الأعداد الهائلة من الحجاج .

وإذا نظرنا إلى أنوع النشاط التجاري في المنطقة المركزية ، نجده يتنوع بشكل واضح في متاجر التجزئة والمفرق ، فهناك نشاط الأقمشة والملبوسات أكثر كثافة في المنطقة المركزية ، وهو يمثل القاسم المشترك في جميع الشوارع ، ويشتمل هذا النشاط على تجزئة الأقمشة والملابس الجاهزة والأحذية والسجاد والبسط ، وهناك نشاط تجاري متخصص في بيع المجوهرات والذهب ولعب الأطفال والهدايا المتنوعة ، كما نجد تجارة المواد الغذائية ، ويظهر ذلك بشكل واضح في بعض الشوارع ، منها : شارع الهجرة وإبراهيم الخليل وأم القرى . وهناك محلات تجارية داخل المنطقة المركزية تقوم ببيع أدوات منزلية وأدوات كهربائية ومعدنية نحاسية ، وهناك محلات أخرى تهتم ببيع العطور وأدوات التجميل وأدوات النظافة والمصنوعات الجلدية واليدوية التقليدية .

كما توجد بعض المطاعم الصغيرة المنتشرة في شوارع المنطقة المركزية بكثرة ، وكذلك محلات خاصة ببيع المواد الغذائية والخضروات والفواكه واللحوم المتنوعة والخبز . ويلاحظ أنه في الآونة الأخيرة ظهرت محلات تجارية أكبر حجماً للبيع بالتجزئة مصممة بشكل حديث ، وتقوم ببيع البضائع المتنوعة وبأسلوب جذاب ، كما بدأت تظهر محلات (السوبر ماركت) في المنطقة المركزية والتي تحتوي بداخلها سلعاً وبضائع متعددة وبأسعار منافسة ، ومن ذلك ما هو موجود في أسواق شركة مكة للتعمير والتي تقع على الساحات المطلة على الحرم الشريف مباشرةً .

الحجاج والمعتمرون وشراء الهدايا القيمة من الأسواق كذكرى .

تنشط أسواق مكة المكرمة والمدينة المنورة خلال موسم الحج ، وكذلك على مدار العام بعد فتح باب العمرة ، وهي تزخر بالعديد من السلع والهدايا المتنوعة ، ويحرص أكثر من مليوني حاج يقصدون سنوياً الأماكن المقدسة ، وملايين المعتمرين على مدار العام على شراء الهدايا للأهل والأصدقاء يخلدون بها ذكرى طبعت في أذهانهم عن أطهر البقاع عند الله سبحانه وتعالى، ويتوجون فرحتهم بإهداء أقاربهم هذه الهدايا القيمة الجميلة التي جلبوها من أجمل

مكان كذكرى طيبة تخلد في حياتهم .

أوضحت دراسة لمركز فقيه للأبحاث والتطوير ، أن إنفاق الحجاج والمعتمرين يصل حالياً إلى ٣٥ مليار ريال في المتوسط باعتبار أن الحاج ينفق مايقارب ٥,٥٠٠ ريال ، بينما ينفق المعتمر حوالي ٣,٧٠٠ ريال على أقل تقدير ، وتتوزع النسب في الإنفاق على السكن ٢٥٪ و ١٥٪ في السفر والنقل الجوي و ١٠٪ في الوقود والمحروقات و ٧٪ في الاتصالات و ٦٪ في النقل البري والبحري و ١٠٪ في المصروفات الخدمية والهدايا . « تقرير مركز فقيه للأبحاث والتطوير ، ١٤٢٤هـ) .

إن حجاج بيت الله الحرام من شتى أنحاء العالم يسارعون بشراء هذه الهدايا والسلع حتى أن بعضهم يشتريها وهي موجودة في بلاده ، ولكن يحب شراءها من مكة المكرمة والمدينة المنورة.
وأغلب الهدايا تتمحور حول: التمور والمصاحف الشريفة ، والثياب الرجالية ، والغتر والأشمغة ، والعقل ، والثياب النسائية السعودية ، والدهن والعطور والطيب ، والصور التذكارية لمكة المكرمة والمدينة المنورة القديمة والحديثة ، والسبح، والسجاجيد ، وعلى رأس هذه الهدايا ، ماء زمزم الذي هو طعام طعم وشفاء سقم ، وهو متوافر للحجاج بلا مقابل.

مجلة الحج والعمرة في عددها الأول من عام ١٤٢٥هـ أجرت استطلاعاً موسعاً عن الهدايا في مواسم الحج والعمرة . ومما ورد في ذلك الاستطلاع ، اللقاء الذي تم مع بائع في محل للتحف والفضيات ، فقال : إن الحجاج يقبلون على شراء السبح بمختلف أنواعها ، حتى أن البعض يتفاخر بشرائها كهدية لذويه من الأراضي المقدسة ، ولكن بعضهم يشترون هداياهم من جدة بحكم أنها بوابة الحرمين الشريفين. وللناس فيما يعشقون مذاهب من الهدايا ، وتختلف الأذواق بين الشعوب في الشراء. فنجد مثلاً أن الحجاج الأندونيسيين يقبلون على شراء السبح ، لاعتقادهم أن الخشب الذي تصنع منه هو ذاته الذي صنع نبي الله نوح عليه السلام منه سفينته ... وأدى زيادة إقبالهم على شرائه إلى ارتفاع سعره حيث تجاوز سعر الدرجة الأولى من خشب الكوك المطعم بالذهب ٥٠٠٠ ريال ، ويأتي حجر الكهرمان المطعم برسوم الحشرات الذي يستورده التجار من ألمانيا وروسيا ، في الدرجة الثانية بعد خشب الكوك . والسعوديون واللبنانيون والمصريون من أكثر الحجاج إقبالاً على شراء هذا الحجر الثمين ، لا سيما أن

هناك دراسات طبية تجرى على الكهرمان لعلاج صفار الكبد . ويباع الكهرمان بالوزن حيث يتجاوز سعر الجرام ٢٠٠ريال . ويصل سعر بعض السبح إلى ٣٠٠٠ ريال . أما المرجان الذي يستخرج من بحار الجزائر وتونس ويصنع بايطاليا ، فيتراوح سعر الحبة بين (٢٥-١٥٠ ريالاً) ، وقد يصل سعر بعض السبح التي تزن ٤٦ جراماً إلى ٧٠٠٠ريال ، وهذا النوع من السبح تطلبه مختلف الجنسيات . أما اليسر ذو اللون الأسود والذي يسميه البعض المرجان الأسود نسبة لاستخراجه من الخشب البحري ، فمنه المطعم بالمرجان ومنه بالفيروز وبعضه يطعم بالزمرد . (تتراوح أسعارها من (٥٠ – ٧٠٠٠ ريال) للسبحة الواحدة ، ويتحدد السعر حسب تطعيمها ، كما أن الحجاج اليمنيين واللبنانيين والسعوديين ، يرغبون ويفضلون شراء عظم العاج الذي يؤخذ من ناب الفيل ويطعم بالمرجان والفيروز والزمرد والفضة ليأخذ أشكالاً جمالية مختلفة . وهناك الكثير من الحجاج من جنسيات مختلفة يفضلون الفيروز الطبيعي ذا اللون الأزرق الذي يستورد من إيران ، وتتراوح أسعاره بين (١٥-١٥٠ريالاً) ، إضافة إلى أن هناك ٣٦ نوعاً من الأحجار الكريمة (منها الجاد وعين النمر) ، تتراوح أسعارها بين (٢٥-١٥٠ ريالاً) للسبحة الواحدة .

بعض الحجاج يحرص على شراء أنواع مختلفة من الخواتم كهدايا ويأتي في مقدمتها الخواتم المصنعة بحجر الألماس والتي يفضلها الحجاج النيجيريون بالذات ، بينما يقبل الحجاج الباكستانيون والهنود على خواتم الزفير التي يتراوح سعرها بين (٦- ٢٣٠٠ ريال) للفص ٦ قيراط ، وهناك خواتم مفصصة بالياقوت والزمرد والفيروز الطبيعي والمرجان واللؤلؤ الطبيعي والطوباز .

هناك نوع آخر من الهدايا الجميلة التي تتزين بها النساء ، وهي عبارة عن عقود مفصصة بالزفير والياقوت والزمرد ، يتراوح سعر العقد الواحد من (٦٠٠ – ١٢,٠٠٠ ريال) ، وأكثر الجنسيات إقبالاً عليها هن المغربيات والتونسيات والسعوديات ، وهناك عدد كبير من الحجاج والمعتمرين يهوون شراء اللوحات التذكارية والمجسمات التي تمثل الحرم المكي والنبوي وكذلك التحف التراثية التي تأخذ أشكالاً مختلفة تراثية تبين تراث هذا البلد الطاهر مثل الآيات القرآنية والأواني القديمة.

أفاد أحد العاملين في محلات العباءات النسائية ، عن إقبال الحاجات والمعتمرات إلى ارتداء الزي الذي ترتديه الحجازيات حيث يمثل لهم تحفه نفيسة تذكرهم بالأماكن المقدسة ، كما يشترين هذه الجلابيات والعباءات لجمال أشكالها وألوانها، حيث توجد أنواع عدة من الجلابيات منها الإماراتي والخليجي والهندي وتتراوح أسعارها بين (٥٠ – ٤٠٠ ريال) ويزيد الطلب على هذه الجلابيات من الحاجات المغربيات والخليجيات والمصريات .

من الحجاج من يشتري المفارش والسجاجيد التركية التي تبدأ أسعارها من ٥٠ ريالاً وتصل إلى آلاف الريالات ، ويلاحظ أن أكثر السجاجيد التي يفضلها الحجاج هي تلك التي تتضمن لوحات فنية خاصة عن الكعبة والحرم المكي والمسجد النبوي الشريف . وفئة من الحجاج والمعتمرين ترغب في شراء المصاحف والصور القديمة كهدايا وكذلك الصور الحديثة لمكة المكرمة والمدينة المنورة لتعريف ذويهم بالفرق بين الماضي والحاضر. وفي الغالب فإن أكثر الحجاج المشترين هم من حجاج الدول الأفريقية من دول تونس والمغرب إضافة إلى الحجاج الأندونيسيين . وهناك هدايا ظريفة كانت تباع منذ القدم وهي عبارة عن نواظير تحوي على مناظر وصور لمكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك الفوانيس والأتاريك والأحذية المختلفة والزي السعودي الذي يتمثل في الثياب الرجالية الناصعة البياض التي تلبس مع الأشمغة الحمراء والغتر البيضاء وتثبت على الرؤوس بالعقل السوداء ، حيث كان يتفاخر العرب قديماً بلبس مثل هذه الثياب وكذلك العمامات . ومن الحجاج من يشتري المشالح أو العباءات الرجالية التي كان يرتديها ولا يزال كبار القوم. أما الحجاج الماليزيون فيقبلون على شراء الإكسسوارات والشنط النسائية بكثرة ، بينما يشتري الحجاج السوريون والإيرانيون الملابس النسائية والرجالية بجميع أنواعها .

ومن أفضل الهدايا التي تجد إقبالاً كبيراً من المعتمرين والحجاج التمور بجميع أنواعها وأصنافها . ويصل سعر كيلو العجوة إلى ١٠٠ ريال بينما يصل سعر العنبر إلى ٨٠ ريالاً للدرجة الأولى ، أما العنبر من الدرجة الثانية فسعره حوالي ٥٠ ريالاً ، ويقبل عليه مختلف الجنسيات خاصة الأندونيسيين ، وأقل التمور سعراً هو الصفري ، وهناك أصناف من التمور محشوة باللوز والسمسم .

أفضل أنواع الهدايا التي يظل ريحها يذكر حجاج بيت الله الحرام في أفضل ذكرى لبيت الله الحرام ، هي العطور بأنواعها وخاصة الطيب ومن أجود أنواع الطيب دهن العود والمسك والعنبر والبخور .

وفي لقاء بأحد العاملين في القرشي للعود والعنبر والبخور قال : إن الخليجيين يأتون في المرتبة الأولى في شراء دهن العود والبخور ، ويفضل الأندونيسيون عطر الألف زهرة والياسمين والمسك ويتراوح سعر التولة ما بين (٦٠ -١٢٠ ريالاً) ، وهناك أكثر من ١٠٠ نوع من الطيب منه الياسمين والورد والعنبر والمسك والعود وبعض العطور ذات المسميات الحديثة مثل (فيرست) و (خلطات سارة) و (الخلطة الملكية). ويعتبر دهن العود أثمن أنواع الطيب سعراً ويتصدر الهندي من الدرجة الأولى ثم الكمبودي وكذلك يعتبر الورد الطائفي من أغلى أنواع الطيب السعودي .

يشير أحد أصحاب محلات الذهب ، إلى أن محلات الذهب والمجوهرات تفتح أبوابها في أيام موسم الحج على مدار الساعة لتقدم كل ما يحتاجه الحجاج من مصوغات ، بأشكال مختلفة تلبي جميع الرغبات .

كما يشير مسئول البيع في محل للحلي والأحجار الكريمة إلى إقبال الزائرين على الأحجار الكريمة والحلي والفضيات يحملونها إلى بلادهم كأغلى الهدايا والتذكارات .

ومن الهدايا المطلوبة في الحج ، الخردوات ، وهي متوافرة بمختلف أشكالها وبخاصة المصنوعة من البلاستيك ، والإكسسوارات الخفيفة التي تطلب من كثير من الحجاج لرخص ثمنها وتنوعها.

ونجد أن محلات الخردوات المحيطة بالحرم تعد العدة في كل عام لتلبية طلبات زبائن الحج ، كما يشير إلى ذلك أحد تجارها البارزين ، السيد عودة غلاب الأحمدي ، موضحاً أن الأحوال الاقتصادية في بعض البلدان الإسلامية تدفع بالتاجر إلى أن يحضر السلع الرخيصة التي تجد لها رواجاً واسعاً .

وللأجهزة والأدوات الكهربائية سوق رائجة في الحج ، وإن كان سوق الأمس أفضل من سوق اليوم ، كما يوضح ذلك مسئول البيع في محلات العيدروس للأجهزة الكهربائية ، فيقول إن الطلب الآن يقتصر على الأجهزة الكهربائية والألكترونية الصغيرة كالمسجلات والخلاطات والهواتف

والكاميرات والكاويات وغيرها . وكذلك فإن حاجات التأثيث لمساكن الحجاج هي التي تستهلك الأدوات الكهربائية أكثر مما تستهلكه طلبات الحجاج من الهدايا .

كذلك فإن هناك تراجعاً في تجارة الساعات الأصلية ، نتيجة المنافسة من الساعات الرخيصة والمقلدة ، التي أصبحنا نجدها في دكاكين بيع الأجهزة الكهربائية والكاميرات ، كما نجدها في المباسط ولدى الباعة المتجولين وباعة الخردوات ، مما أثر سلباً على بيع الساعات الأصلية ، لكن الكثير من الحجاج مازالوا يطلبون الساعات ذات (الأسماء) المعروفة.

ذلك ما أوضحه الشيخ طاهر إبراهيم قطب ، أحد رواد تجارة الساعات في مكة المكرمة .

ويرى تاجر الأقمشة السيد عبدالعزيز الخراشي أن تجارة الأقمشة تأتي في الدرجة الثالثة أو الرابعة بين طلبات السوق في الحج ، وأن الحاج يفضل أن يحمل معه أداة كهربائية ، مما قد لا يجدها رخيصة في بلده أو سجادة صلاة أو سبح أو ألبسة جاهزة على أن يحمل قطعة قماش. ومع ذلك فقد أوضح الخراشي ، أن جميع أنواع الأقمشة متوافرة في أسواق مكة المكرمة لتلبية رغبات الحجاج من مختلف الشرائح وتعدد الأذواق .

وتأتي قائمة الألعاب ضمن الهدايا التي يطلبها الحجاج ، كما يقول تاجر الألعاب السيد حمزة عمر غندورة ، ذلك أنه لا يخلو بيت تقريباً من الأطفال ، ويحرص الحجاج على أن يحملوا لأبنائهم وأحفادهم وأحبائهم الصغار ما يدخل السرور على قلوبهم . لذلك فإن بيع الألعاب في الحج يفوق المواسم ، ويحقق دخلاً طيباً في حركة السوق

وللأشرطة الإسلامية سوق رائجة في الحج ، وهي بأنواعها من (كاسيت ، فيديو ، سي دي) متوافرة لضيوف الرحمن في عدد كبير من المحلات حول الحرم المكي الشريف ، وفي أرجاء مكة المكرمة ، ويتجاوز عددها ستين محلاً .

ويوضح السيد أحمد عبدالغني الدعيس ، صاحب تسجيلات «رامي الإسلامية» في دوار الغزة وهو أقدم من امتهن هذا العمل في مكة المكرمة ، يوضح أن مبيعات الأشرطة الإسلامية في تزايد مستمر وخاصة في مواسم الحج والعمرة . وأن الحجاج يحرصون على أن يحملوا معهم من مكة المكرمة، تسجيلات الحرم المكي بصوت الشيخ عبدالرحمن السديس أو الشيخ سعود الشريم أو الشيخ عبدالله خياط وغيرهم ، كذلك المحاضرات الدينية وأفلام الفيديو الإسلامية

، والمصاحف الدينية ، حيث توفرها محلات الأشرطة الإسلامية .

الأسواق الشعبية بمكة المكرمة مدارس لغات للتجار .

للأسواق القديمة بمكة المكرمة وخاصة في المناطق المحيطة أو القريبة من الحرم شهرة واسعة ، وتشهد إقبالاً واسعاً من الحجاج والمعتمرين والزوار، ويلاحظ المتسوقون أن أغلب البائعين من تجار وعاملين في المحال التجارية بها يتحدثون بلغات مختلفة ، تقدر بلغتين إلى ثلاث لغات على أقل تقدير، وإن لم تكن بصورة متقنه فإنها تفي بالغرض من حيث التعامل مع الزبائن من مختلف الجنسيات والتي تتحدث بلغات متعددة ، علماً بأن هؤلاء العاملين في الغالب هم من أبناء البلد.

أحد الباعة في محل المجوهرات بالغزة ، يؤكد أن غالبية الزوار الوافدين الذين تستقبلهم الأسواق في منطقة البلد من جنسيات متعددة وخاصة من شرق آسيا والدول العربية وأفريقيا والباكستان والهند وإيران وتركيا وأوروبا ، حيث يقبلون على شراء المصوغات الذهبية المحلية وأطقم الذهب ، ويضيف قائلاً : إننا نعتمد في تجارتنا كثيراً على الزوار من الخارج الذين يفضلون شراء المصوغات الذهبية بصفة خاصة ، ويرجع ذلك الإقبال إلى انخفاض أسعار السلع في الأسواق التي توفر كل ما يحتاج إليه الزائر في مكان واحد وبأسعار مخفضة تحفز الكثير من أهل المدينة والزوار من الخارج على التسوق .

ويمثل الاحتكاك مع الزبائن من مختلف الجنسيات الوسيلة المثلى لاكتساب لغات العالم ، وهذا ما اتفق عليه العاملون في مجال التجارة ، فالتاجر السيد عبدالعزيز باوزير مثلاً يتحدث لغتين بالإضافة إلى العربية التي اكتسبها من الممارسة والعمل في مجال التجارة ، ويقول التعاملات التجارية مع الزبائن قوّت من لغتي وخاصة الإنجليزية ، وبالنسبة للفرنسية أجيدها لكن بصورة غير متقنة ، لما يتطلبه مجال تجارتي في أدوات التجميل ، من استخدام المصطلحات البسيطة والأرقام في لغات الجنسيات الوافدة إلى أسواق البلد بصورة مستمرة ، كالجاوى والأوردو والصومالي والتركي وغيرها من اللغات . ويضيف : أفادني عملي لمدة عشر سنوات في هذا المجال من خلال التعامل مع العملاء في التعرف على السلع الموجودة في الخارج مما يعطيني معرفة مسبقة بها وطريقة التعامل مع الناس من مختلف الثقافات ، حيث أصبحت

أميز الزبائن بمختلف جنسياتهم كما اتبين لهجاتهم واستخدمها للتقارب معهم واستقطابهم وكسبهم كعملاء دائمين .

ويعلق تاجر آخر ويقول : لقد استفدت من احتكاكي بالزبائن خلال عمليات البيع ، حيث أعمل في مجالي الأقمشة والتجميل ، إلا أن الأخير أفادني أكثر بسبب إقبال الزبائن من مختلف الجنسيات على مجال العطور ومستحضرات التجميل .

ويلاحظ أنه على الرغم من إتقان كثير من البائعين للغات أخرى بجانب العربية ، إلا أن البعض لديه طريقته الخاصة في التعامل ، وهذا ما يؤكده أحد التجار ، حيث يقول : لست ممن يتحدثون اللغات ، ولكن أستطيع أن أتعامل مع جنسيات غير عربية بلهجة ركيكة ومكسرة لتسهيل التعامل معهم ، أما فيما يتعلق بالأعداد والأرقام فليس هناك إشكال فهي متداولة ومعروفة لدى الغالبية .

ويؤكد السيد حسين الحبشي ، أن الإنجليزية تمثل اللغة الأولى في التعاملات، كما أنها تستحوذ على المرتبة الأولى في التعاملات ، وبذلك تستحوذ على أهمية قصوى لدى الكثيرين في السوق الشعبي ، معللاً ذلك بتداولها بين مختلف الجنسيات ، ويذكر أنه على دراية بالإنجليزية والفارسية بالإضافة إلى كلمات عامية من الأوردو التي تساعد على التعاملات التجارية مع مختلف الجنسيات ، وأنه يحاول تحسين لغته الإنجليزية باعتبارها الأولى في العالم ، ويوافقه تاجر آخر الرأي بقوله : إتقان لغات الزبائن يساعد على التواصل معهم وتوفير ما يريدونه من سلع والاتفاق معهم على أسعار مرضية لهم ولنا .

أماكن استيراد البضائع .

ذكر مجموعة من التجار القدامى أن البضائع كانت تستورد من دول مختلفة في العالم ، ومن ذلك السودان الذي كان يستورد منه الأرزاق وبالذات الدخن والسمسم والذرة واللوز والزيت والبرتقال ، ومن سوريا العمم الحلبيه والأقمشة الحريرية والقطنية والكلف التي تستخدم في خياطة الملابس .

واشتهرت عدن بأنها مركز تجاري دولي أيام كانت ملتقى سفن الإمبراطورية البريطانية ومحطة استراحة الأساطيل في طريقها من وإلى الهند وشرقي آسيا وبلدان وجزر شرقي أفريقيا وبلاد

البحر الأحمر وحوض البحر الأبيض المتوسط وشمال أوروبا ، فكانت البضائع الواردة من عدن تتراوح بين الملابس الحديثة والجاهزة والأقمشة بأنواعها والعطور والذهب والحلي وأدوات الزينة والكاميرات والأجهزة والمعدات .

ومن الهند كانت تجيء البهارات والأرز والأبازير والشيلان الكشميري والعودة والعطور الشعبية ومواد العطارة ، ثم هناك السجاد العجمي لبيوت التجار والأغنياء أو بغرض إعادة التصدير وخصوصاً في مواسم الحج عن طريق بيعه لأثرياء الحجاج ، وكان يستورد مباشرةً من أماكن تصنيعه في إيران إضافة إلى المنتجات الفارسية المعروفة وقتها من سحلب وزعفران وحلوى منها ما عرف بالمن والسلوى ونوع من الأرز اشتهر بـ « عنبر بوه « .

أما من شرق آسيا فأكثر البضائع كان تجيء مع الحجيج الأندونيسيين ومن بينها الفوط الجاوية الشهيرة والزنجبيل وبعض الزيوت النباتية والعودة وفصوص العقيق والأحجار الكريمة إضافة إلى الخشب الجاوي المشهور بصلابته والذي لا يزال حتى يومنا هذا يستعمل في بناء البيوت الشعبية وخصوصاً السقوف .

وفي زمننا الحاضر نجد أن البضائع أصبحت تصل إلى المملكة العربية السعودية ومنها مدينة مكة المكرمة شرفها الله من كل حدب وصوب، وبوسائل المواصلات المتعددة البرية والبحرية والجوية . ونجد أن الأسواق تزخر بآلاف البضائع الضرورية والكمالية ، والتي تستورد من دول أوروبا وأمريكا وكذلك من الدول الإسلامية والعربية قاطبة. ونجد أن هناك تجاراً كباراً وكذلك شركات تجارية ضخمة تقوم باستيراد البضائع العالمية ذات الماركات المشهورة وبعد الحصول على وكالات نظامية باستيرادها من موطنها الأصلي وبكميات كبيرة وبمواصفات عالية ومناسبة لسكان المجتمع.

تنظيم الأسواق .

مكة المكرمة اشتهرت قديماً بالتجارة ، وتجارتها كانت تمارس في أماكن مخصصة ومعروفة أطلق عليها اسم « أسواق « والسوق له أنظمة وقوانين وهيئة إشراف ، وقد اهتمت مكة قديماً بأسواقها ووضعت لها تنظيماً يتضح فيما يلي :

١. تشترط في بناء الأسواق أن تكون عالية ومرتفعة ومنسقة ومنتظمة على جانبي الشوارع

المختلفة ، فكان شارع المسعى من أكثر شوارع مكة طولاً ، كما أنه من أفضلها بنياناً ، ويلاحظ أن الدكاكين كانت مسقوفة ومظللة لحماية التجار والبضائع ، فنجد أسواق سويقة والمدعى والنيابة مثلاً كانت ، مسقوفة ومظللة ، لتقي التجار والمشترين من حرارة الشمس .

٢. عدم السماح للتجار بإخراج مصاطب محلاتهم التجارية عن سمت أركان الحوانيت . (الشيرازي ، ١١) ، وهذا المطلب تنظيمي جرى به الأمر على جميع المحلات التجارية ، إلا أن هناك بعض المخالفات قد تحصل من بعض التجار ، لذلك كانت البلدية ، وبعدها أمانة العاصمة المقدسة ، تقوم على هدم الدكك الخارجة عن حدود الدكان وإزالة المباسط من الأسواق غير النظامية .

٣. نظافة الأسواق من الأتربة والأوساخ والقاذورات باستمرار ، وكانت سوق سويقة مثلاً تشتهر بجمال ونظافة شوارعها ، إذ إنها كانت تنظف بشكل منتظم وترش بالماء .

٤. الاهتمام بالناحية الأمنية سواء من حيث الحرائق أو السرقات ، فكانت تقضي تعليمات الحماية بضرورة وضع جب الماء أو جابية أو جراراً تكون جاهزة بالماء أمام المحلات التجارية والأسواق ، وقد استبدلت فيما بعد بوضع طفايات صغيرة أو أكثر في داخل كل محل تجاري تكون مطلية بلون أحمر ويوضع بجانبه سطل مليء بالبطحاء لاستخدامها عند الحاجة في إطفاء الحريق . ونلاحظ أن المحلات التجارية كانت تتكفل بتأمين حراسة محلاتهم من خطر الحرائق ومن السرقات والاعتداءات التي كان يقوم بها اللصوص .

٥. التخصص التجاري في سوق واحدة متخصصة ، فنجد أن مكة المكرمة حظيت بأسلوب التنظيم والتخصص التجاري وذلك نظراً لكثرة التجارات الواردة إليها ، فكان لزاماً أن يكون لأهل كل تجارة سوق خاصة بهم ، وقد تعددت الأسواق بتعدد التجارات وتنوعها ، فقد كانت أسواق مكة المكرمة مزدهرة ومازالت طوال أيام السنة وذلك لأنها لا تخلو من عدد كبير من المجاورين وطلاب العلم والمعتمرين والحجاج ، هذا إلى جانب وقوعها في منطقة تحيط بها القرى الزراعية التي تكتظ بسكانها من المزارعين ورعاة الماشية

، فكانوا يدخلون مكة كل يوم ليبيعوا محاصيلهم الزراعية من حبوب وفاكهة وخضار وحيوانات وطيور . (الزيلعي ، ١٦٤) .

وقد تعددت الأسواق التجارية المتنوعة والمزدانة بالبضائع الثمينة وقد عدها مؤرخ مكة الأزرقي بأكثر من سبعة وعشرين سوقاً متخصصاً منها على سبيل المثال : سوق البقالين ، سوق الغنم ، سوق الحدادين ، سوق الحجامين .. وغيرها . (الأزرقي ، ١٤٠٨هـ) .

وقد وصف البتنوني حين زار مكة المكرمة في حج عام ١٣٢٧هـ أسواق مكة بقوله : وأسواق مكة كثيرة منها : سوق الشامية في شمال الحرم ، وهي أشبه بالأسواق التركية .. وفيها يبيعيون السبح والأقمشة الهندية والتركية وغيرها .. ثم السوق الصغير وكل مافيه للغذاء كالخبز واللحوم والبقول والحصر ، وفي هذا السوق دكاكين كثيرة يبعيون فيها الأسماك المقلية . (البتنوني ، ١٣٢٨هـ ، ٦١) ، وفي العصر الحديث نجد محمد مغربي ، يصف لنا تخصص أسواق مكة المكرمة ، ويذكر بعض أسواقها الشهيرة ، ومنها على سبيل المثال سوق سويقة ، وكان خاصاً بالقماشين وباعة العطور والبخور ، ثم أسواق شارع المسعى من الصفا إلى المروة وفيه أهم دكاكين الصرافين وباعة الخردوات والعطور والمسابح والعمامة الحجازية (العمامة الألفي) . (المغربي ، ١٤٠٢هـ ، ١٦٧) . وأيضاً في العصر الزاهي الزاهر الحديث ، انتشرت ظاهرة التخصص الواحد في التجارة ، وأقيمت مراكز تجارية كبيرة متخصصة في بيع تجارة واحدة ، فنجد أسواق المواد الغذائية وأسواق الملبوسات ، وأسواق الخضر والفاكهة ، وأسواق بيع المواشي ، وأسواق بيع الفحم والحطب ... وهكذا . أما بالنسبة للأسواق في العصر الحديث ، فنجد أن عدد المحلات التجارية قد ازداد بشكل كبير وقد بلغت أكثر من ثلاثين ألف محل تجاري موزعة على عدد الأحياء السكنية في العاصمة المقدسة في الوقت الحاضر . (تقرير أمانة العاصمة المقدسة ، ١٤٢٥هـ) .

الإشراف على أسواق مكة المكرمة .

يذكر الشيخ محمد عمر رفيع ، في كتابه « مكة في القرن الرابع عشر الهجري» بأنه لما تولى الشريف الحسين بن علي إمارة مكة المكرمة سنة ١٣٢٧هـ ، كانت هيئة الدستور بمكة شكلت إدارة باسم « البلدية « جعلت مقرها مخفر الشرطة الذي أنشأه الوالي عثمان نوري بالصفا ،

عرف «بكركون الصفا» ، وكان أول رئيس للبلدية المرحوم الشيخ عبدالقادر الشيبي. (رفيع ، ١٤٠١هـ ، ٢٤٢) .

وكان في أول شارع المدعى غرفة خشبية عالية يتخذها المحتسب مقراً له ولأعوانه للإشراف على السوق ، ويعرفها المكيون بـ «كشك الحاكم» فإنهم كانوا يطلقون على المحتسب كلمة «الحاكم» ، وقد ولي هذه الوظيفة عدة أشخاص منهم : الشيخ سليمان شلهوب ، السيد عبدالواحد قتنياني ، وكان آخرمن تولى منصب المحتسب في عهد الشريف علي باشا (١٣٢٣-١٣٢٧هـ) هو الشيخ داود أبو الفرج . (المرجع السابق ، ٢٤٢) .

وتمشياً مع التطور الذي حصل في مكة المكرمة ، تغير اسم الحسبة إلى اسم البلدية ، وكان أول رئيس للبلدية كما أشرنا إليه ، هو الشيخ عبدالقادر الشيبي ، الذي عين سنة ١٣٢٧هـ ، وكان يعاونه الأعضاء التالية أسماؤهم : الشيخ عبدالله أبو الخير ، الشيخ عبدالوهاب خوقير ، الشيخ ياسين العظمة ، الشيخ محمد زبيدي ، الشيخ سليمان التركي ، رحمهم الله، .

وقد تولى رئاسة أمانة العاصمة مجموعة من الأعيان عندما جاء الملك عبدالعزيز آل سعود ، يرحمه الله ، والذي جعل الشيخ عبداللطيف عالم رئيساً لأمانة العاصمة وجاء بعده في رئاسة الأمانة الشريف محمود من شعب عامر ، ثم الشيخ عبدالله بشناق ، ثم الشيخ عباس قطان الذي لبث في رئاسة أمانة العاصمة مدة طويلة ، وتولى بعده الشيخ عبدالرؤوف الصبان ، والشيخ محمد صادق في سنة ١٣٧٢هـ ، ثم الشيخ عبدالله بن خثلان عام ١٣٧٤هـ وهو من أهالي نجد ، وتولى بعده الشيخ عبدالله عريف ، ثم المهندس عبدالقادر كوشك ، ثم الأستاذ عمر توفيق ، ثم المهندس عمر قاضي ثم الدكتور فؤاد غزالي ، وحالياً الدكتور خالد حمزة نحاس وهو مازال رئيساً لأمانة العاصمة إلى اليوم .

هذا وقد قامت أمانة العاصمة المقدسة ومازالت بجهود كبيرة وفعالة في الاهتمام بتطوير العمران وتعبيد الطرق ورصفها على أحدث الطرق العالمية وكذلك تشجيرها بأنواع مختلفة من الأشجار ومن ذلك أشجار النخيل والدوم والنارجين . كما تهتم الأمانة بتوفير النظافة المتكاملة للمدينة باستخدام الآلات والناقلات الحديثة ، وتمتد جهودها أيضاً إلى مناطق المشاعر المقدسة: من عرفة ومزدلفة ومنى وخاصة في موسم الحج، وكذلك إلى مراقبة الأسواق وبشكل مستمر حماية

لحقوق المستهلك .

المقاهي في الشوارع والأسواق بمكة المكرمة .

أشار محمد لبيب البتنوني في كتابه (الرحلة الحجازية) الذي ألفه عام ١٣٢٨هـ بأن شوارع وأسواق مكة في ذلك الوقت كان يكثر بها المقاهي البلدية التي ترى في دوائرها دككاً وكراسي من الخشب مقاعدها مصنوعة من شبكة من الليف والخوص المجدول ، فيجلس عليها الناس والحجاج وخصوصاً التي كانت خارج البلد لا سيما في فترة الصيف، ويشربون بها الشاي ويسمونه «الشاهي» والقهوة والنرجيلة . (البتنوني ، ١٣٢٨هـ ، ١٣٠) .

كانت المقاهي في السنوات الماضية من الخدمات الضرورية ، وحرفة القهوجي كانت من الحرف المتداولة وزاولها العديد من الأسر المكية . وكان للمقاهي حسها التراثي ، ولها روادها ، وتختلف أنماطها من حيث الإعداد والتصميم . ومن تلك المقاهي التي كانت موجودة في مدينة مكة المكرمة ، المقاهي المنتشرة في أحياء : العزيزية ، المعابدة ، شعب علي، جرول، القشاشية ، شعب عامر ، الزاهر ، الفلق ، وغيرها .وقد يتبادر إلى الذهن أن كلمة « مقهى « أو الجلوس في المقاهي سيء، كقولهم في وقتنا الحاضر : (فلان رَدّ قهاوي) ، هذه الصورة السيئة وتلك العبارة وسواها لم تكن معروفة قبل نصف قرن من الزمان بهذا المفهوم ، ولكن في عصرنا الحاضر أصبح ينظر إليها من بعضهم بأنها مكان غير مرغوب بالجلوس فيه ، نظراً لما أفرزته من سلبيات عديدة ، وأضحت بؤراً للشر وارتكاب الرذائل وغدت مأوى للبطالة والمنحرفين من الشباب .

كانت المقاهي سابقاً شيئاً واراداً في حياة الناس ، فالزائر الخفيف أو من لديه موضوع يتعلق بأمر خاص وأعمال حياتية ، فليس أمامه سوى المقهى للجلوس فيه وتناول الشاهي فيه ، وتجاذب الحديث مع أصدقائه ومحبيه وإنجاز أعماله .

والشيخ طاهر جميل بغدادي شيخ طائفة دلالي العقار بمكة المكرمة وعمدة حي أجياد لسنوات طويلة تحدث عن المقاهي فقال : لقد كانت في مكة مقاهٍ خاصة ، معظمها عبارة عن مدرسة وملتقى علمي ، كما أن أصحاب الغناء الشعبي والأدباء الكبار وكذلك كان ناظمو الشعر يلتقون فيها، ومنهم أحمد السباعي وأحمد قنديل ، وحمزة شحاته ، وعزيز ضياء ، وطاهر زمخشري

، وعبدالغفور عطار ، ومحمد عمر توفيق... وغيرهم .

وبجانب هذه المقاهي الخاصة كانت هناك مقاهٍ عامة يرتادها عامة الناس من الصناع والعمال.

ومن أشهر المقاهي القديمة في أجياد مقاهي : البغدادي ، وعلي حسنين، وبكري العامودي ، والوزنة ، وسالم موسى ، وسيد سلمان فراج ، وصالح المصري ، وصالح مطر . وهناك مقاهٍ أخرى مشهورة في مكة قديماً منها قهوة الغزاوي بساحة إسلام في البيبان ، وقهوة كتوعة في جرول ، وقهوة معتوق بالزاهر ، وقهوة عثمان في العدل ، وقهوة الشربيني في حوض البقر «العزيزية حالياً» ، وقهوة الكنكار ، وقهوة أبو عيش ، وقهوة الباني بالمسفلة ، وقهوة المريعاني وقهوة الخدود بين سوق الليل والقشاشية ، وقهوة السندي بالفلق ، وقهوة نادي الوحدة في الرصيفة ، وقهوة اليماني بالمعابده ، وقهوة أبي سكر في البيبان بجرول ، وقهوة الشربتلي في أم الجود «الدود» ، وقهوة التوفيق في البيبان وغيرها من المقاهي المنتشرة في أحياء مكة وخاصة القديمة منها .

وهناك مقاهي خاصة بكبار السن والشيوخ مثل : قهوة علي حسنين وقهوة صالح المصري في أجياد ، بينما كانت هناك مقاهٍ خاصة للشباب مثل: قهوة العامودي وقهوة الوزنة .

في المقاهي كان الزبائن ينتشرون على كراسي شريط ، وهي جلسات مستطيلة الشكل ارتفاعها عن الأرض ١٢٠سم وطولها في الغالب ٢٢٠سم ، وعرض الكرسي ٨٠سم ، ولكرسي الشريط متكأ للظهر بارتفاع أكثر من ٥٠سم ، وجلستها مشدود عليها سعف نخيل مجدول وحبل ليفي (قُنبار) ، وتوزع الكراسي في المقهى فرادى ومزدوجة ويتبعها طرابيزات (طاولات) من الصاج أو الخشب لا تخرج غالباً عن اللون الأخضر أو الأزرق ، وبها أحياناً فتحات في أركانها لوضع آنية الماء المصنوعة من الفخار ، ويوضع على الطرابيزات صواني الشاهي وما فيها من براد وفناجين ووعاء للسكر. وعادة يكون ارتفاع هذه الطرابيزات في متناول يد الزبون . والشاهي في الغالب يقدم في براريد بأحجام مختلفة : أبو أربعة ، وأبو ستة ، وأبو ثمانية، وأبو اثني عشر ... وغير ذلك من المقاسات . وبعض المقاهي الموجودة في مكة المكرمة ، بعد العشاء وحلول وقت النوم ، كان على المباشرين بداخل المقهى إعداد الكراسي للرُقدية بوضع اللحف والبطاطين والوسائد (المخدات) لغرض النوم . وبعد شروق الشمس يقوم المباشرون بنشر الفرش بعد الاستخدام

ويعرضنها لأشعة الشمس وقت الضحى والظهيرة ، بغرض التعقيم والسلامة الصحية ، كذلك يقومون بتأمين عدد لا بأس به من أباريق الماء المصنوعة من مادة الفخار أو المعدن أو الألمونيوم، وذلك لغرض الوضوء أو قضاء الحاجة .

رصد الأستاذ فؤاد عبدالحميد عنقاوي في روايته (لا ظل تحت الجبل) مظاهر من الحياة في مكة المكرمة بين (١٣٣٠ – ١٣٧٠هـ) ، وهي رواية اجتماعية واقعية صدرت عام ١٣٩٩هـ ، حاول فيها مؤلفها أن يرسم لوحة من العادات والتقاليد التي تحكم المجتمع المكي في تلك الحقبة . ومن ضمن ما تناوله في هذه الرواية « المقاهي المكية « فهو يرى أن المقاهي هي المكان الوحيد بعد الحرم ، والذي يكون فيه لقاء الناس بعضهم ببعض ، ومن هنا فالمقاهي كانت تمثل معلماً مهماً من معالم الحياة المكية في تلك الحقبة من الزمن .

ويعرض علينا المؤلف قهوة « الشهداء « في مكة ، ورسم لنا طلبات الزبائن التي تتردد في أرجائها ، فيسمع المرء :» هات أربعة أسود هنا يا واد» . . « قوام يالكعي ثمانية أسود نعنشه « .. « ستة أسود وحلاه بره زي البرق يا واد « . وهكذا تتداخل الأصوات الصادرة من صاحب المقهى ، بأصوات الزبائن وتلتقي مع نهيق الحمير المزينة بالبرادع الملونة ، التي صبغت بعض شعورها بالحناء ، وقصت بقصات مبدعة ، تلك الحمير التي كانت تحمل رواد المقهى الذين توافدوا عليه من أرجاء مكة المكرمة . منهم من جاء للقاء الأصحاب ومنهم من جاء للاستمتاع بالشاي بعد يوم متعب ، والاستماع إلى شيخ طاعن في السن ويروي القصص عن أهالي مكة في القديم ، ويزين قصصه بالأشعار والأمثال الشعبية . (الشملان ، ١٤٢١هـ ، ٧٧٥) .

يلاحظ أن عدد المقاهي بمدينة مكة المكرمة في عصرنا الحاضر قد انخفض بشكل كبير ولم يعد لنا مكان إلا في بعض الأحياء الشعبية أو في ضواحي المدينة ، وبدء ينتشر بدلاً عنها العديد من الكازينوهات المكيفة والخاصة بالشباب والكبار ، والمجهزة بشكل راق وأنيق ويقدم فيها العديد من المشروبات الحارة كالقهوة بأنواعها والشاي المتعدد النكهات ، وكذلك المشروبات الغازية والعصيرات المتنوعة الباردة والتي تُعد من مختلف أنواع الفواكه الطازجة ، كما تشتمل بعض هذه الكازينوهات على أماكن للترفيه وعلى شبكة الإنترنت والقنوات الفضائية التي تبث برامجها الترفيهية والثقافية والإخبارية وغيرها من العديد من دول العالم .

الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ودورها الفاعل في تنشيط الحركة والحياة الاقتصادية وخدمة رجال التجارة والصناعة .

تمهيد:

تعتبر الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة أقدم الغرف التجارية بالمملكة العربية السعودية ، حيث تأسست عام ١٣٦٧هـ ، وتم تشكيل أول مجلس لإدارتها بموجب قرار مجلس الشورى رقم ٢٥٩ وتاريخ ١٣٦٧/١١/١٥هـ ، كما صدرت موافقة المقام السامي على إنشاء وتأسيس الغرفة بالأمر الكريم رقم ١٤٣٧ وتاريخ ١٣٦٨/١/٣٠هـ ، وقد أُقيم حفل افتتاح الغرفة مساء الجمعة ١٣٦٨/٢/١هـ ومنذ ذلك التاريخ والغرفة تمارس رسالتها بفعالية وتقوم بأداء دورها في خدمة منسوبيها من رجال التجارة والصناعة والعمل على تقدم وتطور المجتمع التجاري والصناعي بالعاصمة المقدسة.

كان أعضاء الدورة الأولى للغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ممن لهم ماض مجيد في التجارة والصناعة وهم الشيوخ : سراج عمر بوقري ، حسني قامة ، عبدالله باحمدين ، أحمد الجفالي ، محمد مصطفى عاشور ، محمد نور قطب ، سراج سعيد كعكي ، صبحي الأعمى ، إسماعيل عبدالله دهلوي ، محمود ملياني ، طه خياط ، وحسين جستنيه. وتكونت اللجنة التأسيسية الأولى من هؤلاء الأعضاء المختارين وعددهم ١٢ شخصاً ، بتاريخ ١٣٦٨/١/٢٠هـ ، ثم انتخب من بينهم الشيخ سراج عمر بوقري كرئيس للغرفة في دورتها الأولى وحاز الشيخ عبدالله محمد باحمدين منصب نائب الرئيس .

وهذا بيان عن السادة رؤساء الغرفة التجارية الصناعية بمكة منذ التأسيس وحتى الوقت الحاضر :

١. منذ تأسيس الغرفة في محرم ١٣٧١هـ الشيخ سراج عمر بوقري.

٢. من ٨/٢/١٣٧١ إلى ١٣٧٤هـ الشيخ سراج عمر بوقري.

٣. من ١٣٧٤ إلى ١٣٧٧هـ الشيخ سراج عمر بوقري .

٤. من ١٤/٣/١٣٧٧ إلى شهر ٤/١٣٨٠هـ الشيخ محمد جميل هارون دهلوي .

٥. من ١٣/٥/١٣٨٠ إلى شهر ٥/١٣٨٤هـ الشيخ سراج عمر بوقري .

٦. من ٢٢/٧/١٣٨٤ إلى ١٣٨٧هـ الشيخ محمد أحمد بوقري .

٧. من ٩/١٠/١٣٨٧ إلى ١٣٩٠هـ الشيخ محمد أحمد بوقري .

٨. من ١٤/١/١٣٩١ إلى شهر صفر ١٣٩٤هـ الشيخ محمد أحمد بوقري .

٩. من ٨/٢/١٣٩٤ إلى ١٣٩٧هـ الشيخ محمد أحمد بوقري.

١٠. من ٢٥/٧/١٣٩٧ إلى ١٤٠٠هـ الشيخ صالح محمد جمال.

١١. من ١/٨/١٤٠٠ إلى ١٤٠٤هـ الشيخ صالح محمد جمال.

١٢. من ١٤٠٤ إلى ١٤٠٨هـ الشيخ صالح محمد جمال.

١٣. من رجب ١٤٠٩ إلى ١٤١٤هـ الشيخ صالح محمد جمال والسيد فؤاد أمين حمدي .

١٤. من ١٤١٤ إلى ٣٠/٦/١٤١٧هـ الشيخ عبدالرحمن عبدالقادر فقيه.

١٥. من رمضان ١٤١٧هـ إلى الوقت الحاضر الشيخ عادل عبدالله كعكي .

مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة حالياً.

في عام ١٤٢٥هـ تم انتخاب وتشكيل المجلس الحالي لإدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة مكون من السادة:

١ .	عادل عبدالله كعكي	رئيساً
٢ .	محمد عبدالله عبدالصمد القرشي	عضواً
٣ .	عمر محمد باوزير	"
٤ .	محسن علي العميري	"
٥ .	عبدالجليل صالح كعكي	"
٦ .	طلال عبدالوهاب مرزا	"
٧ .	عصام حمزة بصنوي	"
٨ .	عبدالخالق بن داود	"
٩ .	عبدالله إبراهيم السقاط	"
١٠ .	هشام عبدالعزيز السيد	"
١١ .	نواف إبراهيم جوهرجي	"
١٢ .	د. محفوظ مرعي بن محفوظ	"

هذا ويتولى الأستاذ ياسر بن عبدالله أوان حالياً أمانة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة.

وإليك عزيزي القارئ نبذة مختصرة من السيرة الذاتية لكل رئيس من رؤساء مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة (منذ تأسيسها وإلى وقتنا الحاضر، مع إبراز أهم

إسهاماتهم كرجال أعمال في المجتمع المكي :

١ . سراج عمر بوقري .

ولد بمكة المكرمة عام ١٣١٦هـ ، رجل أعمال عمل في عدة مجالات ، منها استيراد وبيع الأقمشة والسجاجيد والمفارش وفي مجال تجارة الخردوات ومواد البناء وكان وكيلاً لعدد من الشركات الأجنبية ، شغل منصب شيخ التجار عام ١٣٦٦هـ ، واختير ضمن المجلس التأسيسي الأول للغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة عام ١٣٦٨هـ وتم انتخابه كأول رئيس لمجلس الإدارة للغرفة ، وظل في خدمة الغرفة لخمس دورات متتالية ، وفي نهاية الدورة الخامسة عام ١٣٨٤هـ ، رأس خلالها المجلس أربع دورات وهي الدورة الأولى الثانية والثالثة من عام ١٣٦٨هـ وحتى عام ١٣٨٤هـ ، ساهم مع آخرين من تجار مكة في بناء المقر الأول للغرفة التجارية ، توفي رحمه الله في شهر صفر عام١٤٠٢هـ .

٢ . محمد جميل هارون دهلوي .

رجل أعمال ، ولد بمكة المكرمة عام ١٣٣٤هـ ، تلقى تعليمه في مدارس الفلاح ، وكان يجيد اللغة الإنجليزية مما ساعده كثيراً في أعماله التجارية وحصوله على العديد من الوكالات الأجنبية ، فقد كان وكيلاً لكل من شركة انجليش الكتريك وشركة موري ريتشارد وشركة من بريطانيا ، وشركة طومسون الفرنسية للتلفزيونات والأجهزة الكهربائية ، وفي عام ١٩٥٥م بدأ تعامله مع اليابان وأصبح وكيلاً لشركة ناشيونال للأجهزة الكهربائية ، انضم إلى عضوية مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة في دورتها الثانية عام ١٣٧١هـ وظل في خدمة الغرفة أربع دورات متتالية حتى نهاية الدورة الخامسة في عام ١٣٨٤هـ ، ترأس مجلس الإدارة في دورته الرابعة (١٣٧٧-١٣٨٠) توفي رحمه الله في ١٣٨٦/٦/٢٠هـ بمكة المكرمة .

٣ . محمد أحمد بوقري .

رجل أعمال ولد بمكة المكرمة بحي المسفلة عام ١٣٣٣هـ ، بدأ ممارسة العمل التجاري عام ١٩٣٢م مع والده الشيخ أحمد علي بوقري ، الذي كان يدير أعمال العائلة ويساعده في ذلك الشيخ سراج بوقري ، وفي عام ١٩٣٤م أصبح هو المسئول الأول عن إدارة أعمال العائلة ، ثم

بدأ أعماله الخاصة ، فأسس أول مصنع للبلاستيك في المملكة عام ١٩٦٢م. وبعد ثلاث سنوات أي في عام ١٩٦٥م ، أسس مصنع السجاد العربي السعودي، وهو أول مصنع للسجاد في المملكة . وكانت له إسهامات في الأعمال التأسيسية للغرفة منذ أن كانت فكرة ، وانضم إلى عضوية مجلس إدارة غرفة مكة المكرمة في دورتها السادسة التي بدأت عام ١٣٨٤هـ وانتخب رئيساً لمجلس إدارتها ، وظل كذلك حتى نهاية الدورة التاسعة في عام ١٣٩٧هـ ، واستمر يقدم خدماته للغرفة من خلال عضوية مجلس الإدارة حتى نهاية الدورة الحادية عشرة التي انتهت في عام ١٤٠٤هـ.

٤ . صالح محمد جمال .

صحفي وأديب ورجل أعمال ومطوف ، ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣٨هـ ، عمل في عدة جهات في القطاع الحكومي ، ومارس العمل الحر ، فأسس مكتبة الثقافة عام ١٣٦٤هـ ثم صحيفة حراء عام ١٣٧٦هـ ثم الندوة بعد دمجها مع حراء ، وأسس كذلك دار الثقافة للطباعة عام ١٣٧٧هـ ، انضم إلى عضوية مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة أول مرة في دورتها الخامسة عام ١٣٨٠هـ ، وظل يقدم خدماته للغرفة حتى توفاه الله ، اختير مشرفاً على مجلة التجارة والصناعة التي تصدرها الغرفة ، منذ إصدارها في عام ١٣٨٥هـ ثم رئيساً لتحريرها وانتخب أميناً عاماً للغرفة التجارية في الفترة من ١٣٨٤ وحتى ١٣٩٧هـ ، ثم انتخب رئيساً للغرفة لأربع دورات متتالية بدءاً من الدورة العاشرة التي بدأت عام ١٣٩٧هـ وحتى وفاته خلال الدورة الثالثة عشرة في عام ١٤١١هـ ، توفي يرحمه الله بمكة المكرمة على إثر حادث مروري على طريق جدة – مكة السريع يوم السبت ١٤١١/١١/٢٥هـ.

٥ . فؤاد أمين حمدي .

رجل أعمال وأديب ومطوف ، ولد في مكة المكرمة في ١٣٥٠/٥/١٥هـ بدأ حياته العملية كاتباً بالشعبة الدينية بمديرية الحج ، ثم انتقل إلى إدارة المحاسبة العامة للبرق والبريد كما مارس وظائف حكومية أخرى ، ثم تفرغ في عام ١٣٧٦هـ للعمل الحر ، ومارس العديد من النشاطات التجارية فأسس شركة مكة التجارية المحدودة عام ١٣٧٦هـ ، ثم شركة الامتياز للتجارة

والصناعة في عام ١٣٩٢هـ ، انضم إلى عضوية مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة لأول مرة في دورتها السادسة ١٣٨٤ – ١٣٨٧هـ ، وانقطع بعد ذلك ليعود إلى العضوية في الدورة العاشرة (١٣٩٧ – ١٤٠٠هـ) ، التي تم فيها انتخابه أميناً عاماً للغرفة وظل يقدم خدماته للغرفة حتى عام ١٤١٢هـ ، شغل منصب نائب الرئيس للغرفة خلال الدورتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، ورأس مجلس الإدارة بعد وفاة الشيخ صالح محمد جمال في الدورة الثالثة عشرة ، وذلك خلال الفترة من ١٤١٢/١/١هـ وحتى نهاية الدورة في منتصف عام ١٤١٣هـ .

٦ . عبدالرحمن عبدالقادر فقيه .

رجل أعمال ولد في مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ ، وتلقى تعليمه فيها مارس استيراد وتجارة المواد الغذائية مع والده في بداية حياته العملية ، ثم أسس مزارع فقيه للدواجن عام ١٣٨٣هـ ، وأسس كذلك سلسلة مطاعم الطازج ، ومجموعة فقيه للمشاريع السياحية ، ومركز فقيه للأبحاث والتطوير ، وهو مؤسس ورئيس مجلس إدارة وعضو منتدب لشركة مكة للإنشاء والتعمير ، وله العديد من الإسهامات الاجتماعية والأعمال الخيرية المتعددة.

انضم إلى عضوية مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة في دورتها الرابعة عام ١٣٧٧هـ ، واستمر يقدم خدماته للغرفة حتى عام ١٤٠٤هـ ، وعاد إلى عضوية مجلس إدارة الغرفة في دورتها الرابعة عشرة (١٤١٣ – ١٤١٧هـ) وهي الدورة التي انتخب فيها رئيساً لمجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة.

٧ . عادل عبدالله أحمد كعكي .

رجل أعمال ، من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٧١هـ ، تلقى تعليمه الجامعي في بريطانيا في تخصص إدارة الأعمال ، مارس أعماله في المجال التجاري والصناعي والمقاولات والاستثمار العقاري ، فهو صاحب شركة صناعات الكعكي للصناعة والتجارة ، وكذلك مؤسسة عادل عبدالله مكي للمقاولات المعمارية ، ورئيس مجلس المديرين بشركة المشاعر للتغذية ، وشيخ طائفة الفرانة بمكة المكرمة ، كما أنه عضو في مجلس منطقة مكة المكرمة حالياً وكذلك عضو لجنة التنمية الاقتصادية لمجلس المنطقة والمجلس الفرعي لجمعية مراكز الأحياء بمكة المكرمة ، كما شغل

نائب رئيس مجلس إدارة الغرفة التجارية الصناعية عام (١٤١٣-١٤١٧هـ) ثم منصب رئيس مجلس الإدارة في الدورة من عام ١٤١٧هـ وحتى وقتنا الحاضر .

أبرز أعضاء مجلس الإدارة للغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة منذ إنشائها وحتى ١٤٢٥هـ ، هم التجار والصناع ورجال الأعمال الأساتذة والشيوخ التالية أسماؤهم وقد ذكرت حسب الترتيب الهجائي :

أحمد إسماعيل هارون دهلوي ، أحمد بقشان ، أحمد صديق درويش جستنية ، أحمد عبدالله الجفالي ، إبراهيم سليمان النوري ، إبراهيم عبدالله الجفالي ، إسماعيل عبدالله دهلوي ، إسماعيل هارون دهلوي ، بسام محمد البسام ، بشير الدين شودري ، بشير عداس ، بكري أحمد عبدالجبار ، ثامر عبدالقادر نصير ، جعفر عبدالحميد داغستاني ، جميل صالح ملائكة ، جميل عبدالرحمن خوقير ، حسن داغستاني ، حسين عبدالرحمن عطار ، حسين محمد سعيد جستنية ، حمزة محمد صالح عجاج ، خليل حسن عبدالكريم رفيع ، سراج سعيد كعكي ، سراج عمر بوقري ، سعد فرحان اليماني ، سعيد صالح بن محفوظ ، صالح عيسى بوقري ، صالح محمد جمال ، صبحي سليم الأعمى ، طارق عثمان الفقي ، طلال عبدالرحمن فقيه ، طلال عبدالوهاب مرزا ، طه ياسين خياط ، عبدالباري صالح بوقري ، عبدالجليل صالح كعكي ، عبدالخالق بن داود، عبدالرحمن عبدالقادر فقيه ، عبدالرحيم سراج بوقري ، عبدالرزاق صالح بوقري ، عبدالعزيز محمد كعكي ، عبدالله إبراهيم السقاط ، عبدالله أحمد كعكي ، عبدالله بكر تونسي ، عبدالله حسن القرشي، عبدالله طه بخش ، عبدالله عبدالغفور تجار الشاهي ، عبدالله محمد باحمدين ، عبدالله محمد غنام ، عدنان محمد عطا إلياس ، عصام حمزة بصنوي ، علي الصالح المتروك ، عمر محمد باقبص ، عمر محمد باوزير ، فايز جميل زقزوق ، فايز صالح جمال ، فؤاد أمين حمدي ، فيصل محمد بدر ، محمد جميل هارون دهلوي ، محمد حسن قامة ، محمد حسين جستنيه ، محمد صادق سراج طيب ، محمد صادق مجددي ، محمد عبدالعزيز الوزان ، محمد عبدالله عبدالصمد ، محمد علي حسن فارسي ، محمد فائق بكري الصواف ، محمد محمد صفي الدين السنوسي ، محمد مصطفى عاشور ، محمد

نور تاج قطب ، محمود محمد مليا ني ، محسن علي العميري ، محفوظ بن مرعي بن محفوظ ، مراد محمد مراد، مرعي مبارك بن محفوظ ، مشعل سرور الزايدي ، نبيل محمد سعيد قطب ، نواف إبراهيم جواهرجي ، هشام عبدالعزيز السيد ، وليد المحمد النويصر ، ياسين طه خياط، يحيى حمزة كوشك.

أهداف إنشاء الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة .

لقد أنشئت الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة لتحقيق العديد من الأهداف أهمها مايلي:

- حماية رجال الأعمال والتجار والصناع من الغش التجاري والمحافظة على حقوقهم .
- حلقة وصل بين الجهات الحكومية ومنسوبيها بإبلاغهم بالأنظمة والقرارات والتعليمات.
- فض المنازعات التجارية والصناعية بطرق التحكيم بشكل ودي .
- تذليل كافة العقبات التي تواجه التجار والصناع .
- إقامة الندوات واللقاءات التي تهدف إلى إثراء المعلومات التجارية والصناعية .
- إقامة المعارض والأسواق والمراكز التدريبية والمعاهد .
- إقامة المؤتمرات الدولية والمحلية .
- إعداد برنامج إرسال واستقبال الوفود التجارية والصناعية .
- تزويد رجال الأعمال بفرص الاستثمار المتاحة بمكة المكرمة وإجراء دراسات عنها.
- إنشاء مركز معلومات يخدم كافة المنتسبين .
- عمل الكتيبات والأدلة التي يحتاجها المنتسبون .
- تقديم الاستشارات القانونية وإعداد العقود .
- التواصل مع المنتسبين من خلال مجلة التجارة والصناعة .

وعن دور الغرفة التجارية الصناعية في الحياة الاقتصادية بمكة المكرمة أكد الأستاذ عبدالله عبدالغفور تجار الشاهي الأمين العام للغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ، أكد أن للغرفة

دوراً تنموياً مؤثراً وفعالاً في الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة وأنها بيت التاجر والصانع وملاذهما في كثير من التعاملات التجارية ، وهي أيضاً حلقة الوصل بين أعضائها التجار والصناع وبين الجهات الرسمية ، إضافة إلى ما تقوم به من نشاطات حيوية مختلفة تصب كلها في مصلحة التاجر أياً كان نشاطه من خلال إقامة المعارض التسويقية وتدريب الشباب السعودي تدعيماً وتفعيلاً لحتمية المنهج الاستراتيجي الوطني نحو السعودة بمواءمة كفاءة الشباب السعودي التدريبية لمتطلبات ونوعيات أسواق العمل . وأشار أيضاً إلى أن للغرفة دوراً كبيراً في حل مشاكل القضايا التجارية وعقد اللقاءات والندوات التعريفية المنشطة للحركة التجارية وإتاحة المعلومات اللازمة لتيسير نشاطاتهم الاقتصادية والإعلام عنها . وأيضاً تقدم الغرفة للتاجر والصانع كافة الاستشارات والنصائح في أي مشروع اقتصادي يرغب في الإقدام عليه حتى يحقق النجاح المطلوب وبالتالي يدفع بالعملية الاقتصادية قدماً إلى الأمام .

إدارات الغرفة :

وتضم الغرفة عدة إدارات هامة في وقتنا الحاضر أهمها مايلي :

١ - إدارة الانتساب وعلاقات المشتركين :

التي تعني بتسهيل عملية الاشتراك في عضوية الغرفة والتصديق على المستندات الخاصة بالمنتسبين .

٢ - الإدارة التجارية والصناعية :

تتولى تقديم أفضل الخدمات المتعلقة بالتجار والصناع وتقديم المعلومات والاستشارات اللازمة لهم ، كما تقوم بإصدار تصاريح التخفيضات والمسابقات التي يقومون بها ، وهي حلقة وصل بين القطاع الحكومي والخاص عن طريق إيصال التعاميم والتعليمات والأنظمة والقرارات الواردة لها من الجهات الحكومية ذات العلاقة .

٣ - الإدارة القانونية ومكتب الاحتجاج :

تتولى هذه الإدارة حل الخلافات التجارية التي قد تطرأ بين التجار بعضهم مع بعض وكذلك

بين الشركات والمؤسسات السعودية والأجنبية وأطراف التعامل التجاري أو الصناعي وذلك على مبدأ التوفيق بالطرق الودية أو التحكيم طبقاً للأنظمة المعمول بها بالتعاون مع الملحقين التجاريين والغرف التجارية الأخرى. وتقوم بتقديم الاستشارات التجارية القانونية في مختلف المعاملات التجارية لمنتسبيها وللقطاع الخاص .

٤ – وحدات الحاسب الآلي والمعلومات :

وعليها مسئولية بناء العديد من قواعد المعلومات التي تخدم الغرفة ومنسوبيها . ويتم تحديث البيانات بصفة دورية باستخدام التقنيات الحديثة في حفظها واسترجاعها ، وهي أول غرفة سعودية دشنت موقعاً لها على شبكة الإنترنت.

٥ – الشؤون الإدارية :

حلقة الاتصال بين سائر إدارات الغرفة داخلياً وبين الغرفة وسائر الجهات الخارجية المعنية ، بالأسس والنظم الإدارية الحديثة .

٦ – الإدارة المالية :

وهي الجهة المعنية بشئون حسابات الغرفة وعمل الميزانية العمومية والتقديرية وإعداد المؤشرات.

٧ – مجلة التجارة والصناعة :

المطبوعة الاقتصادية الشهرية التي تعنى بالقطاع الخاص وتعمل على نشر كل ما يهم رجال الأعمال من موضوعات وتقارير ومقابلات وندوات ومعارض وتعاميم ودراسات متخصصة وبحوث اقتصادية .

٨ – إدارة المعارض :

تعنى بإقامة المعارض الداخلية وتنظيم المشاركة في المعارض الداخلية والخارجية لتشجيع وحماية الصناعات الوطنية .

٩ – الممتلكات والمشتريات :

تعنى بممتلكات الغرفة الثابتة والمتحركة والمنقولة وكذلك مشترياتها لتأمين الاحتياجات

اللازمة .

١٠- إدارة البحوث والتدريب :

أنشأت الغرفة (مركز مكة المكرمة للتدريب والبحوث) بهدف تنمية الموارد البشرية الوطنية بالقطاع الخاص. ويعتبر أحد نشاطات الغرفة في مجال التدريب والأبحاث التي تعنى بشرائح القطاع الخاص كما استحدث مركز للتوظيف .

١١ - إدارة العلاقات العامة :

الجهاز البرتوكولي المنظم لنشاطات الغرفة في مناسباتها واحتفالاتها ولقاءاتها الاقتصادية والاجتماعية الداخلية والخارجية بصورة تليق بمكانة الغرفة الحضارية المشرفة . وهي الاتصال الديناميكي الفعال على المستويين الخارجي والداخلي لتوثيق العلاقة .

رواد مكة المكرمة في عالم التجارة والصناعة .

استعراضاً لأحداث أول نشأة للأنشطة التجارية والصناعية في مكة المكرمة ، نتوقف عند محطات عديدة ، من تلك المحطات نجد ظهور تجارة العطور التي ولدت بمكة المكرمة ، حيث يعتبر أول محل لبيع العطور هو محل القزاز الذي كان موقعة (باب الزيادة) بسوق سويقة مكة المكرمة .

وخاض رجال أعمال مكة المكرمة دروب التجارة والصناعة وكان لهم السبق في تأسيس أول المصانع حيث شهدت صناعة الثلج تطوراً كبيراً بعد إنشاء أول مصنع لصناعة الثلج عام ١٣٣٨هـ ، بمحلة السليمانية بجوار مقبرة المعلاة والذي أسسه الشيخ نسيم الشافعي ثم اشتراه منه الشيخ عبدالله باحمدين .

وظهرت أيضاً تجارة بعض المواد التي لم تكن معروفة من قبل مثل علب اللبن المجفف والسمن الصناعي المعد في الصفائح والعلب في عام ١٣٥٠هـ السلع والكماليات وانتشارها في عام ١٣٦١هـ ، وذلك بسبب تعدد الحرف والأنشطة المختلفة ، وساعد ذلك الاستيراد من الخارج حيث يعتبر الشيخ هاشم إبراهيم ناقرو بمكة المكرمة من أوائل المستوردين للساعات من الخارج . ويعتبر الشيخ أحمد فاسي أيضاً أول من استورد منجرة آلية من خارج المملكة العربية

السعودية في عام ١٣٥٨هـ .

تم الحصول على هذه المعلومات من قيادات الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة بعد إجراء عدة مقابلات شخصية معهم .

أما الشيخ عبدالله كعكي ، يرحمه الله ، فهو أول من أسس مصنعاً لصناعة الحلوى ، والذي كان موقعه بمحلة المسفلة بمكة المكرمة عام ١٣٦٥هـ ، حيث شارك بإنتاج المصنع في معرض دمشق الدولي الذي أقيم في عام ١٣٧٥هـ وحصل على الميدالية الذهبية .

أما صناعة المنتجات الحديدية الخفيفة فقد سبق لها الشيخ حسين محمد سعيد جستنية ، يرحمه الله ، حيث أسس أول مصنع لمنتجات الحديد الخفيفة عام ١٣٧٣هـ بمنطقة جرول بمكة المكرمة مجهز بأحدث الماكينات والآلات الضخمة وأطلق عليه اسم (مصنع الحجاز للصاج) ليكون أول مصنع من نوعه ينشأ في المملكة العربية السعودية .

وقد قام الشيخ أحمد بوقري بإنشاء أول مصنع في بلادنا للبلاستيك عام ١٣٨٢هـ والذي يقع بمنطقة الشهداء بمكة المكرمة .

كما يعتبر مصنع باوزير للحفائظ الذي أقيم عام ١٣٩٢هـ ومقره العمرة شمال مكة المكرمة هو أول مصنع ينشأ بالمملكة العربية السعودية لهذه الصناعة .

وتوالى إنشاء المصانع وانتشارها على مدى أقاليم ومدن بلادنا والتوسع فيها وازدهرت أوجه النشاط التجاري لما شهدته المملكة العربية السعودية من ازدهار ورقي شامل بمختلف الميادين وعلى كافة الأصعدة ، ويبقى لأهل مكة المكرمة وروادها السبق في نشأة التجارة والصناعة وبيوت المال .

أوائل السجلات التجارية بغرفة مكة المكرمة .

بمنظور تاريخي يعد عام ١٣٧٦هـ عاماً حافلاً بالإثارة والنشاط ذلك لأنه عام انطلاقة صدور أوائل السجلات التجارية التي تم استخراجها لمختلف الأنشطة التجارية بمكة المكرمة ، وعندها بدأ ازدهار النشاط التجاري وتطورت الحركة الاقتصادية بأم القرى في العهد السعودي الزاهي الزاهر لتبدأ معها أيضاً رحلة سلسلة صدور السجلات التجارية للمؤسسات

والشركات ومختلف المحلات التجارية التي تصاعدت أرقام صدورها وتعدت آلافاً من الأرقام حتى وقتنا الحاضر .

وهنا نستعرض سوياً أوائل سلسلة تلك السجلات التجارية التي استخرجت من فرع وزارة التجارة بمكة المكرمة والتي شهدت انطلاقها في ذلك العام الهجري وكان أول هذه السجلات قد صدر باسم محلات «الرفه» لصاحبها المرحوم الشيخ محمد يحيى عبدالرحمن رفه ، وبرقم السجل (١) بتاريخ ١٣٧٦/٦/٩هـ كمؤسسة فردية يختص نشاطها في بيع الساعات وتوابعها بأنواعها وخردوات السيدات والعطور والروائح وأدوية جملة وموبيليات حديد وخشب .. والتي موقعها عمارة المشروع بالمروة بمكة المكرمة .. وقد استمر نشاط المؤسسة حتى تم شطب السجل التجاري من قبل وزارة التجارة بفرعها بمكة المكرمة في عام ١٤١١هـ نظراً لوفـاة صاحبه .

تلا ذلك السجل الأول صدور السجل الثاني باسم مؤسسة «التوريدات العامة» لصاحبها فيض الله مرغلاني، كمؤسسة فردية أيضاً بتاريخ ١٣٧٦/٨/٢٥هـ وموقعها شارع فيصل بمكة المكرمة تختص ببيع جميع الأدوات الكهربائية وبعض مكائن الخياطة وأدواتها وبعض الكماليات ودام الأمر حتى ١٣٩١/٩/٦هـ ثم شطب السجل التجاري بسبب تقبيل المحل إلى السـيد محـمـد عارف .

أما ثالث هذه السجلات التجارية التي صدرت بمكة المكرمة المكرمة فكان من نصيب مؤسسة « عبدالحكيم طاشكندي « كمؤسسة فردية بتاريخ ١٣٧٦/٨/٢٩هـ « التوريدات العمومي « وموقعها شارع الأشراف بمحلة أجياد .. وبعد اثني عشر عاماً من صدور السجل تم شطبه في تاريخ ١٣٨٨/١/٢٣هـ نظراً لوفاة صاحب المحل وطلب الوصي الشرعي شطب السجل .

كما أخذت مؤسسة « يحيى ذاكر خوجة « التي يختص نشاطها التجاري بالتوريدات العمومي الترتيب الرابع من صدور السجلات التجارية بمكة المكرمة والذي صدر بتاريخ ١٣٧٦/٨/١٩هـ والكائن موقعها بسوق المدعى عمارة الأمير عبدالله الفيصل بمكة المكرمة والذي استمر أيضاً لمدة اثني عشر عاماً .. وتم شطب السجل التجاري لوفاة صاحبه وطلب ابنه الوريث شطب

السجل التجاري .

أما خامس إصدارات هذه السجلات فقد كان باسم محل «محمد حسن مكناتي» كمؤسسة فردية صدر بتاريخ ١٣٧٦/٩/٥هـ وتختص في تجارة أدوات ماكنات ومفاتيح السيارات وآلاتها الميكانيكية بالتجزئة ، وانتهت صلاحيته بتاريخ ١٣٨١/٩/٥هـ وموقعها حارة الباب أمام مسجد خالد بن الوليد بمكة المكرمة .

وكان سادس تلك السجلات باسم محل «محمود عبدالغني عبدالرحمن صباغ» بتاريخ ١٣٧٦/٩/٥هـ لبيع السبح والخردوات والصرافة بمحلة أجياد بمكة المكرمة ومن ثم تم شطب السجل نظراً لوفاة صاحبه وتحويل المحل التجاري من مؤسسة فردية إلى شركة مع بقاء النشاط التجاري لما كان عليه .

أما صدور السجل التجاري الذي يحمل رقم سبعة فكان يحمل اسم محل « يحيى فاضل خوقندي » للتجارة بتاريخ ١٣٧٦/٩/٥هـ كمؤسسة فردية لتجارة الملابس الجاهزة والأقمشة بالتجزئة وموقعها عمارة الجفالي بالغزة بمكة المكرمة واستمر نشاطه حتى تاريخ انتهاء صلاحية السجل التجاري بتاريخ ١٣٨١/٩/٥هـ.

وتلا ذلك الصدور استخراج السجل التجاري رقم ثمانية باسم «مكتب منشي التجاري للاستيراد » لصاحبة سليمان مصطفى منشى بتاريخ ١٣٧٦/٩/٩هـ كمؤسسة فردية أيضاً تختص بتوريد الأدوات الكتابية والخردوات والواقعة بعمارة المشروع بسوق المدعى بمكة المكرمة حتى تم شطب السجل التجاري بسبب بيع المحل.

وكان الرقم (٩) من سلسلة صدور السجلات التجارية الأوائل بمكة المكرمة من نصيب شركة « محمد وعبدالله روزي الحوتاني وشركائهم» ونوع السجل شركة توصية بسيطة بتاريخ الصدور في ١٣٧٦/٩/١١هـ والتي كان يختص نشاطها التجاري في تجارة الأحذية والملابس الجاهزة وهدايا الحجاج والاستيراد ، والكمسيون والواقعة بعمارة الرواس بالمدعى بمكة المكرمة حتى تم إلغاء السجل التجاري للشركة بتاريخ ١٣٩٦/٢/٢٣هـ بناءً على خطاب من إدارة الشركة مقدم لفرع وزارة التجارة بمكة المكرمة بطلب شطب السجل .

أما عاشر السجلات التجارية فقد كان يحمل اسم « مؤسسة عبداللطيف عطية « كمؤسسة فردية بتاريخ ١٣٧٦/٩/١١هـ لتوريد الخردوات العامة والكائنة بعمارة المشروع بمكة المكرمة والذي استمر صلاحية السجل التجاري حتى تاريخ ١٣٩٢/٦/٢٨هـ ومن ثم شطبه بناءً على طلب صاحب المحل . « تقارير صادره من الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة « .

ومنذ تلك الانطلاقة التي شهدها عام ١٣٧٦هـ لاستخراج السجلات التجارية بمكة المكرمة توسع النشاط الاقتصادي وتعددت السجلات التجارية بمكة المكرمة في زمننا الحاضر لتصبح بالآلاف وفي مختلف أنواع التجارة والصناعة والأنشطة والخدمات على امتداد مسيرة نصف قرن من الزمان .

هذه قائمة لبعض أبرز رجال الأعمال في مجال التجارة والصناعة والخدمات والمقاولات وغيرها في الوقت الراهن ، والذين استخرجت وجددت لهم سجلات تجارية مؤخراً ومنهم من يحمل سجلات تجارية منذ زمن بعيد ، كما أن بعضهم كان آباؤهم من رجال الأعمال البارزين في المجتمع المكي ، ولقد تم الحصول على هذه القائمة من الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة وبموافقة أمين الغرفة الأستاذ/ عبدالله عبدالغفور تجار الشاهي ، رحمه الله ، وقد قمنا بترتيب هذه الأسماء ترتيباً هجائياً على النحو التالي :

إبراهيم حسين جستنيه ، إبراهيم دخيل الله الحليس ، إبراهيم عبدالرؤوف أمجد ، إبراهيم فضل الرحمن القرشي ، إبراهيم محمد صالح زمزمي ، إبراهيم مصطفى سابق ، أبناء حسن وصالح نوري ، أبوبكر عبدالرحمن العمودي ، إحسان عبدالصمد فضل الرحمن القرشي ، أحمد إبراهيم يوسف بدر ، أحمد جميل أحمد زقزوق ، أحمد سعيد محمد ناجي ، أحمد عباس زيني متوكل ، أحمد عبدالرحمن ريس ، أحمد عياض أحمد الغامدي ، أحمد محمد أسلم باسنبل ، أحمد محمد سعيد نصار ، أحمد محمد عمر بامعروف ، أحمد محمود أحمد مغربي ، أحمد هارون فلمبان ، أحمد كمال فارسي ، أحمد هاشم بدر وهبو بدر ، اسامة عبدالجليل فرغلي ، أسعد سعيد علي محضر، أسعد علوي تونسي ، إسماعيل حسن أحمد البشارة ، إسماعيل محمد صديق ميمني ، أمجد حسين أحمد حلمي ، أمين عمر جاد ، أنس صالح

صيرفي ، بسام محمد البسام ، بسام محمد عبدالحميد بخش ، بشير عبدالحميد بشير دهلوي ، بكر عباس برناوي ، بكر عباس بكر نتو ، بكر عبدالغني علي الصائغ ، بندر سالم الجابري ، بندر فهد الفهيد ، تركي أحمد هاشم بدر ، ثامر عبدالقادر نصير ، جمال أسعد تونسي ، جميل عبدالله طلاقي ، حسن أحمد علي مطهر ، حسن محمد حسن الطس ، حسن محمد حسن بخاري ، حسين بكري قزاز ، حسين حسن حسين أبو زبيبه ، حسين سراج حسين فوال ، حمزة أمين حسن ملا ، حمزة محمد حمزة شبانه ، خالد عبدالرحمن السليماني ، خالد معتوق عبدالله صعيدي ، خليل عبدالرحمن بهادر ، رشاد إبراهيم زمزمي ، رضوان عبدالغني علي الصائغ ، زاهر قضيب ألبان ، زكريا إلياس عطرجي ، زهير حسين غنيم ، زهير عبدالله عمر أكبر ، زهير يحيى إسماعيل حابس ، زياد صالح نوري ، زياد محمد جمال فارسي ، زياد أحمد زيدان ، زيني محمد عارف زينول ، سالم بكر العمودي ، سالم حسين عبدالله الجفري ، سالم سعيد بكر باقبص ، سالم صالح بن قبوس ، سالم عبدالرحمن باوزير ، سالم على الهيج ، سامي إسماعيل دهلوي ، سامي خالد الديري ، سامي ظفر عطرجي القرشي ، سامي يحيى معبر ، سراج طه خياط ، سراج محمد أبو عيش ، سعد جميل علوي القرشي ، سعد عتيق الله السريحي ، سعد محمد الصائغ ، سعيد أحمد محمد أبو الخير ، سعيد عمر سعيد سريحي ، سليمان جنة على خياط ، عمر أحمد عمر عصلوب ، سمير هارون فلمبان ، شامان معيوف الخالدي ، منصور صالح أبو رياش ، صالح أحمد عبدالواحد حلبي ، صالح جمال زمزمي ، صالح هاشم بدر وهبو بدر ، طارق عبدالرحمن عبدالقادر فقيه ، طارق عبيد الله نجمي ، طريف عبيد الله نجمي ، طلال رجب الصائغ ، طلال صديق سيف الدين ، طلال عبدالرحمن فقيه ، طلال عبدالوهاب مرزا ، طلال يحيى حسن طلاقي ، طلعت علي سابق ، عادل عبدالله أحمد كعكي، عادل محمد نور غباشي ، عبادي محمد عثمان خفاجي ، عبدالإله عبدالقادر محمد سيت ، عبدالجليل صالح كعكي ، عبدالحميد بشير دهلوي، عبدالحميد محمد قطان، عبدالخالق بن داوود إبراهيم البلوشي ، عبدالرحمن عبدالقادر فقيه، عبدالرحمن محمد وزان ، عبدالرحمن محمود صباغ ، عبدالرحمن هاشم عبدالرحمن شلي ، عبدالرحيم

سراج بوقري ، عبدالعزيز عبدالله إبراهيم القاسم ، عبدالقادر أحمد نصير ، عبداللطيف صديق سيف الدين ، عبدالله محمد باحمدين ، عبدالله محمد ريس ، عبدالله محمد صالح باشراحيل ، عبدالله معتوق عبدالله صعيدي ، عبدالله ياسين زيتوني ، عبدالواحد سيف الدين ، عبدالرحمن محمود عبدالغني صباغ ، عبدالستار محمود عبدالغني صباغ ، عبدالعزيز سليمان محمد الصبيعي ، عبدالعزيز محمد سندي ، عبدالقادر عبدالرحمن فقيه ، عبدالله إبراهيم محمد السقاط ، عبدالله بكر علوي تونسي ، عبدالله سليمان محمد المشاط ، عبدالله محمد عمر الجروشي ، عبدالله مرعي مبارك بن محفوظ ، عبدالمجيد عبدالرحمن نور ولي ، عبدالرحمن محمد خوقير ، عدنان أحمد جعفر مساوي ، عدنان حسن عابد ، عدنان سليمان محمد بلغنيم ، عدنان غازي أبو عرفة ، عدنان البنيان ، عصام أحمد سعيد ناجي ، عدنان محمد نور قطب ،عدلي أحمد بوشه ، عصام أمين خداوردي ، عصام حمزة محمد بصنوي ، عصام خليل إبراهيم طلاقي ، عصام صديق أمين سيف الدين ، علوي أسعد علوي تونسي ، عماد إبراهيم محمد زمزمي ، عماد حسن نوري ، عمر حسن فدعق ، عمر عبدالله العمر المقرن ، عمر محمد عبدالقادر سنان ، عمر محمد عثمان خفاجي ، عمر محمد عمر باوزير ، عواض مبارك الفهمي ، عوض عايض الجعيد ، غازي عبدالمجيد الصائغ، غازي محمد مسعود الحربي ، فؤاد إبراهيم محمد زمزمي ، فؤاد سالم بن محفوظ ، فؤاد عبدالحميد عالم ، فؤاد عمر إبراهيم أزهر ، فؤاد فايز زقزوق ، فايز جميل أحمد زقزوق ، فايز صالح جمال ، فايز عبدالرحمن كنساره ، فايز مصطفى دمياطي ، فايق محمد مصطفى بياري ، فهد محمد عبدالرحمن الصانع ، فيصل عبدالله مصلي ، فيصل محمد بن وقيد اللهيبي، فيصل محمد محمود بدر ، فيصل معتوق عبدالله صعيدي ، كامل عبدالمجيد مرزا ، مجدي أحمد عبدالرحمن ريس ، محسن علي العميري، محفوظ مرعي مبارك بن محفوظ ، محمد أحمد أحمد باقادر ، محمد حسن حسين أبو زبيبه ، محمد حسين السقاف ، محمد حسين جستنيه، محمد خليل حسن الرفيع ، محمد رجب أمين سمكري ، محمد رشاد أمين ، محمد سراج أبو عيش ، محمد سعود إبراهيم السقاط ، محمد سعيد بكر باقبص ، محمد سليمان

حمد المحسيني ، محمد صالح مؤمنة ، محمد عارف أحمد كنساره ، محمد عبدالله عجاج ، محمد عبدالله كعكي ، محمد عبدالقادر عبدالله العيدروس ، محمد عبدالقادر محمد سيت ، محمد عثمان القصبي ، محمد علي حسن فارسي ، محمد فالح البركاتي ، محمد فلحان فلاح العتيبي ، محمد محمد صفي الدين السنوسي ، محمد مطلق علي المحمادي ، محمد نور قطب ، محمد عنالي الرماني ، محمد عبدالله السالمي ، محمد عبدالرحمن فقيه ، محمد علي حريري ، محمود عبدالرحمن فقيه ، محمود محمد سعيد قاسم ، محمود يوسف عضاضه ، مراد محمد عبده مراد ، مرشد مريشيد رشيد الحربي ، مرعي مبارك بن محفوظ ، مشعل سرور الزايدي ، مصطفى فؤاد علي رضا ، مظفر محمد عالم عجرجي ، معتوق عبدالله حامد صعيدي ، معتوق مزند سالم القارحي، مير الطبيش ، ناصر أحمد عمر بالبيد ، نايف منصور أبو رياش، نبيل حسن نوري ، نبيل عبدالقادر أزهر ، هاشم عبدالعزيز أحمد السيد ، هشام محمد كعكي ، وائل حامد اللهيبي ، وليد عمر عبدالله المقرن، وليد محمد عبدالله النويصر ، يحيى حسين آل زيد ، يحيى حمزة أحمد كوشك ، يعقوب محمد صديق ميمني ، يوسف محمد سعيد باداود .

قــائمة المراجــع

١ – ابن هشام ، أبو محمد ، السيرة النبوية . د.ت ، تحقيق مصطفى السقا وأخرون ، دار الكنوز الأدبية .

٢ – ابن الأثير ، عز الدين أبي الحسن ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٨٥هـ .

٣ – بكر ، عبدالله محمد ، صور من تراث مكة لمكرمة في القرن الرابع عشر الهجري ، منار للنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٤٢٥هـ

٤ – أمانة العاصمة المقدسة ، مجلة العاصمة المقدسة . العدد (١) ، ذي القعدة ، ١٤٢٣هـ .

٥ – الأفغاني ، سعيد ، أسواق العرب الجاهلية والإسلام ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٤هـ .

٦ – الأزرقي ، أبو الوليد ، أخبار مكة المكرمة وماجاء فيها من الأخبار. مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، ١٤٠٨هـ .

٧ – الأزرقي ، أبو الوليد ، أخبار مكة ، تحقيق رشدي ملحس ، بيروت ، ١٤١٥هـ .

٨ – البتنوني ، محمد ، الرحلة الحجازية . مكتبة المعارف ، الطائف ، د.ت ، وكذلك طبعة مطبعة الجمالية ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ .

٩ – بالخيور ، أميرة أحمد سالم ، علاقة الدخل بالإستهلاك الغذائي للأسرة المكية والعوامل المؤثرة فيها . رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الإقتصاد المنزلي ، كلية التربية للبنات بمكة المكرمة ، ١٤٢٠هـ .

١٠ – بوركهارت ، جون لويس ، رحلات في شبه الجزيرة العربية ، ترجمة « عبد العزيز الهلالي وعبد الله الشيخ « مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢م .

١١ – التازي ، عبد الهادي ، رحلة الرحلات – مكة في مئة رحلة مغربية ورحلة ، مراجعة الأستاذ الدكتور / عباس صالح طاشكندي ، « ٢ جزء « مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، ١٤٢٦هـ .

١٢ – جمال ، فائز صالح ، غرفة مكة المكرمة – مسيرة من إنجاز ورجال. الغرفة التجارية الصناعية ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ .

١٣ – الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان . د. ت.

١٤ – دارة الملك عبد العزيز ، الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية – بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية . دارة الملك عبد العزيز ، الرياض ، ١٤٢١هـ .

١٥ – رفيع ، محمد عمر ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري . منشورات نادي مكة الثقافي ، طباعة دار مكة

للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ، ١٤٠١هـ .

١٦ – ريزفان ، بيغم ، الحج قبل مئة سنة – الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العـزيز دولتشـن إلى مكة المكرمة .د.ن .

١٧ – الزركلي ، خير الدين ، مارأيت وماسمعت . تقديم وتعليق عبد الرزاق كمال ، نشر مكتبة المعارف ، الطائف، ١٣٩٨هـ .

١٨ – الزهراني ، ضيف الله ريمي ، وغباشي ، عادل ، تاريخ مكة المكرمة التجاري . الغرفة التجارية والصناعية بمكة المكرمة ، ١٤١٨هـ.

١٩ – الزهراني ، ضيف الله بن يحي ، « التموين الغذائي في المشاعر المقدسة في عهد خادم الحرمين الشريفين « سجل ندوة عناية خادم الحرمين الشريفين بالحج والحرمين الشريفين» . جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٢٢هـ .

٢٠ – زيلعي ، أحمد عمر ، مكة وعلاقاتها الخارجية ، ٣٠١ – ٤٨٧هـ . نشر عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض، الرياض ، ١٤٠١هـ .

٢١ – السنجاري ، علي بن تاج الدين ، منائح الكرام في أخبار مكة والبيت وولاة الحرام . « ٦ أجزاء « دراسة وتحقيق جميل المصري ، طبع ونشر جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ .

٢٢ – شقلية ، أحمد رمضان ، الصناعة في مكة المكرمة ، دراسة خاصة ، الغرفة التجارية و الصناعية بمكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ .

٢٣ – شكري ، علياء ، بعض ملامح التغير الإجتماعي والثقافي في الوطن العربي. دار الجيل للطباعة ، القاهرة، ١٩٧٩م .

٢٤ – الشملان ، نورة صالح ، لا ظل تحت الجبل لفؤاد عبد الحميد عنقاوي ، موسوعة مكة المكرمة ، الجلال والجمال ، (ج٢) الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٤٢٦هـ .

٢٥ – الشيرازي ، نهاية الرتبة . د.ت .

٢٦ – صقر ، عبد العزيز وآخرون ، مكة المكرمـة العاصمة المقدسـة. إصـدار أمانة العاصمة المقدسة ، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ .

٢٧ – طاهر ، محمد سعيد ، ذكريات ٣٨ عاماً في أمانة العاصمة المقدسة. د.ن. ، ١٤٢٠هـ .

٢٨ – العتيبي ، إبراهيم عويض ، تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز – دراسة تاريخية . نشر جامعة الملك سعود ، الرياض، ١٤١٩هـ .

٢٩ – العمري ، عبد العزيز إبراهيم ، الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم . د . ت . ١٤٠٥هـ .

٣٠ – الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ، نشر إتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، العدد (٨) ، مارس ، ٢٠٠٠م .

٣١ – الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ، غرفة مكة المكرمة – إستقرار ونماء ، حركة وعطاء . شعبان ، ١٤١٥هـ .

٣٢ – الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة ، دليل مكة المكرمة السياحي . المهرجان للإعلان بمكة ، ١٤١٥هـ.

٣٣ – الفاسي ، تقي الدين محمد بن أحمد ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق محمود الطناحي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ وكذلك تحقيق محمد حامد الفقي سنة ١٣٧٨هـ .

٣٤ – الفاكهي ، أبي عبد الله أحمد بركات ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثة . « ٦ أجزاء « دراسة وتحقيق : عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

٣٥ – فقيه ، عبد الرحمن ، الحج والعمرة كمقوم من مقومات التنمية الإقتصادية . نشر مركز فقيه للأبحاث والتطوير ، مكة المكرمة ، ١٤١٧هـ .

٣٦ – الفوزان ، إبراهيم ، إقليم الحجاز و عوامل نهضته الحديثة. د.ن. الرياض ، ١٤٠١هـ .

٣٧ – قاروت ، محمد حسين ، دورة وزارة التجارة في خدمة حجاج بيت الله الحرام . بحث مقدم لمعهد خادم الحرمين الشريفين ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٩هـ .

٣٨ – قزاز ، حسن عبد الحي ، أهل الحجاز بعبقهم التاريخي . مؤسسة المدينة للطباعة والنشر ، جدة ، ١٤١٥هـ.

٣٩ – قمر ، محمد أحمد ، الجاليات الأجنبية ودورها الحضاري في مكة المكرمة في القرنين الثالث والرابع عشر الهجري . جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ١٤٢٥هـ .

٤٠ – الكردي ، محمد طاهر ، التاريخ القويم وبيت الله الكريم . (٦ أجزاء) مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ، ١٣٨٥هـ .

٤١ – كيفي ، إبراهيم أحمد ، مكة المكرمة ، الرئاسة العامة لرعاية الشباب ، الرياض ، ١٤٠٨هـ .

٤٢ – المازني ، إبراهيم عبد القادر ، الرحلة الحجازية . مطابع فؤاد السنباطي ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .

٤٣ – المختار ، صلاح الدين ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت .

٤٤ – المغربي ، محمد علي ، ملامح الحياة الإجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري . تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، ١٤٠٢هـ .

٤٥ – نزاوي ، محمود ، « أسواق مكة المكرمة القديمة بين فيض الضيافة وبهرجة الحداثة « مجلة الحج . العدد (١٢) ، السنة (٥٨) مايو ٢٠٠٣م ص ص ٢٢ – ٢٤ .

٤٦ – نصيف ، محمد حسين ، ماضي الحجاز وحاضرة . مطبعة خضير ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ .

٤٧ – اليحي ، أحمد بن حمد ، السكان والإقتصاد والعمل قبل قرن في جزيرة العرب . د.ت . ١٤١٩هـ .


محاضرة
الأسواق والتجارة بمكة المكرمة
يلقيها / أ.د : إسماعيل خليل كتبخانة
الأربعاء
٢٨ / ١٠ / ١٤٢٦هـ

من ملامح الريادة الثقافية المكّية

أ . د . محمد خضر عــريف - كـلـيـة الآداب والعلوم الإنسانية



مقــدمة

كانت مكّة المكرَّمة وما تزال مصدر الإشعاع الأول للإنسانية جمعاء ببزوغ فجر الرسالة الإسلامية من أرضها الطاهرة التي عمّت بنورها الآفاق، وقضت على كل مظاهر الجهل في العالم، وهي اليوم بهذا النور ستزيل الجاهلية الحديثة بنور الإسلام المبني على تفتح الذهن ورحابة الفكر، وكل ذلك من الأسس التي يمكن التركيز عليها في المناسبة الكبيرة التي نعيشها هذا العام، وهي مناسبة الاحتفاء بمكّة المكرّمة عاصمة للثقافة الإسلامية.

ولا يعني ذلك أننا نكون في موقف المدافعين عن الحضارة الإسلامية المشرقة، بل نؤصل لها بما نطرحه من بحوث ودراسات وإبداعات تصب كلها في بيان جوهر الحضارة الإسلامية. ومكّة لا تتشرَّف باختيارها عاصمة للثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ، بل إن الثقافات كلها تتشرّف بمكّة المكرّمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذه المناسبة فرصة لتصفية ما تبقى من شوائب علقت في ذهن الواهمين من الغربيين، ومن أبناء جلدة الإسلام – مع الأسف الشديد – بأن الحضارة الإسلامية يعتورها بعض الشك، وأن الحضارة الغربية قد تتفوّق عليها خاصة في جوانب الدعوة إلى السلم، كما ذهبت إليه بعض أبواق الغرب، فواجب المثقفين المكّيين وغيرهم أن يسخِّروا أقلامهم وإبداعاتهم للتركيز على الجوانب المضيئة في حضارتنا وتاريخنا الإسلامي الذي لا يمكن أن نفصله بحال من الأحوال عن تاريخنا المكّي الذي انتشرت منه أنوار الإسلام، وما صاحبتها من أنوار للعلم والفكر والآداب على مدى مئات السنين.

إن المرحلة الأولى للثقافة المكّية في العصر الحديث يجب أن تكون واقعية، ولابد من أن تُراعى

فيها الظروف التأريخية والسياسية والجغرافية والمالية التي كانت سائدة في تلك الحقبة. وإذا ما روعيت هذه جميعاً تبدَّى جليّاً عِظَم ما تم من إنجازات فكرية وثقافية في القرن الهجري الماضي ومطلع القرن الحالي. فالكل يعلم محدودية الموارد الماليّة في تلك الحقبة. ومع ذلك فقد شهدت مكّة نهضة فكرية وثقافية شاملة.

وهذه النهضة الشاملة في القرن الهجري الماضي ومطلع القرن الحالي، شهدت الأدب والثقافة بكل أطرها وأسسها. فقد بدأ الأدب الحديث تتشكَّل ملامحه الواضحة في مكّة. وبرز علماء ومثقفون كثير لهم بصماتهم الواضحة في عالم الثقافة والفكر في العصر الحديث.

وقد أخرج المثقفون الحجازيون وخصوصاً المكيّون على مدى عقود عدداً من المؤلفات والمصنفات التي تهتم بتاريخ وأدب وفكر الحرمين الشريفين، وتميّزت هذه المؤلفات والمصنفات في مجملها بالدقة والعلميّة، وحازت قصب السبق في كثير من كشوفها في عهود متقدمة من زمن التأليف العلميّ الحديث في العالم العربي. ولم ترمِ هذه المؤلفات إطلاقاً إلى الكسب الماديّ رغم كل الجهود الكبيرة التي بذلت فيها، بقدر ما كانت ترمي إلى خدمة المدينتين المقدّستين وتوثيق تاريخهما وفكرهما وثقافتهما كسباً لثواب الله تعالى.

ذلك أن ارتباط الفكر الحجازيّ بالحرمين الشريفين بكل ما فيهما من قدسية وروحانية، ارتباط أزليّ وثيق، وقبل ذلك هو ارتباط طبيعي تفرضه عوامل الدين والجغرافيا والتاريخ. وهو ارتباط أقوى بكثير مما يربط المفكرين العرب الآخرين بأرضهم ووطنهم، إذ لا يرتبط ذلك بالضرورة بالعقيدة الدينية بقدر ما يرتبط بالاعتبارات التاريخية والقومية. لذلك فإنه يكون متوقعاً كثيراً أن يفيض الفكر في مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة بالاهتمام بالحرمين الشريفين في مختلف فروعه وصنوفه.

وتسعى هذه المحاضرة إلى استعراض بعض النماذج المحدودة من الأعمال الفكرية المكيّة والمدنية منذ عهد الملك عبد العزيز وحتى اليوم، مما تعلّق وارتبط بقوة بمكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة. وتحليل بعض تلك النماذج بهدف بيان مدى ارتباط أدباء الحجاز عموماً، والمكّيين خصوصاً بهذه الأرض الطاهرة، وكيف أسهم ذلك في شحذ قريحتهم العلمية فأفرزت روائع

علمية وفكرية خالدة تستحق الوقوف عندها.

كما ترمي المحاضرة إلى الوقوف عند منارة ثقافية كبرى في مكّة المكرّمة هي مكتبة الحرم المكّي لتتحدث عما تضمه من كنوز، مضاهية في ذلك كبريات المكتبات العالمية الشهيرة في العالم الإسلامي، وذلك ليتسنّى رسم بعض ملامح الريادة الثقافية المكّية في العصر الحديث.

١ - الدراسات التأريخية والجغرافية:

في مقدمة من خدموا مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة ببيان الكثير من الآثار المهمة، الأديب المدنيّ الكبير الأستاذ عبد القدوس الأنصاري صاحب (المنهل). واسمه الكامل: عبد القدوس بن القاسم بن محمد بن محمد الأنصاري، وُلد بالبلدة الطيبة عام ١٣٢٤هـ. وأسس مجلّته الثقافية العريقة (المنهل) عام ١٣٥٥هـ في المدينة المنوّرة.

وكانت أعمال الأنصاري في مجملها مرتبطة بحبه للحرمين عامة، وللمدينة المنوّرة خاصة، ومن أعماله العلمية المشهورة في هذا المجال كشفه للكثير من الآثار المهمة في المدينة المنوّرة. وقد رافق رحمه الله في شبابه المستشرق البريطاني «فيلبي» في جولات استكشافية أثرية. وعزَّ عليه أن يستأثر المستشرقون بهذا العلم، فجدَّ في جمع أوفى المعلومات وأدّقها عن آثار مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وأصدر ما توصّل إليه في كتاب « آثار المدينة المنوَّرة » وكان ذلك في عام ١٣٥٣هـ. وكان أول كتاب علميّ موثق في الآثار يصدره أحد أبناء هذه البلاد في العصر الحديث. وقد شمل كتابه العلميّ هذا عدداً من الأقسام منها: قسم الدور وقسم القصور وقسم الحصون وسواها، وقد أجاد فيها جميعاً، وأمضى في جمع موادّ هذا الكتاب المميز ما يزيد عن ثماني سنوات واجه فيها الكثير من الصعاب. وقد أثنى على هذا الكتاب الدكتور محمد حسين هيكل ومؤرخون آخرون وبعض المستشرقين.

وقد واصل عبد القدوس الأنصاريّ رحمه الله جهوده المكثّفة في الوقوف على آثار بلاده وتسجيل كل معلومة فريدة عنها بدقّة متناهية وعلمية متأنية، فأصدر سنة ١٣٧٩هـ كتاب «تحقيق أمكنة في الحجاز وتهامة». وفي سنة ١٣٨٧هـ أصدر كتاب : «تاريخ مدينة جدة». وفي سنة ١٣٨٩هـ

كتاب « تاريخ العين العزيزية بجدة ولمحات من مصادر المياه في المملكة العربية السعودية «. وفي سنة ١٣٩١هـ كتاب : «بين التاريخ والآثار». وفي سنة ١٣٩٨هـ كتاب «طريق الهجرة». وكان هذا الكم الهائل من الدراسات في التاريخ والآثار دليلاً على تمكن هذا العالم الجليل من تاريخ هذه البلاد وخصوصاً المدينة المنوّرة ومعرفته بأهم آثارها.

ومن المؤرخين السعوديين البارزين الذين اهتموا بتاريخ الحرمين عموماً والمدينة المنوّرة خصوصاً أيضاً الأديب والشاعر المدنيّ الكبير عبيد مدني الذي وُلد بالمدينة المنوّرة في شهر ربيع الأول من عام ١٣٢٤هـ. ويعتبر من المؤسسين ومن جيل الروّاد في الأدب الحجازي. كما كان رحمه الله من المؤلفين المكثرين، ويعتبر من المؤرخين المعدودين في جيله الذين اهتموا بتاريخ المدينة المنوّرة خاصة، وكأنه فتح الباب على مصراعيه بعد ذلك لأدباء المدينة المنوّرة للنسج على منواله والكتابة في تاريخ طيبة الطيبة.

ومن مؤلفات عبيد مدني المطبوعة والمخطوطة : « تاريخ المدينة المنوّرة « في خمسة مجلدات و « تأريخ المسجد النبوي « و « تأريخ مساجد المدينة المنوّرة « و» تاريخ آطام المدينة المنوّرة « و « تواريخ المدينة المنوّرة ومؤرخوها» وكأنه رحمه الله كان يتتبع تأريخ كل شبر من البلدة الطيبة ليكتب كل ما يعرفه عن تأريخه ويستقصي كل شاردة وواردة عنه، في أسلوب علميّ دقيق يندر مثاله في زمانه. وقد استند الكثير من مؤرخي المدينة المنوّرة في عصرنا الحاضر إلى مؤلفات عبيد مدني العديدة في تأريخها.

وكما اهتم أدباء الرعيل الأول بتأريخ المدينة المنوّرة وجغرافيتها، فقد اهتم فريق منهم بأم القرى، فأفرد لتأريخها وآثارها المجلّدات الطوال. ويتبدّى جليّاً أن المدنيين كانوا مهتمّين بالتأليف عن المدينة، وأن المكّيين كانوا مهتمين بالتأليف عن مكّة، مع اهتمام مشترك لهم جميعاً بالمدينتين المقدستين. ولكن اهتمام كل فريق بمسقط رأسه ومكان سكناه كان يرجع إلى معرفته أكثر من غيره عنه، كما يقول المثل السائر : « أهل مكّة أدرى بشعابها «.

والذين كتبوا هن مكّة كثير نذكر منهم الأديب المكّي الكبير أحمد السباعي، واسمه الكامل: أحمد بن محمد بن أحمد السباعي. وُلد في مكّة المكرّمة سنة ١٣٢٣هـ، وانتقل إلى رحمته تعالى

يوم الثلاثاء السادس عشر من ذي الحجة من عام ١٤٠٤هـ.

ومن أهم إنتاج السباعي كتابه « تأريخ مكّة: دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران «. وهذا الكتاب كما يتجلى من عنوانه، يصوّر تأريخ مكّة السياسي الحضاريّ منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث. واستدرك السباعي بذلك ما فات المؤرخين السابقين، إذ أرّخ لحقب لم يتعرض لها سواه كالعصر الأمويّ والعباسي الأول والثاني، كما ألقى الضوء على حوادث لها أهميتها في عهد الفاطميين والعباسيين والمماليك. كما تميّز تأريخه لمكّة بالشمول، فلم يقتصر على التأريخ السياسي، بل شمل التأريخ الحضاري والعلميّ، ويعتبر السباعي بذلك مجدّداً، إذ كان المؤرخون قبله لا يتجاوزون التأريخ الديني لمكّة غالباً.

ويقع كتاب السباعي « تأريخ مكّة « في مجلّدين، وقد اعتمد فيه على التركيز والإيجاز الشامل وتجنب الاستطراد وكثرة النقول والنصوص.وقد كتب عن تأريخ وآثار مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة أدباء آخرون، لا يتسع المقام لذكرهم، اتسمت كتاباتهم جميعاً بالعلميّة والجديّة.

٢- الدراســات الأدبية:

برز أدباء الحجاز في تدوين ما أثمرته نهضتهم الناشئة، فكان محمد سرور الصبان أول من فتح هذا الباب فيهم، فجمع كتاباً في نيف وثمانين صفحة سماه «أدب الحجاز» وحلاّه بمختارات من شعر عبد الوهاب آشي، ومحمد حسن عوّاد، ومحمد عمر عرب، ومحمد سعيد العامودي وآخرين.

وصدر بعده كتاب «وحي الصحراء» لمحمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله عمر بالخير في نيف وأربعمائة صفحة، اشتمل على تراجم ومختارات نظماً وشعراً لاثنين وعشرين من الأدباء وشداة الأدب. منهم: أحمد بن إبراهيم الغزاوي (شاعر الملك)، وأحمد السباعي (مؤرخ مكّة)، وأحمد العربي، وأحمد قنديل، وحسين سراج، وعبد القدوس الأنصاري (صاحب مجلة المنهل)، وعبيد مدني (شاعر المدينة)، وأخوه أمين مدني، ومحمد حسن فقي وسواهم.

أدب الحجــاز:

يتصدر المصادر الأدبية المكّية الرائدة كتاب «أدب الحجاز» الذي أصدره محمد سرور الصبان

في شهر شوال من عام ١٣٤٤هـ. وضمّ هذا الكتاب أعمالاً شعرية ونثرية لمجموعة من الأدباء السعوديين وصل عددهم إلى خمسة عشر أديباً شاباً.

ووصف الصبان هذا الكتاب بأنه « صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية». وكتب في تقديم هذا الكتاب يقول: « أقدم بين يدي القارئ الكريم صفحة فكرية وجيزة من أدب الشبيبة الحجازية: شعرها ونثرها لهذا العهد، ولأول مرة في التاريخ الأدبيّ لهذه البلاد» .

وقد أثار هذا الكتاب الرائد حماس الأدباء الشبان في ذلك العهد المتقدم من تاريخ المملكة العربية السعودية للمزيد من النشر لأعمالهم الأدبية في كتب مطبوعة، وعلى رأس هؤلاء محمد سرور الصبان الذي أسس أول دار للنشر في المملكة بعد توحيدها تحت اسم « المكتبة الحجازية«.

وحي الصحـــراء :

ذكرت آنفاً أن الأديبين الكبيرين محمد سعيد عبد المقصود رحمه الله، وعبد الله عمر بالخير كانا قد أصدرا كتاباً رائداً في الأدب السعودي عامة والمكيّ في عهوده المبكرة جداً هو كتاب : « وحي الصحراء «. وهو من المصادر الأصيلة الرائدة التي تعرف بأدب الحجاز في نشأته الأولى. ويضم هذا الكتاب تراجم وآثار اثنين وعشرين أديباً من أدباء تلك الحقبة المتقدّمة. وقد كانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب عام ١٣٥٥هـ. وقد أعادت « تهامة « طباعته على صورته القديمة، فصدر عنها في طبعته الثانية عام ١٤٠٣هـ، أي بعد نصف قرن تقريباً من تاريخ طبعته الأولى.

مجـلة «المنهـل» :

أسس هذه المجلة الأدبية الرائدة الأديب المدني الكبير عبد القدوس الأنصاري في المدينة المنوّرة عام ١٣٥٥هـ. وتعتبر هذه المجلة ولا شك من المصادر الأصيلة للأدب السعودي منذ بدايات عهود توحيد المملكة العربية السعودية. وقد اقترنت المنهل منذ تأسيسها وحتى اليوم باسم مؤسسها الأنصاري الذي سعى قصارى جهده رحمه الله ليجعلها تصمد أمام كل الصعوبات والعوائق فاستمرت في الصدور منذ تأسيسها حتى اليوم، ولم تحتجب إلاّ بسبب أزمة الورق

أثناء الحرب العالمية الثانية.

وقد أدّت مجلة المنهل دوراً كبيراً في رعاية المواهب الأدبية عند الأدباء الشبان في المملكة العربية السعودية، وفيها تخرّج أجيال من الأدباء الذين حملوا راية الفكر والأدب في بلادنا. كما تعتبر هذه المجلة المرجع الأول لتاريخ الأدب السعودي في العصر الحديث.

وعلى مدى عشرات السنين نشرت المنهل النتاج الأدبي لمعظم الأدباء السعوديين، كما كان لها باع طويل في تنشيط حركة الكتابة القصصية في المملكة، وكان ذلك منذ عهد متقدم للغاية. وقد أفسح عبد القدوس الأنصاري رحمه الله المجال لنشر النتاج القصصي للقاصين الشبان وسواهم. وقد أصدر عدداً خاصاً من أعداد المنهل هو عدد رجب عام ١٣٧٤هـ عن القصة القصيرة وتضمَّن ثلاثين قصة. وفي الفترة ما بين عامي ١٩٣٧م و١٩٦٠م، كان عدد ما نشر من القصص في المنهل ١٢٥ قصة. كما صدر عن المنهل عدد خاص بتراجم وأدب أدباء المملكة العربية السعودية المعاصرين هو عدد رجب ١٣٨٦هـ - نوفمبر ١٩٦٦م. ويمكن العود إلى هذا العدد المتميز للتعرف على تراجم ونتاج الأدباء السعوديين في تلك الفترة. ولا تزال هذه المجلة تصدر حتى اليوم في مدينة جدة دون انقطاع.

« المرصـــاد »:

المرصاد كتاب نقدي رائد يعد من الإرهاصات الأولى للكتابات النقدية في المملكة إن لم يكن الأول على الإطلاق. وهو كتاب للأديب المكّي الكبير إبراهيم هاشم الفلالي. ويعتبر أهم أعماله على الإطلاق. لما يتميز به من أحكام نقدية واعية تعتبر بحق الإرهاصات الأولى للنقد الأدبي السعودي الحديث. ويضم هذا المؤلّف دراسات عن أكثر من عشرين أديباً وشاعراً من أدباء المملكة العربية السعودية اعتمدت على إبداء الرأي العلمي المجرد في أدبهم دون أن تتحكم في ذلك العاطفة أو تتدخل المجاملة.

وقد بيَّن الفلالي في مرصاده الفرق بين الأدب الأصيل والادعاء، كما وجّه رجال الفكر والأدب إلى تقديم الفكر النيِّر والأدب الرفيع للنشء للسمو بمقاصده والارتفاع بمستواه الإبداعي.

« تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية »:

ترتبط الصحافة بالأدب ارتباطاً وثيقاً على مر الأجيال. لذا فإن الأعمال الفكرية الرائدة المتصلة بالصحافة لابد من أن تكون أعمالاً أدبية رائدة. ويعتبر الأستاذ عثمان حافظ أول من ألَّف كتاباً متكاملاً وصف فيه رحلته الصحفية وبيَّن فيه تجربته مع الطباعة والنشر. ويعتبر كتابه «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» الذي يقع في جزئين أول مرجع موثق عن تاريخ الصحافة السعودية.

« أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري » :

وهو كتاب موسوعيّ للأديب المكيّ الكبير الأستاذ محمد علي مغربي. ويقع هذا الكتاب في جزئين. يضم الجزء الأول منه قرابة ثلاثين شخصية بين أديب معلم ورجل أعمال وصحفي، بمعنى أن هذا الكتاب كان موسوعة تراجم. ومعظم شخصيات الكتاب كان المغربي قد اتصل بهم شخصياً. وقد خصَّ المؤلف الأدباء ورجال الفكر بالكثير من العناية في الكتاب. ويأتي في مقدمة هؤلاء أستاذه محمد حسن عوّاد. ويعد كتاب « أعلام الحجاز « أكثر من مجرد كتاب في السير والتراجم، فهو سجل حافل بأبرز ملامح الحياة المكيّة في القرن الرابع عشر الهجري. كما أنه يلقي الكثير من الأضواء على الجوانب الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية في تلك الحقبة.

«نفثات من أقلام الشباب السعودي» :

يعتبر هذا الكتاب من الإسهامات المبكرة في خدمة الأدب السعودي عامة والمكّي خاصة، ونشر النتاج الإبداعي للأدباء السعوديين. وقد أصدر هذا الكتاب ثلاثة أدباء مكّيين هم: عبد السلام طاهر الساسي، وعلي حسن فدعق، وهاشم يوسف زواوي عام ١٣٥٥هـ. وتزامن إصداره مع إصدار كتاب « وحي الصحراء « الذي سبقت الإشارة إليه.

وقد قدّم لكتاب « النفثات « الرائد، الأديب المكيّ الكبير محمد سرور الصبان، وقد بشَّر هذا الكتاب بميلاد العديد من المواهب الواعدة في ذلك العهد المتقدم، حيث أصبح أصحابها فيما

بعد من كبار الأدباء وأكثرهم عطاءً على الإطلاق. من أمثال: أحمد عبد الغفور عطار، وعبد الله عريف في مجال الكتابة الصحفية.

«الموسوعة الأدبية» :

وهي عمل موسوعي كبير يعتبر الأول من نوعه في إحصاء الشخصيات الأدبية في المملكة العربية السعودية من كافة المناطق وسرد تراجمهم وتضمين مقتطفات من نتاجهم. وقد أصدرها الأديب المكّي الكبير عبد السلام طاهر الساسي، وأتم منها ثلاثة أجزاء قبل أن توافيه المنيّة في مكّة المكرّمة عام ١٤٠١هـ.

وقد صدرت الموسوعة الأدبية بأجزائها الثلاثة على مراحل متباعدة، فقد صدر الجزء الأول منها عام ١٣٨٨هـ عن دار قريش للطباعة بمكّة المكرّمة. أما الجزء الثاني فصدر في مكّة المكرّمة عام ١٣٩٤هـ عن مطابع الثقافة. ثم صدر الجزء الثالث والأخير عام ١٤٠٠هـ ضمن مطبوعات نادي الطائف الأدبي. وانتهت الموسوعة عند حرف الغين. والطريقة المتبعة في ترتيب أسماء الأدباء فيها هي طريقة الترتيب الهجائي بالاسم الأول للأديب. وقد برّر صاحب الموسوعة هذا التباعد في إصدار أجزائها بترامي أطراف المملكة وتقاعس بعض الأدباء في تزويده بتراجمهم ونتاجهم.

«الموجز في تأريخ الأدب العربي السعودي» :

يعتبر هذا الكتاب ولا شك موسوعة عصرية شاملة للأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية. وصاحبه هو أستاذي الأستاذ الدكتور عمر الطيب الساسي. وكانت طبعته الأولى عام ١٤٠٦هـ. وقد وردت في هذا الكتاب النقديّ العلمي سير ما يقرب من مائة أديب وأديبة من المملكة ومن كافة المناطق والمراحل الزمنية.

وقد قسّم الأستاذ الدكتور الساسي المراحل التأريخية لتطور الأدب السعودي إلى عدة مراحل شملت: الإرهاصات الأولى، ومرحلة المخضرمين وعصر النهضة وبداية عهد التوحيد، وعهد التوحيد الشامل، وعهد الانطلاقة الحضارية الشاملة. وضمن كل مرحلة تحدث المؤلف بإسهاب

عن سير الأدباء والأديبات التابعين لها. مع إبراز نماذج من نتاجهم الأدبيّ المنظوم والمنثور. وكان يعلّق على هذا النتاج تعليق الناقد المتمكن.

٣- مكتبة الحرم المكي :

إن بداية تأسيس مكتبة الحرم المكي مرتبطة بوجود الكتب والمصاحف في الحرم المكي الشريف. ومما لا شك فيه أن وجود الكتب والمصاحف في المسجد الحرام قديم قدم الإسلام، وأن الكتب الإسلامية وعلى رأسها المصحف الشريف كان لابد من أن يكون لها وجود في المسجد الحرام، وإن لم يكن وجودها يعني بالضرورة وجود مكتبة بمعناها الاصطلاحي في الحرم المكّي. وإنْ تكن مجموعات الكتب والمصاحف هي نواة المجموعات المكتبية لمكتبة الحرم المكّي. فإن وجود خزائن الكتب في الحرم المكي هو نواة المكتبة نفسها بكيانها المستقل. أما تاريخ بدء خزائن الكتب في المسجد الحرام، فإن هناك دلائل تاريخية تشير إلى أنه كان في المسجد الحرام خزائن للكتب يعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجري.

ومن الإشارات التاريخية المتقدمة إلى وجود خزائن الكتب في المسجد الحرام، ما جاء في الملحق الثالث من ملحقات أخبار مكّة للأزرقي، من أن سيل عام ٤١٧هـ دخل الحرم، ووصل إلى خزائن الكتب، فأتلف منها الشيء الكثير.

وممن ذكر ذلك أيضاً البتنوني في رحلته الحجازية، حيث ذكر أنه كان بمكّة كتب كثيرة مهمة، وكانت موضوعة في دواليب دائر حائط الحرم، سرق بعضها والسيول التي أغرقت المسجد وخصوصاً في سنة ٤١٧هـ صعدت إلى هذه الخزائن وأتلفت منها شيئاً كثيراً.

وتلك إشارة واضحة إلى وجود خزائن للكتب في المسجد الحرام في تلك الفترة المتقدمة. وتدل كلمة « كتب « على أن هذه الخزائن ما كانت قاصرة على المصاحف فقط، وإنما كان بها كتب أخرى. وكانت هذه الكتب والمصاحف تحفظ في خزائن تقع تحت قبة بين زمزم وبين الشراب. ويذكر السيوطي في كتابه «الأوائل» أن أول من عمل هذه القبة هو المهدي في خلافته. وقد كانت هناك قبّتان إحداهما على سقاية العباس، والأخرى وهي قبة الشراب السالف ذكرها، وكانت خاصة بحفظ الأشياء الموقوفة على المسجد الحرام كالمصاحف والكتب وغيرها.

كما يذكر ابن بطوطة قبّة الشراب هذه ويقول أن بابها إلى جهة الشمال، وأن بها اختزان المصاحف الشريفة والكتب التي للحرم الشريف، وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه، منسوخ سنة ثمان عشرة من وفاة الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

ولم يكن يطلق على خزائن الكتب هذه اسم معين، غير أنها تحتوي على الكتب التي للحرم الشريف، واستمرت على ذلك طويلاً حتى كان عام ١٢٦٢هـ، حيث أطلق عليها اسم « كتب خانة السليمانية أو المجيدية» نسبة إلى السلطان عبد المجيد العثماني، حيث كان قد جمع شتات كتب المسجد الحرام وأضاف إليها كتباً أخرى أحضرها من الآستانة.

وتوجد في المكتبة إلى اليوم لوحة من الحجر المنحوت عليها خمسة أبيات من الشعر باللغة التركية، كما عليها اسم السلطان عبد المجيد ويرجع تاريخ هذه اللوحة إلى عام ١٢٦٢هـ.

وتذكر جريدة أم القرى في عددها ٢١٢ في ٧ شعبان ١٣٤٧هـ أن السلطان عبد المجيد هذا كان قد أمر عام ١٢٦٢هـ بإصلاح القبّتين الموجودتين بالقرب من بئر زمزم، وجعل إحداهما مكتبة والثانية للتوقيت. والمقصود بالقبّتين قبّة الشراب وهي التي فوق المكتبة، والأخرى التي على سقاية العباس، وهما نفس القبّتين سالفتي الذكر.

ويبدو أن هاتين القبّتين قد بقيتا إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري إلى أن أزيلتا في عام ١٣٠١هـ في بدء ولاية أمير مكّة في ذلك الوقت الشريف عون الرفيق وشيخ الحرم عثمان نوري باشا، كما يذكر ذلك حسين عبد الله باسلامة في تأريخ عمارة المسجد الحرام ويقول: « وسبب ذلك أنه دخل سيل عظيم المسجد الحرام، وأتلف الكتب والأشياء التي كانت به. فاقتضى رأي الولاة في ذلك العصر إلى نقل الكتب من إحداهما ووضعها في دار الكتب التي هي المدرسة على باب الدريبة، وهدم هذه القبّة وقبة العباس وجعل موضعهما رحبة بالمسجد الحرام توسعة للمصلين.

وقد كان هذا الحدث مشهوراً، إذ كره بعض مؤرخي الحرمين الشريفين ومنهم أحمد السباعي في كتابه « تاريخ مكّة « إذ جاء فيه : «وفي سنة ١٣٠١هـ استأنفوا – يعني العثمانيين – إصلاح

بعض مرافق المسجد وأزالوا بناء سقاية العباس، وبيت المحفوظات، ويعني بذلك قبّة الشراب، اللذين كانا قائمين بجوار زمزم، ونقلوا الكتب إلى مكانها اليوم في باب السليمانية، ثم أزالوا الفاصل الذي كان يحجز النساء في صلاتهن بالمسجد ويُسمّى القفص».

ولاشك أنه يعني بالكتب كتب مكتبة الحرم المكّي، إذ جاء في هامشه: «ونقلت هذه المكتبات في عهد السعوديين عند توسعة المسجد الحرام، وهم يخططون لبناء عمارة لها مكان القبان بجوار المدعى، وأخيراً شيدت للمكتبة عمارة فخمة شامخة بجوار المسجد الحرام بالقرب من باب الملك عبد العزيز».

وفي عام ١٣٤٦هـ ضمت مكتبة الشرواني إلى المكتبة، وتنسب هذه المكتبة إلى صاحبها رشدي الشرواني والي الحجاز في تلك الحقبة، وكانت هذه المكتبة تقع في باب أم هانئ، وكما يذكر إبراهيم رفعت في مرآة الحرمين أن هذه المكتبة كانت تعتبر المكتبة الثانية بعد مكتبة الحرم في تلك الفترة إذ لم يكن في مكة سوى هاتين المكتبتين وكانت هذه المكتبة تسمى كتب خانة شرواني زاده، كما يذكر إبراهيم رفعت أنه كان لكلا المكتبتين فهرس بخط اليد وأمين يقوم بشؤونها.

ومن أهم المكتبات التي ضمت إليها كذلك مكتبة الشيخ عبدالستار بن عبدالله الدهلوي المتوفى عام ١٣٥٥هـ، والذي كان مدرّساً بالحرم الشريف، وكانت مجموعة هذه المكتبة تبلغ نحو ألف وثمانمائة وخمسين كتاباً ورسالة مخطوطة ومطبوعة في مختلف فروع المعرفة، وكان قد جعلها وقفاً على طلاب العلم والباحثين، وحين ضمت هذه المكتبة إلى الحرم المكّي بعد وفاة صاحبها، وضعت في جناح خاص بها ولها فهرس مستقل.

ومن أهم المخطوطات التي في مجموعة الدهلوي: كتاب منايح الكرم في أخبار مكّة والبيت وولاة الحرم، لعلي السنجاري، المتوفى عام ١١٠٩هـ. وكتاب إتحاف الورى بأخبار أم القرى لابن فهد المتوفى عام ٨٨٥هـ، وكتاب ذيل إتحاف الورى المسمى بلوغ القرى بإتحاف الورى لعبد العزيز بن عمر بن محمد ابن فهد المتوفى عام ٩٢٠هـ. وكتاب إثارة الترغيب والتشويق إلى المساجد الثلاثة وإلى البيت العتيق لابن إسحاق الخوارزمي المتوفى عام ٨٢٧هـ. وكتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للحسيني الفاسي المتوفى عام ٨٣٢هـ.

والجدير بالذكر أن جميع هذه المخطوطات منسوخة بخط الشيخ عبد الستار الدهلوي نفسه.

كما أن من مؤلفات الشيخ الدهلوي «كتاب فيض الملك المتعالي بأبناء أوائل القرن الثالث عشر على التوالي»، وكتاب « سرد النقول في تراجم العلماء الفحول»، وما زالت هذه الكتب وغيرها محفوظة بالمكتبة وتحت استعمال الباحثين.

وفي عام ١٣٨٧هـ أهديت مكتبة الشيخ عبد الرحمن المعلّمي أمين مكتبة الحرم المكي السابق إلى المكتبة، وكان عدد محتوياتها ٦٤٢ كتاباً، منها مصورات لبعض المخطوطات النادرة وعددها ١٧ كتاباً مجلداً.

ومن المكتبات التي ضمّت إليها كذلك مكتبة الحسن بن علي الإدريسي بناءً على وصية منه وكانت تضم ستين كتاباً مطبوعاً. وفي جمادى الأولى من عام ١٣٨٨هـ، أهديت مكتبة الشيخ عبد الغني الزمزمي وعددها ١٤٢ كتاباً مطبوعاً إلى المكتبة. كما أهديت إلى المكتبة كتب كثيرة من بعض الأفراد، كالكتب التي أوقفها الشريف عبد المطلب أمير مكّة، والكتب التي أوقفها محمود حافظ، والكتب التي أوقفها عبد الحق الهندي، والتي منها بعض كتب من تأليفه نسخت بخط يده، وكتب علي الداغستاني، والكتب التي أوقفها صالح عطرجي أحد مدرسي الحرم المكّي الشريف.

ومن المكتبات التي أوقفت وقفاً عاماً ثم ضمت إليها، مكتبة السيد علي الكيلاني التي كانت لدى هيئة عين زبيدة بمكّة، ثم سلمتها إلى المكتبة، وهي تضم ٩٣٨ كتاباً .

واليوم، فإن مكتبة الحرم المكّي ما تزال صرحاً علمياً شامخاً في مكّة المكرّمة، ومقصد الزوار من الباحثين عن الفكر والثقافة، لينهلوا ما شاء الله لهم أن ينهلوا من علومها وآدابها.

وقد كان من توفيق الله تعالى لصاحب هذا الدراسة أن يتصل بهذه المكتبة اتصالاً مباشراً لما يزيد عن ثلاث سنوات متواصلة تمخض عن إعداد قائمة ببليوجرافية بأهم مخطوطات هذه المكتبة، وأهم مصوراتها. وقد قام الباحث باختيار خمسة مخطوطات من كل رأس موضوع من الموضوعات الرئيسة، ثم رتبت هذه «الخمسات» بتسلسل هجائي برؤوس الموضوعات. أما معايير اختيار هذه « الخمسات»، فقد اعتمدت بالدرجة الأولى فيها على دراسة أهمية المخطوط

وأهمية المؤلف عن طريق الرجوع لبعض المراجع المتخصصة وسؤال المتخصصين.

التفسير وعلوم القرآن:

١- تحبير التيسير المشهور بالنشر الصغير، لمحمد بن محمد الجزري الشافعي المتوفى عام ٨٣٣هـ، مخطوط بخط النسخ.

٢- تقريب النشر في القراءات العشر، لمحمد بن محمد بن الجزري، مخطوط بخط النسخ، وقد نسخ عام ٨٣٦هـ.

٣- حاشية على تفسير البيضاوي لمحمد أمين الشهير بأمير بادشاه البخاري الحسيني، مخطوط بخط نسخ ومنسوخ عام ١٠٢٦هـ.

٤- جامع المفردات القرآنية، لمحمد مراد بن علي الكشميري المتوفى سنة ١١٣٢هـ.

٥- الناسخ والمنسوخ في القرآن لهبة الله بن سلامة بن نصر بن القاسم المتوفى سنة ٤١٠هـ. مخطوط بخط النسخ، نسخ في سنة ١١٦٧هـ.

الفقـه:

١- الاختيار لتعليل المختار، لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي المتوفى سنة ٦٨٣هـ. مخطوط بخط النسخ، وقد نسخ في عام ١٠٨٠هـ.

٢- التحقيقات القدسية والنفحات الرحمانية الحسنية في مذهب السادة الحنفية لحسن بن عمار بن يوسف المصري المعروف بأبي الإخلاص الشرنبلالي المتوفى سنة ١٠٦٩هـ.

٣- التهذيب في اختصار المدونة الكبرى، المنسوبة إلى الإمام مالك رضي الله عنه. اختصار خلف بن أبي القاسم الأزدي المتوفى في حدود سنة ٤٠٠هـ، والمخطوط جزآن في مجلد واحد. ناسخه محمد بن عمر العباسي، وقد فرغ من نسخه سنة ٧٤٩هـ.

٤- الفوائد الزكية في حسن ألفاظ المقدمة العزيزية، لعبد الباقي بن يوسف بن أحمد الزرواني المتوفى سنة ١٠٩٩هـ. وتقع في مجلد واحد مخطوط بخط النسخ، وناسخه هو عباس مصطفى العلوي، وقد فرغ من نسخه سنة ١٢٤٧هـ.

٥- المصباح في الفقه، لزين الدين إبراهيم الشبستري. مخطوط بخط النسخ. ناسخه جمال الدين بن الحاج ولي الدين الحافظ التبريزي، وقد نسخه سنة ٩٠٣هـ.

الحديث النبوي الشريف:

١- أربعون حديثاً في فضل سورة الإخلاص، ليوسف بن عبد الله الحسني. مخطوط بخط النسخ.

٢- ثلج الفؤاد في أحاديث لبس السواد، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مخطوط بخط النسخ.

٣- الجامع الصحيح، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مخطوط بخط النسخ، الموجود منه بالمكتبة هو الجزء العاشر فقط ويقع في مجلّد واحد.

٤- الجامع الصحيح، لمسلم بن حجاج القشيري النيسابوري. مخطوط بخط النسخ سنة ٧٦٩هـ، ويوجد منه بالمكتبة ١٢ جزء في مجلّد واحد، وهي من الجزء الخامس عشر إلى نهاية الجزء الثلاثين وتنقصها بعض الأجزاء.

٥- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد، لمحمد بن محمد سليمان المغربي السوسي، مخطوط بخط النسخ. وهو جزآن في مجلّد واحد.

الأدب:

١- الرسالة القلمية في علم الأدب، لأبي الفضل القرشي الكازروني. مخطوط بخط فارسي.

٢- غرائب الاغتراب ونزهة الألباب في الذهاب والإقامة والإياب. لشهاب الدين الألوسي البغدادي. مخطوط بخط النسخ.

٣- قلائد العقيان في محاسن الأعيان. لأبي نصر الفتحي بن محمد بن عبد الله الإشبيلي. مخطوط بخط النسخ.

٤- لامية العجم. لأبي إسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني المعروف بالطغرائي. مخطوط بخط النسخ.

٥- مجموعة تحتوي على أربع رسائل:

١- شرح أبيات المعاني في شعر المتنبي لابن سيده.

٢- الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي لابن جني.

٣- تنبيه الأريب على ما في شعر أبي الطيب من الحسن والمعيب.

٤- رسالة في مناظرة جرت بين حاتم في الجاهلية والمتنبي في العباسي.

السـيرة

١- الثمـار الجـنية والبستان النضير في مولد البشير النذير، للسيد يوسف أبي جمال. مخطوط بخط النسخ سنة ١٣٠٢هـ.

٢- الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث سيرة الرسول صلّى الله عليه وسلّم لعبد الرحمن ابن عبد الله بن حسن الخثعمي السهيلي. مخطوط بخط النسخ.

٣- شرح المواهب اللدنية، لمحمد الزرقاني. مخطوط بخط عادي، منه ٨ أجزاء في ٨ مجلّات بالمكتبة.

٤- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي. مخطوط بخط فارسي. « مطموس بعض أوله « .

٥- الشمائل المحمدية. لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي. مخطوط بخط النسخ.

التوحيد والعقائد:

١- شرح العقيدة اللامية المسماة باللآلي، لمحمد الشهير بالجنقردي. مخطوط بخط عادي سنة ١١٧٦هـ.

٢- ضوء المعالي على بدء الأمالي، لعلي بن سلطان محمد القاري، مخطوط بخط النسخ، ومعه كتاب الفقه

الأكبر للإمام أبي حنيفة.

٣- غاية المرام في شرح بحر الكلام. للحسن بن أبي بكر المقدسي. مخطوط بخط النسخ

سنة ٨٨٢هـ.

٤- فتح المجيد بكفاية المريد، لعبد السلام بن إبراهيم اللقاني. مخطوط بخط عادي سنة ١١٧٨هـ.

٥- القول الأبين في شرح عقيدة أبي مدين، لعبد الغني النابلسي . مخطوط بخط فارسي سنة ١٢٧١هـ.

المنطق:

١- تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، لقطب الدين محمود بن محمد الرازي. مخطوط بخط عادي.

٢- تهذيب المنطق والكلام، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، مخطوط بخط فارسي.

٣- حاشية على مطالع الأنوار. للسيد شريف علي الجرجاني، مخطوط بخط عادي سنة ٩٦٨هـ.

٤- السلم المنورق في علم المنطق. لعبد الرحمن بن سيدي محمد الصغير الأخضري. مخطوط بالخط الفارسي.

٥- شرح اليساعوجي، لحسام الدين حسن المكا ، مخطوط بخط عادي سنة ١٢٣٥هـ.

الطب:

١- الإبانة والإعلام لما في المفردات من الأغاليط والأوهام، لعبد الله بن أحمد البناني المالقي المعروف بابن البيطار. مخطوط بخط عادي سنة ٧٨٣هـ.

٢- الإرشاد في الطب الكامل. لهبة الله المعروف بابن جميع الإسرائيلي. مخطوط بخط فارسي سنة ١٠١٦هـ.

٣- الرحمة في الطب والحكمة. لإبراهيم الصبري المعروف بالمقربي مخطوط بخط النسخ.

٤- شرح الأسباب والعلاقات. لنفيس بن عوض بن حكيم الطبيب. مخطوط بخط فارسي سنة ٩٤٩هـ.

٥- الطب النبوي، لمحمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية، مخطوط بخط عادي سنة ٧٨٨هـ.

التصوف:

١- إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي.مخطوط بخط النسخ.

٢- البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية. لمحمد بن عبد الله الخاني. مخطوط بخط عادي ١٢٦٦هـ.

٣- تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس. لأحمد بن محمد عطاء الله السكندري. مخطوط بخط عادي سنة ١٢٨٩هـ.

٤- توثيق العرى لمن أراد هدى خير الورى، لإبراهيم الرشيد بن صالح العقيلي الأزهري. مخطوط بخط عادي سنة ١٢٧٢هـ. ومعه رسالة الحلل في إمكان رؤية النبي والملك للسيوطي.

٥- رسالة في الذكر والاجتماع عليه وحضور مجالس أهله، لأحمد الزروق. مخطوط بخط فارسي سنة ١٣٢٦هـ.

علم الفرائض:

١- متن السراجية، لمحمد بن محمد عبد الرشيد. مخطوط بخط عادي نسخ سنة ١٠٦٣هـ.

٢- شرح منظومة ابن الشحنة، أحمد بن عبد الله الشافعي، مخطوط بخط عادي، ومعه منة الفرضي شرح بغية المبتدي تأليف محمد بن أحمد سيري الحنفي.

٣- الصحائف في الفرائض، لإبراهيم المشهور بجاويش زادة، مخطوط بخط النسخ.

٤- فتح القريب المحبب بشرح الترتيب، لعبد الله بن محمد الشنشو المصري، مخطوط بخط عادي.

٥- فتح الملك الجواد بتسهيل قسمة التركات، لأحمد الديربي. مخطوط بخط عادي.

الحســـاب:

١- دقائق الحقائق في حساب الدرجي، لمحمد سبط المارديني. مخطوط بخط عادي.

٢- سواطع الأنوار في معرفة أوقات الصلاة. لمحمد غوث بن ناصر الدين. مخطوط بخط عادي.

٣- شرح اللمع في الحساب. لمحمد بن أحمد الماريديني، مخطوط بخط فارسي.

٤- شرح المقنع في علم الجبر والمقابلة. لزكريا الأنصاري. مخطوط بخط عادي، سنة ٨٠٤هـ.

٥- غاية السؤال في الإقرار بدين المجهول. لأحمد بن علي الشهير بابن الهائم. مخطوط بخط النسخ.

الـفـلـك:

١- إظهار سر الرجوع في العمل بالربع المقطوع. لأبي عبد الله محمد المزخيني مخطوط بالخط الفارسي.

٢- الدقائق الرقاق في معرفة الدائر، لابن الإمام الزلباني. مخطوط بخط النسخ.

٣- رسالة في العمل بالربع المرسوم بالمقنطرات. لشهاب الدين أحمد بن المجدي. مخطوط بخط عادي سنة ١١٣٠هـ.

٤- رسالة في معرفة الكواكب. لعبد الرحمن بن عمر المعروف بأبي الحسين الصوفي. مخطوط بخط

٥- رسالة في علم الاسطرلاب مع الربع المحبب. لعبد الحليم بن محمد الحسيني. مخطوط بخط فارسي.

البلاغـــة:

١- حاشية العصام على الفرائد في الاستعارة. لعصام الدين بن محمد. مخطوط بخط عادي، سنة ١٠٨٤هـ.

٢- حاشية المختصر. لياسين بن زين الدين العلمي الحمصي. مخطوط بخط النسخ.

٣- شرح المفتاح. للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني. مخطوط بخط فارسي عادي سنة ٨٩٢هـ.

٤- المطول على التلخيص. لسعد الدين بن مسعود التفتازاني. مخطوط بخط عادي.

٥- القسم الثالث من مفتاح العلوم. ليوسف بن أبي بكر السنكاكي. مخطوط بخط عادي.

٣-٢- قائمة ببليوجرافية بأهم المصوّرات في مكتبة الحرم المكّي الشريف:

يبلغ عدد المخطوطات المصورة في المكتبة حوالى ١٠٠ مصورة، معظمها من المخطوطات النادرة. وقد عنيت المكتبة بهذه المصورات فقامت بتجليدها تجليداً جيداً، كما قامت بإيداع هذه المصورات في دواليب خاصة إلى جانب المخطوطات.

وقد اطلع الباحث قبل عشرين عاماً تقريباً على ما كان يُسمى «سجل المصورات العامة» بالمكتبة، وهو سجل وضع أساساً لخدمة الأغراض الإدارية بالمكتبة، ولكنه كان السجل الوحيد لهذه المصورات. ويضم هذا السجل معلومات جيدة عن المصورات تتضمن عنوان المخطوط واسم المؤلف وتاريخ وفاته واسم الناسخ وتاريخ النسخ ونوع الخط وعدد الأجزاء وعدد المجلدات وعدد الأوراق والمقاس وعدد أسطر الورقة الواحدة والملاحظات كالطمس وعدم الوضوح وسوى ذلك. ولم يغفل ذلك السجل بعض تلك المعلومات إلاّ في النادر. ثم كانت المعلومات بواقع المصورات لإعداد القائمة. ويمكن إرجاع توفر مثل تلك المعلومات إلى أن جزءاً كبيراً من المصورات مهدىً إلى المكتبة من الشيخ عبدالرحمن المعلمي الأمين السابق للمكتبة، والذي يبدو اهتمامه واضحاً بها من خلال إيراد المعلومات المفصلة عنها.

وتضم القائمة ببيولوجرافية التالية عشرين من أهم تلك المصورات:

١- السلوك في طبقات العلماء والملوك في علم التاريخ ليوسف بن يعقوب المعروف بالبهاء الجندي المتوفى سنة ٧٢٣هـ، والناسخ هو أحمد بن علي بن حسين الحلواني، وقد نسخ المخطوط سنة ٨٩٧هـ، وهو منسوخ بخط النسخ ويقع في مجلد واحد، ويبلغ عدد أوراقه

٢٤٩ مقاس ١٩×١٥ وعدد الأسطر في الورقة الواحدة ٣١ سطراً.

٢- الجمع بين العقل والنقل في علم التوحيد لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨هـ، والناسخ هو يوسف بن عبد الله المقدسي، وقد نسخ المخطوط في عام ٧٣٨هـ بخط النسخ، ويقع في مجلد واحد وعدد أوراقه ٥٢٢ مقاس ١٦×١٣، وعدد الأسطر في الورقة الواحدة ٢٢ سطراً، وتمتلك المكتبة من هذا الكتاب الجزء الرابع فقط.

٣- الجمع بين صحيح البخاري ومسلم في علم الحديث لابن أبي شيبة العبسي المتوفى سنة ٢٣٥هـ. وناسخه هو محسن بن محسن الرزاقي، وتاريخ نسخه سنة ١٢٢٩هـ، وهو بخط النسخ. ويقع في مجلّد واحد عدد أوراقه ١٥٦ مقاس ٢٨×١٩، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٥٧ سطراً.

٤- الزيادات في كتاب المختلف والمؤتلف، في علم الفقه لمحمد بن ناصر بن ابن محمد بن علي، وناسخه هو أبو عبد الله المراغي الدمشقي وتاريخ نسخه هو سنة ٥٤٢هـ وهو بخط النسخ، ويبلغ عدد أوراقه ٤٥ مقاس ١٦×٢١ وعدد أسطر الصفحة الواحدة ١٩.

٥- شرح العمدة في الفقه، في علم "الفقه الحنبلي" لتقي الدين ابن تيمية، وتاريخ نسخ المخطوط في سنة ٧٨٢هـ وهو بخط النسخ، وهو في جزء واحد، ويقع في مجلّدين، وعدد أوراقه ٢٣٧ مقاس ١٨×٢٣، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ١٧ سطراً.

٦- كتاب ضياء الحلوم مختصر شمس العلوم، في علم " اللغة العربية " لعمر ابن نشوان بن سعيد الحميري، وتاريخ نسخ المخطوط هو ١١٣٣هـ، وهو بخط النسخ، في جزء واحد يقع في مجلّد واحد، وعدد أوراقه ٣٥٥ مقاس ١٨×٢٦، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٧ سطراً.

٧- الكامل لابن عدي، في " علوم الحديث" لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، وناسخه هو محمد موسى الهرواي، وتاريخ نسخه هو ٩١٠هـ، وهو بخط النسخ، في سبعة أجزاء تقع في سبعة مجلّدات، وعدد أوراقه ١٠٠٦، مقاس ١٨×٢٤، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٥ سطراً.

٨- نزهة الألباب في الألقاب، في "علوم الحديث" لأحمد بن علي بن محمد بن حجر، وهو بخط النسخ، في جزء واحد يقع في مجلّد واحد، وعدد أوراقه ٧٢ مقاس ٢٤×٣٤، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٣ سطراً.

٩- المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، في علم "مصطلح الحديث" لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تاريخ نسخه سنة ٨٥٩هـ، وهو بخط الرقعة، في جزء واحد يقع في مجلّد واحد، وعدد أوراقه ٢٣٢ مقاس ١٩×٣٠، وعدد أسطر الورقة الواحدة ٢٥ سطراً.

١٠- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، في "علم الحديث"، لابن رجب الحنبلي، وتاريخ نسخه هو ٨٢١هـ، وهو بخط النسخ، وعدد أجزائه اثنان ويقع في مجلّدين، وعدد أوراقه ٢٠٦ مقاس ١٧×٢٤، وعدد أسطر الورقة الواحدة ٢٥ سطراً.

١١- كتاب الفيصل في علم الحديث، لمحمد بن أبي عثمان الحازمي، وناسخه هو يوسف بن عمر بن أبي بكر، وتاريخ نسخه هو ٥٨٢هـ، وهو بخط النسخ، في جزء واحد يقع في مجلّد واحد عدد أوراقه ١٤٨ مقاس ١٧×٢٣، وعدد أسطر الورقة الواحدة ١٩ سطراً.

١٢- توضيح المشتبه، في "علم التفسير" لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، وناسخه إبراهيم بن محمد الحنبلي، وتاريخ نسخه سنة ٨٣٠هـ، وهو بخط النسخ، وعدد أجزائه ٣ ويقع في خمسة جلّدات، وعدد أوراقه ٥٩٣ مقاس ٢٣×٣٥، وعدد أسطر الأوراق مختلف. وهذا المصوّر هو هدية من مكتبة الشيخ عبد الرحمن المعلّمي للمكتبة.

١٣- إكمال تهذيب الكمال في "علم التراجم" لعلاء الدين بن قليج، وهو بخط المؤلف وتاريخ نسخه سنة ٧٤٤هـ، وهو بخط الرقعة، وعدد أجزائه ٢٠ تقع في مجلّدين، وعدد أوراقه ٣١١ مقاس ٢٤×٣٦، وعدد أسطر الورقة الواحدة ٢٣ سطراً. وهو كذلك هدية من مكتبة الشيخ عبد الرحمن المعلّمي للمكتبة.

١٤- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته، في علم "العقيدة" لمحمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، وناسخه محمد بن مكي الحنبلي، وهو بخط النسخ، وعدد أجزائه ٧

ويقع في مجلّد واحد وعدد أوراقه ١٦٢ مقاس ١٧×٢٣، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٢٢ سطراً.

١٥- التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في "علوم الحديث" لأبي الوليد الباجي، وقد نسخ في عام ٧٠٩هـ، وهو بخط النسخ، وهو في جزء واحد ويقع في مجلّد واحد، وعدد أوراقه ١٩٢ مقاس ١٩×٣٠، وعدد أسطر الورقة الواحدة ٢٣ سطراً.

١٦- مسند الموطأ. في "علم الحديث" للطافقي، وتاريخ نسخه هو ٦٩٣هـ، وهو بخط النسخ، وهو جزء واحد في مجلّد واحد، وعدد أوراقه ٣١٥ مقاس ٢٩×١٩، وعدد الأسطر في الورقة الواحدة ٢١ سطراً.

١٧- منائح الكرم في أخبار مكّة والبيت الحرام، في "علم التاريخ" لتقي الدين السنجاري، وناسخه هو الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي، وهو ثلاثة أجزاء في ثلاثة مجلّدات، وعدد أوراقه ٨٥٩ مقاس ٢٩×٢١ وعدد أسطر الورقة الواحدة ٢٢ سطراً.

١٨- الأمالي "في علم الحديث" لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وناسخه هو إبراهيم بن عمر البناعي ، وهو بخط الرقعة، وهو جزء واحد في مجلّد واحد، وعدد أوراقه ٢٦٦ مقاس ١٩×٢٩، وعدد أسطر الصفحة الواحدة ٧٤ سطراً.

١٩- تذهيب التهذيب "في تراجم رجال الحديث"، للإمام محمد بن أحمد الذهبي، وهو خمسة أجزاء في خمسة مجلّدات، وعدد أوراقه ١٣٠٥ أوراق مقاس ١٧×٢٥، وعدد أسطر الورقة الواحدة ٢٣ سطراً.

٢٠- السموم ورفع مضارها في "علم الطب" لجابر بن حيان الصوفي، وتاريخ نسخه هو سنة ١٣٩هـ، وهو بالخط المغربي، وهو جزء واحد في مجلّد واحد وعدد أوراقه ١٩٣ مقاس ٢٣×١٧، وتتكون الصفحة من عمودين وكل عمود من ١٥ سطراً..

المراجع العامة

١. ابن إدريس، عبد الله. «معالم الشعر السعودي»، الرياض، مجلة الدارة، شوال ١٣٩٨هـ.

٢. أبو بكر، عبد الرحيم. "الشعر الحجازي المعاصر بين التقليد والمحافظ"، الرياض: مجلة الدارة، ربيع الأول ١٣٩٦هـ.

٣. الحامد، عبد الله. "رحلة شعرنا المحلي المعاصر من التقليد إلى التجديد – دراسات في أدب الجزيرة العربية"، الرياض، مجلة اليمامة، ٢١ رمضان ١٣٩٨هـ.

٤. أمين، بكري شيخ. "الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية"، بيروت، دار صادر، ١٣٩٢هـ.

٥. البلادي، عاتق بن غيث. "هديل الحمام في تأريخ البلد الحرام"، الأجزاء: ١-٢-٣-٤، مكّة المكرّمة، دار مكّة، ط١، ١٤١٦هـ.

٦. الحامد، عبد الله. "الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية"، المدينة المنوّرة، نادي المدينة المنوّرة الأدبي، ١٤٠٨هـ.

٧. حسين، مصطفى إبراهيم. "أدباء سعوديون"، الرياض، دار الرفاعي، ط١، ١٤١٤هـ.

٨. الخطراوي، محمد العيد. "شعراء من أرض عبقر"،ج٢، المدينة المنوّرة، النادي الأدبي، ١٣٩٨هـ.

٩. زكي، أحمد كمال. "شعراء السعودية المعاصرون"، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

١٠. الساسي، عبد السلام طاهر. "شعراء الحجاز في العصر الحديث"، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥١م.

١١. الساسي، عبد السلام. "الموسوعة الأدبية"، الأجزاء:١-٢-٣.

١٢. الساسي، عمر الطيب. "دراسات في الأدب العربي على مر العصور"، مع بحث خاص بالأدب العربي السعودي، جدة، دار الشروق، ط١، ١٣٩٨هـ، ١٩٨٧م.

١٣. الساسي، عمر الطيب. "الموجز في تأريخ الأدب العربي السعودي"، جدة، تهامة، سلسلة الكتاب الجامعي (٣٢)، ١٤٠٦هـ.

١٤. الشنطي، محمد صالح. "في الأدب العربي السعودي"، حائل، دار الأندلس، ط١، ١٤١٦هـ.

١٥. عطار، أحمد عبد الغفور. "أدبنا المعاصر"، مكّة المكرّمة، مجلة المنهل، ذو القعدة – ذو الحجة ١٣٦٧هـ.

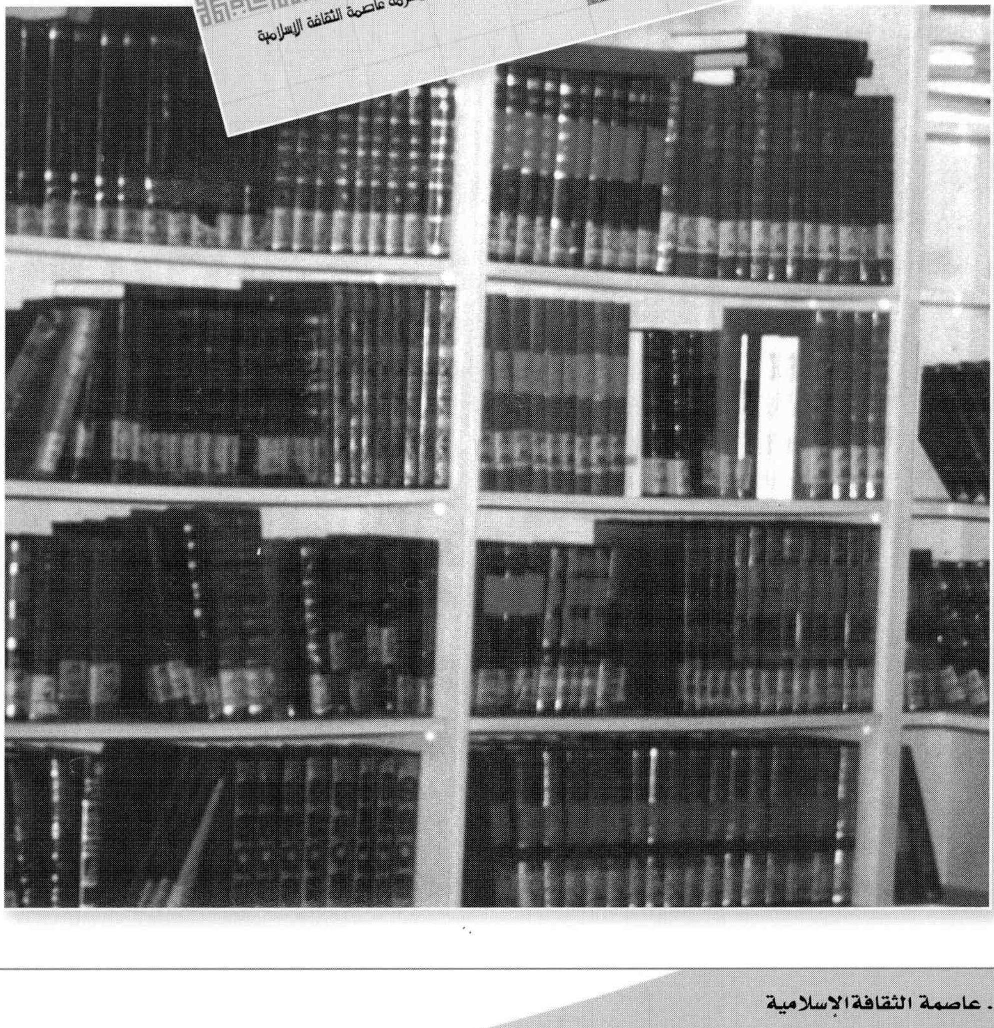
١٦. الفوزان، إبراهيم. "الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد"، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٤٠١هـ.

١٧. كتبي، أنس يعقوب. "أعلام من أرض النبوَّة"، ج١، جدة، دار البلاد، ١٤١٤هـ.

١٨. كتبي، زهير محمد. "رجال من مكّة المكرّمة"، مطابع بهادر، ط١، ١٤١٥هـ.

١٩. نيازي، عبد الكريم عبد الله. "شكوى العباقرة"، مكّة المكرّمة، نادي مكّة الثقافي الأدبي، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة
والمشاعر المقدسة في العصر العثماني
دراسة حضارية
رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية
إعداد
عادل محمد نور عبدالله غباشي
إشراف
الأستاذ الدكتور عبدالمنعم عبدالعزيز رسلان
١٤١٠هـ / ١٩٩٠م
الأمانة العامة لمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية



Makkah Capital of Islamic Culture 2005
مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

مكة المكرمة: عبقرية المكان.. وعبقرية الدور

أ.د. عمر يحيي محمد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية



بطبيعة الحال لا يمكن أن تحتوي محاضرة مهما كان الوقت المخصص لها ، كل ما نريد أو يمكن أن يقال عن مدينة ، أي مدينة، ومكة – التي نحن بصدد الحديث عنها- ليست أي مدينة، فهي بيت الله الحرام في الأرض ومنطلق الإسلام الأول، ومركزه ، وهي منارة الإسلام وقبلته، ومهوى أفئدة أهله وموطن الوحي والرسالة ، والموطن الأول للإسلام.

ومكة التي نحتفل بها اليوم كعاصمة للثقافة الإسلامية ، مدينة قديمة قدم الوجود الإنساني على هذه الأرض يقول الله تعالى في كتابه العزيز " إن أول بيت وضع للناس ، للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً" فمنذ بناء إبراهيم الخليل عليه السلام للبيت الحرام قبل الميلاد بحوالي الفي عام تقريباً كانت نشأة مكة كقرية لم تلبث أن أصبحت مدينة نتيجة للهجرات التي استقبلتها من جنوب الجزيرة العربية . ومن هنا تتضح عبقرية المكان ، فعلى الرغم من كونها بلدة جدباء قاحلة شحيحة المياه لا زرع ولا ضرع فدعوة إبراهيم الخليل كانت وراء عبقرية المكان " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" ، وفي المرويات الدينية الأخرى الكثير من الأخبار والدلالات على هذا القدم ومنها : ماذكره ابن عباس رضي الله عنه " لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات بعث ريحاً فصفقت الماء ، فأبرزت على خصفه في موضع البيت كأنها قبة، فدحا الأرض من تحتها فمادت فاوتدها بالجبال ، ومنها : إن أول ماخلق الله في الأرض مكان الكعبة ، ثم دحا الأرض من تحتها فهي سرة الأرض ووسط الدنيا ، وأم القرى . ومنها: إن الله عز وجل قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون ، ثم غضب عليهم فاعرض عنهم ، فطافوا بعرش الله سبعاً كما يطوف الناس بالبيت الحرام وبقوا يسترضونه من غضبه يقولون لبيك اللهم لبيك ، ربنا عذرنا إليك ، نستغفرك ونتوب إليك ، فرضي عنهم ، وأوصى إليهم أن ابنوا لي في الأرض بيتاً يطوف به عبادي من أغضب عليه فأرضى عنه كما رضيت عنكم .

ومنها : لما أهبط الله عز وجل آدم عليه السلام من الجنة إلى الأرض حزن واشتد بكاؤه ، فعزاه الله بخيمة من خيامها فجعلها الله له بمكة في موضع الكعبة قبل أن تكون الكعبة .... فلما كان الطوفان رفع ومكثت الأرض خراباً ألفي سنة حتى أمر الله نبيه إبراهيم أن يبنيه.

ومكة حملت العديد من الأسماء ، والعرب تقول: إن كثرة الأسماء تدل على عظمة المسمى ، ومن أسمائها: بكة ، وأم القرى، والبلد ، والبلدة، والبلد الأمين ، ومعاد ، والقرية ، والباسه، والناسه، والبسساسه، وطيبة ، والقادس ، والمقدسة ، وقرية الحمس ، وصلاح ، والحاطبة ، وسبوحة، والعرش، والبيت العتيق ، والمسجد الحرام ، وغير ذلك من الأسماء التي تنطلق من طبيعة التقديس لها والنظرة إلى مكانتها والتعظيم لدورها.

وكذا ظهرت هذه المدينة غنية كأغنى ما تكون المدن فوجود الكعبة البيت الحرام جعل الناس يتقاطرون إليها من جميع أنحاء الجزيرة العربية ومن خارجها" وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً ، وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ويذكروا إسم الله "، ولم يقتصر حضورهم على العبادة بل تعدى ذلك إلى أن يشهدوا منافع لهم أي أن هذا الموقع النائي المنعزل بين جبال صخرية جرداء أصبح قبلة لمن أراد أن ينشد زاداً لدنياه وأخرته .

ومكة قبل الإسلام ، بالمعطيات التي توفرت لها ، من دينية وإجتماعية وسياسية وإقتصادية وبيئة وعسكرية شكلت دولة مدينة ، وهو نموذج سياسي عرفته عدد من مدن العالم القديم في الشرق والغرب ، وإنطبقت عليها مواصفات وخصائص الدولة المدينة التي وضعها المؤرخون والدارسون للحضارات القديمة ، **ومن هذه المواصفات:**

١- أن تحتل منطقة محدودة نسبياً تنشأ فيها حياة مستقرة .

٢- أن تنشأ حولها المناطق العمرانية في شكل ضواح وقرى تشكل إمتداداً سياسياً وعمرانياً وإدارياً يعتمد على هذه المدينة .

٣- أن تتوافر على طبقة سكانية متميزة إجتماعياً وإقتصادياً .

٤- أن ينتظمها نظام إجتماعي مهني (حرفي) مهيمن.

٥- أن تتوافر على نظام معترف به ومعمول به من الحقوق والواجبات للطبقات السكانية المختلفة.

٦- توافرها على مكان إستراتجي يسهل الدفاع عنه ، أو منطقة يصعب الوصول إليها ، يحقق لها أمنها وإستقلالها.

٧- أن تتوفر لها إمدادات مائية أمنه ومستقرة ، وإمتداداً زراعياً يمدها باحتياجاتها الغذائية.

٨- أن تتمتع بموقع قريب من طرق التجارة المتشعبة ، وفي حالة مكة لم يكن قريباً فقط وإنما كان إتصالاً وامتهاناً وبروزاً .

ومعظم هذه المواصفات وربما غيرها إجتمعت لمكة ، فهي ترتكز على منطقة محدودة من الأرض ، وتمتلك تنظيماً إجتماعياً وإقتصادياً واضحاً ومستقراً ، ويوجد بها منظومة من المجالس التي تدير شؤونها مثل مجلس الملأ ودار الندوة ، ومجموعة من الوظائف والمناصب والمناقب مثل الرفادة والسقاية والحجابة والأيسار والنسي والأشناق والأعنة وغيرها مما أرتبط بالحج والتجارة ، وقامت بها زعامة سياسية ذات طابع قبلي ، وطبقة إجتماعية على أسس قبلية ، وتميزاً إقتصادياً ، ونظاماً للحقوق والواجبات تسيطر عليه الأعراف والتقاليد الإجتماعية القبلية ، ولم تقع تحت سلطة مركزية من الداخل أو الخارج ، وموقعاً جغرافياً حصيناً يتراوح بين البيئة الصحرواية والجبلية مما سهل الدفاع عنها وحماها من الغزوات الخارجية وقد عملت هذه الظروف الطبيعية على صعوبة أقاليمها ووعورة مسالكها مما أبعد عنها الغزاة طوال تاريخها القديم ، كما أنها توفر لها إمدادات مائية أمنه ومستقرة ، في مقدمتها بئر زمزم وغيرها من الآبار الكثيرة ، كما أرتبط بها عدد من القرى التي إعتمدت عليها سياسياً وتنظيمياً وأمدتها بحاجاتها الغذائية ، كما أنها شكلت شبكة من الطرق تتجمع بها القوافل التي ترد من

اليمن قاصدة بلاد الشام ، أو القادمة من الشام تريد بلاد اليمن ، في الرحلة الشهيرة رحلة الشتاء والصيف.

وفوق كل ذلك شكلت مكة المركز الديني الأساسي لدى كل عرب شبه الجزيرة، عبر الكعبة التي كان يحج إليها كل عرب الجزيرة منذ القدم، وما ارتبط برحلة الحج من أنشطة تجارية وأسواق وفعاليات أدبية وثقافية.

وهذا الاجماع في معظم شبه الجزيرة العربية على تعظيم البيت الحرام في مكة ، هو مكانة دينية لم تتوافر لأي بيت آخر من بيوت الالهه التي كان يقصدها العرب سواء في شمال الجزيرة أو جنوبها ، ومع إنتشار الشرك والوثنية تميزت مكة بأن بيتها الحرام لم يخصص لأله عربي معين من الهة العرب قبل الإسلام ، فقد سمحت قريش لكل الناس بالطواف حول الكعبة ، والتعبد بها بإعتبارها بيت الله ، وقد تعبد بها الوثنيون واليهود والنصارى والصابئون من كل بلاد العرب ، ويمكن القول أنه تشكل بها مجمع للألهة العربية حتى أن عدد الأصنام التي هدمت يوم الفتح بلغ ٣٦٠ صنماً.

وموسم الحج إلى مكة الذي مثل طقساً دينياً مركزياً وعاماً لكل العرب على إختلاف معتقداتهم، وما إرتبط به من أنشطة ، وما تحقق به لها من سمو ورفعة أثار ضغينة عدد من القوى الخارجية، مما دفعها إلى إقامة بيوت منافسة ، لصرف الناس عن مكة ، فأقام الغساسنه بيتاً في الشام ، وأقام أبرهه الحبشي بيتاً في صنعاء، وعندما فشل في جذب العرب إليه ، أقدم على محاولة هدم الكعبة كما هو معروف ، ولعل في كل ذلك جانباً من عبقرية المكان الذي تمتعت به مكة .

وإرتبط بعبقرية المكان وعبقرية الدور في مكة قبل الإسلام ذلك النشاط الإقتصادي الكبير الذي عرفته من خلال التجارة والتي برزت بها واشتهر بها ساكنوها ، بل إن أحد التفسيرات المعتبرة لمسمى القرشيين وهم ساكنوها أنها جاءت من التقرش وهو جمع المال والمتاجرة به ، وذلك مما ساعد على بروز الثراء في المجتمع المكي نتيجة لتدفق الأموال وإستثمارها في مكة ، وفي أسواقها الموسمية أو الدائمة ، وفي رحلات التجارة ، وبرزت أسماء كبيرة وكثيرة في تجارة

مكة منهم عبد الله بن جدعان و أبو العاص ابن الربيع والعباس ابن عبد المطلب وعثمان ابن عفان و أبو بكر الصديق ، بل أن محمداً (قبل البعثة) إشتغل بالتجارة ، مما يدل على أنها كانت حرفة معظم المجتمع المكي .

وقد لعبت مكة دوراً إيجابياً في حركة التجارة بين الشمال والجنوب في رحلتي الشتاء والصيف التي نظمتها قريش قبل الإسلام .

وحمل القرشيون تجارتهم إلى الشمال والجنوب وعقدوا المعاهدات التجارية مع القوى الكبرى المحيطة بهم في اليمن والشام والعراق ، وحملوا تجارتهم حتى الحبشة، وعقدوا الإيلاف مع القبائل التابعة على طرق التجارة وحققوا زعامة روحية وتجارية على تلك القبائل " لايلاف قريش..... وأقاموا الأسواق التي صاحبت مواسم الحج والزيارة في عكاظ ومجنة وذو المجاز فشمل نشاطهم التجاري تجارة محلية في مواسم الحج وتجارة العبور في إستقبال وجلب متاجر الشمال لحملها إلى الجنوب وتلك التي من الجنوب لحملها إلى الشمال.

وعرف الإقتصاد المكي في هذه الفترة أنشطة تجارية متقدمة شابهت معاملات الإقراض والإئتمان والمضاربة ، بل إننا لا نجافي الحقيقة بالقول أن المجتمع التجاري المكي عرف نظام الشيك المصرفي المتداول الآن حيث يقوم التاجر بدفع نقوده في مكة ويستلم إيصالاً بها ثم يتسلمها من وكيل في دمشق أو صنعاء ، كما عرفت مكة إنطلاقاً من تجارتها تداول عملات متعددة ، فقد كانت ترد إليها الدنانير الذهبية القيصرية من الشام والدراهم الفضية الكسروية من العراق ، والنقود الحميرية من اليمن، لذلك انتعشت فيها مهنة الصرافة منذ القدم.

وهذه المكانة الدينية والاقتصادية ساهمت في تشكيل المكانة العبقرية لمكة ولدورها حيث أصبح لأهلها مكانة مميزة بين قبائل الجزيرة العربية ، وأصبحت مكة محطة لوفود القبائل من شتى أنحاء الجزيرة، لأداء الحج والتواصل والتجارة سواء تلك الداخلية أو الخارجية، وما ترافق معها من ظهور الأسواق الشهيرة وما أرتبط بها من أنشطة ثقافية وأدبية ، ما زالت أصداؤها تتردد حتى اليوم ، وهنا يظهر الدور الذي لعبته هذه المدينة في التاريخ الإنساني فقد قامت بها حضارة مبكرة.

ومكة قبل الإسلام ، وبعد الإسلام أكدت عبقرية مكانها ، وعبقرية دورها ، ورغم أن ذلك المكان جاء مخالفاً لما تعارف عليه البشر ، وأجمعوا من أن هناك عوامل تضاريسية ومناخية يمكن أن تصنع أهمية المكان ، وتعطي الإتفاق والإجماع على عبقريته ، فمكة بجفافها وعسر وصلابة جبالها ، وبحرها اللاهب وشمسها التي لاتحجبها السحب ، وإنعدام زرعها ، وإفتقارها إلى الموقع الإستراتيجي وتواجدها داخل الصحراء قد تكون طاردة للعبقرية على مستوى جغرافية المكان ، ولكن هذه العبقرية توفرت في غير الموقع وفي غير الطبيعة الجغرافية إنها تواجدت فيما أودعه الله سبحانه فيها من دور وما وهبها من شروط حياة أبدية فأصبح حرها برداً وسلاماً ، وصخرها سهلاً ويسراً ، وخلوها من الزرع إخضراراً دائماً لقلوب تهفو إليها ولتكون الحياة حيث لا حياة ، والخصب حيث الجفاف ، والعمران حيث تنتفي شروطه .

ثم كانت الطفرة الكبرى في حياة هذا البلد الأمين بظهور الدعوة الإسلامية وانطلاقها من مغارة في جبل حيث استقبل الأمين الوحي " اقرأ باسم ربك ...." لتنطلق الدعوة إلى دين التوحيد دين العدالة والمساواة والرحمة .

ففي الإسلام شكلت مكة الإنطلاقة الأولى، ففيها ولد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أرضها عاش ، وبين قبائلها ورجالها عرفت مناقبه ومراحل صباه وفيها كانت بعثته ، وفي موسم حجها عرض محمد رسالته على عدد من وفود الحجيج بعد أن لقي إعراضاً من قومه ، وفي بيعتي العقبة الأولى والثانية تحقق للرسول النصير والذي تمثل في الأنصار الذين دعوه للهجرة للمدينة لتبدأ من هناك دولة الإسلام،فمكة كانت موطن الوحي والرسالة ، ففيها كان أول ما نزل على الرسول من وحي ، ومن قرآن ، فهي الموطن الأول للإسلام ، ومن غارها " غار حراء" ومن كعبتها في البيت الحرام ، ومن تلك البيوت التي أوت الرسول واستقبلت دعوته ، وآمنت برسالته ، بدأ الإسلام، وأوقدت جذوته وهناك تنزلت على الرسول الأركان الأساسية للدين الإسلامي ، فخلال الثلاثة عشر عاماً بعد البعثة ، والتي قضاها الرسول في مكة قبل إنتقاله إلى المدينة، نزلت عليه ٨٣ سورة قرآنية ، بينما يبلغ مجموع ما نزل عليه في المدينة من القرآن ٣١

سورة ، والسور المكية هي التي تناولت التشريعات العقائدية والسياسية والإجتماعية والاخلاقية أما السور المدنية ، وقد أصبح للمسلمين دولة لها سلطتها على المجتمع وتعمل على تنظيم حياته الإجتماعية والإقتصادية والسياسية فقد جاءت تلبي هذه الإحتياجات وترسم خطواتها.

والرسول الذي أقام الدولة الإسلامية إنطلاقاً من مكة ، لم يلتحق بدولة قائمة منذ القدم لتعزيزها ، بل هو الذي كون الدولة التي حافظت على دعوته ونشرتها منذ ذلك اليوم وعلى إمتداد القرون الخمسة عشر التي مضت من تاريخ الإسلام.

ومكة لم تفقد أهميتها بإنتقال الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته إلى المدينة وقيام الدولة الإسلامية من هناك بل ظلت لها الأهمية الدينية فهي حرم الله وبيته الحرام ، وإرتباط الحج ببيتها الحرام زادها تعظيماً ومكانة.

وشكل الحجاز بمكتة ومدينتة دولة الإسلام الأولى حيث أقام الرسول صلى الله عليه وسلم دولته في المدينة ومنها إنطلقت الفتوح في أرجاء الجزيرة العربية ، ثم إلى خارجها في عهود الخلفاء الراشدين ، وطوال هذه الفترة حافظت مكة والمدينة على مكانتهما السياسية ، بإعتبارهما عاصمة الإسلام ومركز دولته ، وشكلت عبقرية المكان وقدسيته تلك الأهمية التي أخذت تتعاظم وإن بأدوار أخرى ومفاتيح جديدة .

وعندما إنتقلت الخلافة إلى الكوفة في عهد علي ابن أبي طالب ، ثم إلى دمشق في عهد معاوية ابن أبي سفيان ، إنحسر الدور السياسي للحجاز أي عن المدينة ومكة ، وبذلت في عهد عبد الله ابن الزبير وإعلانه لخلافتة في مكة محاولة لاستعادة الدور السياسي إلى مكة ، ورغم المغريات التي قدمت لعبد الله ابن الزبير لنقل مقر خلافتة إلى البصرة ، الا أنه كان مصراً على بقائه في مكة ، ولكن محاولته فشلت بمقتله ، وإذا كان مركز الثقل السياسي قد إنتقل إلى بلاد الشام بإنفراد الأمويين بالخلافة الإسلامية الا أن مكة والمدينة حافظتا على ثقلهما الديني وأهميتهما الروحية لوجود الحرمين الشريفين بهما. ولارتباط فريضة الحج بمكة المكرمة حيث يتجمع المسلمون من كل حدب وصوب في زمن ومكان محدودان .

ولا شك أن الجزيرة العربية تأثرت كلها بهذا الانتقال إلا أن المدينتين المقدستين حافظتا

على مكانتهما ، ويبدو إن الأمويين خشوا قيام محاولة جديدة لاستعادة الخلافة إلى الحجاز فأخذوا يغدقون على الحجاز الأموال الكثيرة حتى يصرفوا أهله عن أي تحرك سياسي، وإستفاد الحجاز من هذا الاغداق ، فظهر به العديد من الشعراء والمغنين كما ظهر على الجانب الأخر عدد كبير من العلماء والأدباء، وأنتشر العمران والإنتعاش الإقتصادي والحضاري. لقد استفاد الحجاز وبالذات مكة المكرمة من هذا الإغداق ، وتحول إلى مركز إشعاع علمي في العصر الأموي ، وتقاطر إليه العلماء وطلبة العلم من مختلف أنحاء الجزيرة العربية ، والأمصار الجديدة التي دخلت إلى دوحة الإسلام ، وظهرت العديد من المؤلفات الدينية والأدبية في هذه الفترة من خلال النهضة العلمية التي اتسعت في مكة في هذه الفترة بالذات.

وتعتبر عمارة عبد الملك ابن مروان للمسجد الحرام ، وزيادة أبنه الوليد ابن عبد الملك من التوسعات والزيادات المشهودة تاريخياً في عمارة المسجد الحرام، حيث أستقدمت السواري وأفخر أنواع الأخشاب والتي زينت بالذهب واسطوانات الرخام من الشام ومصر وكذلك الفسيفساء.

واستمر هذا الاغداق والاهتمام بالحرمين الشريفين في العهد العباسي حيث أدخلت توسعات جديدة في عهد أبي جعفر المنصور وأبنه المهدي ، حتى أن مساحة المسجد الحرام في توسعة المهدي فاقت تلك التي زيدت منذ عهد عمر ابن الخطاب إلى عهد أبي جعفر المنصور.

وبعد أن أدت الأوضاع السياسية إلى ظهور خلافات أخرى إلى جانب الخلافة العباسية ، كالفاطمية في مصر ، والأموية في الأندلس ، وبدأ صراع القوى السياسية ، ثم بعد ذلك الأيوبيين والمماليك وغيرها من القوى التي أفرزتها فترة الضعف التي المت بالدولة العباسية في عصرها الثاني، وبعد أن أخذ يتردد أن من تحت حكمه الحرمان الشريفان هو الخليفة بدأ كل زعيم يحاول مد نفوذه وسيطرته إلى مكة المكرمة ، لأن ذلك يكسبه شرعية ، ويمكنه من إطلاق إسم الخليفة أو خادم الحرمين على نفسه ، ويعلي مكانته وسلطته ، ولذلك إحتدم صراع القوى لمد النفوذ والسيطرة على مكة المكرمة تارة بالقوة العسكرية وتارة بالانفاق والاغداق ، وأصبحت

مكة مطمح زعماء العالم الإسلامي للسيطرة عليها.

وفي الإطار الثقافي والعلمي ، ومؤشراً على عبقرية المكان وعبقرية الدور إرتبط بمكة المكرمة ما عرف بالمجاورة ، وهي خاصية إختصت بها مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فمنذ فترة مبكرة قام كثير من العلماء وطلبة العلم من مختلف بقاع العالم الإسلامي بترك أوطانهم والاستقرار بجوار البيت الحرام ، بعضهم لفترة من الوقت وبعضهم لفترات طويلة حتى أدركتهم الوفاة وهم في جوار البيت الحرام.

وشكل المجاورون على مر العصور جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المكي ، جيث اختلطوا بأهل مكة الأصليين ، وتبادلوا التأثير والتأثر، وأدى هذا إلى تنوع الثقافات وتبادل العلوم والخبرات والعادات، وإلى صهر العناصر المختلفة من سكانها ، ودمجها في أمة واحدة ، وثقافة واحدة وإن تنوعت مشاربها ومذاهبها ، ولكنه التنوع الذي يثري ثقافة الأمة ويوسع دائرتها.

وهي – أي المجاورة – ظاهرة دينية وإجتماعية قادت إليها قدسية المكان وشرفه وفضيلته، ودعت إليها رغبة هؤلاء إلى قضاء فترة صفاء روحي في رحاب البيت الحرام ، أو الرغبة في الاستزادة من العلم ، أو أعطائه لطالبيه خاصة أن هناك الكثير من الحوافز والمغريات التي هيأت الأجواء العلمية المناسبة ، وشجعت مجموعات كبيرة من العلماء وطلاب العلم على القدوم إلى مكة والمجاورة بها، ومنها إستقرار الأوضاع والأمن والأمان والإنفتاح في إقامة المدارس وفق المذاهب والعلوم المختلفة ، وتيسر الأوقاف والمخصصات والخدمات التي تساعد هؤلاء المجاورين للانقطاع إلى العلم والتفرغ للعبادة ، وإقدام السلاطين والأمراء والتجار على بذل المال والنفقات وإقامة الأربطة والمدارس والمنشآت الخيرية لصالح هؤلاء المجاورين.

وكثير من الأسماء التي عرفها التاريخ الإسلامي كعلماء ومؤرخين ومفسرين ولغويين وقيادات سياسية كانت من أولئك الذين قضوا جزءاً من حياتهم في جوار البيت الحرام ومنهم ابن حجر العسقلاني والسخاوي والشاطبي والقرطبي وغيرهم مئات وربما الاف الاسماء ، وبعض هؤلاء المجاورين شغل وظائف كبيرة في مكة كالقضاء والإمامة والأذان بالمسجد الحرام ومشيخة الحرم والتدريس.

وتعددت المناطق التي جاء منها المجاورون ، ولا نبالغ إذا قلنا إنها تكاد تشمل جميع العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه ، وكل ذلك كان رافداً للثقافة الإسلامية في مكة ، ورافداً لثقافة مكة الإسلامية إلى مختلف الأمصار.

كما أن هؤلاء المجاورين شاركوا مشاركة فعالة في دعم الحركة العلمية والتأليف ونشر المعارف المختلفة وتعدد الرؤى مما إنعكس على الحياة العلمية وإزدهارها في مكة المكرمة وزيادة عدد المدارس وازدهار العلوم المختلفة كعلوم الحديث والتفسير واللغة العربية وعلوم التاريخ ، والإجازة من لدن العلماء المشهورين في هذه العلوم لطلبة العلم، بل أن بعض هؤلاء المجاورين عندما عادوا إلى أوطانهم شكلوا حركات إصلاحية وقادوا حركات تحررية أو نهضوية .

وقد جذبت عبقرية مكة وثقافتها أعداداً كبيرة من الرحالة الذين أرتحلوا إلى مكة وكتبوا عنها مؤلفات عديدة تصف طريق الرحلة إلى مكة وواقع مكة وجغرافيتها وأحداثها ، ووديانها وطرقها.

ولعل من أشهر هذه الرحلات رحلة ابن حوقل البغدادي والتي اشتهرت تحت مسمى (كتاب صورة الأرض) وبدأ فيها من مكة باعتبارها منتصف بلاد العرب ، بل أنه يرى أنها منتصف بلاد العالم ومركز العالم، حيث حدد مكان مكة المكرمة والأبعاد والمسافات التي تفصلها عن بقية مراكز العالم الإسلامي ، والطرق منها وإليها ، وقدم تصوراً جغرافياً مبكراً ومزوداً بالرسوم والخرائط كما قدم وصفاً دقيقاً لمختلف الانحاء في مكة ومرافق المسجد الحرام والمشاعر ، وقدم دراسة عن المياه في مكة ، وعن الحياة الإجتماعية بها..

وتحفل كتب التراجم بأسماء كثير من الرحالة الذين سجلوا تفاصيل رحلتهم إلى مكة المكرمة وغيرها من الأماكن وهو الأساس الذي ظهر منه علم الجغرافيا عند المسلمين أو مايسمى بتقويم البلدان ، ولعل دلالة ذلك إن الرباط الثقافي بين بلدان العالم الإسلامي بعضها ببعض بوجه عام وبينها وبين مكة بوجه خاص كان وثيقاً ، كما تعطي مؤشراً عن المناخ العلمي والفكري الذي كان سائداً حيث يتنقل العلماء ويجولون ويصولون في أرجاء العالم الإسلامي ويسجلون مشاهداتهم

، وحضيت مكة المكرمة بالعديد من هذه الكتابات والرحلات، كما أن هذه الرحلات كانت مجالاً لألتقاء العلماء وتلاقح الأفكار ونقل التجارب والخبرات والمعلومات عن الأنحاء الأخرى من العالم الإسلامي.

واشتهرت كتب الرحلة وأشتهرت أسماؤهم والتي منها الإدريسي والأصطخري وابن جبير وابن بطوطه وغيرهم ، وقد حظيت الرحلة إلى مكة باهتمام كبير في أدب الرحلات .

كما أن هناك رحلات تخصصت في موضوع الحج ، وأوقفها كتابها على رحلتهم لأداء الفريضة وزيارة الأماكن المقدسة ، وأسهمت هذه الرحلات في تقديم تسجيل حي للمجتمع الإسلامي في مكة من مختلف جوانبه كما عكست الجانب الحضاري لها ، وتعدد هذه الرحلات فقد كان منها رحلات الأندلسيين والمغاربة والهنود والإيرانيين والأفارقة والأتراك وغيرهم ، وبعض هذه الرحلات تسهب في الحديث عن المشاعر الدينية ، والوصف الدقيق لما شاهدوه من عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي ، وعن العادات والتقاليد ،وبعضها يتحدث عن المشاكل التي واجهوها في الطريق ، والأوضاع السياسية والأمنية والمرافق الحكومية ، والمشاهد الإحتفالية كما أن بعض الرسميين الذين كانوا يرأسون بعثات الحج كانوا يسجلون مشاهداتهم وإنطباعاتهم عن رحلة الحج ، حتى يقدموها إلى السلاطين والأمراء الذين أوفدوهم لاداء الحج وبعضها يمثل قطعاً أدبية وكتابات راقية تبرز في أدبهم المحلي.

كما قرأنا عن رحلات ومشاهدات في الأدب الياباني والسواحلي من غرب أفريقيا والأندلس والماليزي وغير ذلك في أدب الرحلات التي كتبت عن رحلة الحج.

كذلك جذبت رحلات الحج عدداً من الرحالة الأوربيين الذين أعتنق بعضهم الإسلام ، وأدعى البعض الأخر إعتناق الإسلام حتى يتيسر لهم أداء هذه الرحلة والكتابة عنها.

وتعددت أهداف هؤلاء الرحالة الأوربيون إلى مكة المكرمة ، والهدف المعلن هو المعرفة وحب الإستطلاع والكشف العلمي ، ودراسة المواقع والأماكن ونوعية البشر والحيوان ، إلا أن العديد من هذه الرحلات حمل أهدافاً خفية منها الجاسوسية وتقديم تقارير إلى زعاماتها التي كان يهمها دراسة الجزيرة العربية وأحوال المسلمين ، خاصة أن هناك مشاريع وأساطيل ومخططات

كانت تحيط بالجزيرة العربية .

والملاحظ أن هؤلاء الرحالة قد استعانوا لاتمام رحلاتهم بإخفاء شخصياتهم ودياناتهم الحقيقية وتنكروا بالزي الإسلامي وأجادوا اللغة العربية ، وبرعوا في أداء العبادات والطقوس الإسلامية وتقمصوا شخصيات وأسماء أعانتهم على خداع السلطات الإسلامية والعبور إلى الحرمين الشريفين وكتابة تقاريرهم ، وأياً كانت أهدافهم من هذه التقاريروالكتابات إلا أن هذه المؤلفات لا تخلو من فائدة علمية ، فهي تقدم وصفاً تفصيلياً ودقيقاً عن أحوال مكة المكرمة العامة ، الدينية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية في الفترات التي قاموا فيها بأداء هذه الرحلات، كما أنهم من خلالها قدموا صورة حية عن الحج ومراسمه وترتيباته في هذه الفترات التي شهدت قدوم هؤلاء الرحالة الأوربيين.

ومن هؤلاء الرحالة لودفيكو فارتيما الإيطالي ، وأدى الحج في مطلع القرن العاشر الهجري- السادس عشر الميلادي، وجوزيف بيتر الإنجليزي في نهاية القرن الحادي عشر الهجري – السابع عشر الميلادي، ودمنغوا باديا ليبليخ الأسباني في أوائل القرن الثالث عشر الهجري- بداية القرن التاسع عشر الميلادي.

وترك بعض هؤلاء الرحالة كتابات مهمة لعل من أهمها كتاب صفحات من تاريخ مكة المكرمة للمستشرق الهولندي سنوك هور خرونيه ، وقد تناول كتابه دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والإجتماعية منذ البعثة النبوية وحتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري ، واستطاع أيضاً أن يتسلل إلى مكة المكرمة تحت إسم متنكر هو الحاج عبد الغفار.

وكما جذبت الرحلة إلى البيت الحرام الرحالة من مختلف العالم الإسلامي ، فهي أيضاً جذبت الأوربيين من مختلف دول أوروبا فهناك الإنجليز والفرنسيون والألمان والإيطاليون وغيرهم ولهم كتابات مسجلة ومعروفة ومشهورة.

ولأن عبقرية المكان دائمة ، وعبقرية الدور مستمرة ، فإن الفترة التي شهدت تراجع الأمة الإسلامية وتفتت دولها وتصارع القوى السياسية والزعامات وتكالب العالم على المنطقة وانتشار

الفوضى وإنعدام الأمن وبالتحديد خلال العصر العثماني حيث لم يعد طريق الوصول إلى مكة أمناً فقد تأثرت مكة المكرمة بهذه الأوضاع وتراجع عدد الحجاج والزائرين والمجاورين ولكن ذلك مالبث أن تغير، فبمجئ الدولة السعودية ، ودخول الحجاز تحت سلطتها ، بدأت نقلة جديدة في تاريخ مكة وحياتها وعمرانها ودورها.

والمملكة العربية السعودية كما تعرفون احتفلت قبل بضعت أعوام (١٤١٩هـ/١٩٩٩م) بمرور مائة عام على قيام دولتها الثالثة بقيادة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

ويرى كثير من المؤرخين والدارسين في علم السياسة والإجتماع السياسي إن توحيد هذا الكيان وإعلان قيامه تحت مسمى المملكة العربية السعودية هو أعظم وحدة سياسية شهدتها المنطقة في مطلع القرن الماضي ، فشبه الجزيرة العربية التي تشغل المملكة اليوم معظم أراضيها وأجزائها ، لم تتحد في كيان سياسي واحد إلا في صدر الإسلام ، وعند قيام الدولة الإسلامية، ثم مالبثت أن عادت إليها ظاهرة التفكك السياسي بعد أن إنتقلت الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة ، ثم إلى دمشق مع الأمويين، وإلى بغداد مع العباسيين.

وقد مر مشروع الوحدة الأكبر لشبه الجزيرة العربية بعدة خطوات كانت الخطوة الأولى بقيام الدولة السعودية الأولى في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بتلاقي دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية مع الجهود السياسية والعسكرية للأمير محمد بن سعود وأبنائه ، حيث توحدت بعض الأجزاء،ثم جاءت الخطوة الثانية بقيام الدولة السعودية الثانية ليترسخ مشروع الوحدة بصورة أوسع في عهد الملك عبد العزيز بقيام الدولة السعودية الثالثة، التي من خلالها ظهر كيان جديد هو المملكة العربية السعودية.

لقد أستوعب الملك عبد العزيز أسباب سقوط دولة أسلافه في دوريها الأول والثاني ، واستفاد من الظروف الداخلية والخارجية لبناء الكيان الجديد واعطائه مقومات الاستمرارية.

ففي مطلع القرن الماضي ، كانت جزيرة العرب بصفة عامة مسرحاً لعدد من الصراعات

السياسية بين القوى المحلية التي استمدت تأثيرها من درجة حيويتها وعلاقاتها بالقوى الخارجية ، وقد انتهت تلك الصراعات بتغلب عبد العزيز آل سعود على معظم الخصوم المحليين متجنباً المجابهة مع القوى الدولية المهيمنة على المنطقة في تلك الفترة ، ومنطلقاً في الوقت المناسب إلى إكمال مشروعه الكبير بإقامة الدولة السعودية الثالثة .

وحمى هذا المشروع الكبير حين توجت جهوده بتوحيد المملكة عام ١٣٥١هـ /١٩٣٢م ، وكرس هذه الوحدة عبر العمل التنظيمي والمؤسساتي الذي إنتهجه ، مما ميز مشروعه عن مشروع أسلافه وضمن له النجاح ، حيث شهدت الدولة سلسلة من التنظيمات السياسية والإدارية ، التي حافظت على هذا الكيان وفتحت الطريق لتطوره مع المحافظة على الخصائص المتميزة لأجزائه ومكوناته والفكر التجديدي الإسلامي الذي انبثق عنه .

ولعل أهم المنجزات التي تحققت على صعيد مكة المكرمة ، إن الملك عبد العزيز إستطاع أن ينهي الصراع الذي كان سائداً بين القوى الإسلامية للسيطرة على الحرمين الشريفين، والذي كان يحول أحياناً ساحات الحرم الشريف إلى ساحة قتال ، كما أنه قضى على كثير من البدع التي ترسخت في فترة التراجع التي سادت العالم الإسلامي والفكر الإسلامي كما أنه أشاع الأمن لدى الحاج والمعتمر فعادت قوافلهم وتعاظمت أعدادهم.

إن قراءة فاحصة لشهادات عدد من الحجاج عن رحلة الحج وصولاً إلى مكة والمعاناة التي كانوا يتعرضون لها من إعتداءات اللصوص ونهبهم وغاراتهم ، حتى إنه كانت هناك أحياناً قوات عسكرية ترافق هذه الوفود ترسل معهم من دولهم تؤكد مقدار العنت الذي كان يتعرض له الحجاج وتؤكد أنه لم يكن هناك سلطة سياسية قوية تفرض إحترامها وتحمي هؤلاء الحجاج من هذه الاعتداءات ، حتى أن صاحب إحدى هذه الشهادت يؤكد أنه إذا أستمر هذا الأمر – أي الاعتداءات – فأخشى أن يتعطل الحج.

وفي العهد السعودي شهد الحرمان الشريفان نهضة عمرانية وتوسعات عديدة بدأت منذ عهد الملك عبد العزيز ولم تتوقف حتى اليوم.

إننا كنا ومازلنا نسمي مكة المكرمة العاصمة المقدسة ، وهي كانت وستبقى عاصمة الثقافة الإسلامية، وستبقى كذلك ليس لعام ، وإنما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وستبقى شامخة عبقرية المكان الذي إختارته السماء وعبقرية الدور الذي تجاوبت معه أركان الأرض.

Makkah Capital of Islamic Culture 2005

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

البحوث العلمية

نماذج من حلقات العلم ومؤسسات الفكر في الحرمين الشريفين وأثرهما في النواحي الإصلاحية والفكرية في العالم الإسلامي

د. عاصم حمدان - كلية الآداب والعلوم الإنسانية



الحالة الفكرية في البلاد العربية في القرن الثاني عشر الهجري

بعض المؤرخين يربط بين الضعف الذي اتسمت به الحياة الفكرية في العهد العثماني، وذلك الضعف الذي أصاب النظام السياسي للدولة العثمانية. وكمثال على ذلك فإننا نجد (كارل بروكلمان) يفسر هذه الناحية قائلاً : «الضعف الذي اعترى السلطة كان متوازياً مع ذلك التدني في الحياة الفكرية، فلم تكن شخصيات السلاطين العثمانيين، أو وزرائهم تظهر ميلاً أو رغبة تجاه النواحي الأدبية. وتجنباً للتعميم، فإننا سوف نقوم بقراءة سريعة للحياة الفكرية في الأقاليم العربية، التي كانت تشكل جزءاً مهماً من الإمبراطورية الإسلامية العثمانية، ونشير إلى أثرها في التهيئة للحركة الإصلاحية والنهضة الفكرية التالية.

الحياة الفكرية في مصر كادت تكون مقتصرة على ذلك النشاط الذي كانت تقوم به مؤسسة الأزهر التعليمية التي كانت تمثل مركزاً علمياً مهماً في البيئة المصرية، إلا أن هذه المؤسسة لم تكن في فترة الحكم العثماني – من وجهة نظر بعض الباحثين – مؤسسة خصبة أو عميقة في أبعادها العلمية.

على أن ذلك لا يعني أنها كانت عديمة الفائدة ، فلقد استطاعت أن تمد الحياة الفكرية ببعض الروافد الجيدة. الدكتور أسامة العانوتي في دراسته عن الحركة الأدبية في بلاد الشام –خلال القرن الثامن عشر الميلادي- يرى أن ظاهرات الثقافة في العراق وسوريا لا تقل أدباً ونشاطاً عما هي عليه في مصر.

وإنه لخطأ كبير أن يظن أن الأزهر في القاهرة كان المؤسسة الوحيدة من نوعها، إنه – بدون شك – أهم تلك المؤسسات؛ لأنه كان أغناها في بلاد العرب. أما مراكز التعليم في بلاد الشام فكانت : حلب ، ودمشق ، والقدس ، ونابلس ، كما وجدت مدارس في الرملة، وحمص، وغزة، وصيدا، وحماة، وعكا، وطرابلس، وبعلبك، ثم إن المدارس كانت في مساجد كل مدينة(1).

أما الأستاذ عباس الغزاوي في دراسته عن التاريخ الأدبي للعراق فيعتقد أن الأدب ابتعد من منتصف القرن العاشر حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري، إلا أنه – مع ذلك – ظل صوتاً مسموعاً للشعر، ومع حلول

النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، بدأت الدولة العثمانية توجه شيئاً من العناية للنواحي التعليمية؛ بافتتاح عدد من المدارس في العراق، وحاولت أن تترك -في الوقت نفسه- شؤون مناهجها للسلطات الداخلية، وبهذا سلمت هذه المؤسسات استقلاليتها؛ مما ساعد على تقويم المستوى العام للغة العربية، التي كانت تشهد شيئاً من التزاحم بين اللغتين : التركية والفارسية.

ولا شك أن النشاط اللغوي الجديد صاحبه تحسن في المستوى الشعري، الذي استفاد – أيضاً – من تشجيع بعض الشخصيات السياسية لذلك العصر، ويعود الغزاوي للقول بأن الاستقرار السياسي الذي شهده العصر كانت له نتائجه الإيجابية في الإبداعات الفكرية والأدبية، والمتمثلة فيما خلفه المؤرخون العراقيون من مؤلفات، والشعراء من دواوين[٢].

وإذا أتينا لدراسة تاريخ السودان الأدبي قبل مطلع القرن التاسع عشر فإننا نجد الدكتور الناقد إحسان عباس يعتبر هذه الدراسة ضرباً من التوغل في المجاهل المظلمة، لولا بصيص من النور يلقيه في طريق الباحث كتابان قيمان، هما : (كتاب طبقات ود ضيف الله) ، وكتاب (تاريخ السودان)، والكتابان على بعدهما عن النواحي الأدبية يرسمان بعض الخطوط الكبرى للحالة الثقافية في المجتمع السوداني منذ القرن الخامس عشر، ويعرضان لبعض الأمثلة الشعرية من تلك الفترة البعيدة في أثناء سيادة الفونج ومن أتى بعدهم في مملكة سنار.

كما يرى أن مصر والحجاز هما القطران اللذان استمد منهما السودان الإيحاءات الأولى في بواكير انتعاشه الثاني، ويقرر لنا كتاب (طبقات ود ضيف الله) أن الشعاع الأول إنما تسرب إلى البلاد مع القادمين من الخارج، مواطنين كانوا أم غرباء[٣].

كما يشير إلى أن دراسة الفقه كانت تحتل منزلة كبرى بين متعلمي ذلك العصر، ومع الزمن أخذت تتسع المجالات الثقافية، فلم تعد تقتصر على هذا اللون من الدراسة، وإنما أصبحت تشمل بعض مبادئ النحو، والعروض، والمنطق، والحديث، والتفسير، والأصول، ونسمع عن أناس كانت لهم معرفة بالسير والأخبار، ولا سيما مغازي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وعن آخرين برعوا في النحو، والصرف، واللغة، والمعاني، والبديع، والعروض، وبعض آخر تضلع في المنطق ومصطلحاته[٤].

أما في تونس، فقد تأثرت الحياة الفكرية بإيجابيات الحكام الحسينيين، في الفترة ١١٢٧-١٣٠٠هـ، وكان لهذه الجهود العلمية آثارها في ظهور عدد من الكتّاب، الذين شغلوا مراكز إدارية مهمة اعتماداً على مستواهم العلمي أو الفكري[٥].

ويرى الدكتور حسين بن عبدالله العمري في دراسته لفكر الإمام الشوكاني أن الحياة الفكرية والأدبية في اليمن في فترة القرن الثامن عشر الميلادي كانت حياة خصبة، بالرغم من قسوة الحياة وصعوبتها، وبالرغم من تعصب المتعصبين من الغلاة والمتزمتين، وهو يرجع تلك الخصوبة العلمية إلى المدارس الفقهية، التي نشأت في

اليمن في تلك الفترة، والتي أنتجت عدداً من العلماء المجتهدين، مثل الشيخ صالح بن مهدي المقبلي، والشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني، المعروف بالأمير ومحمد بن علي الشوكاني(٦).

يضاف إلى ذلك أن الرحالة الدنماركي كارستن نيبور، الذي زار صنعاء في عام ١٧٦١م عبر عن إعجابه بشخصية أحمد بن علي النهمي (١١٣٠-١١٨٦هـ)، الذي كان وزيراً لحاكم اليمن المهدي عباس بن القاسم (١١٣٠-١١٨٩هـ) لأكثر من خمس وعشرين سنة، واستغرب «نيبور» أن يجد عربياً في اليمن يعرف جغرافية أوربا وميزان القوى السياسية فيها في ذلك الحين(٧).

وأشار الدكتور طه حسين(٨) إلى أن أهم ما يميز فترة القرن الثاني عشر الهجري هو ظهور الحركة الدينية للشيخ محمد بن عبدالوهاب -يرحمه الله- التي رحب بآرائها الإصلاحية علماء اليمن، من أمثال: محمد بن إسماعيل الأمير، والشوكاني، والأخير أثبت له الدكتور العمري قصيدة يرثي بها مؤسس الحركة الإصلاحية عند وفاته في عام ١٢٠٦هـ، ويعرض حقيقة دعوته وأهميتها فيقول:

مصاب به ذابت حشاشة مهجتي ... وعن حمله قد كل متني وكاهلي

أفق به يا معيب الشيخ ماذا تعيبه ... لقد عبت حقاً وارتحلت بباطل

أفيقوا، أفيقوا إنه ليس داعياً ... إلى دين آباء له وقبائل

دعا لكتاب الله والسنة التي ... أتانا بها طه النبي خير قائل(١)

وحافظت المدينة المنورة على مركزها العلمي والحضاري، حتى في تلك الظروف السيئة التي شهدت فيه الأمة العربية والإسلامية ذلك الانحطاط الفكري الذي أشرنا إليه سابقاً. ويصف الدكتور عبدالله العثيمين هذا الدور الذي أدته بيئة المدينة المنورة، وخصوصاً تأثيرها في طلاب العلم الذين كانوا يرحلون إليها ويأخذون عن علمائها، يقول: « وكانت المدينة المنورة ملتقى العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار الإسلامية، كان بعض هؤلاء يأتي إليها فيستقر بها، وكان بعضهم يأتي إليها فيستقيم فيها فترة ثم يغادرها إلى وطنه، وقد ضمت في تلك الفترة بالذات علماء درس عليهم وتأثر بهم عدد ممن أصبحت لهم أدوار مهمة في بلدانهم خلال ذلك القرن»(١٠).

ويذكر الدكتور العثيمين اسمي عالمين مهمين من علماء المدينة في القرن الثاني عشر الهجري، كان لهما أثر كبير على الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ ليس بالنسبة لتحصيله العلمي فقط، وإنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحي أيضاً.

وهذان العالمان أو المفكران الكبيران هما عبدالله بن سيف، ومحمد حياة السندي، وقد تلقى الشيخ السندي علومه على يد علماء معروفين، من أمثال الشيخ أبي الحسن بن عبدالهادي السندي، والشيخ محمد أبي الطاهر الكروتني، وتصدى بعد وفاة مشايخه للتدريس، وأثمرت هذه الدروس عن تأليفه لكتب مهمة، منها (شرح

الترهيب والترغيب) ، و (مختصر الزواجر) لابن حجر، و (شرح الأربعين) [١١].

وإذا كان الشيخ السندي قد أخذ العلم عن الشيخ محمد أبي الطاهر الكوراني، فإن مصلحا آخر ظهر في شبه القارة الهندية في النصف الاول من القرن الثاني عشر، وهو ولي الله الدهلوي، قد أخذ عن الشيخ الكوراني في المدينة المنورة أيضاً، وعاد إلى بلاده، ونشر دعوته الإصلاحية فيها، وبذلك يكون بروز المصلحين في العالمين العربي والإسلامي، وفي مقدمتهم الشيخان: ولي الله الدهلوي ومحمد بن عبدالوهاب – يرحمهما الله – له صلة وثيقة ببيئة المدينة المنورة العلمية في تلك الحقبة المهمة من التاريخ الإسلامي، ويكون لهذه البيئة نوع من التأثير في تكوينها وتوجهاتها.

نماذج من الحلقات العلمية الفاعلة والمؤثرة ودوائر الفكر والأدب في القرن الثاني عشر الهجري

أعطت الهجرة النبوية للمدينة المنورة، وما رافقها من احتضان أهلها للعقيدة الإسلامية، وإخلاصهم في الدفاع عن الإسلام ونشر تعاليمه السامية في جميع أقطار الأراضي، أعطتها كل تلك المعطيات الحضارية والخصائص الثقافية التي عرفت بها على مر العصور الإسلامية وحتى بعد أ، فقدت المدينة البلد مركزها السياسي، حيث انتقل مركز الخلافة إلى دمشق أولاً، ثم إلى بغداد ثانياً، فإنها لم تفقد ذلك الدور العلمي المتمثل في توجه أهل العلم والمعرفة إليها كلما احتاجوا إلى معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة، وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة الإسلامية الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي، هذا الجو العلمي هو الذي تأسست في رحابه مدرسة المدينة برعاية الصحابي الجليل عبدالله بن العباس رضي الله عنهما، وكان من روادها أيضاً بعض من أبناء الصحابة الذين تخصصوا في رواية التاريخ والمغازي نذكر منهم: سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي، وسهل بن أبي خيثمة المدني الأنصاري وسعيد بن المسيب المخزومي، وأبان بن عثمان بن عفان، وعروة بن الزبير بن العوام، وقد تلا هذه المجموعة الأولى جيل ثان برز فيه عدة علماء منهم عبدالله بن أبي بكر (ابن حزم) وعاصم بن عمرو بن قتادة، وأبو روح يزيد من رمان الأسدي المدني، وأبو الأسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل الأسدي، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري[١٢] رضي الله عنهم أجمعين.

وسنقف في دراستنا هذه وقفات عابرة عند بعض الشخصيات الفكرية والأدبية التي اضطلعت بدور رائد في المجالات العلمية والثقافية بدءاً من القرن الحادي عشر الهجري فهي الفترة التي تحتاج إلى قدر كبير من البحث والدراسة والتحليل لما أصابها من إغفال ولحق بها من نقص. وما ذلك إلا لوقوعها في فترة ما يسمى بعصور الانحطاط الفكري، مع أن الشواهد التاريخية تثبت أن المدينة ممثلة في مسجدها النبوي الشريف ظلت تؤدي دوراً مهماً في نشر العلم والثقافة الإسلامية. وليس أدل على ذلك من بروز عالم متمكن في علوم الشريعة الإسلامية وهو الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني (١٠٢٥/١١٠٣هـ) الذي تتلمذ على أحد العلماء

المجاورين بالمدينة وهو الشيخ أحمد القشاشي ثم درّس بالمسجد النبوي، وتلقى العلم عنه عدد كبير من أبناء الأمة الإسلامية، وترك ثروة علمية تقدر بما يزيد على مائة كتاب كما يذكر المؤرخ المرادي(١٣). إضافة إلى ذرية صالحة حملت العلم عنه، وكان منهم الشيخ محمد بن سعيد بن إبراهيم الكوراني(١٤) (١١٣٤/١١٩٦هـ) والشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني(١٥) (١٠٨٥/١١٤٥هـ) وقد أخذ العلم عن هذا الأخير العلامة المجدد ولي الله الدهلوي – صاحب : (حجة الله البالغة) الذي استقر بالمدينة في الفترة ١١٤٣/١١٤٥هـ، وكان ملازماً طول تلك الفترة للشيخ أبي الطاهر الكوراني(١٦).

كما حفل الحرم النبوي الشريف في القرن الثاني عشر الهجري بحلقاته العلمية المتعددة. ومن هذه الحلقات ما كان مختصاً بعلم اللغة والأدب مثل حلقة الشيخ محمد بن الطيب الفاسي الذي كان تلميذاً من تلامذة الشيخ محمد أبي الطاهر الكوراني، ولقد كان الفاسي إماماً في اللغة العربية في وقته، ومحققاً متضلعاً في كثير من العلوم كما تدل على ذلك قائمة الكتب التي تنسب إليه. كشرحه على (معجم القاموس) ، وشرح (نظم الفصيح) وشرح (كافية بن مالك) وشرح (شواهد الكشاف) للزمخشري(١٧).

كما حفل المسجد – في الفترة نفسها – بحلقات أخرى كانت مختصة بالحديث وعلومه، ومنها حلقة الشيخ محمد حياة السندي(١٨) الذي تلقى علومه من مشائخ عدة يأتي في مقدمتهم الشيخ أبو الحسن بن عبدالهادي السندي(١٩) والشيخ محمد أبو الطاهر الكوراني، ثم تصدى للتدريس بعد وفاة شيخه السندي، وأثمرت هذه الدروس، عن تأليف لكتب قيمة منها (شرح الترهيب والترغيب)، و (مختصر الزواجر) لابن حجر، و (شرح الأربعين)، ولعله من المفيد هنا أن ننقل عبارات الدكتور عبدالله العثيمين أستاذ التاريخ بجامعة الملك سعود بالرياض في كتابه (الشيخ محمد بن عبدالوهاب – حياته وفكره – عن الشيخ محمد حياة السندي) ، أما محمد حياة السندي فكان حجة في الحديث وعلومه (صاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية متعددة(٢٠). ويؤكد الدكتور العثيمين أثر الشيخين محمد بن حياة السندي، والشيخ عبدالله بن سيف(٢١) على الشيخ محمد بن عبدالوهاب – يرحمه الله – ليس في تحصيله العلمي فقط وإنما في اتجاهه الإصلاحي أيضاً.

ومن علماء المدينة في هذه الحقبة المؤرخ عبدالرحمن بن عبدالكريم الأنصاري (١١٢٤/١١٩٧هـ) الذي تلقى علومه في مدرسة الحديث التي نشأت في المدينة خلال القرن الثاني عشر الهجري، حيث نعرف من ترجمته أنه تلقى العلم على الشيخ أبي الطاهر الكوراني، وأبي الطيب السندي، ومحمد بن الطيب الفاسي.

ينعته المرادي في كتابه (سلك الدرر) بمؤرخ المدينة في عصره(٢٢) كما يذكر عمر الداغستاني، وهو من معاصر له بالمدينة، أنه ألف (تاريخاً) جمع فيه بيوتات أهل المدينة(٢٣) وعبارة المرادي على قصرها تحمل دلالة واضحة على أهمية كتاب الأنصاري المسمى (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من أنساب) فهو، كما

ذكر محقق الكتاب الأستاذ محمد العروسي المطوي، ليس مجرد كتاب أنساب فقط كما يدل عليه عنوانه بل هو بالإضافة إلى ذلك يصور مجتمع المدينة في القرن الثاني عشر من مختلف أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يمكن الدارس وبخاصة الاجتماعي من تلمس العناصر والمعطيات والتحليل والإنتاج[٢٤].

لم يذكر الأنصاري سبباً لتأليفه كتابه (التحفة) إلا أنه يشير عند ترجمته لآل الأنصاري إلى أن المؤرخ السخاوي أهمل كثيراً في كتابه (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة) و (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) من فروع هذا المجموع –أي آل الأنصاري – وذلك من قلة العلم بأصولهم وعدم تفصيلهم[٢٥]، ولعل هذا ما حدا بالأنصاري أن يؤلف كتابه هذا وكتاباً آخر في تاريخ أنساب أهل المدينة لا نعرف عنه إلا اسمه وهو (نشر كمائم الأزهار المستطابة في نشر تراجم أنصار طابة)[٢٦].

والأنصاري من خلال الترجمة التي كتبها لنفسه يبدو أنه أحد أولئك العلماء الذين تجولوا في بعض البلاد العربية والإسلامية، يحدوهم في ذلك الرغبة في طلب العلم والاستزادة من معطيات المعرفة، فهو يسافر إلى بلاد اليمن سنة ١١٧٢هـ، ويدون وقائع رحلته في كتابه المعروف باسم (قرة العيون في الرحلة إلى اليمن الميمون) كما يشير إلى اهتمامه بالأدب والشعر خاصة، وذلك عن ذكره للزيارة التي قام بها لإمام اليمن «المهدي العباسي» حيث مدحه بقصيدة بائية في سبعين بيتاً[٢٨]، وهذا يؤكد ما نذهب إليه من احتكام علماء الحرمين الشريفين – في تلك الفترة – واتصالهم بنظرائهم في البلاد العربية والإسلامية وهو اتصال كانت له ثمراته المباركة وآثاره الحسنة.

وكتاب الأنصاري (التحفة) يعتبر دليلاً واقعياً على خطأ الرأي الذي ذهب إليه بعض الباحثين وخصوصاً المستشرق «فرانز روزنتال»[٢٩] من أن كتابه تاريخ المدينة المنورة لم تحظ بالجانب السيري، ويعتبر مؤلف الأنصاري حلقة في سلسلة من الكتب الذي عنيت بتدوين تراجم رجال البلدة الطاهرة، بدءاً من القرن الثامن الهجري، وكان من أهمها كتاب ابن فرحون[٣٠] المعروف باسم (نصيحة المشاور وتعزية المجاور)[٣١] وكتاب (الأعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام) للمطري[٣١] ثم تبع هذين المؤلفين المؤرخ السخاوي[٣٢] فألف كتابه (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة)[٣٣] وعني فيه بتراجم رجال المدينة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عهد المؤلف وهو القرن التاسع الهجري.

وممن برز في المدينة من العلماء، في حقبة القرن الثاني عشر، محمد بن زيد العابدين بن عبدالله بن عبدالكريم الخليفتي[٣٤] وعالمنا هذا كما يذكر المرادي[٣٥] تلقى علومه الدينية على يد عدد من مشائخ العصر الأجلاء كالشيخ محمد حياة سندي، والسيد إبراهيم أسعد وبعد أن تكونت مقومات شخصيته العلمية أخذ في تدريس العلوم مما هيأ له بعد فترة من المراس والدربة أن يتولى وظيفة الخطابة والإمامة كما تولى منصب الإفتاء في المدينة.

أما من حيث إنتاج الخليفتي العلمي فنجد مصدراً ككتاب (تراجم أعيان المدينة)، يذكر أنه كان ناظماً وناثراً[٣٦] وهو الوحيد بين المصادر التي ترجمت له نجده ينفرد بذكر مؤلفه في تاريخ المدينة، ولا نجد ذكراً لهذا الكتاب عند معاصره عبدالرحمن الأنصاري وهو أمر غريب، فلقد عني الأخير بتدوين معظم الآثار العلمية التي دونها أصحابها خلال القرن الثاني عشر الهجري.

أما كتابه في تاريخ المدينة المنورة فهو (نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر) وهو كتاب لا يزال مخطوطاً اطلعت على نسخة منه في مكتبة فضيلة الشيخ جعفر فقيه – يرحمه الله – وفي مقدمة هذه النسخة نجد المؤلف يذكر أنه وضع مؤلفه استجابة لرغبة قاضي المدينة وابن قاضي البلد الحرام محمد أمين أفندي ابن المرحوم صالح أفندي، الذي طلب منه أن يجمع له نبذة عن محاسن المدينة الزاهرة، وآثارها الفائقة، فكان هذا الكتاب الذي رتبه على خمسة أبواب وخاتمة:

الباب الأول : في فضل المدينة.

الباب الثاني : في فضل مسجدها الأنور وروضتها الشريفة.

الباب الثالث : في من يُزار بها من الصحابة الأخيار.

الباب الرابع : في مشاهدها ومآثرها.

الباب الخامس : في فضل المجاورة بها .

كما شهدت بيئة المدينة المنورة الأدبية في حقبة القرن الثاني عشر الهجري حركة شعرية حاولت أن ترتفع إلى أفق الأحداث التي عاشها المجتمع في تلك الفترة. ولا شك في أن ما تنطق به نصوص هذا الشعر الذي أوردنا أمثلة له خلال دراستنا هذه من استنباط لبعض نوازع النفس الإنسانية ونقد لواقع أليم يعيشه الفرد في ذلك المجتمع، وإبراز لأخطاء قاتلة يقع فيها من وُضعت فيهم ثقتها وحمَّلهم أمانتها، ولا شك أن كل ذلك يدخل ضمن دائرة البواعث التي حملتنا على دراسة هذه المطولات الشعرية وتخصيصه بالاهتمام دون غيره من إنتاج شعراء تلك الفترة. على أن ذلك لا يعني أن كل ما تعرضْنا له بالدراسة هو على مستوى واحد من حيث المضمون، أو أن يتجانس من حيث الصياغة الفنية التي تؤدي دوراً هاماً في إيصال ذلك المضمون وتبليغه، بل هي نماذج متفاوتة في أهمية ما تكشف عنه وتحاول مقاربته، كما أن الأداة الشعرية والوسيلة الفنية لهذا الشعر تختلف عند شعراء الحقبة الواحدة، فلا يمكن أن يحلق الشعراء جميعاً في فضاء الشعر بمستويات واحدة، بل إن بينهم قدراً معلوماً من التفاوت يُردّ إلى ما يتفردّ به كل واحد منهم من استعداد فطري لقول الشعر وتجويده، كما أن للخلفية الثقافية والنزع الفكري دورهما في هذا التفاوت الذي هو سنَّة من سنن هذا الكون، وطبيعة متأصلة من طبائع هذه الحياة.

وإذا كنا قد وفقنا في الأمثلة السابقة على قدر شاعر كجعفر البيتي على التفاعل مع قضايا مجتمعه، وأن هذا

التفاعل قد أدى إلى بروز سمة الصدق الفني في إبداعاته الشعرية وما يتصل بذلك من قدرة على سيطرة الشاعر على اللغة الشعرية التي بدت بعيدة كل البعد عن الواقع في المباشرة أو الوضوح الفج واتخاذها الصورة وسيلة لتجسيد لمحات من الواقع الذي عايشه الشاعر في عصره، فإننا في قصائد أخرى نلحظ تحقق سمة فنية أخرى، وهي مما يمكن أن يضاف إلى ميزات هذا النوع من الشعر الذي برز في المدينة في حقبة معينة خلال القرن الثاني عشر الهجري، وهذه السمة هي ميل الشاعر إلى الأسلوب السرَّدي ، ونجد هذه السمة متمثلة في قصيدته التي نظمها بسبب فتنة سنة ١١٤٨هـ والتي يقول فيها :

سلوا فلسان الحال من كل مُسلم ... أُصيب ببلوى عنده خبر جَمُّ
سلوا عن حديث الابتلاء من بُلي به ... وأولى بنعت السقم من مسه السَّقمُ
سلوا كل دار بالمدينة ما الذي لقينا ... فعند الدار من أهلها علمُ
سلوها عن الفتك الذي أصابها ... قريباً فمن لقياه في وجهها وشمُ
وكيف ارتقوا فوق المنابر وانتهوا ... إلى غاية ينحط من دونها النَّجمُ
وكيف أُعيدت وقعةُ الحَرة التي ... إلى هذه الأخرى تضاف وتنضمُّ(٣٧)

وإذا كانت الملحمة كجنس أدبي عند الأمم الأخرى فقد عرفت السرد وسيلة فنية قبل أن تصبح سمة من سمات الرواية والتي يعتبرها بعض النقاد (الحفيد الوليد للملحمة) فإن القصائد الحماسية في الأدب العربي كقصائد الكُميت وأبي الطيب المتنبي عرفت أيضاً هذا الأسلوب الفني، وشعراء المدينة في القرن الثاني عشر الهجري كالبيتي، وسَفَر، والجامي، نزعوا إلى هذا الأسلوب الفني –السرد- في أشعارهم التي ضمنوها وصفاً حياً لبعض الوقائع والأحداث الاجتماعية. فهذه قصيدة الشاعر محمد سعيد سفر يقوم بناؤها الفني على أسلوب السرد، حيث يقول الشاعر:

كم قتلوا من صناديد مُكرَّمةٍ ... كم قتَّلوا من شجاع باسلٍ بطلِ
كم هتكوا عِرض ربّات الخُدور ... وقد خرجن من فعلة الأوغاد والسفَل
هَلكى حفايا عرايا في مكابدة ... من بعد ما كُنَّ في الأثواب والحُلل
أصبن في المال والأهلينَ مع ولدٍ ... وفي النفوس وهذا حكمة الأزل
رجالهنَّ غدوا أسرى كأنهم ... عبيد ملك السُّودِ كالجعلِ(٣٨)

واتخذ بعض شعراء هذه الحقبة التصوير أداة لتجسيد الوضع السيء الذي أضحت عليه مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الحقبة، فهذا الشاعر أحمد الجامي يجسد الخراب والدمار والقتل الذي حلَّ بالمدينة من

خلال هذه الصورة الشعرية التي تجعل القارئ يتلمس عن قرب الوضع المأساوي للناس وهو في منازلهم، أو في صلاتهم لخالقهم. وفي سبيل تكثيف هذه الصورة الشعرية وشحنها بالدلالات القوية والمؤثرة، يستخدم الشاعر من الأساليب اللغوية ما هو ملائم لذلك وهذا يتبدي في كثرة ورود الفعل مبنياً للمجهول، ومعلوم أن تنبه الشاعر لما يمكن أن تحدثه هذا الصيغة من تأثير فيتنفس القارئ، يدل على وعي الشاعر بدور الصورة في البناء الشعري.

يقول الجامي مصوراً وضع المدينة في نهاية القرن الثاني عشر الهجري وبالتحديد أثناء فتنة سنة ١١٨٩هـ:

فبلدتك الغـــراء زاد خرابهـــا ... وقامت للدغ الناس حياتُها الجُربُ

وقُطعت الأسباب فيها وعُطّلـت ... وحقَّ عليها الحزن والنّوح والنّـدبُ

وصار يحل الأمر خوفاً وحـالهـا ... غدا حالكاً والخلقُ عمـهم الكَرْبُ

وجُردَ سيف البغي والمنكر الـذي ... به الله لا يرضـى ولا أنت يا جبُ

إذا كان في حال السجود لجمعةٍ ... وبين يدي مـن لا سـواه لنـا رَبُ

تدور رحى الهيجـاء لا دَرُّهـا ... وتطحن ذا ذنبِ ومَـن لا له ذنبُ(٣٩)

لقد وجدنا شعراء تلك الفترة يحسنون الاستفادة من بعض الآيات القرآنية، فالشاعر جعفر البيتي يستفيد من ألفاظ السورة القرآنية الكريمة (العاديات) فيقول :

الموريات العـاديات ضـوابحـاً ... الصّافـــنات الزافـرات الجُفـلَ

وجاء هذا التضمين متلائماً مع حادثة أيوب أغا سنة ١١٣٤هـ التي وقعت بين أهل المدينة والأغوات ونشأ عنها قتل السيد عبدالكريم البرزنجي وابنه السيد حسين البرزنجي، وهو يدل أيضاً على إلمام شعراء تلك الفترة بالثقافة الدينية التي كانت تشكل أساساً في منطلقاتهم الفكرية والأدبية ، وهذا الترابط بين الشاعر وثقافته الدينية يعود إلى بيئة المدينة التي عرفت بمسجدها الشريف وحلقات العلوم الدينية فيها، وكان الكثير من علماء القرون الماضية يجمعون بين الثقافتين الدينية والأدبية. كما نجد الشاعر جعفر البيتي يستشهد بالحوادث التاريخية المعروفة، كسيرة تيمور لنك، وجنكيز خان، وبختنصَّر، ليدلل على فظاعة الأعمال التي ارتكبت في حق المدينة وأهلها :

عادت لنا سيرة تيمـور في حلَبِ ... أيام صبيانها شابَتْ نواصـيها

ويومه وهـو في بغــدادَ يَهتِكها ... ويوم «جنكيز» بالتّتار يرميها

وهذه الاستفادة من الآثار القرآنية والحوادث التاريخية تندمج في إطار العمل الشعري، وتلتحم بكيانه الفني التحاماً كاملاً، وغالباً، ما يكون هدفها الإلماح وتحفيز ذهن القارئ وتحريك خياله.

وفي عمود القصيدة التي أبدعها شعراء المدينة في تلك الحقبة محاولات بعض الشعراء التخلص من المقدمة الغزلية والطللية، كما في قصيدة البيتي التي يفتتحها:

المجد تحت ظلال سمر الذبل   وظبا القواضب والجياد القفل

الموريات العاديات ضوابحاً   الصافنات الزافرات الجفل

وهذا التخلص يعد ظاهرة فنية جيدة، ولعل تأثر الشاعر البيتي ببعض شعراء العصور الذهبية في الأدب العربي وخصوصاً (المتنبي) (٤٠) جعله ينتهج في قصائده نهجاً مختلفاً عن شعراء الحقبة العثمانية، بل إن انصراف الشاعر البيتي إلى الشعر انصرافاً كاملاً جعله يبعد عما يسمى (الشعر التعليمي) حيث تظهر مصطلحات العلم الشرعي «من تحليل وتحريم، وواجب ومكروه، ومباح، وناسخ ومنسوخ، وغريب مُرسل»(٤٠).

يحاول شعراء تلك الفترة استعادة تاريخ المدينة الماضي في محاولة ذكية لمقارنته بالوضع المأسوي الذي كانت تعيشه المدينة في الحقبة العثمانية. فهذا الشاعر جعفر البيتي يحاول في أسلوب تهكمي وساخر أن يصور جهل حاكم المدينة وضعف الوازع الديني لديه في تلك الحقبة، الذي اعتقد جهلاً وباطلاً أنه بفعلته الشنيعة ضد المدينة وسكانها، يرجو ثواب أهل (بدر) الذين كان جهادهم ضد الكفرة والمشركين وليس ضد المؤمنين من سكان لمدينة المنورة كما فعل هذا الحاكم في تلك الحقبة السيئة.

كما أن للقاموس الشعري لشعراء المدينة المنورة الذين عرضنا لبعض قصائدهم ، ألفاظه وعباراته التي تدل على الروح الإسلامية التي كانت تسري في نفوس هؤلاء المبدعين، فألفاظ مثل : نداء، سيرة، ثواب، يندب، يشكو إلى الله العظيم، يرغب، الحَبْر، العليم، أهل العلم، الشرف، علم، قسط، حُرمة، السجود، ربَّ، أمَّنَ، العدل، الإحسان. هذه الألفاظ والعبارات استخدمت استخداماً فنياً نأى بها عن التقريرية والنثرية التي تتحول معها القصيدة إلى ما يشبه المنظومة العلمية التي هي أبعد ما تكون عن روح الشعر القائم على التصوير والتجسيد الذي يعتمد على الخيال وما يقوم عليه من صور بلاغية يكون للاستعارة والمجاز دورهما في تقريبهما إلى ذهن القارئ، كما يكون لهذه الصور دورها في الإلماح إلى الحالة التي يسعى الشاعر لجذب الانتباه إليها، والتأثر بها وبالتالي الالتحام معها، والتعاطف مع المضمون الشعري الذي ترتكز عليه القصيدة في بيئتها وتركيبها ودلالاتها المعنوية.

لم تنحصر موضوعات شعراء المدينة في تلك الحقبة في التفاعل مع الأحداث المأساوية التي شهدتها مدينتهم في القرن الثاني عشر للهجرى – الثامن عشر الميلادي – بل نجد بعضهم يطرق موضوعات اجتماعية مختلفة. فهناك قصيدة السيد جعفر البيتي التي يصف فيها بيئة مدينة (ينبع) في تلك الحقبة. كتب الشاعر قصيدته سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م وكانت حشرة (البق) المعروفة محوراً لموضوع القصيدة. وحاول البيتي بأسلوب ساخر أن يصور هذه الحشرة وما تسببه للإنسان من أذى – وخصوصاً وهو في حالة النوم – بأنها كتيبة جُند. وكان

موضوع الحرب وقاموس مفرداته مثل : كتائب، جند، فرسان، ميدان، ركض، ينازع، شجاعته، لم يفارق خيال الشاعر الذي خصص جزءاً كبيراً من شعره لوصف الأحداث الدامية آنذاك في المدينة. والشاعر نفسه، لا تخفى عليه الحالة التي كانت قد وصل إليها الأدب في تلك الحقبة، لذا جاءت مقطوعته الشعرية عن أدباء تلك الفترة وتشبيه عقولهم بفصل الخريف إشارة ذكية لتساقط أوراق الشجر لعدم فائدتها، وإسقاط هذه الحالة على عقول الأدباء وما تبدعه من أشعار خالية من الإحساس والذوق المطلوبين في عملية الإبداع الشعري. كما أن الشاعر يصف هذا الإبداع الضعيف بفصل الشتاء، فبرودة الجو في هذا الفصل يقابلها خلو هذا الإنتاج من كل ما يمكن أن يتفاعل معه روحاً ووجداناً وإحساساً إنسان ذلك العصر. ويمعن البيتي بأسلوبه الساخر المؤثر فيصف ما ينتجه أدباء عصره بأنه داء تتأذى منه جوارح الإنسان، كما أنه، وبلمحة ذكية، يشير إلى انتشار شعر المديح غير الصادق وذلك عندما يقول في مقطوعته المذكورة :

تخشى على الممدوح يقضي   منه من برد الشـــتـاء

وتعكس القطعة كذلك ، بالتشهيبات العديدة التي تضمنتها، صوراً من الفهم الاجتماعي السلبي لدور المرأة، وذلك عندما يقول الشاعر:

لو صُورَتْ أشعـــارهــم   ما جـئـن إلا كالنساء

فبينما كانت المرأة في العصور الذهبية للأدب العربي تحتل مكانة سامية في عقل الشاعر مما كان ينعكس على أدبه وشعره بصورة إيجابية، نجد رؤية العصور المتأخرة للمرأة فيها من القصور والسلبية ما يمكن إرجاعه إلى التقاليد التي كانت تشكل مع غيرها عقبة في طريق رقي الأمة وتطورها وعودتها إلى الوعي الحضاري والثقافي الذي انبثقت منه في ظلال الشريعة الإسلامية السمحة نهضة الأمة وتقدمها وسمو مكانتها بين الأمم الأخرى. وعلى الرغم من هذه الرؤية السلبية التي تعكس رؤية الرجل لنصفه الآخر، إلا أن السيد البيتي شخَّص الداء الذي يعاني منه أدب تلك الفترة بقوله :

يا غُربَةَ الآداب ضـاعـت   بين أظْـهُـرِ هـؤلاء

ولعل ثقافة البيتي يعكسها كتابه النثري (مواسم الأدب وآثار العجم والعرب) [٤٣] حيث نجد فيه تراجم لبعض الشعراء وشيئاً من شعرهم وما قيل فيه، كما نجد فيه أحاديث عن التاريخ والجغرافيا، وذكر الممالك والأمم، والكتاب- وهذا كما يذكر الناقد عبدالرحيم أبو بكر – يرحمه الله – «يدل على ثقافة واسعة واطلاع شامل تزود بهما السيد جعفر ثم عكس آثارهما في هذا الكتاب»[٤٤]. ولعل هذه الثقافة الواسعة بمعارف العصر وعلومه هي التي كونت شخصية البيتي العلمية وجعلته في مقدمة أدباء عصره، ليس في الشعر وحده بل وفي النثر أيضاً، وهو ما أشار إليه الدكتور عبدالرحمن الشامخ عند دراسته للرسالة التي بعث بها السيد البيتي إلى صديقه الخطيب محمد أبي الخير المدني سنة ١١٤٠هـ من مدينة ينبع، والأخرى إلى صديقة أحمد البقاعي ١١٧٠هـ، ووصف

الدكتور الشامخ الأسلوب الذي كتب به البيتي رسائله «بجزالة التعبير، وسلامة التركيب، كما اتسم بالثراء اللغوي والقدرة على استنباط المعاني والصور»(٤٥)، ويُرجع الشامخ قيمة الأثر الفني في الأسلوب النثري لجعفر البيتي إلى «الموهبة الشعرية التي هدت الكاتب بألا يجعل رسالته مجرد قوالب تعبيرية تقليدية، بل أن يضفي عليها من ذاته ما يجعلها تنبض بالحياة وتحفل بالمتعة الفنية»(٤٦).

نصوص شعرية لأدباء المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري وارتباطها بالأحداث المهمة التي جرت في تلك الحقبة التاريخية

النص الشعري الأول:

للشاعر جعفر بن محمد البيتي، ويوضح النص الفتنة التي وقعت سنة ١١٣٤هـ بين مشيخة الأغوات وأهل المدينة المنورة.

المجد تَحْتُ ظلال سُمْرِ الُّدبَّل ... وظُبِ القَوَاضِبِ والجيادِ القُفَّلِ
المُوريات العَاديات ضَوَابِحاً ... الصَّافناتِ الزَّافراتِ الجُفَّل
والخَوْضُ في غمرات بطنان النوى ... يوم التَّصادم في القتام المسبل
وَتَواتر العزمَاتِ في طَلَبِ العُلاَ ... والفوز في اقْصَى فَيافِي الهَوْجَلِ
والفَخْرُ ما تركَ الأعَادِي خُشَّعاً ... رفل المحازم كالجياد العُزَّلِ
بين القَنَا وَوُرود أحواض الرَّدَى ... لُقُوا العَلاَقم في تَرَاقي الحَوْصل
لا عَاشَ من تَرْضَ المَذَلةَ نفسُهُ ... طوعاً، وعن شَاوِ المفاخر يَأتلي
تَعِسَت حَيَاةُ لاُ تُشَابُ بعِزَّةٍ ... غَبراء بين مَهَابةٍ وتَذَلل
العزُّ أجملُ ما اقتناهُ الو النُّهى ... والذّل بالأحرار لَيْسَ بمُجْمل
من شاء إدراك المَعَالي فليكُن ... مِثْلَ الهُمَام الأمْجَدِ بين الأفْضَلِ
السَّيد، الزَّيْن، الشَّريفِ «محمد» ... ذي العَزْم، سبط المُصْطفَى والمُرْسل
وابن الكرام الطَّيبين أرومةً ... أهل الكِسَاء، الطَّاهرينَ، الكُمَّل
والحَازم المُقْدَام، دَحَّاض الرَّدَى ... دُونَ العِبَادِ بسَيْفه والمقْوَلِ
لا غَرو فهي سَجِيَّةٌ مَوْدُوعَةٌ ... فيه، وشنْشنةٌ، لأخْزَمَ من علي

مَازالَ يُنْكرُ في المدينة مُنْكراً ... مِنْ مُرجِفٍ، أو مُفْسد، أوْ مخذِلِ
وتَغلُّبَ العُربانِ في أطْرافِها ... مِنْ كُلِّ ناحِيةٍ، وبَغيَ بَني عَلي
وتَغافُل الحُكّام عما أبْصَرُوا ... من جَوْرِهم فيها، وظُلْم الأرْمَلِ
حتى أتَى الفَرجُ القَرِيبُ وساعَدَت ... همَاته الأقْدارُ باللّه العَلي
فاستنهضَ الأبْطَالَ من أنْصَارِه ... من كُلِّ شَهْمٍ في الخُطُوبِ مُدَلَّلِ
يُهْوِي إلى نَهْبِ النُّفُوسِ بِهِمَّةٍ ... مَقْرُونةٍ بالنَّصْرِ مثل الأجْدَلِ
فتعاهدوا في اللّه أنْ يتناصَرُوا ... في الدين، لا يخْشَوْنَ لَوْمَ العُذَّلِ
وحَمَوْا حِماهُم والديّار عَن العدَا ... بالبيضِ، والسُّمْرِ اللّدانِ الذُّبَّلِ
فتذلَّلت لهم البَوادي عنوةً ... وَتَعَذَلُوا بالجِد أي تعَذلِ
ولطالما قاسوا ليالي العسر من ... هول يذيب مرارة المتهول
يَمْسُونَ في حفْظِ المَناتق كُمَناً ... مُتختّلين لأخْذهم في الجَنْدَلِ
ياوَيْل من قد أوْقعْته نَفْسُهُ ... فيهم، فيُصبح في الحديد مُكبَّلِ
فهم الرِّجالُ وما سِواهمُ نسْوةٌ ... لم يَتْرُكُوا من زَيّهنَّ سوى الحُلي
فَتَشاورَ الفُسّاقُ فيما بينهُمْ ... وأنْ ينقضُوا ما ابْرمُوهُ بِمُبْطلِ
فجرت هنا للنَصْيُحة، يَرْقَى إلى ... أفْقِ السَّماءِ عَجاجُها، بَلْ يَعْتَلي
وطَغَت عليهم بعد ذلك عُصْبَةُ الْـ ... أغوات مع أتْباعِهم والجُهَّلِ
والأصْلُ في ذا أنَّهم قد ركّزُوا ... «لعلي قَنَا» الغمْر، الزَّنيم الحسْكَلي
منعُوةٌ أرْبابُ الوُجاقِ جميعهُم ... أنْ يَشْتري فيهم ولمَّا يَدْخُلِ
زَعمُوا بأنَّ له فَسَاداً سابقاً ... إذْ خَان قدْماً في الزَّمَان الأوَّلِ
فترافعوا للشّرْع، وانكشَفَ الغِطا ... وَدعَاهُمُ القَاضي ليَومٍ مُقْبلِ
نَزَلُوا والقَوْا في المداعير الظُّبا ... من غَيْرِمُكْترث، وغَيرمُعَوَّلِ
فتفازعت لهم الرِّجالُ أخَفَّ مِنْ ... وِرْد الهَام إلى وَتين الكَلْكَلِ
فَهناك ولَّوا مُدْبِرين وأُتْبِعُوا ... طَعْناً وَضَرْباً كاللّهيب المشعلِ

Makkah Capital of Islamic Culture 2005 — مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

واتوا إلى الحرَم الشَّريف وأغْلقُوا الـ — أبوابَ، واصطعدوا المَنابرَ والعُلى
ورَمَوْا على النّاس الرُّصاصَ، ومارَعوا — جَـاهَ النَّبي ولا الكـتَاب المُنَزَّل
وأقامَ ذاك إلى الغُروب ، وأصـبحوا — مُتَحَصنين بحِلْيَة المُسْـتَقْبل
فدُعُوا إلى أنْ يَراجُعوا ، فتَعَصَّـبوا — وأتوا بفعْـلٍ مُنْكرٍ لم يُفْـعَلِ
فقضى عليهم أنْ تُباحَ دمَـاؤُهـم — هدَراً لِحَدّ المُرْهَـفات الفُصَّـلِ
وتَوافقَ الجُمْـهورُ قَـوْلاً واحِـداً — والنَّصُّ في طُغْـيانهم نَصٌّ جَلي
فتبادَرت لهُـمُ الرّجـالُ عَوابسـاً — من كُلِّ فَحْـلٍ بالثَّبات مُسَـرْبَلِ
فَهُــمُ ببَيْتِ المالكي وَصفــه — وَلنَا عليهــم صَفُّ بَيْت الحَنْبَلي
وَمشت إلى ذروان مــنهم فرْقــةٌ — فتحصَّنُوا الحمَّـامَ مِنْه وما يَلي
فُهنَاك صُبَّت للمَــنُونِ صَـواعِقٌ — وَتَسَعرت للمَـوت نَارُ القَسْـطَلِ
يَوماً أشَـدُّ من الحَـديد قَسَـاوَةً — وَأمرُّ طَعْـماً من مَذاقِ الحنْظَـلِ
تَركُـوا النَّواصـي شُـيّباً فكَـأنَّها — وَقعـاتُ جسّاس بقَـوْم مُهَـلْهِلِ
نَقَـبُوا علـيهم كُـلَّ دارٍ عَـنْوَةً — واسـتخرجُوهم مَنْزلاً من مَنزل
وَتدارَكوهــمُ بالرَّدى فتفــجَّرتْ — أحشَاؤهم مِثْلَ انْفجارِ الدُّمَّـلِ
فتصاغــرت أرواحُهــم ممَّا رَأوا — وَجـرَت دِماؤهم كجَرْي الجَدْوَلِ
وتحقَّـقُوا المَـوْت الزُّؤام ، وسَـلَّمُوا — للأمْر طَــوعاً خُضَّــعاً بتذلُّلِ
فأشارَ قاضي الشَّـرْع كُفُّـوا، إنَّهُـم — جَنَحُــوا لسـلمكُمْ بغير تفعُلِ
فأطَـاعَ مَنْ مـنَّا جمـيعـاً قَوْلهُ — إذْ حيث كان أولاكَ عَنْه بمَعْـزِلِ
وتَدَاركُوا الخَطْبَ الجَليل بحَبْسِ من — قَـد كَان رأسـاً للفَسَـاد الأوَّلِ
النَّائب الجَـاني، «ومَسْـعُود» الّذي — جَعَلَ المَفاسدَ سُـنةً لم تُجْـعَلِ
وَ«بلال عَـنبر» رَأسُ كُلّ مُصـيبَةٍ — حبكَت عليهم غُـمَّةٌ لا تَنْجـلي
وتلاهُمُ عبداللطـيف، فأُسْـجِنُوا — وَهووا إلى دَرْك الجَحيم الأسْفَلِ
وَمشَت عُروضُ النَّاس فيهم جُمْـلَةً — نَحْوَ الشريف لِحلّ ذاكَ المُشْكَلِ

فاهْتَال منْهُـم، وابْتَغَى احْضارَهم ... هُمْ والخُصُومَ، مع الشُّهُود العُدَّلِ
ليبينَ بالإجْمَاع كُلّ مُغَمْغَم ... رَغْماً على أنْفِ العَدُوّ المُبطل
وتكون حُجَّتُهم هُناك قوية ... غرّاءَ، لم تُدْحَض ولم تتَزَلْزَلِ
تأتي إلى السُّلْطَان قَوْلاً مُثْبَتاً ... أيضاً ويحملُها بأحْسن مَحْمَلِ
فتوافقُوا للطَّوْع إذْ هُو واجِبٌ ... وَمَشَوْا جَميعاً نَحْوه بَتذلُّل
فَإذَا اتوهُ وحقَّقُوا مَا اخْبَرُوا ... عَنْهُ، وَصَحَّ القَوْلُ غير تَقَوُّل
فلسوف تأخذه هُنَاكَ حَمِيَّةٌ ... فينا بغير تَهَاوُن وَتَمَهُّل
يأيّها المَوْلَى تَدارك كَرْبَنَا ... بالغوثْ منْكَ وغَارة المُتَعَجِّلِ
فلك البلادُ مع العَباد وأمرهم ... وهم إليك بنسْبة كالعُيَّلِ
تأتي ويسألُكَ المُهيمنُ عنْهُمُ ... عن كُلّ فعْل مُجْمل ومُفْصَلِ
فالغَوث ثم الغَوْثَ إنَّكَ كهفنا ... نأوي له من كُلّ أمْر مُعْضلِ
إنَّ المدينةَ حلَّ فيها مُنكَرٌ ... لا يُرْتَضَى، والجَورُ فيها قد مُلِي
فلانت أوْلَى النَّاس حَقاً غَيرةً ... فافعل إذا ما شئتَ أو لا تَفْعَلِ
ولانْتَ مِنْ بيْت تقدَّس سِرُّهُ ... شَرفاً، وغيْرُكَ منْ مَنَاقبه خَلي
لو تَسْأل القَبْرَ الشَّريفَ غَدَاتما ... رَجفُوه بالفعل الفظيع المُشْكلِ
لأجاب أنَّ مَحَمداً في طَيّه ... مُتوجِّعٌ من فعْلهم بتَمَلْمُلِ
حاشا لمُخْتلف الملائك أنْ يَرى ... مأوَى البُغَاة وكُلّ وَغْد مُضْلِلِ
اللهُ أكبرُ إنَّها لمُصيبةٌ ... تَبْدُو لغَيْر المُبْصر المتأمِّلِ
تالله مَا جعَلَ المَسَاجد معكفاً ... ألاَّ لمثْل القَانت المُتَبَتِّلِ
أفَّ لقَلْب مُؤمن لا يَمْتلي ... غَضباً، وطَرْف جَامد لا يَهْمِلِ
فاصْدَعْ، فما تأخُذْكَ لومةُ لائم ... في الله بالحقّ المُبين المُنْجلي
لا تَرْثينَّ إذا أتَوا بتحَيُّل ... فلأنْتَ تعْرفُ علَّةَ المتحيّلِ
لولا النبي أقَامَ فيهم غَارَةً ... شَغْوَا، لم تَبْرح ولم تتحوَّلِ

ما أوقعتُهمْ في الوَبَال نُفُوسُـهُمْ ... ولكان ذَاكَ الأمْـر لم يَتَحَّصـلِ

قطعـت زَنَانيرُ النَفَـاق بكُتْبهـم ... ولسوف تقطعُ في الزَّمَان المُقْبلِ

لازلتم يا أهـل طـيب نصـرةً ... للحـق، سـماً للعـدو المبطل

في ظـل أعْـتاب النَّبي وجَـاهـه ... مُتسـربلـين بنعْـمةِ لا تبـدَلِ

إنَّ النَّبي له عـليكم غــيرةٌ ... حـقّـاً، وإنَّ الله ليس بُمْهـمـلِ

فَامْضُوا على صِدْقِ العَزَائم وارْفُضُوا ... قَوْلَ المُعنَّـف والجَبَان المفشـلِ

إنَّا إذا أخْـنَى علينا حـادثٌ ... أو شِـدَّةٌ، أوْ بَعْـضُ أمْـرٍ مُعْضل

فَلنا اعْـتِصَـامٌ بالنَّبـي وآلـه ... خَـيْرِ الوَرَى، المُـدّثر، المُزمِّـلِ

صـلى عليه الله مَا نَشَـر الرُّبَى ... نَشْرَ العبير، مع النَّسـيم الشَّـمْألِ

وعلى بَنيه والصـحـابة كُلّـهم ... الطَّاهـرينَ، الرَّاشـدينَ، الكُمَّـلِ

مَا رجَعَ الحـادي يقُـوُل مُعَـرضاً ... المَجْـد تَحْتَ ظِلالِ سُمْرِ الذُّبَّلِ

النص الشـعري الثـاني

قِفُوا تنظروا آثَارَ مَا صَـنَعَ الظُّـلْمُ ... وجُوسُوا خلالَ الدَّار تُنْبيكُمُ الأُكمُ

قِفُوا بالرُّسُـوم الدَّارسَـاتِ فَرُبَما ... تَحقَّقْتُمْ منها ومَا نَطَقَ الرَّسْـمُ

قِفُـوا نَشْـتكي مَا قَدْ أصَابَ فَإنَّهُ ... عَظيمٌ، وأنَّ الأمْرَ حَـادثُة ضَخْمُ

على كُلَّ دَعْـوَى في الظُّلامَة حُجَّةٌ ... يُصَّدقُها التَّحْريقُ والهَـدْمُ والرَّدْمُ

إلى عَـدْلكُـم يا آل زَيْـدِ تَوَجهَـتْ ... وجُوهُ شَـكَايَانَا، وعِـندكُمُ الحُكْمُ

إليكم يُسَـاقُ الأمر والنَّهْـيِ في الوَرَى ... وأنْتُمْ مُلُوكُ الأرضْ والسَّادَةُ الشُّـمُ

سَلُوا فَلسَـانُ الْحالِ من كُـلِّ مُسْـلم ... إذا حَامَت الأعْدَا عَليه ولم تَحْصُوا

سَـلُوا عَنْ حـدَيث الأبْتلاَ من بُلي بِـهِ ... وَأوْلَى بنَعْـتِ السُّقم مَنْ مَسَّهُ السُّقْمُ

سَـلُـوا كُلَّ دارِ بالمدينـةِ ما الـذي ... لَقـينا، فعِـنْدَ الدَّار من أهْلها عِـلْمُ

سَلُوها عَن الهَـتْك الذي قَـدْ أصَـابَهَا ... قَريباً، فمن لُقيَاه في وَجْـهها وَشْـمُ

سَـلُـوها عَـن الأعْرابِ كَيْفَ تَسَـنَمتْ ... ذُرَاها، وكَـيْفَ النَّهْب والهَتْك والغُنْمُ

وكيف ارتقُوا فَـوْقَ المَنَائر وانْتَـهـوْا ... إلى غـايَةٍ يَنحطُّ مِنْ دُونِها النَّجـمُ

وكيف أُعيدت وقـعـةُ الحـرَّة التي ... إلى هـذه الأخْرَى تُضَـاف وتَنضَمُ

يَزيـديةٌ رُدَّتْ ، وَحـقّـك إنَّـهـا ... لَفاقرةٌ أَسْـبَابُها الجَـوْرُ والغُـشْـمُ

« وَلولاَ رجَـالٌ يُخْـربُون بُيـوتَهُم ... بأيْديهـمُ» ما أَخْـربُوها ولا هَـمُّوا

وَمَا عَـزمُـوا في ذاكَ إلاَّ بـرَأيهـم ... وَلَوْلاهُـمُ ماكانَ عِـنْدَهُـمُ عَـزْمُ

هُمُ جمَعُـوا مَـالَ الحَـرام وأنفَـقُوا ... على البَغْي ذاكَ المَال فاجْـتَمَعَ الإثْمُ

ولله كُل الحَـمـد إذ كانَ حَسْـرَةً ... عَلَيهِمْ من الإنْفَـاقِ أَعْقَـبها الغُـرْمُ

ولم يُرَ قـدْماً مَنْ يُعـيِن بِمَـالِهِ ... عَلى عـرْضِـه إلاَّ الدَّنّي أو الفَـدْمُ

أَعانُوا على السُّلطانِ أعْـداءَ مُلْكِه ... وَشَـقُّوا عَصَا الإسْلامِ جَهْـراً وَمَا لُموا

وَقَـدْ زَعمُـوا أنَّ الحمَّـيةَ مِنهُـمُ ... لَهُ، وهي لا تَخْفَى عَلَى عاقِـلٍ وَهْـمُ

فقُل لَهُـم هـل كانَتِ السِّـتةُ التي ... نَفَـيتُمْ لَهُم من مُـبْتدَا حَـرْبِكُم عِلْمُ

وهل حَضُروا لَمَّا غَـدَرْتُم عَشـيَّةً ... وَقَطَّعتُمْ من السُّوق مَنْ لا لَهُ جُـرْمُ

وُصْلتُمْ جَميعـاً بالبَنَادقِ بَعْـدَها ... وحارَبْتُمْ مَنْ عِنْدَهُ حَـرْبكم حَـتْمُ

وهـل كان طلبكم لشَّـريعةِ خيفةً ... عَلى الفِتْنَة العَمْـيَاءِ مِنْ أنَّها تَنمُـو

وهَل كانَ داعي الصُّلح يَدْعُو فتَسْمَعُوا ... وَتَعْمُونَ إلاَّ الحَـربَ أَمْ أنْتُمْ صُـمُّوا

وَمَا ذاكَ إلاَّ عَـنْ هَـوىً وتَعـرُّضٍ ... يَراهُ عَـياناً فـيكُمْ مَنْ لَهُ فَـهْـمُ

إلى الله نَشْـكُو ما أصَـابَ ، وإنَّها ... أمُـورٌ لها في الدِّين مُذْ صَـدرتْ ثَلمُ

عَسَى في خَبَايَا الدَّهر نَصْـرٌ مُعَجَّـلٌ ... يُرَمُّ بِـه شَـعْـثُ الأنامِ وَيلـتَمُّ

عَسَى حَقُّ مَقْـتُولٍ أُصِـيبَ، ويُتَمْتْ ... أَرامِلُـهُ، حَـتَّى أَضَـرَّ بِها اليُـتْمُ

عَلَى رَغْمِ مَنْ يَهْوى الفَسَـادَ وَيبتَغِـي العنَادَ ولم يَبْرح إلى بِدْعَـةٍ يَسمُو

عَسَى دَعْوة المَظْلوم حِـينَ دَعَـا بها ... أُجِيبَتْ، عَسَى اجْدَتْ، عَسَى نَفَذَ السَّهمُ

لَعلَّ العَـذارَى المُحْصنَاتِ يَراهُـمُ ... غُيُورٌ على العَوراتِ، ذُو نَخْـوةٍ شَـهْمُ

عَسَى رافعٌ هَتْكَ المَحارم دافعُ الظَّلاَمِ، عَـدْلٌ، بالرَّعـيةِ يَهْـتَمُّ

عَسَى نَافذُ الأَحْكَام والأمْرُ فيْصَلُ ... لَـهُ نَظَــرٌ أَعْــلاَ، وَأَرْوَهُ حَــزْم

- ومَنْ غَيْر «مَسْعُود» يُسَــاعِد بالمُنَى ... ويُرجَى، وَذَاكَ المَاجِدُ البَطَلُ القَــرمُ

قَريعُ العُلاَ، مَلْكُ الأبَاطـع سَـيِّد ... الجَحَاجح، مَنْ تَعْــنُو لعَــزته البُهْـمُ

وَقَدْ جَاءَ فَالُ الخَـيْرمنْهُ مُسَــاعدٌ ... شَبيهُ اسْمه، يَا حَبَّذَا الفَــالُ والإِسْـمُ

وَيا حَــبَّذَا يَعْسُــوبُ مُلْك، مُقَــدَّمٌ ... لَهُ الصَّــدْرُ قدْماً مثْلما قُدِّمَــتْ بِسْـمُ

لَكَ الخَـيْروالبُشْــرَى لديك، فإنَّني ... أَشُم رِيَاح النَّصْر إنْ صَـدَقَ الشَّــمُ

فَيَا غَوْثَ مَلْهُــوف الفُــؤَاد ومُنْتَهَى ... المُرَاد ، وَجَالي الهَمِّ إنْ عَظُــم الهَـمُّ

وَأَمـنَ مَخُــوفَــاتِ البلاَد ومُلْتَجي ... العِــبَاد، ومَنْ فِي عَــدْله لهُمْ قِسْــمُ

اعِدْ نَظَراً فِي الحَال والحَــادثِ الذي ... جَرَى وانْبَرَى من عَظْمه اللَّحْمُ والعَظْمُ

وفِي كُلِّ مِسْــكين فَقــير، وَوَالد ... حَــزين، ومَوْلُــود أُصِــيبَتْ به الأُمّ

وأرْمَلة جَــاعَــت ثَلاثين لَـيْلَةً ... وَعَشْــراً، بها الخَــوْفُ المُبَرحُ والعُــدْمُ

وَقَد (بَلَغَ السَّــيْلُ الزُّبَا) وتَضَــرمَتْ ... جَحيمٌ وغَيٌ قَدْ ذَابَ من حَرِّها الجِسْـمُ

خُذِ الأمْر بالمعْــرُوف، واحْكُم بما تَرَى ... وشَمِّر لِحَسْــم الدَّاء يَنْفَعُــنَا الحَسْــمُ

رَضِــينا بمَــا تَرْضَــى من الأمْر كله ... لَنَا وعَلَيْــنا، لَــغ إبَاءٌ ولا رَغْــمُ

لكَ العَفْــوُ والحِــلْمُ الذي أنْتَ أَهْــلُه ... وَلكنَّ فِي العَاصِــين لاَ يُحْمَــدُ الحِــلْمُ

فَمَا صَنَعُوهُ غَــيرخَــافٍ، وظُــلْمُهم ... شَــهِيدٌ عليهم، عِنْدَك العُرْبُ والعجْمُ

فَــلاَ تَلْتَفِــت للعُــذْر منهــم، فَإِنَّهُ ... بَقَــايَا خِــدَاعٍ، جُــرْحُــهُ ليس يَنْدَمُّ

وَلَوْ صَــدقُوا لم يَسْــتَبِدُّوا برأيهــم ... لأمْــر فَظْــيع، غُــبُّهُ العَارُ والذَّمُّ

ولكنَّهــم فِي زَعْمِــهــم أنَّ حكمَهُــمْ ... إليهِــم، ولا أَمْرٌ عَلَيْهم ولا حُــكْــمُ

وَقَــالُوا كَــثيراً مثْل هَــذَا، وإنَّهُ ... قَــبيحٌ، وَأَوْلَى منْ إبَاحَــته الكَــتْمُ

لَقَــدَ رَضُــوا دَرَ الحَــرَام، وَإنَّهُ ... عَسيرٌ عليهم بَعْدَ طُول المَدَى الفَطْــمُ

وَأَعْظَــم بَلْــوَى نَالَــت النَّاس أنَّــهَا ... تُضَامُ، ولا عِــنْدَ المُلُــوك بها عِلْــمُ

- يَخَافُونَ فِرْمَاناً عَلَى غَــيرمُوجَــب ... إذَا مَا شَــكَوا ظُلْماً، فَكُلُّهُــم بُكْــمُ

إذا حاولوا الإنْصاف لم يُسْعُفوا بهش	وَكَيْفَ يُرجَّى العَدْل والحَكَمُ الخَصْمُ
بَقيْتمْ لَنا يا أسْـرةَ الهَـدْىَ، إنّكُـم	مَصَابيحُ في الظَّلْمَاء يُمْحَى بها الظُّلْمُ
جَزَى اللَّه كُلَّ الخَيْر حُسْنَ صَنيعكُـمْ	وَمَا فعَـل التَّدْبيرُ، والحَزْمُ والجَـزْمُ
إذا دَامَ فينا حُكْمُكُـمُ والتفَـاتُكـم	فكـُلُّ لَـيَاليـنَا وأيَّامُـــنَا سـلْـمُ
لكمُ غُـررُ الأفْعـال مـن كُلِّ صَالح	على النَّاس يُرْوَى ذلك النَّثْرُ والنَّظْمُ
على جدِّكم أزْكى الصَّلاة، وَبعْـدَهُ	عليكُم، وفيكم يَحْسُنُ البَدْءُ والخَتْمُ.

النـص الشـعري الثالث

بَكَى علـى الدَّارِ لَمَّا غـابَ حَـامـيها	وجـرّ حُكَّامُـهـا فـيها أعَــاديهَا
بكـى لطـيـبةَ إذ ضـاعت رعـيَّتها	وراعَــهَا بكـلاب البَرّ راعـيـها
ـ بكى لمن هَاجَرُوا بالكُـرْهِ وارتحلُوا	عنها، وكانوا قديمـاً هَاجَـروا فـيهَا
واهــاً لكـربتـهـا واهــاً لغُـربَتها	واهــاً لجَـائعـهَا، واهــاً لعَـاريهَا
واهــاً لحـالي لَمَّا قمـتُ أنْشـدُها	الدَّارُ أطْـبَقَ إخْـرَاسٌ على فـيـها
يَادمْــنةً سُـلبَتْ منها بَشَاشَـتُها	والُبستْ من ثياب المحْــل بَاقـيها
وقفـتُ فـيها أُعـزِّيها لكـربَـتهَا	إعْجَـبْ على جلْـدي أني أُعـزِّيـها
فمن مُعـيني بأحْـزانٍ يضـاعُفـها	عَليَّ؟ مَنْ لعـيـوني؟ مَنْ يُـواسـيـها
يَا صَاح نَاد البواكي وأبك أنت معي	ولا تُصَبرن نـفـسي، لا تُسـلّيها
ما مثْلُ «طيبة» ما مـثلُ الذي لَقـيتْ	منَ الأسَى، فَبِمَـن ترجُـو تأسّـيها
حاشا لمُخْتَلَف الأمـلاك من غـير الدُّ	نيـا وما صـنعـتْ فـيها لَيَالـيها
بأبي الفـداءُ لها من كُـلّ حــادثـة	لو كــان يَنْفَعُـهـا اني أُفَـدّيها
وغاية الجُهـد اَنْ أبكي لهـا أسـفاً	حتى تَجِـفَّ دُمُـوعي في مآقـيها
كان التغُّزلُ في جـيرانِ ذي سَـلَم	واليوم قد كَـثُرت فـيها مـراثـيـها
هـي المديـنة أمسـت بعد عـزَّتها	كسيرةً، غـاب عنها اليوم حَـامـيها
ملهـوفةً كَـبْدُها حَـرى، مقطَّـعَةً	محروقةً، فاسقها إن كنت تَسْـقيها

ما قمتُ في نصرها حقَّ القيام، فلا   أقلَّ من أدْمُعي فيها تُروِّيها
ما في الحياة ولا في العيش من أرَبٍ   مَنْ منعمٌ بوفاةٍ منه يُسْديها
عِشْنَا إلى أن رأيْنَا ما يُصَدّعُهَا   عشنا إلى أن رأينا ما يُنَكّيها
مُصيبةٌ عُرِضَتْ للمسلمين غدَتْ   عن كربلاء ويوم «الدَّار» تُلْهِيها
فيا شقاوة من أمْسَى يروّعها   ويا سعادة من أمْسَى يُراعيها
يا رَحْمَةَ من قلوب المؤمنين لَهُ   دارٌ أتى هَدْمُها من كفّ بَانِيهَا
- قُصُّوا العجائبَ عني وانقلُوا خبري   على الحقيقة أمليكم وأرْوِيهَا
وذاكَ في (مائة والألفُ يتبعُهَا   خمسٌ وخمسُونَ) احصاهُنَّ محصيها
كان الآغا اصْطَفى في السّر طائفةً   تبغي على الأمّة الجُلّي وتنويها
لَمُّوا عليه لاحْقَادس مُقَدمَةٍ   تلوحُ في جُلّهِمْ والعجز يُخْفيها
واصلُهُ في الآغا مال الغِلالَ أتى   «عثمان بيك» به للناس يوفيها
فضَمّهُ منه سِرّاً ثم أنكرهُ   على الرعيَّةِ يُقْصيها ويُلْويها
ثم استَقَرّ به من بعدما شَغَبُوا   وليتَهُمْ تركوا الدعوى وداعيها
لكن دَعاهُمْ إلى ما كان ضَرَّهُمُ   ناهيك بالضّر والبَأسا وناهيها
فَدَبَّ منه عليهم مع عصابته   عقاربُ الكيد غضاديها وَسَاريها
وجاءهُم كل من في قلبه مَرَضٌ   يَسْعَى بعلّته مَعْهُمْ يُداويها
ورتبُوا صُحُفاً تُقْرَا بقَلْعَتهِمْ   ليلاً، وجاءَ العِدَى في زيّ قاريها
وَحَمُلوا فِئَةً أخرى بنادقُهمْ   وسط التيازير تُخفيها وتَطْويها
والناسُ في غَفْلةٍ شتّى مُفرّقةٍ   وذلك المكر والترتيبُ خافيها
وأصبحُوا غَلّقُوا الأبواب، ثم رَمَوا   بنادقَ البغي تهوى منْ مَراميها
فقيل ما الأمرُ؟ قالوا نشتكي ضَرَراً   من ستة، وولِيُّ الأمر يَبْغيها
إما القتالُ وإمّا تُخرجونهُمُ   وذلك القَدْرُ يكفيكمْ ويَكْفيها
ثم البقيةُ أيضاً بعدَ مَنْ ذُكِرُوا   نُعَاهِدُ اللهَ إنّا ليسَ نؤذيها

فَكَانَ ذلك عـامَ الحـُـزْن إذ خَـرَجُوا ظُلْماً على النَّاس تبكـيهمْ بَواكيها

وكتَّبُوا حُجَّـة تحـوي فَسَـادهُمُ تَضَـمّـَنت كلَّ زُور في مَعَـانيـها

وأكَّـدُوا بامْـهَـار من الفُقَـهَا شُهُـود حَـوْب لادَرَتْ مَسَـاعيها

قالوا: «ولا انتطحتْ شاتَان قد صَدقوا» لكنَّهَا الشُّـهـب خرَّت مع دَراريـها

ـ وعَرفـوا الدَّولة العـليَا بما صَـنَعُوا كي يُسْـعُدوها بَفـرْمان يُقَـويّها

وَمرَّت السَّـنةُ الشَّـهبا وحاكمُـنَا يَجْني على النَّاس طَرْداً أو يُجَنّيها

«أيْدي سَبَا مَزّقْـتهُمْ ي البلاد يَـدَاً» دنياهُمُ، وهي من إحدى دَوَاهـيها

قصـيدةٌ في البَلاَ كـان العَـروضَ لـها وجَـاءت النـاسُ ارسـالاً قوافـيها

وكُـلّ ذاك و «مسـعـود» مـليكُـهـمُ يَدْري التّلافَ ويسـعى في تلافيها

وأقـبلَ الحَـجُّ والإسْـلامُ كُلّـهُمُ أرْواحُهُمْ بلغـت منهـا تَراقـيها

وَجَاء فرْمَانُهُـم طـبقـاً لمُـوجـب مَا أنْهَـوا، وأنفُسُـهُم تَمَّـت آمانيها

والذّنبُ والله حقّـاً ذنبُ من شـهـدَتْ شَهادةَ الزُّور تُخْـفـيَها وتُبْديـهـا

أهْلَ الطّيالس، إيَّاكم، خُـذُوا حَـذَراً منها جمـيعاً، فـأني لا أسَـمَّيها

إيَّاكُـمُ هـذه الأفْـخَـاخَ إنّي لا الُوكُمُ النُّصْحَ جَهْـداً في توقّـيها

عصـابَةٌ خُلقـتْ للغـشّ وَالتزمَـتْ بَابَ الوُلاةِ بظُلْم النَّاس تُقْـتيها

واستقبلوا السَّـنةَ الأخْرى بحالَتهـم لكنَّهم فَسَـدوا في بَعْضَمْ تيـها

حتى طَمَى الجَوْرُ من نحـو الأغا وبَدَتْ حَوادثٌ بينهـم تَنْمُـوا نَوامـيها

ولم يَزَلْ يتداعَـى الأمْـر وافـترقَتْ مُـرْدَانُ قَلْعَة عنهـم مَعْ مَوالـيها

وَأصْبحُوا قَتَلُوا كابُوسَ إذْ شَـهِدُوا بُكفْـره في أمُـور كان يَأتـيها

وأرسَلُوا طَلَبُوا النَّاسَ الأولى خرجَتْ وعَادَ مُبْعـدها في الحـال يُدْنيها

واسْـتقْبلوهُم، فَـردَّ البابَ دُونَهـمُ كُبَيْبَةٌ وجَمـاعَـاتٌ مُعَـبَّيهَا

وأخرجُوهُـم فـثَارَ الشَّـرُّ بينَهُمُ لفـتـنة قد أرادَ اللهُ يَقْضـيـهَا

وأرسلوا للأغا للصُّلح فاضْـطـربَتْ اشْـيَاعـه، وأبَـتْ إلاَّ تمـاديها

وأرسلوا طَلَبُوا هَـزَاعَ يَنْصُـرهُمْ ... على المدينـة كي يَنْفِـي أهـالَيها
فجاءهم بجـنود كالحَصَى عَـدَداً ... البَغْيُ قَادمـهُا والظّـلم تَالـيها
ـ وَشَمرَ الحـاكُم لمذكـورُ يَسْـبَحُ في ... سَفينة الجور يُجْـريها ويُرْسِـيها
جَـرَّ البَوَادي لهضا من كُلَّ ناحـيةِ ... فـاندَّك أسـفلهُا منها وعَـاليها
وَحسّـنَتْ علمـاء السُّـوء عثْرَتهُ ... بُحكـم طاغُـوتها فانجرَّ طَاغيها
ومنـهـم من تولـى كِـبْرَهُ وله ... عُقْبَى عَـذَاب أليـم في تولّـيـها
قالوا لنا نَسْبَةَ الأنْصارِ قُـلْتَّ أَجَـلْ ... فعالُكُـمْ صَدّقَـتْـها في دعَـاويـهَا
ستّينَ يوماً أَقـاموا في مُحَـاصَرهَا ... قَتْلاً، ونهباً، وهَـدْماً في صَيَاصـيها
أيام بُؤْس حَكَتْ أضعافَ ما صنعـت ... أيامُ «مُشْـرفِ المُرّيَ» بَاغـيـهـا
كأنهـا دار كُفْـرٍ قَـامَ مُجْـتَهداً ... في فَتْحها، يبتغي رضوانَ باريـها
وأنزلَـوهَا على حكـم العـدو، وَلاَ ... رَثْوا لذّلـتـها في كـفَ مُذلـيـهَا
واسـفر الحـال مَعْـه في ثَمَـانيةِ ... وعشـرةٍ بقضـاء الجور يُجْـليها
وكتبوا كـتباً في الصَّلْح واحـتكمُوا ... على الرَّعية حُكْماً ليس يُرْضِـيها
لكنها «هُدنةٌ جـاءت على دَخَـنٍ» ... وهدنةُ الجبْر شـرطٌ لا يواتـيها
وسـار «هَـزاعُ» والأحـوالُ فاسدةٌ ... والنَّاسُ مُضْمـرةٌ أشـيا تُعَمّيـهـا
وكان في «قلعة السُّـلْطَان» طَـائفةٌ ... تَحَقّقَتْ غـش من قـد كان يُغْويـها
فاطلعُوهُم إليهـم في الحِـبَال كَمَا ... تَسْعَى الأفَاعي وترقَى في مَرَاقيها
فَيَالَها اللّه بُسْـطـامَـيـة وقَعَـتْ ... أعَادت الحرْبَ بكْـراً في مَجَاريها
مات «الأغـا» ومن في حـزبه كَمَـداً ... بها، وعـاد لتلك الحـرب يُنْشِـيها
فأدخل الحـرمَ الأعـراب، فانتهكَـتْ ... هُـنَاكَ حُـرمةَ هـاديها وَمهْـديهَا
وأصْعَدُوهَا ولا خَافُـوا ولا أعْـتَذرُوا ... فَـوقَ المَنَائر تَرمي مِنْ أعَـاليـها
وَصَاحـبُ الأمْـرِ باقٍ في تَعَـصُّـبه ... مَعْها عَلَى النَّاس يُسْلبها ويُغْـريها
يُصَـرَّفُ المَـالَ مَـالَ المسـلمينَ عَلَى ... تِلْك العصـابَة يَسْـقيها ويغذيها

وأصبح الحَـرَمُ العَـالي وروضَـتُهُ كالجبخَـانة بالبارُود يَحْشـيها
لاجمعـةٌ، لاصـلاةٌ، لا آذانَ بهَـا إلا البنادقُ تَرْمـي في نَواحـيها
فَصَاحَتِ النَّاسُ «شَرْعَ الله»، وابْتَدَرُوا إلى الخُصُـومَةِ قاصيها وَدَانيها
وبَادَروا مَجْلسَ القَاضـي لينظُـرَ في فَصْل القضا ولنار الحَرْب يَطْفيها
فَصـدَّرَ الحـاكمُ الشَّرعيُّ نَحْوهُمُ رسَـالةً تقْتضي الدَّعوى وتَحْـويها
فلم يَردُّوا خطـاباً عن رِسَـالَـته إلا الرُّصاص جَوَاباً في حَـوَاشيها
وتَرَسُوا مسْـجَد الهادي، وثَارَ به بينَ الفـريقين حَرْبٌ لست أحْكيها
فـيا لهـا زَلَّـةً منهـم وفـاقِـرةً جـاءتْ على رغم مُفْتيها وقاضيها
وَقَامَت الحَـرْبُ فيهم تَرْتَمي شَـرَراً ستَّينَ أُخْرى، يَدُ الأعْـرَاب تُذْكيها
وصَاحُب القبرِ مَحْـزُونٌ بمَا صَنَعُوا غـيظاً لأمَـته ممَّن يُعـاديها
وامتدَّت الحـالُ بالبلوى إلى رَجَبٍ ومنتهـى صَفَر قـد كَانَ بَادَيـها
فَسَارَ من عند مولانا الشـريف لـنا عَسَـاكـرٌ لتلافـينا يوالـيها
فسـار هـزَّاع من نحـو الأغـا، لها يَرُدُّهـا دُونَنا قَـهْـراً ويُرْديها
فَصـدَّها وأتى منصـوُر يَسْـبِقُـهُ إلى المدينة في شَـعْبان يَحْمـيها
وجاء هزَّاع يوم النَّصْف واسـتعرَتْ مَراجلُ الحرب والمعلونُ يُغـليها
وقَسَّـمَ البَدْوَ نصفاً عـنده قَعَـدُوا والنَّصْف عند الأغا مع عيد يُبْقيها
واضْحَـت الدَّارُ قـفراً لا أنيسَ بهَا الجـنُّ تنُـديُها والأنْسُ تَرْثـيها
أبَاحَـهَا البـدوَ نَهْـباً ثُمَّ حَـرَّقَهَا وَرَاح يَشْـقَي بها حقّـاً وَيُشْقيها
أباحَهَا وهـو يرجُـو منَ حَـماقـته ثَوَابَ أصـحـاب بدرٍ في مَغَـازيها
لكنه صَانَ خيرُ الخَـلق حَـوزَتَها وأصبح السَّـتْرُ غَاطـيها وضَافيها
وحقق الله خـذلانَ الذين بَغَـوا جَمَيـعَـهُم، وأرادا اللهُ يُعْـلـيها
وسَيروا هـدنةً للحـج، وانتظـروا فيها الجواب، وسـاعاهم مُسـاعيها
وارتد هَـزَّاعُ مفشـولاً وعصـبتُه بدواً وحضراً تُغَطّـيها مَسَـاويها

وأصبح الحاكُم المغرورُ يقْـرَعُ في ... سِنَّ النَّـدَامَة ممَّـا كان يُولـيـها
والأمْـرُ لله مَكْـتوبٌ عـلى يَدِه ... أنَّ الأغا سوف يُجْليهم ويُخْـليها!
يا للكَبائرِ مَنْ أدعُـو فيَسْـمَعني ... حتى أُصَـرح عَـنْها أو أكْـتَـيَها
من «للمدينَةَ» إن غَصَّتْ بريقَتها ... ومَـن يُجَـيب نداها، مَـن يُلَبّـيَها
ما اقفر الصَّـيُد إلا بعـد مَسْلمَةَ ... أعْطتْ محاسـنها الدُّنيا لماضـيها
عادت لنا سيرُة التَّيمـور في حَلَب ... أيَامَ صـبيانُها شَـابَتْ نَواصـيها
ويومـه وهـو في بَغْـدَادَ يَهْـتِكها ... ويومَ «جنكـيز» بالتَّـاتَار يَرْمـيها
«وبُخْتَ نَصَّر» من قبل الذي ذكروا ... في مصر والقدس تقْريباً وتشبيَها
ويوم «تَهْمَاز» ما أدراكَ مَا صَنعـتْ ... في «شاه جهان» المَوالي مَعْ مَوَاليها
شَأنٌ عظيمٌ مَضَى في الجور أعْظَمُهُ ... شَأن المدينة من أيْدي شَـوَانـيها
حَـوادثٌ ما رَآها «دانـيـال» ولا ... قَصَّـت مَلاحُـمُه شيئاً يُسَـاويها
يا شِـدَّة ليس إلا الله يكشُفُـهـا ... وغـمـةً ليس إلاَّ اللهُ يَجْلـيـهـا
أين الحجاز، وأين الروم تسمع لي ... صَوْتي، إذا قُمتُ من كربي أُنَاديها
يا آل عُـثْمَـان عَـيْنٌ في مَمَـالكُم ... مَطروفةٌ، لَظَمَـتْها كَـفُّ والـيها
عَـيْنٌ لدولتكُم، عـينٌ لديـنكُمُ ... قد كان لولا دفـاع اللهِ يُعْمـيها
امنُتُوهَا فضـاعَفَ عـنده سـفهاً ... ويلُ الأمَـانة ممـن لا يُؤديَّـها
نمْتُم ولا نـوم عَـبُّود الذي ذكَرُوا ... عن المدينة، حـتى قَـامَ نَاعـيهَا
هُـنَّا علـيكم وهـانَتْ بعد عِـزَتها ... وأصـبح الكُلُّ جَافينا وجَافـيها
أحوالُنا عَلمَتْها الصَّـينُ واعجـبا ... من كان يَمْـنَعُـها ـنكم ويَثْنـيها
خَمْسـونَ عاماً لَنا والظُّلْمُ يَحلقُنا ... نُقَـارعُ البَـدْوَ فيها أوْ نُـدَارِيها
ورام» سَعْدُ بنُ زيد» قَطعَ دَابرهـمْ ... لكن عَـدتْه من البَلْوى عَـوَاديـها
سَلُوا عن العـهـد عمَّا كان سَـبَّبَهُ ... فليـس ذا أَوَّل الشكوى وثانـيها
غَضَضْتُمُ الطَّرفَ عن أشْياء أبْدعَها ... «بشَـيرُ بيك» فجاهَـداً يُسَـوّيها

سُوسُوا البِلَادَ بِعَينٍ من نُفوسُكُمُ … دَعُوا الأَجانِبَ «أعطوا القَوسَ بارِيها»

لو أن «مسعودَ» قلدتم له عملاً … أجزاً، وثارَ لأعداكم يُجازيها

لكِنَّهُ راحَ مَربُوطاً على يَدِهِ … تَحتَ الإشارةِ لا يَبغي تعدِّيها

يُنْهي غليكم، وبعد الحول يَنْظُرُ في … جوابشكم عن أمورٍ كان يُنهيها

ما أبعَدَ الورْدَ إنْ باتَ العطاشُ على … وَادي الغضا، وبوادي الرَّملِ سَاقِيَها

تالله لو كان هذا الدين مَبدُوءه … على التسَاهل والإغفال تمويها

ما صَدَّقَ الرُّسْلَ في الدنيا مُصَدِّقُها … ولا جَبى ساحةَ الأفرنج جَابيها

سلوا ففي كي قباد الفرس مُعْتَبَرٌ … يُغْني الملوك إذا شَاءَتْهُ تَنْبِيهاً

سلوا ففي علجِ عَمُّوريةٍ نبأ … «وابنِ الرَّشيد» ومن نَادَتْهُ تَنْبِيها

وأين تلك من الدار التي شَرُفَتْ … على الممالكِ إعْظَاماً وتَنْزِيهاً

ما أحوجَ الأرضَ للفتح الجديد فقد … عَمَّ البلا وطغى طوفانُ عاصيها

من بَابِ مِصْرَ إلى بُصرى إلى عَدَنٍ … إلى العراقِ يَمانيها وشاميها

وَمنْ سواكم وعينُ الناس تُرقُبُكمْ … قد وَجَّهوا لكمُ الآمالَ تَوْجِيهاً

بخدْمَةِ المُصْطفى أسلافُكمُ شَرُفت … على المُلوك، وَهنَّا ها مُهَنِّيها

تميمةٌ عُلِّقَتْ في جِيدِ دولتكم … تذُبُّ عنها أعاديها وتَحْميها

عُضُّوا عليها وصونُوها، فإن سقطت … تفَزَّعَتْ، وغَدَتْ لا شيء يَشْفيها

وإن تَرَوْا حادِثاً في الدَّهرِ أو قَلَقاً … مِنَ العِدا فهو منُ عُقبَى تَنَاسِيها

ما كان أحوَجَنا أن تبعثوا ثِقَةً … يُنْهي إليكم قَضايَانا ويُمْليها

سلُوا الطريقَ عن الحجاج يُخْبركُم بالقتل والنهب فيها من بواديها
سلوا عن الحُجْرة الزّهراء إن خَفيتْ أسرارُها، ربَّما التّسالُ يُفْشيها
سلوا عن المَال فيها والذّخائر مَنْ بالبَخْسِ قد بَاعها من كان يَشْريها
وأجْزوا العساكر إحْساناً فقد سَتروا عوْراتها، وسَبوا من جاء يَسْبيها
وكم أيَادِ لقَاضي الشَّرع قدَّمها لله، والله في الأخْرى يُكافيها
فإنه صانَ عرضَ المسلمين، ومن بسهمه، وعَناهُ ما يُعَنّيها
والنفسُ لا يستوي من جَاءَ يَقْتُلها وآخرُ قامَ يَحميها ويُحْييها
مَشَاهدُ صَالحُ الأوْرام تَشْهَدهَا لنا، وإن سُئلَتْ عَنها تُؤَدّيها
فهم وحُكامُ مولانا الشريف، لهُم أعمالُ برّ عَسَى المَوْلى يزكّيها
وكُلهم بَذلُوا في حَالَ غيبتكُمْ أرواحَهُم دونَها، واستقْتَلوا فيها
هم المُحامون دونَ الدار، لافئَةٌ نسك حرام وتَكْفيها مَخَازيها
جَرى القَضايا عرفت أصحابَها سَقرٌ وجَنَّةُ الخلد قد باءتْ بأهليها
نام الخَليُ عنك، والمحزونُ خاطرُهُ بَكَى على الدّار لما غَابَ حَامِيها.

حقبة القرن الثالث عشر الهجري وبداية الرابع عشر

إذا ما بلغت بنت الرحلة العلمية القرن الثالث عشر الهجري، نجد أن العلم في الحرمين الشريفين ترتبط فيه العلوم الدينية بالعلوم الفكرية والأدبية، والأمثلة على ذلك كثيرة. ومن أبرز الشخصيات العلمية في هذا المنحى العلمي والفكر المهم الشيخ عبدالجليل بن عبدالسلام برادة المدني المتوفى سنة (١٢٣٧هـ-١٩٠٩م) حيث يتحدث عند الأديب والنقاد السيد عبيد عبدالله مدني (يرحمه الله) فيقول :« كان عبدالجليل برادة من أبرز أعلام المدينة المنورة علماً وأدباً، ووجاهاً، وازدوجت في شخصيته سمات من الفضائل متعددة الجوانب والشكول، ولم ينحجز صدى سمعته بين ساكني المدينة وحدها بل ولا في الحجاز – وحده – فقد تجاوزتهما إلى آفاق أبعد مدى فدوت في الأوساط الإسلامية، وتردد ذكره في مجتمعات العلم وأندية الأدب، والشخصيات المبرزة لا تعرف معنى للإقليمية المحددة»(٤٨).

بالرجوع إلى كتب الإثبات وأسفار الإسناد العلمي الموثق نجد أن قول السيد عبيد مدني بأن برادة كان شخصية معروفة في جميع الأوساط الإسلامية هو قول غير مبالغ فيه. فهذا الشيخ عبدالحي بن عبدالكريم الكتاني يذكره في مشائخه الذين تلقى عليهم حديث المسلسل بالأولية فيروي عنه قائلا (٤٩):« حدثني به أديب الحجاز الشاعر

الملفق والمعمر الشيخ عبدالجليل بن عبدالسلام برادة المدني، سماعاً منه بمكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ.

وكان لبيئة المدينة المنورة العلمية وما تتميز به من خصائص حضارية أثره في احتضان المواهب العلمية المتميزة ودمجها في المجتمع – نفسه – بحيث تصبح جزءاً منه من ناحية، وكذلك قدرتها على تهيئة الأجواء الملائمة لبروز أسماء لامعة تجمع بين العلم الشرعي ومناحي الفكر والثقافة المتعددة. ونستطيع أن نبرهن على ذلك من خلال شخصية الشاعر المجدد، رائد الشعر السياسي في جزيرة العرب، إبراهيم بن حسن بن حسين الأسكوبي المدني (١٢٦٤ه-١٣٣١هـ). ولقد دفع الشيخ الأسكوبي والذي كان فقيهاً حنفياً، ضريبة انفتاحه على الأدب المعاصر في حقبة عرفت بشيء من التقليد والمحافظة ، وعدم القدرة على الخروج من أسرهما. يقول الأستاذ المرحوم عبدالقدوس الأنصاري عنه :» وليس الشيخ من أولئك النظاميين الملتزمين إنه يعجبه البيان ممن كان، وفي أي مكان كان، فيضفي عليه برود التقدير والثناء، وقد ساعده على هذا الخلق السمح طبيعته الاجتماعية المتوثبة من فن إلى فن.

وعلى هذه الوتيرة امتدح الشيخ سليمان البستاني اللبناني العربي المسيحي صاحب (الإلياذة) و (دائرة المعارف) بمقطوعتين من أجود ما نظم، لأنهما عبرتا عن خلجات نفسه الحساسة والطروب لنغمات الأدب من أية قيثارة أرسلت[٥٠].

وكان عمل البستاني الذي اجتذب أنظار عالم المدينة المنورة وشاعرها «الأسكوبي» عملاً فكرياً وأدبياً مهماً، بعد أن أشاح مترجمو العصر العباسي عن ترجمة الإلياذة لـ «هوميروس» ، لأسباب متعددة، فلقد قدم (البستاني) في ترجمته بمقدمة نقدية أتت في مائتي صفحة، تناول فيها أهم مشاكل الأدب العربي بالنظر إلى الأدب العالمي والأدب اليوناني خاصة، وقد جاءت في ستة أقسام: هوميروس حياته وشعره، الإلياذة موضوعها وصحة نسبها (التعريب وأصله)، الإلياذة والشعر العربي الملاحم، ملاحم الجاهليين العرب وملاحم الإفرنج، فعل الحضارة وخاتمة تعبر عن نظرة إجمالية في مستقبل اللغة العربية وواجبات الشاعر إزاءها[٥١].

وأجد أمثلة متعددة (أيضاً) في بيئة مكة المكرمة العلمية حيث يمتزج الإبداع العلمي بالفكري والأدبي، بعيداً عما شاهدناه في العصور المتأخرة من تجزئة ثقافية. وهذه التجزئة هي غريبة وطارئة على الثقافة الإسلامية والعربية، فنحن نجد في ترجمة الشيخ خليفة النبهاني (١٣٠١-١٣٧٠هـ) [٥٢] ، بأنه إضافة إلى تخصصه في علوم الحديث والتاريخ، فهو باحث في علوم الجغرافيا (وهو ما يسمى بتخطيط المدن)، وكذلك علم الفلك الذي كان يدرس بالمسجد الحرام.

كما أننا نلاحظ أن تدريس المذاهب الإسلامية المعتمدة سمة حضارية أصلية في بيئتي مكة المكرمة والمدينة المنورة العلميتين، فالمذهب الحنبلي كانت مرجعيته في آل حميد منذ القدم، ولقد وجدت في بعض كتب الأسانيد المعتمدة، اسم الشيخ عبدالله حميد الشركي (مفتي الحنابلة بمكة)، ويبدو أن التشابه أو التماثل في أسماء الشخصيات

العلمية أمر وارد، فلقد عرف الحرم المكي الشريف حلقة فضيلة الشيخ المجتهد عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز حميد (١٣٢٩-١٤٠٢هـ) (٥٣)، والد فضيلة الدكتور صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى وإمام وخطيب المسجد الحرام، إلا أن المؤرخ عمر عبدالجبار يورد ترجمة لشخصية أخرى تحمل الاسم نفسه وهو الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالله بن علي بن عثمان بن حميد مفتي الحنابلة بمكة (١٢٩٠-١٣٤٦هـ) ويذكر أنه ولد في القصيم، وقد انتقل مع والده إلى مكة وأخذ العلم عن مشائخ مكة وعنيزة، وأنه تولى في عام ١٣٢٦هـ الإفتاء وإمامة المقام الحنبلي فظل (يرحمه الله) في منصب الإفتاء بجانب التدريس والإمامة إلى أول عهد الحكومة السعودية(٥٤).

وكان المذهب الشافعي هو الأكثر انتشاراً في مكة المكرمة ومن أعلامه المشهورين الشيخ محمد سعيد يماني (١٢٧٠-١٣٥٤هـ) وابنه الشيخ حسن والد السيد أحمد زكي يماني، وكذلك من أئمته الشيخ حسين بن محمد حسين الحبشي العلوي.

ولابد من الإشارة إلى السيد الفاضل أحمد بن حسين الحبشي فهو الذي أهداني مصورة للمخطوطة القيمة (الدليل المشير) (٥٥)، وقد طبع هذا المخطوط، وقد اعتمدت في نقل هذه المعلومات من مُصَوَرَّة المخطوطة المذكورة.

ومن العلماء الذين اشتهروا بسعة علمهم الفقيه الشافعي الشيخ أحمد ناضرين (١٢٩٩-١٣٧٠هـ)، والسيد علي بن عثمان شطا (١٢٨٨-١٢٤٩هـ) (٥٦).

وقد أخذ السيد أحمد بن حسين الحبشي (يرحمه الله) كثيراً من مروياته عن أحد أئمة الشافعية بالمدينة المنورة وهو السيد محمد بن زكي بن السيد أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين بن محمد الهادي بن حسن بن عبدالجريم بن محمد بن عبدالرسول الحسيني الشافعي المدني (١٢٩٤-١٣٦٥هـ) (٥٧).

وكان هذا التعاطي والتبادل في العلم أمر شائع في دائرة الفكر الإسلامي الأصيل، خاصة وأن السيد زكي برزنجي الذي تبوأ منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة، جاور بمكة المكرمة وعينه الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود (يرحمه الله) رئيساً للمحكمة الشرعية بمكة المكرمة، وظل بهذا المنصب القضائي حتى وفاته.

لكن شيوع المذهب الشافعي في بيئة مكة المكرمة العلمية لم يحل دون انتشار المذاهب الأخرى، وقد كان لوجود مدارس علمية متخصصة مثل (الصَّولتية) التي تأسست سنة ١٢٩١هـ، و (الفلاح) التي أسسها المصلح محمد علي زينل في سنة ١٣٣هـ، أثره في نشر المذهبين الحنفي والمالكي، فنجد في المذهب الحنفي مشائخ من أمثال الإمام عيسى بن محمد بن عيسى رواس المكي الحنفي (١٢٩٢-١٣٦٥هـ) والشيخ محمد يحيى بن أمان عبدالله الكتبي الحنفي المولود بمكة المكرمة ١٣١٢هـ، والشيخ سالم بن عبدالحميد شفي المولود بمكة عام ١٣٠٦هـ وتوفي بها كذلك عام ١٣٧٣هـ، وممن أدركت في مطلع العمر من العلماء الأحناف بمكة فضيلة السيد محمد أمين كتبي، والشيخ محمد مرداد وغيرهم وبرزت أسماء عدة في مدرسة الفقه المالكي مثل المشايخ: محمد علي المالكي (١٢٨٧-١٣٦٧هـ)

، وجمال مالكي (١٢٨٥-١٣٤٩هـ)، ومُحدَّث الحرمين عمر حمدان المَحْرسي (١٢٩١-١٣٦٨هـ). ومع أن الكتب والدراسات التي تعرضت لحياته العلمية في مكة والمدينة ومنها الدراسة المستفيضة التي نشرها عنه الزميل الفاضل الدكتور رضا محمد صفي الدين السنوسي(٥٨) تدعوه بـ (المحرسي) نسبة إلى مدينة محرس في تونس، إلا أن الباحث أحمد العيساوي من الجزائر يذكر أن نسبته هي المحرشي وليس المحرسي.

ومن المدرسة المالكية أيضاً الشيخ محمد العربي التباني (١٣١٥-١٣٩٠هـ) وهو من العلماء الذين أكرمهم الله بالإقامة في الحرمين المكي والمدني، فهو يذكر في الترجمة التي كتبها بخط يده « وزودني بمصورتها فضيلة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان» أنه وصل قادماً من تونس إلى المدينة سنة ١٣٣٢هـ» ، ومن مشائخه فيها محمد بن خيرات الشنقيطي، والعلامة المعروف عبدالعزيز الوزير التونسي.

وممن أدركت من أعلام المدرسة المالكية فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط (١٣١٧-١٣٩٩هـ وفضيلة السيد علوي بن عباس بن عبدالعزيز المالكي المتوفى سنة ١٣٩١هـ، وابنه المحدث فضيلة السيد محمد علوي المالكي وكذلك فضيلة شيخنا محمد ور سيف بن هلال والذي قرأت عليه في الحرم المدني سنة ١٣٩١هـ كتاب (رياض الصالحين) ، ثم في مكة وفي حلقته المعروفة بباب العمرة.

وحفل الحرم المكي بشخصيات علمية مهمة من أمثال المشائخ محمد بن مانع ومحمد ياسين الفاداني وعبدالرزاق حمزة وعبدالمهيمن وعبدالظاهر أبو السمح وزكريا بيلا ، وعبدالله الخُليفي وعبدالله اللَّحجي ، وإسماعيل الزين وعبدالفتاح راوة وعبدالسلام البسام وصالح بللّو وعبدالله خياط وحمد الشَّعلان.

الخصائص والمعطيات الثقافية والفكرية والأدبية

ويمك استخلاص الخصائص والمعطيات الثقافية والفكرية مما ذكرناه عن العلماء في الحرمين الشريفين والدراسة الموجزة عن حياتهم العلمية وفقاً لما يلي:

أولاً : الأفق العلمي الواسع الذي كان يتمتع به العلماء. فتجد العالم أو طالب الدرس يأخذ من جميع المدارس الفقهية، ولا يلتزم حرفيا بالمذهب الذي ينتمي إليه. وهذا محدث الحرمين الشيخ عمر حمدان يخالف معاصريه من علماء المذهب المالكي وخصوصاً في مسألة الإسبال في الصلاة، وقد أخبرني بهذا شخصياً مقرؤه السيد عقيل حمدي (يرحمه الله).

ثانياً : الانتماء إلى الإسلام كهوية حقيقة للعالم أو طالب العلم، فهذا الشيخ عبدالله مرداد يورد في كتابه أسماء شخصيات علمية لا تجد بأساً ولا حرجاً من ذكر المواطن التي قدمت منها بالرغم من إقامتها الطويلة بمكة، مثل : يوسف البلقيني ويوسف البنقالي، ويوسف الجبرتي، ويونس الصعيدي، ثم يضاف بعد هذه التسمية عبارة المكي أو المدني وذلك تشرفاً بالإقامة في أرض الحرمين الشريفين.

ثالثاً : تقدير العلماء بعضهم بعضا تنم عن الأدب الرفيع والسلوك الإسلامي الرائع الذي يأتي تجسده حقيقة من خلال الإيمان بأن اختلاف العلماء في كثير من فروع الشريعة الإسلامية هو أمر طبيعي ولا يستدعي بالضرورة أي شكل من أشكال التعصب المقيت والانحياز للرأي الشخصي دون سواه. فلقد كان مشائخنا من أمثال: السيد حسن المشاط والسيد علوي المالكي، والذي ينتمون للمدرسة المالكية في الفقه إذا ما قاموا بزيارة لدور العلماء والمنتمين للمدرسة الشافعية كالسادة آل البار مثلاً، حيث تنعقد حلقات علمية خاصة في علم الحديث الشريف أو يقومون كذلك في دورهم تلك بإعطاء دروس في الفقه الشافعي، فإنهم كانوا يسعون لتقدير الفهم الشرعي لمضيفتهم. ونضرب مثالاً على ذلك بدعاء القنوت الذي يؤديه أتباع المدرسة الشافعية في صلاة الصبح، فإذا ما دعى عالم من علماء المدرسة المالكية للإمامة بالناس فإنه يسلك مسلك المدرسة الشافعية في هذا الباب تقديراً واحتراماً لنظرائهم ورصفائهم من أهل العلم.

ومما أرويه في هذا الباب أن شيخنا العلامة الفقيه المالكي السيد حسن بن محمد المشاط (١٣١٧-١٣٩٩هـ) كان إذا كتب إلى فضيلة الشيخ والفقيه الحنبلي عبدالله بن حميد رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء «سابقاً» (١٣٢٩-١٤٠٢هـ) مزكياً أحد طلبة العلم فإن الشيخ ابن حميد (يرحمه الله) يعتبر تلك التزكية شهادة موثقة ومعتمدة. ولقد كتب إليه كما أعلم بشأن أحد طلابه وهو المرحوم إدريس بن عبدالله كنو وكان ملازماً له في آخر حياته، والذي كان يتطلع لأداء المهنة الشريفة في الحرم المكي وهو الآذان، ومعلوم أن لهذه المهنة ضوابطها الخاصة بها، فحقق الشيخ ابن حميد رغبة المرحوم «الكنو» ، الذي ظل يرفع الآذان من الحرم المكي الشريف حتى أخريات حياته.

وحدثني فضيلة الشيخ محمد بن سبيل «إمام وخطيب الحرم المكي سابقاً» بأن فضيلة شيخ القراء بالمدينة المنورة حسن بن إبراهيم الشاعر (١٢٩١-١٤٠٠هـ) قدم إلى مكة المكرمة في أواخر الثمانينيات الهجرية للعمرة وكان برفقته معالي الشيخ صالح قزاز الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي (الأسبق)، وصلى صلاة العشاء – وصلى الشيخ الشاعر – خلف الشيخ ابن سبيل – حتى إذا ما انتهت الصلاة سعى إلى الشيخ ابن سبيل وقال له : لقد أجدت في قراءتك ، فعلق الشيخ القزاز قائلاً : هذه شهادة لك يا شيخ محمد. والمثال الرائع في هذه القصة التي رواها الشيخ ابن سبيل على مسمعي في داره هو سرور فضيلة الشيخ الشاعر بترتيل القرآن من إمام الحرم المكي وثنائه عليه، وافتخار الشيخ السبيل بهذه الشهادة العلمية.

ومعلوم أن عدداً من أئمة الحرم النبوي الشريف وفي مقدمتهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح (يرحمه الله) (١٣٢٨-١٤١٥هـ) والشيخ إبراهيم الأخضر، وغيرهم قد حفظوا كتاب الله على يد هذا العالم الذي كانت تشد الرحال من جميع أنحاء العالم الإسلامي لأخذ علوم القرآن وأحكام التجويد عليه. وقد طبع كتاب الشيخ الشاعر (أحكام تجويد القرآن) عام (١٣٢٩-١٩١١م) في المطبعة العلمية بالمدينة المنورة[٩٥].

رابعاً : جذبت الأجواء العلمية للحرمين الشريفين ، المعروفة بعمقها وزخمها وانفتاحها على جميع مدارس الفكر الإسلامي، عدداً من العلماء الذين قدموا للاستزادة من العلم الذي كانت تتمتع به شخصيات علمائها.

فنحن نجد أن الشيخ محمد يرحمه الله (١٢٩١-١٣٠٨هـ) ، والذي اشتهر بمناظرته لرئيس البعثة التبشيرية بالهند واسمه فدرين وانتصر عليه في تلك المناظرة وعند وقوع الهند تحت الاستعمار الإنجليزي، ثار الشيخ (يرحمه الله) على هذه القوة البريطانية الغاشمة فصادر الاستعمار ممتلكاته فهاجر إلى مكة عام ١٨٥٧م، وحصل عند وصوله إليها على إجازة التدريس في المسجد الحرام. ويذكر أن من تلاميذه الشريف حسين بن علي (أمير مكة) سابقاً، وعبدالله سراج قاضي القضاء وعبدالرحمن دهان شيخ العلماء وغيرهم وعندما أبدت السيدة العظيمة المجاورة (صولت النساء) رغبتها في فعل أمر خيري بمكة المكرمة، أخبرها الشيخ بأنه لا ينقص مكة سوى مدرسة تعنى بتعليم أبناء المسلمين ، فعهدت إليه إنشاء المدرسة فاشترى يرحمه الله قطعة أرض بحارة الباب وبُنيت عليها المدرسة التي حملت اسم تلك المرأة الجليلة ، وهي (الصولتية) والتي كانت بدايتها العلمية سن ١٢٩٢هـ، ومازالت مستمرة في أداء رسالتها العلمية بالبلد الحرام[٦٠].

ويصف المستشرق الهولندي (سنوك) (١٨٥٧-١٩٣٦م) الشيخ يرحمه الله على خلفية كتابه (إظهار الحق) IZHAR ALHAK [٦١]- بأن المؤلف معاد للنصرانية مما يعزز الشكوك حول شخصية (سنوك) وتوجهاته العقائدية والسياسية. ويضيف سنوك بأن مؤلف هذه المناظرة التي انتصر من خلالها على محاورة (فيدرين) يعيش في المنفى، ويصعب تصور انطباق هذا الوصف على الشيخ يرحمه الله، فهو يعيش بعد خروجه من الهند في عاصمة الإسلام، ولا يختلف أحد من وجهة الرؤية الإسلامية الحقيقية بأن مكة المكرمة هي بلد الله وحرمه الذي يحتضن المسلمين من جميع بلاد الدنيا بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم، ولكن سنوك في الوقت نفسه يقر بأن الشيخ يرحمه الله واحداً من رجال العلم الذين كرسوا حياتهم لخدمة الهدف أو الغاية العلمية لذاتها المجردة وبالتالي فهو لا يتقاضى أجراً على الدروس العلمية التي يتلقاها طلاب العلم في داره الخاصة مشيراً إلى وجود نظراء له يتلقون مساعدات أو عائدات مالية من مؤسسات مدنية.

وكتبت النسخة الأصلية من هذا الكتاب (مكة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي) باللغة الألمانية في مجلدين كبيرين وقد طبع في مدينة لاهي (١٨٨٨-١٨٨٩م) والنسخة التي بين يدي باللغة الإنجليزية وقام بترجمتها القنصل السابق في جدة J. H. MONAHAN وهي تمثل كما يذكر المترجم الجزء الثاني من الكتاب ويعزو هذا التوجه نحو ترجمة هذا الجزء لاحتوائه على معلومات مهمة عن الحياة الاجتماعية والعادات الخاصة بالمجتمع المكي، من حيث الموضوعات المتصلة بالعائلة والزواج، والوفاة كما يشير المترجم أن المؤلف (سنوك) راجع الترجمة الإنجليزية الصادرة كما أشرنا عام ١٩٣١م ويذكر عمر عبدالجبار[٦٢] «أن السلطان العثماني عبدالحميد استدعى الشيخ يرحمه الله إلى استنبول سنة ١٣٠٤هـ ، وأكرمه لجهاده ضد الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة

الهندية وطلب منه ترجمة مناظرته (إظهار الحق) فتمت طباعتها وترجمت إلى عدة لغات وتراجم[٦٣].

كما أشار د. عبدالرحمن صالح عبدالله، نقلاً عن عمر عبدالجبار أيضاً، بقوله: «ولما تخرج الفوج الأول من علماء الصولتية ازدادت حلقات الدروس بالمسجد الحرام، إذ عقد المتخرجون حلقاتهم في كل حصوة ورواق»[٦٤].

وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من الدور العلمي الكبير الذي أدته المؤسسات العلمية التي أنشأها خيرة المجاورين في الحرمين الشريفين، ومن أشهر هذه المؤسسات: الصولتية والفلاح والعلوم الشرعية بالمدينة المنورة والتي أسسها المرحوم السيد أحمد الفيض آبادي سنة ١٣٤٠هـ[٦٥].

ومن الشخصيات العلمية البارزة التي استقرت لفترة في بلاد الحرمين الشريفي، شخصية العالم اللغوي والأديب محمد بن محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي والمتوفى في مصر سنة (١٣٢٢هـ-١٩٠٤م) فبعد أن قدم إلى مكة المكرمة مجاورا، انتقل إلى المدينة المنورة ولهذا فهو ينعت نفسه بالشنقيطي المدني المكي، وفي ذلك تأكيد لما ذهبنا إليه خلال هذا البحث من تمكن الهوية الإسلامية والعربية عند أهل العلم، وانتفاء الشعور السلبي عند ذكر البلد الذي ينتمي إليه الإنسان أصلا، ثم ذكر الأمكنة التي استقر فيها طالبا للعلم أو مخالطا لأهلها ومجاوراً لسكنها.

وعند إقامته بالمدينة المنورة اختلف مع بعض علمائها مثل السيد أحمد البرزنجي المتوفى (١٣٣٧هـ-١٩١٩م)، وكان الخلاف حول ما تضمنته رسالة السيد البرزنجي الموسومة: (إصابة الداهي شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي) وعبارة «إن لم يجد غلا هي» وردت في كتاب (الموطأ) للإمام مالك – إمام دار الهجرة – وفي باب النذور بالتحديد، حيث قام إمام دار الهجرة: «فمن نذر المشي فليمش ما قدر عليه ثم ليركب وعليه هدي بدنه أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلا هي»، فعلق الفقيه المالكي أحمد بن محمد العربي زرّوَق على هذه العبارة الأخيرة من ناحية لغوية صرفية بقوله: «حيث إن مقتضى القوانين العربية أن يقال: إلا إياها، إذ الضمير مفعول إليه الفعل المتعدي وهو (يجد)».

«وهذا الخدش واضح التعليق بعبارة الإمام وهو – رضي الله عنه – وإن لم يكن من أرباب السليقة العربية الذين يلتزمون في كلامهم عدم الحيادة عن قوانينها بل إن مالك بن أنس من الأئمة الذين يُحتج بأقوالهم دون استعمالهم، لكن حَمْلُ كلام مثله على موافقة قواعد اللسان واجب ما أمكن».

ويبدو أن السيد البرزنجي (دافعاً) لتهمة التقليل من شأن الإمام مالك، دفع بالسؤال إلى أحد علماء المذهب في عصره الذين قدموا للمدينة المنورة، وهو الشيخ زروق، وهذا الأخير بدوره أرسل إلى شيخه سالم بوحاجب التونسي ليسأله عن هذا الإشكال اللغوي والذي كشف السيد البرزنجي أن أول من أثار الكلام حوله هو أحد العلماء المجاورين بالمدينة المنورة الشيخ «السيد حبيب الرحمن ابن السيد علي اللكوني، الموسوي نسبا، المدني مُهاجرا».

ولهذا نجد أن حكمة السيد البرزنجي تدفعه لأن يورد في رسالة موجزة من تأليفة تناقش هذه القضية رأي علماء المالكية أولاً من أمثال الشيخ زروق وشيخه بُوحاجب التونسي، ثم يورد رأيه في الموضوع نفسه في الرسالة التي تضمنت مختلف الآراء والتي أسماها (إصابة الداهي شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي) ولقد طُبعت الرسالة والتي احتفظ بنسخة منها بالمطبعة الرسمية التونسية سنة ١٣٠٩هـ. ونجد في الترجمة التي كتبها الزركلي للسيد برزنجي يورد اسم الرسالة مختلفاً كالتالي: (إصابة الدواهي في إعراب إلا هي) [٦٦].

وإذا كان الشيخ التركزي مثل بقية علماء شنقيط مالكي المذهب وكانت له صلاته بالسلطان العثماني (عبدالحميد)، وأن السيد البرزنجي كان شافعي المذهب، بل إنه كما ورد في ترجمته عند الزركلي قد تولى منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة، كما أنه انتخب نائباً عن البلدة الطاهرة في مجلس النواب العثماني بإسطنبول.

إذا أخذنا جميع هذه الحيثيات، سهل علينا تفهم دواعي تلك الحملة التي قادها التركزي ضد البرزنجي ورصيفه الشيخ عبدالجليل برادة وحمل حملاً عنيفاً كذلك على منتداهم الأدبي في بستان الأبارية البرادية والذي كان يقوم قرب باب بقيع الغرقد بالمدينة المنورة، مدعياً في حماسته أنهم تجرأوا على تحلين الإمام أبي عبدالله مالك بن أنس (إمام دار الهجرة) وذهب – أي التركزي – إلى حد بعيد في التعرض بغير وجه حق لنسب آل البرزنجي [٦٧].

نتج هذا التعاطي مع هذه القضايا، التي تدخل في باب الشكليات ولا تمس جوهر العلم أو تتعرض للمقدس من أمور الشريعة [٦٨]، دفع علماء المدينة للرد على الشيخ التركزي، فكتب السيد البرزنجي رسالة سماها (فتكة البراض بالتركزي المعترض على عياض) لأن التركزي في الوقت الذي دافع فيه عن الإمام مالك، خطأ أحد أعلام المذهب المالكي صاحب كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك) وهو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصُبي [٦٩]، ولد بسبته سنة ٤٩٦هـ، وتوفي بمراكش ٥٤٤هـ وجاء رد التركزي في شكل قصيدة حادة سماها: (فتكة التركزي الناظم بالبرزنجي المدعي نسبة مزورة إلى موسى الكاظم) والقصيدة التي تجاوزت المائة من الأبيات الشعرية مثبتة في كتاب التركزي (الحماسة السنية الكاملة المزية).

ومن المآخذ على الشيخ التركزي تعرضه لأنساب الأسر المدنية وكان بإمكانه وهو صاحب فقه ودراية بمقتضيات الشريعة ألا يُقحم النسب في قضايا علمية أُشبعت بحثاً، ولكن يبدو أن خلال العلماء يتجاوز أحياناً الحد المطلوب من الانضباط الخلقي ويدخل في متاهات تجر على أطرافها الكثير من العنت والمشقة. على خلفية الخلاف الحاد الذي وقع بين التركزي من جهة وعلماء المدينة (البرزنجي والبرادة) من جهة أخرى، طلبت الحكومة التركية من التركزي مغادرة المدينة، فرحل إلى مصر واتصل بالعالم المعروف (آنذاك) الإمام الشيخ محمد عبده. ولقد وجد التركزي في أحد علماء المدينة المنورة (آنذاك) وهو أمين بن حسن الحلواني المدني المتوفى (١٣١٦هـ)

معاضداً مؤازراً وخصوصاً أن (الحلواني) اختلف هو الآخر مع بعض علماء المدينة المنورة في تلك الحقبة وذلك بعد تأليفه في سنة (١٢٩٢هـ) رسالة ينكر فيها صحة المخلفات النبوية. كما أصدر رسالة تحت عنوان (السيول المغرقة على الصواعق المحرقة) [٧٠] ، ويذكر محب الدين الخطيب أن الكتاب رد على السيد أحمد سعد المدني وهو من المنتمين إلى طريقة الشيخ أبي الهدى الصيادي، ولكن الرسالة المذكورة لم تحمل اسم الحلواني بل اسماً مستعاراً وهو عبدالباسط المنوفي[٧١].

ويشير المستشرك «سنوك» SNOUCK[٧٢] إلى توجه الحلواني المخالف للتوجهات الدينية السائدة (آنذاك)، ولكنه (أي سنوك) يُورد وجهة النظر المختلفة الأخرى والتي جاءت على لسان أصدقاء الشيخ مظهر المدني، بأن كتابته ضد المخلفات النبوية هو نتيجة لعامل الحسد الذي يلاقيه الشيخ مظهر أمين الحلواني.

وكان لنزوح التركزي والحلواني أثره على حياتهما العلمية فلقد أقاما علاقة مع المستشرق السويدي «الكونت كارلو لاندبرج» CARLO – LANDBERG ، والذي تخصص في دراسة لهجات جنوب الجزيرة العربية[٧٣]. وكان لاندبرج يشغل أيضاً منصباً رسمياً، وهو سفير السويد والنرويج لدى مصر، فقدمت دعوة من ملك السويد والنرويج (أسكار الثاني) عن طريق السلطان العثماني عبدالحميد الثاني، للشيخ محمود التركزي لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة استكهولم، وكلف (لاندبرج) بالإشراف على متطلبات الرحلة. ولكن التركزي كان قد اشترط شروطاً عدة يجب تنفيذها من قبل الدولة العثمانية حتى يوافق على السفر، ولكن عدم قدرة الدولة العثمانية على تحقيق بعض الشروط حال (كما يبدو) دون حضور التركزي ذلك المؤتمر، ولكن حماسته نتجت عنها قصيدة يمدح فيها ملك السويد (أسكار الثاني)، ويشيد بحبه للعلم حسب طلب السفير (لاندبرج) وقد بلغت أبيات القصيدة حوالي مائتي بيت على نسق الشعر العربي القديم[٧٤].

ويبدو أن (لاندبرج) شجع الحلواني للسفر إلى ليدن سنة (١٣٠١هـ-١٨٨٣م) ، وكان بصحبة الحلواني مجموعة مهمة من المخطوطات يبلغ عددها (٦٦٤) مخطوطة، فابتاعتها منه مكتبة ليدن الغنية بنفائس المخطوطات العربية[٧٥].

ويذكر الباحث المتخصص في شؤون الاستشراق قاسم السمرائي أن جامعة برنستون بأمريكا اشترت قسماً من هذه المخطوطات[٧٦].

وأثمرت العلاقة العلمية بين الحلواني ولا ندبرج ، بأن قام الآخر بوضع فهرس للمخطوطات التي جبلها الحلواني من المدينة المنورة عن طريق مصر إلى ليدن، وكتب مقدمة له. وتحتوي مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر على نسخة من هذا الفهرست :

JOHN. RYLANDS. LIBRARY. OF MANCHESTER

والذي قمت بمساعدة بعض الزملاء في جامعة مانشستر في أثناء دراستي بها (١٩٨٢-١٩٨٦م) بالحصول على

نسخة منه والذي صنف باللغة الفرنسية ويحمل اسم :

CATALOGUE DE MANUSCRIPTS ARABES.

PROVENANT UNE BIBLIOTHEQUE PRIVEE ALE-MEDINA

REDIGE. PAR. CARLO LANDBERG

LEIDE – E. J. BRIL LL 1993

« فهرس مخطوطات عربية مأخوذة عن مكتبة خاصة بالمدينة».

ثم عملت على ترجمته من لغته الأصلية الفرنسية – التي كتب بها الفهرست إلى اللغة الإنجليزية.

استطاع الحلواني أن يقدم في رحلته تلك لمؤتمر المستشرقين علاقة أيضاً مع المستشرق الهولندي «سنوك هورخرونيه» والذي قام هو الآخر برحلة معاكسة إلى مكة المكرمة في شهر فبراير عام ١٨٨٥م، ودوّن خلال رحلته الشهيرة تلك كتابه (مكة المكرمة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي).

ومن الملحوظات الجديرة بالدراسة هي اهتمام المستشرق الهولندي (سنوك) بالعلاقة العلمية بين علماء الحرم المكي الشريف والمؤسسات التعليمية في جنوب شرق آسيا وخاصة (إندونيسيا)، وكانت الكتب المعتمدة في الثقافة الدينية في إندونيسيا هي تلك التي يعتمدها علماء مكة المكرمة في جميع التخصصات الدينية. ويذكر الدكتور مارتن برونسن[٧٧] أن أكثر هؤلاء العلماء تأثراً هم أولئك الذين ازدهروا علمياً في مكة المكرمة، في نهاية القرن التاسع عشر، ومن هؤلاء أحمد زيني دحلان، مفتي مكة المكرمة الشافعي خلال مكوث سنوك هورخرونيه هناك، ثم معاصرة السيد بكري بن محمد شطا.

وقد قمت بمكاتبة القيم على القسم الشرقي بمكتبة بريل «لندن» الباحث J.J. Witham مستفسراً عن العلاقة بين الحلواني و (سنوك) التي ربما استثمرها الأخير في معرفته بالطريق المؤدي إلى الجزيرة العربية وإلى مكة خاصة – فأجاب (وتكام) أن مكتبة ليدن تحتفظ بصورة للشيخ الحلواني وعليها إهداؤه الخاص للمستشرق سنوك، ولقد قام هذا الأخير بترجمة انطباعات صديقه الحلواني عن مؤتمر المستشرقين من اللغة العربية إلى اللغة الهولندية.

وفي الرسالة الموجهة إلي بتاريخ ٦ يناير ١٩٨٦م من Witham[٧٨] ما يجيب عن تساؤلات الدكتور قاسم السامرائي عما إذا كانت هناك علاقة بين الحلواني وسنوك، ودور هذا العلاقة، كما يذكر السامرائي، في رحلة سنوك إلى جدة ومن ثم إظهاره الإسلام، ودخوله مكة المكرمة.

لعل من المفيد أن نشير إلى أن خروج التركزي والحلواني من المدينة بسبب خلافاتهما الفكرية مع بعض علماء عصرهم، قد فتح أمامهم أبواب مستقبل علمي جديد، كان من ثمراته هذا الالتقاء العلمي والفكري بين الشرق والغرب، على الرغم من كل الشكوك التي يثيرها بعضهم حول الدواعي الحقيقية لمثل هذه اللقاءات العلمية،

وعائدها الإيجابي على مستقبل الأمة الحضاري والفكري. كما أمّ الحرمين الشريفين في العقد الماضي الرابع عشر الهجري – عدد من مفكري النهضة العربية والإسلامية ومن هؤلاء الأمير شكيب أرسلان (١٢٨٦-١٣٦٦هـ) الذي اجتمع بعدد من علماء المدينة المنورة في تلك المدة منهم حمدان بن الونيس، وعبدالحميد باديس (١٣٠٥-١٣٥٩هـ) [٧٩] الذي اجتمع بالعالم حسين أحمد الفيض آبادي المدني شقيق مؤسس مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة السيد أحمد الفيض آبادي[٨٠] وقد سأل الشيخ حسين ابن باديس : لماذا جئت هنا؟ أرجع بلدك الجزائر. وكانت – آنذاك تحت الاستعمار – لتعمل على تحريرها مع أبناء بلدك. كما اتصل به أيضاً المصلح الجزائري البشير الإبراهيمي[٨١] (١٠٣٦-١٣٨٥هـ) كما اتصل العالم المفسر جمال الدين القاسمي (١٢٨٣-١٣٣٢هـ) بعالم المدينة آنذاك أحمد البرزنجي[٨٢]، ويبدو أن اجتماعه بالسيد البرزنجي ترك أثراً واضحاً في حياته العلمية حيث يذكر الزركلي ، بأنه بعد عودته من المدينة المنورة اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين فقبضت عليه الحكومة سنة ١٣١٣هـ وسألته في التهمة فأخلى سبيله[٨٣].

ومن البلاد الأفريقية المسلمة نجد اسم العالم محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفوتي[٨٤] والذي كان يُعد زعيماً لبني قومه بأفريقيا الغربية وقد استعين به في أثناء حصار المدينة المنورة من قبل الوالي التركي فخري باشا، في تجنيد عدد كبير من أتباعه في الدفاع عن المدينة المنورة في تلك الحقبة.

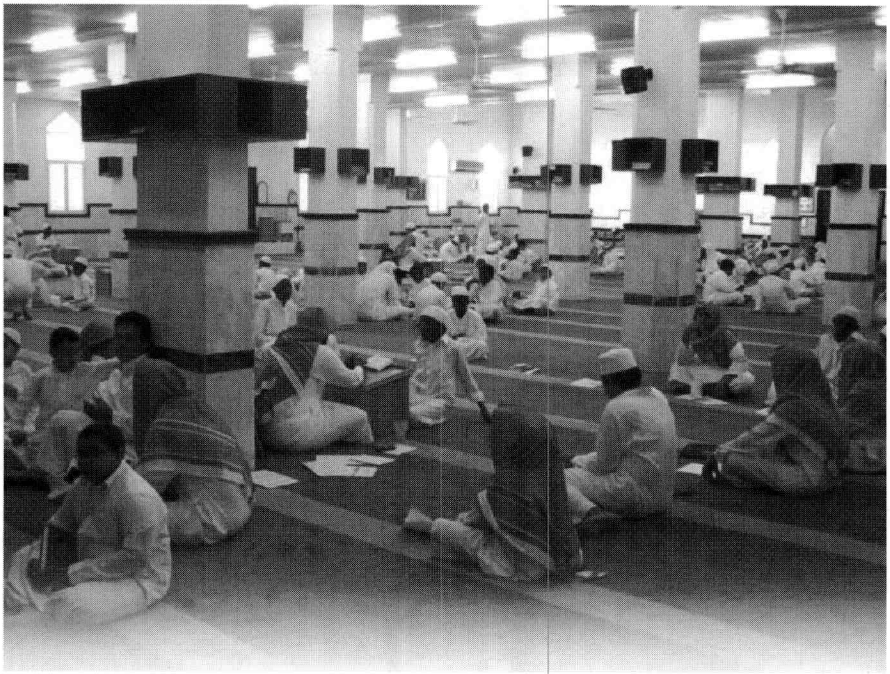
وكانت له حلقة علم بالمسجد النبوي الشريف، وقد اختاره المغفور له الملك عبدالعزيز عضواً بمجلس الشورى تقديراً لعلمه ومنزلته الاجتماعية[٨٥].

ويشير فضيلة الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان، إلى التأثير الإيجابي لحلقات العلم في البلد الحرام في عديد من البلاد الإسلامية ومما يدخل ضمن هذا الجانب المهم تأثير حلقة فضيلة الشيخ حسن بن محمد المشاط (يرحمه الله) حيث أسس بعض طلابه أقدم مدرسة دينية بجزيرة أنفنان، والتي أطلق عليها اسم مدرسة نهضة الوطن الدينية الإسلامية وذلك سنة (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) وتفرع عن هذه المؤسسة العلمية مدرسة أخرى للبنات أنشئت في عام (١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م)، وسميت باسم مدرسة (نهضة البنات الدينية الإسلامية) ، ومن المدرستين تفرعت مدارس (جمعية نهضة الوطن).

والآن فروعهما أربعمائة مدرسة ما بين دينية وابتدائية وثانوية وعالية ومعلمين ومعلمات وكليات ومعاهد دور القرآن والحديث. كما يشير الدكتور عبدالوهاب إلى دور بعض علماء البلد الحرام الذين كانوا يسافرون إلى إندونيسيا والملايو وغيرها، ويخص بالذكر فضيلة المشائخ : عبدالله الزواوي وسعيد يماني وأبنائه الفقهاء والمشايخ صالح وحسن ومحمد علي يماني، وكذلك الفقيه القاضي أحمد بن عبدالله القاري وأخوه القاضي حامد بن عبدالله القاري، وكذلك آل الرفيع والمالكي.

وقد وضح الدكتور أبو سليمان دور علماء مكة المكرمة وفقهائها في يقظة بعض دول العالم الإسلامي، وإيقاد

جذوة حركة التحرر فيها. فالقرن الرابع عشر الهجري يتزامن مع عهد التخلف الفكري للمسلمين وتسلط القوى الاستعمارية عليهم، وأنه بعد أن تحقق الاستقلال لهذه البلاد الإسلامية تولى عدد من الطلاب الذين تلقوا العلم في المسجد الحرام المناصب الحيوية في حكومات بلادهم، مما يدل دلالة واضحة على ما كان لدراستهم ومقامهم بمكة من حميد الأثر[٨٦].



الإحـــالات

١) د. أسامة عانوتي: الحركة الأدبية في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر، بيروت، ١٩٧١م، ص ٢٧.

٢) عباس العزاوي، تاريخ الأدب العربي في العراق، بغداد، ١٣٨٢هـ، ص ١٨٠ ، ١٨٧، ٢٦٣ ، ٢٦٨ .

٣) د. إحسان عباس، من الذي سرق النار، خطرات في النقد والأدب، بيروت، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٧٥ .

٤) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

٥) حسن حسني عبدالوهاب ، مجمل تاريخ الأدب التونسي، تونس، ١٩٦٨م.

٦) ديوان الشوكاني، أسلاك الجواهر، والحياة الفكرية والسياسية في عصره، تحقيق ودراسة د. حسين عبدالله العمري، دمشق، ١٤٠٣هـ ، ص ١٣-١٥ .

٧) (N 1 E 13 UHR. c.. Travels. through. Arabia and other countries in the East. tr. R. Heron (Edinburgh. 1792).

٨) انظر بحـث د. طـه حسـين (الحـياة الأدبية في الجـزيرة العـربية) في كتابه (ألوان)، القاهرة ، ١٩٥٨م، ص ٤٣ .

٩) ديوان الشوكاني، ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

١٠) د. عبدالله العثيمين، الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حياته وفكره، دار العلوم، الرياض، ص ٣١ – ٣٢.

١١) د. عاصم حمدا، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ط١ ، ١٤١٢هـ، ص٣٨.

١٢) لمزيد من التفصيل عن مدرسة المدينة انظر : شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون ط٣، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، ص ١٤٩-١٦٨.

١٣) محمـد خـليل المرادي: سـلك الدرر في أعـيان القـرن الثاني عشر الهجري، مصـر، ١٣٠١هـ، ج١، ص ٥-٦.

١٤) المؤلف مجهول: تراجم أعيان المدينة في القرن الثاني عشر الهجري – تحقيق د. محمد التونجي ، جدة ، ١٤٠٤هـ، ص ١٠٦ .

١٥) عبدالرحمن الأنصاري : تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من أنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس، ١٣٩٠هـ، ص ٤٥٩ .

١٦) A.H. Jones. art. - (Kurani) Encyclopedia of Islam. Leden 1954. Vol. V P. 43

١٧) تراجم أعيان لمدينة، ص ٥٧ – ٥٨ .

١٨) توفي بالمدينة في ٢٦ صفر سنة ١١٦٣هـ - انظر : تراجم أعيان المدينة ، ص٦٨.

١٩) توفي بالمدينة في ٢٢ شوال سنة ١١٣٨هـ - انظر : المصدر السابق، ص ٦٠.

٢٠) د. عبدالله العثيمين: الشيخ محمد بن عبدالوهاب – حياته وفكره – دار العلوم، الرياض، ص ٣١-٣٢.

٢١) الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف بن عبدالله الشمري العالم المشهور في المدينة النبوية، انتقل أبوه إبراهيم بن سيف بن عبدالله الشمري ، من بلدة المجمعة بعد أن قام على بيته وجعل بعضه مسجداً، وهو المعروف اليوم بمسجد إبراهيم في بلدة المجمعة وسكن في المدينة المنورة. انظر : إبراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (منشورات دار اليمامة، الرياض، ص ٣٤).

٢٢) سلك الدرر، ج٢، ص ٣٠٣.

٢٣) عمر بن عبدالسلام الداغستاني: تحفة الدهر ونفحة الزهر في شعراء المدينة من أهل العصر " مخطوط " ، ص ٦١ .

٢٤) تحفة المحبين والأصحاب ، المقدمة "و" .

٢٥) المصدر السابق، ص ١٤ .

٢٦) المصدر السابق، ص ٨.

٢٧) المصدر السابق، ص ٢٨.

٢٨) F. Rosental A History of Muslim Historiography. Leiden. 1952. P. 142

٢٩) عبدالله محمد بن فرحون اليعمري المالكي ولد سنة ٦٩٣هـ وكانت وفاته سنة ٧٦٩هـ - انظر : شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني " الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة" ، "تحقيق محمد جاد الحق" ط٢، ١٣٨٥هـ، ج٢، ص ٤٠ .

٣٠) توجه نسخة خطية من هذا الكتاب في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة.

٣١) عفيف الدين عبدالله بن محمد بن أحمد المطري المتوفى سنة ٧٦٥هـ ديسمبر ١٣٦٣م، انظر : فرانز روزنتال " علم التاريخ عند المسلمين" ترجمة د. أحمد صالح العلي، بغداد ، ١٩٦٣م، ص ٥٥٦ .

٣٢) محمد بن عبدالرحمن بن محمد السخاوي، ولد في القاهرة سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م وتوفي بالمدينة المنورة

٩٠٢هـ/١٣٩٧م – انظر المصدر السابق ص ٣٧١.

٣٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، نشر في القاهرة سنة ١٣٧٦هـ بتقديم د. طه حسين ، وعناية المرحوم أسعد طرابزوني ثم في طبعة ثانية سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٤) نسبة إلى الخليفة، وأول من قدم منهم المدينة المنورة سنة ٩٩٠هـ الشيخ عبدالوهاب الخليفي العباسي – انظر : تحفة المحبين ، ص ٢٠١.

٣٥) سلك الدرر، ج٤ ، ص ٦ز

٣٦) تراجم أعيان المدينة ، ص ٧٦ .

٣٧) إسماعيل باشا البغدادي – إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، طبعة استنبول، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، ص ٦٢٣.

٣٨) الأخبار الغريبة، للحسيني، مخطوط ، ص ٨٩.

٣٩) المصدر السابق، ص ١١٠ .

٤٠) المصدر السابق، ص ٧٣ .

٤١) المصدر السابق، ص ٣٥ – ٣٦.

٤٢) الشعر الحديث في الحجاز، ص ٧٣ .

٤٣) د. عبدالله الحامد : الشعر في الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠-١٣٥٠هـ ، ط١ ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، الرياض، ص ٧٢٤ .

٤٤) صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٣٢٦هـ على نفقة أحمد الجمالي، ومحمد أمين الخانكي الكتبي وأخيه، بمطبعة السعادة بمصر.

٤٥) الشعر الحديث في الحجاز، ص ٧٠،

٤٦) د. محمد عبدالرحمن الشامخ: النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية : ١٩٠٠-١٩٤٥م، ط ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م، ص ١٨.

٤٧) المصدر السابق، ص ١٨.

٤٨) السيد عبيد عبدالله مدني، مقالة بعنوان الشيخ عبدالجليل برادة المدني، مجلة المنهل، عدد (مايو ويوليو عام ١٩٦٩م) ص ٣٥٧ – ٣٦٤ .

٤٩) عبدالحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عناية د. إحسان عباس، دتر الغرب الإسلامي، بيروت، ج١، ص٨٨.

٥٠) عبدالقدوس الأنصاري: الشيخ العالم إبراهيم الإسكوبي، مجلة المنهل، رمضان وشوال، ١٣٦٨هـ.

٥١) سليمان البستاني: إلياذة هوميروس، ط٢، ١٩٦٦م، بيروت، سلسلة الروائع، ٤٦.

٥٢) عمر عبدالجبار : سير وتراجم، ط٢، ١٣٨٥هـ، ص ٣٠٩-٣١٠.

٥٣) من مؤلفات الشيخ ابن حميد : هداية الناسك إلى أهم المناسك، مطبوعات وزارة العدل، (ط٧ ، ١٣٩٨هـ) .

٥٤) عمر عبدالجبار، سير وتراجم، ط٢، ١٣٨٥هـ، ص ٢٢٦-٢٢٧.

٥٥) مخطوطة: الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير، تأليف أحمد بن حسين بن محمد حسين الحبشي العلوي. وكذلك فتح القوي في ذكر أسانيد حسين الحبشي العلوي، تخريج الشيخ عبدالله بن محمد غازي الهندي المكي، ط١ ، ١٤١٨هـ بعناية حفيده العميد متقاعد محمد بن أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي.

٥٦) الدليل المشير، ص ٤٣٣ – ٤٣٤ .

٥٧) مصورة مخطوطة الدليل المشير، ص ١٢٨ – ١٣٠ .

٥٨) مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد الثالث، شوال – ذو الحجة ١٤٢٣هـ ، ص ٤٧ .

٥٩) أ.د. عباس صالح طاشكندي، الطباعة في المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ١٣٦ .

٦٠) تعليقات المترجم على كتاب المستشرق : ك. سنوك هورخورنيه، صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ترجمة محمود السرياني، ومعراج مرزا، ترجمة : محمد إبراهيم علي، مطبوعات نادي مكة الثقافي، ج٢، ص ٢٩٦- ٢٩٧ .

٦١) ومما يدل على ميل الشيخ رحمه الله للأسلوب العلمي في مناقشة القضايا الدينية: كتابه (التنبيهات) في إثبات الاجتياح إلى البعث والحشر، وقد قام بالتحقيق والتعليق على هذا الكتاب الملهم د. بركات عبدالفتاح دويدار – عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر سابقاً – وطبع في مطابع السعادة بمصر، كما عني الشيخ محمد أبوزهرة عناية كبيرة بمؤلفات الشيخ يرحمه الله في المناظرة في كتابه

المعروف (محاضرات في النصراني) .

(٦٢ C.SONUCK - HURGRONE. MEKKA IN. THE LATTER PART OF THE 19 TH CENTURY. . TRANSLATED BY J.H. MONAHAN. LEISEN. LONDON. 1931. P. 173

(٦٣ سير وتراجم، ص ١٢١-١٢٧ ويذكر MONAHAN مترجم كتاب المستشرق (سنوك) بأن هناك عدة نسخ مطبوعة من الكتاب، كما أن هناك ترجمة فرنسية قام بها MANSU CARLET

(٦٤ د. عبدالرحمن صالح عبدالله، تاريخ التعليم في مكة المكرمة، ط١ذ، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م)، ص ٩٢.

(٦٥ عن هذه المؤسسة العلمية الأخيرة ، انظر : د. محمد العيد الخطراوي، مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة والموقع التاريخي الرائد، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

(٦٦ الأعلام : المجلد الأول ، ص ٩٩-١٠٠ .

(٦٧ محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي: الحماسة السنية، الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقطية التركزية، مطبعة الموسوعات بالقاهرة، ١٣١٩هـ، القسم الثاني، ص ٣ .

(٦٨ بينما يرى المؤرخ المعروف السيد أمين بن عبدالله مدني في مثل هذه المناظرات حرص مدرسة المدينة على قواعد اللغة العربية في أحرج ظروفها. انظر : أمين مدني، الثقافة الإسلامية وحواضرها، " الهيئة المصرية العامة للكتاب " ، ١٩٨٠م، ص ١٣٩ .

(٦٩ لمزيد عن هذه الشخصية العلمية ، انظر : القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٧٠ د. عاصم حمدان، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ط١، (١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م) ، القسم الأول، ص ٥٥ .

(٧١ عثمان بن سند البصري الوائلي، مطالع السعودي بأخبار الوالي داود، اختصار أمين ابن حسن المدني، تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة، ١٣٧١هـ، المقدمة.

(٧٢ .MEKKA. IN THE. LATER. PART OF THE 19 CENTRUY. NOTE. P. 289

(٧٣ د. عبدالرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ط١ ، ١٩٨٤م، بيروت، ص ٣٥٠-٣٥١.

(٧٤ الحماسة السنية الكاملة المزية، القسم الأول، ص ٦ – ١٧.

(٧٥ المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ، ط١ (١٤١٢هـ-١٩٩١م) ، ص٥٥.

٧٦) د. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، منشورات دار الرافعي، ط (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ، ص١١.

٧٧) مارتن فان فرونسن، الكاتب العربي في إندونيسيا، ترجمة د. قاسم السامرائي، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ص٤٣-٤٥.

٧٨) المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، ص ٧٢.

٧٩) يذكر الباحث إسماعيل زروخي أن ابن باديس التقى في المدينة المنورة شيخه حمدان بن الونيس وهذا انتقل إلى المدينة سنة ١٩٠٨م ، (انظر) إسماعيل زروخي: علماء الجزائر يستمدون من جذور الإصلاح من المدينة المنورة. "مجلة الحج والعمرة، محرم ١٤٢٤هـ، مارس وإبريل ٢٠٠٣م، في ١٥-١٧".

٨٠) عبدالقدوس الأنصاري ، السيد أحمد الفيض آبادي، ط٢، ١٩٨٩م، ص ١٩.

٨١) يذكر الزركلي أن الشيخ الإبراهيمي تأدب وتفقه في رحلة إلى المستشرق سنة ١٩١١م، وأقام في المدينة المنورة إلى سنة ١٩١٧م، وقد تولى رئاسة جمعية العلماء في الجزائر بعد وفاة الشيخ عبدالحميد بن محمد باديس في عام ١٩٤٠م، انظر " الأعلام ج٦، ص ٥٤ .

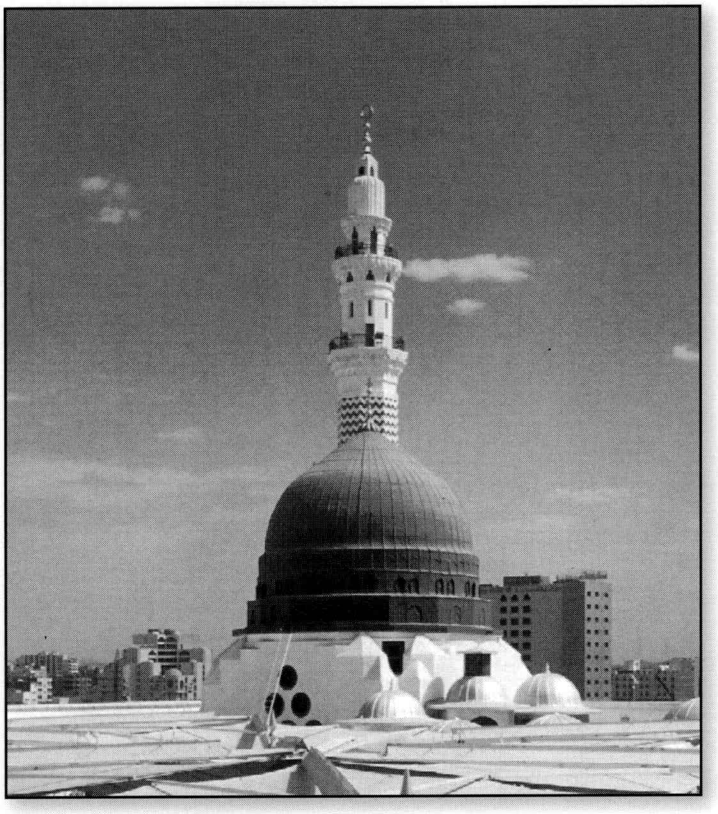
٨٢) محمد حسين زيدان، ذكريات العهود الثلاثة، ط٢ (١٤١١هـ-١٩٩٠م) ص ٣٨-٣٩ .

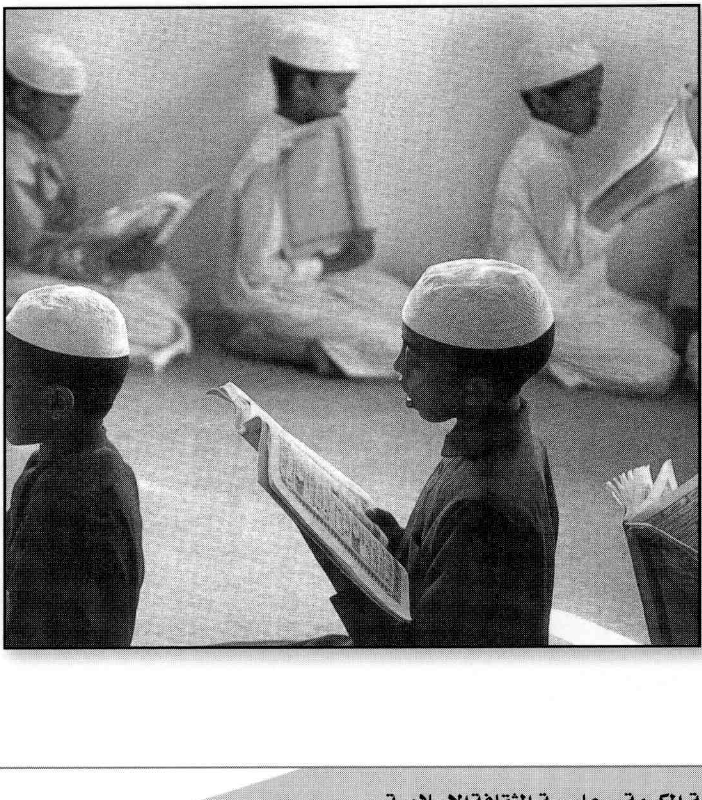
٨٣) الأعلام ٢- ٣٥.

٨٤) محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم الفوتي، تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان، المطبعة الماجدية بمكة ، ١٩٥٤م.

٨٥) أحمد أمين مرشد، طيبة وذكريات الأحبة ، تقديم الشيخ عبيدالله كردي، ج١، ص ٥٥.

٨٦) بتصريف عن كتابة فضيلة د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، الحرم الشريف الجامع والجامعة، نادي مكة الثقافي ١٤١٧هـ ، ص ١٥-١٨.





قدسية مكة المكرمة وفضلها
دراسة في دلالات المعنى والمكان من أسفار اليهود والنصارى

د. ليلى زعزوع - أستاذ مشارك بقسم الجغرافيا - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

المستخلص

تستند دراسة قدسية مكة المكرمة وفضلها على تحليل دلالات المعنى والمكان في الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب (العهد القديم والجديد) أو ما يعرف بـ «الكتاب المقدس» The Holy Bible. وقد استخدم الباحثان أسلوب التحليل والاستقراء لمضمون النص الديني الذي ورد في المزمور الرابع والثمانين من أسفار اليهود والنصارى ،والذي حدد فيه موقع مكة وموضعها وعناصر جغرافيتها الطبيعية والبشرية والتاريخية شرفها الله ومكانتها الدينية.

وحري بنا نحن الباحثون المسلمون أن نبحث في كل ما يخص مكة المكرمة لنردد صدى قوله تعالى: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين**﴾ فنحن أهل الحرمين. ومكة المكرمة هي قبلتنا وهي بيت الله الحرام وهي عاصمة للثقافة عام ٢٠٠٥ ، ونحن مطالبون كأمة إسلامية بالاهتمام بتحقيق كل ما يخص ديننا لرفع رسالته العالمية الربانية المصدر ، من خلال التركيز على الدراسات العلمية المنهجية لتفويت الفرص على أصحاب الدعاوى التي تمس ديننا الإسلامي ومقدساته وحتى لا يحقق الضجيج الإعلامي الذي يفتعلونه أهدافه من خلال وسائل الإعلام في تشويه صورة الإسلام والمسلمين .

المقـدمة:

يبحث موضوع دراساتنا في قدسية مكة المكرمة وفضلها في أسفار اليهود والنصارى من خلال استقراء الدلالات والإشارات الجغرافية والتاريخية والدينية الواردة في نص المزمور الرابع والثمانين من أسفار اليهود والنصارى ، للتدليل على مكانة مكة المكرمة ، عند الحوار مع أهل الكتاب ، من خلال استقرائنا للدلالات الجغرافية المكانية والزمانية والتاريخية والدينية ، وفق المنهجية المعتمدة على مايلي:

١. الاعتماد على المراجع المعتمدة عند اليهود والنصارى في دراسة أسفار أهل الكتاب.
٢. تفنيد أقوال الخصوم والآراء الأخرى من أهل الكتاب وغيرهم.
٣. الاستفادة من المصادر العلمية باللغات الأجنبية

يقول لله عز وجل في محكم كتابه: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ**

تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (سورة المائدة ١٥)، تبين لنا هذه الآية أن الرسول الكريم محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين، مبشر به في كتب السابقين، وارتبط ذكر مكة المكرمة في كتب أهل الكتاب ارتباطاً وثيقا بالبشارات المتعلقة بمبعثه من مكة وبرسالته صلوات الله عليه وسلامه. وقد حدد مكان مبعثه صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة، بحسب شهادة أهل الكتاب، ممن كانوا يترقبون ظهوره صلوات الله عليه وسلامه ،وذكر فيها اسمه وصفاته الخَلقية والخُلقية، وأنه من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وما يجري على يديه من معجزات ونصر وفتح مبين وتمكين لدين الله ، لأن الدين عند الله هو الإسلام.

إن من اطلع على أسفار الكتاب المقدس لدى النصارى اليوم بعهديه القديم والجديد ، أو على التوراة السامرية، وأنعم النظر وتأمل النص وقارن بين الطبعات القديمة والجديدة، وبين ما نقله الأقدمون عن النسخ التي كانت في أيامهم، سيجد بإذن الله كثيراً من النصوص وفيها الدلائل الواضحة والحقائق الدامغة التي لا يمكن أن تحمل إلا على البشارة برسول الله صلى الله عليه وسلم" (الهندي: ٢/ ٢٢٠، طويلة، ١٤١٠هـ:٣٦).

لم يكتف كثير من أهل الكتاب في حينه بإخفاء وكتمان هذه البشارات ، بل بتحريف كثير منها كما عرف عنهم من تحريف لكتب الوحي السابقة والزيادة عليها والانتقاص منها، يقول لله عز وجل **﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**٤٦ (سورة النساء)

وقد أسهمت حركات التنصير ومؤسساتهم الدينية في التشكيك في مكانة مكة المكرمة والطعن في قدسيتها، ، مروراً بكتابات كثير من المستشرقين داخل الدوائر الأكاديمية، وانتهاء بقنوات الاتصال ووسائل الإعلام المعاصرة، وكلٌّ يلمس تصعيد حملات الدعاية المناوئة للإسلام وتشويه صورته أمام الرأي العالمي بشكل محموم ، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، والتي أشعلت جذوة نيران تشتعل تحت كثير من رماد الشبهات المتراكمة ضد الدعوة الإسلامية الحقة .

وقد أنبأنا القرآن الكريم بهذه الحملات التي تدق طبول الحرب بوسائل الإعلام حيث يقول الله تعالى: **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾** (سورة آل عمران ١٨٦)

فالتشويه والصمت عن محاسن الإسلام هما السلاحان الرئيسيان لبعض وسائل الإعلام الغربي في تشكيل الرعب الهستيري من الإسلام، يقول المسلم جون ويبستر: «يظهر أن الغرب المسيحي قد تآمر منذ الحروب الصليبية على التزام الصمت تجاه محاسن الإسلام، وحاول تشويه مبادئه بطريقة متعمدة» (الدالاتي، ١٤٢٣هـ:٨٣).

بل بلغ الأمر التطاول على مقام سيد الخلق والمرسلين وشتمه علناً من قبل رموز دينية مسيحية ويهودية وأخرى سياسية عبر وسائل الإعلام، بل والدعوة البغيضة إلى توجيه ضربة عسكرية، انتقامية أو وقائية في إطار ما يسمى بـ»الحرب على الإرهاب«، لهدم الكعبة الشريفة وقصف مكة المكرمة بقنبلة نووية. وأحيا الصليبيون الجدد شعارهم القديم بالمطالبة برفع الصليب فوق مقدسات المسلمين وأطلال الحرم المكي بعد تدميره، كما يتوهمون، و تجديد مطالبتهم بفتح كنيسة في مكة المكرمة ، والسماح لغير المسلمين بالدخول إليها ،واعتبار تحريم دخولها شرفها الله تعصباً دينياً وتضييقاً للحريات الدينية، بحسب زعمهم من جانب القائمين على شؤون الحرمين الشريفين في المملكة العربية السعودية وولاة الأمر فيها ، فكانت هذه الهجمة الشرسة الأخيرة ضد هذا البلد حكومة وشعباً .

ولعلنا نطرح تساؤلا هو: هل الغرب حاقد على الإسلام لخوفهم منه ، أم لحقدهم عليه؟.

لقد شعر الغربيون بأن الباعث على الرعب من الإسلام ، هو جهلهم به، فطالبوا بمراجعة أفكارهم والتعرف علي الإسلام ، لكسر هذه الحلقة المعيبة المؤلفة من(الجهل- الخوف – الحقد) وهذا ما اعترف به البروفيسور هيرمان إيتلز، أستاذ العلاقات الدولية بجامعة بوسطن في دراسة تقدم بها للكونغرس عام ١٩٨٥م، إذ قال: «إن حكومتنا والكونغرس في حاجة إلى فهم أفضل للإسلام، وأقول بصراحة مطلقة إننا نجهل الإسلام تماماً» (الدالاتي، ١٤٢٣هـ:١٠١، ١٠٢).

ومن هنا كان الدافع لهذه الدراسة تحديدا عن قدسية مكة المكرمة وفضلها في أسفار اليهود والنصارى، دافعاً لعرض الموضوع بشكل علمي ومنهجي مدروس. والتي انتهجنا فيه استقراءا لنصوص أهل الكتاب، من أسفارهم المعتمدة لديهم، والتي ذكرت فيها مكة المكرمة، (خارج سياق البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم) ، فتلك النصوص تتحدث بشكل صريح عن مكانة مكة المكرمة وقدسيتها ، وفضلها ،وحرمتها ، وارتباطها الوثيق بالبيت العتيق ودعوة نبي الله إبراهيم، وأنها المكان الذي تحققت فيه وعود الله له ولذريته من بعده.

وبفضل الله ومَنّه ظهرت فكرة هذه الدراسة المشتركة عند قراءتنا لنقش حجري حفر على جدار مدخل كنيسة (طرق بيتك في قلوبهم) من نص المزمور الرابع والثمانين، والذي هو موضوع دراساتنا ، فقلت لزوجتي: هذا النص يتحدث عن بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، فتعجبت ! وعندما قرأت النص ، تنبهت بحسها الجغرافي للإشارات الجغرافية والدينية الواردة فيه وانطباقها على مكة المكرمة وقدسيتها ، فولد مشروع الدراسة ولله الحمد والمنة ونحمد الله أنه تزامن مع اختيار مكة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام ٢٠٠٥م.

أهمية الدراسة:

• التركيز على أهمية استقراء الدلالات الجغرافية المكانية والزمانية والتاريخية في نصوص أسفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

• التصدي للحملات المتجددة على أمة الإسلام ومقدساته وموطنه متمثلاً في هذا البلد الطيب ، الذي بات يتعرض لدعاوى البغضاء والكراهية والأحقاد الدينية المتجددة التي تقدم مبررات مقدسة ، تشرع لبعض الدول سياسات خارجية معادية تخدم أهداف التنصير ومطامع الغرب ومصالح الصهاينة في المنطقة .

• لانتقال من موقع المدافعة عن الإسلام ومقدساته ،إلى مواقع المبادرة بالاستفادة من هذه الضجة المفتعلة لنقل الحديث الانفعالي والتحريضي مثل "ضرب مكة المكرمة" ،إلى رحاب الحوار العقلاني والهادئ حول قدسية مكة المكرمة في كتب من يدعو إلى ضربها، إن كانوا حقاً يؤمنون برسالات الرسل محمد صلى الله عليه وسلم ، وإبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان وسائر الأنبياء والرسل عليهم السلام والكتب المنسوبة لهم.

أهداف الدراسة :

١. الاستدلال بما كتب في نص المزمور الرابع والثمانين عن قدسية مكة المكرمة من أسفار اليهود والنصارى، رغم محاولات طمس دلالات الإشارات الجغرافية الواردة في النص عن مكة المكرمة المكان المقدس وموقعها وخصائصها الطبيعية والبشرية والدينية وتحريفها.

٢. التركيز على المنهج العملي وأساليبه الموضوعية بعيدا عن الجدل الديني الأحادي الجانب، أو التعصب لأحكام مسبقة أو لآراء دون تمحيص وتدقيق فيها .

٣. الإسهام من خلال هذه الدراسة في الرد على الشبهات وصد الحملات، عند حوار أهل الأديان عن مقدسات المسلمين ومواقف أهل الكتاب منها. وتوسيع مجال الرد على الدراسات والحملات الإعلامية الموجهة ضد مناسك وعقيدة الإسلام، وشخص الرسول صلوات ربي وسلامه عليه.

٤. الاحتفاء باختيار مكة عاصمة الثقافة الإسلامية عام ٢٠٠٥م ، وجعلها مناسبة للتعريف بقدسية مكة المكرمة من كتب أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

تساؤلات الدراسة:

١. ما محتوى نص المزمور الرابع والثمانين في أسفار اليهود والنصارى؟ وما هي الإشارات الجغرافية الطبيعية والبشرية والتاريخية الواردة في نص المزمور الرابع والثمانين في أسفار اليهود والنصارى ؟

٢. وما مدى انطباق هذه الإشارات على مكة المكرمة شرفها الله وقدسيتها وفضلها ومكانتها ؟

٣. وهل وادي البكاء هو بكة كما هو مذكور في أسفار اليهود والنصارى ؟

٤. ما هي دوافع طمس ذكر مكة المكرمة في أسفار اليهود والنصارى ؟

٥. لماذا ينكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى مكة المكرمة وقدسيتها بما أنها مذكورة في كتبهم ؟

مصطلحات الدراسة :

الكتاب المقدس:

يقسم النصارى كتبهم إلى قسمين:

القسم الأول :

يدَّعون حسب معتقدهم أنه كتب بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام ويسمونه العهد القديم ويحتوي على تسعة وثلاثين سِفراً.

القســم الثاني:

يدَّعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام ويسمونه العهد الجديد ويضم سبعة وعشرين سِفراً ويطلقون على القسمين اسم(Bible) وهو لفظ يوناني معناه الكتاب ويكتبون على الغلاف الكتاب المقدس. (ملكاوي،١٤١٦)

السِّفر:

عبارة عن كتاب ينقسم إلى مجموعة من الفصول، يُسّمى كل فصل إصحاحاً، وفي كل إصحاح عدد من الفقرات قد تسمى بالآيات (ولنا تحفظ على هذه التسمية) تتفاوت في الكثرة أو القلة من كتاب إلى آخر، فعندما يقال: سفر التثنية ١٠/١٢ فذلك يعني الفقرة العاشرة من الإصحاح الثاني عشر من كتاب التثنية (الراشد، د.ت: ٥).

مما لا شك فيه عند النصارى وغيرهم أن هذه الأسفار نقلت إلينا دونما سند من الرواة منسوبة إلى أشخاص سواء كانوا أنبياء أو حواريين.

والمسلمون لا يشككون في صدق الأنبياء أو الحواريين، فهم ثقات، لكننا لا ندري إن كان هؤلاء قد قالوا هذا الكلام أم افتري عليهم. من هنا نقول إن صحة سند هذه الأسفار غير ثابتة. (الراشد، د.ت: ٥).

وعندما طلب من الشيخ رحمة الله الهندي في مناظرته التقريرية والتحريرية لعلماء النصارى السند المتصل لبعض أسفار كتب العهدين اعتذروا معللين ذلك بأن الفتن والمصائب التي وقعت على المسيحيين خلال القرون الثلاثة الأولى تسببت في فقدان السند المتصل لأسفار كتبهم (حسين، ١٤١٢هـ:٤٢).

الدراسات السابقة:

أولا: دراسات المسلمين العرب:

جاء موضوع الدراسة فيما ورد عن ذكر مكة المكرمة في كتب السابقين ضمن السياق غير المباشر في المراجع الإسلامية العربية للمؤلفين المسلمين ، وقد اكتفى بعض منهم بذكر النصوص من كتب اليهود والنصارى دون تحليل دلالاتها، لعدد من الأسباب نورد منها :

١. تم التطرق لموضوع الدراسة عن مكة ضمن سياق الحديث عن البشارات الواردة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي الأكثر شيوعا للتدليل على دلائل النبوة.

٢. كانت اللغة الانجليزية تشكل عائقا للباحثين فقلت الاستفادة من المصادر العلمية الغربية.

٣. قلة عدد المراجع المستخدمة في طرح ما يختص بأسفار أهل الكتاب وأقوال الخصوم

ويعد الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (٣٦٤-٤٥٠هـ) من أوائل من أشار في مصنفه القيم (دلائل النبوة) عن البشارات الكتابية التي أورد بعضاً من نصوصها المباشرة التي تشير إلى مكة المكرمة والحجاز من أسفار أهل الكتاب (الماوردي، ١٤٠٨هـ:١٧٣، ١٧٤).

وقد استخلص الإمام ابن القيم في مؤلفه (هداية الحيارى على أجوبة اليهود والنصارى) إلى ما يتصل بصفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به معالجاً تلك النصوص ببيان أقوال اليهود والنصارى فيها، ثم أقوال المسلمين، وساق في ذلك تسعة وثلاثين وجهاً منها ما أشار إلى أنه يتعلق بذكر مكة المكرمة في كتبهم المقدسة.

تطرق بعض المؤلفين المعاصرين إلى بعض النصوص الواردة عن مكة المكرمة ولكن (دون أن يكون المزمور الرابع والثمانون من ضمنها) وهم: أحمد حجازي السقا (البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل) وكتابه (العهدان: عهد هاجر وعهد سارة) عبد الرزاق نوفل في كتابه (محمد رسولاً نبياً)، أحمد عبد الوهاب (النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام)، عمر سليمان الأشقر (الرسل والرسالات)، صلاح صالح الراشد (البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب)، عبد الوهاب عبد السلام طويلة (بشارات الأنبياء بمحمد)، (ميثاق النبيين)، محمد رواس قلعه جي (محمد في الكتب المقدسة)، وآخرون.

أسهم من أسلم من أهل الكتاب في موضوع البشارات وتطرقوا إلى النصوص التي جاءت في سياقها والتي تذكر مكة المكرمة وهم: إبراهيم خليل أحمد (محمد في التوراة والإنجيل والقرآن).

أما من تطرق منهم إلى ذكر نص المزمور الرابع والثمانين بشكل عام ، وهو موضوع هذه الدراسة، فهو جمال بدوي، فيما لم يتصدى لهذه الموضوعات على المستوى المؤسساتي حسب بحثنا ، إلا هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسُنة ، التابعة الرابطة العالم الإسلامي، والتي قامت بالتمهيد لإعداد مؤتمر دولي يحاور العالم كله حول ميراث النبوة المدخر في كتب أصحاب هذه الديانات، وهو أول عمل علمي جُمع فيه كثير من البشارات في كتاب من إصدار مطابع رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٠هـ .

ثانياً دراسات المسلمين من غير العرب:

اهتم الدعاة والمهتمين من المسلمين من غير العرب في عصرنا لموضوع البشارات بشكل عام ،ولموضوع قدسية مكة وفضلها وما جاء في ذكرها في أسفار أهل الكتاب بشكل مختصر جداً. ومنهم أحمد ديدات، الذي أشير فيها إلى ذكر مكة في الكتاب المقدس .

ومن أفضل من تطرق إلى البشارات ونظر فيها عبد الظاهر في كتاب (محمد صلى الله عليه وسلم نبوءة تحققت) الذي طبع على نفقة صندوق الخليج للإغاثة الطبية، وفيه إشارات قيمة لنصوص عن مكة المكرمة من أسفار أهل الكتاب .

وقد أسهم عدد من أهل الكتاب ممن كان لهم به علم ،أو ممن شغل منصباً كهنوتياً في النصرانية أو اليهودية، يتقدمهم عبد الأحد داود في كتابه (محمد في الكتاب المقدس) ومع أنه لم يتطرق إلى نص المزمور ٨٤ لكنه أشار إلى ما جاء عن مكة المكرمة في نصوص أخرى.

وهناك كتيب القس السابق م. هـ. درعاني M. H. Duraani من الباكستان المطبوع في الهند سنة ١٩٨٥م. وكتاب آخر لمهتد من الفلبين هو M. A. C. Cave طبع على نفقة الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالسعودية، تحت عنوان Series of Prophecies in the Bible for the Advent of Muhammad، تميز فيه عن سابقيه بوضعه نصوصاً عن إشارات كتب مجوس فارس ،وهندوس الهند عن موقع خروج نبي آخر الزمان . وأشار فيها إلى استقبال كعبة إبراهيم وتطهيرها من الأصنام، و تعد هذه الاستشهادات من المصادر المحايدة في الاحتجاج بها على قدسية ومكانة مكة المكرمة على اليهود والنصارى لقوتها في الإقناع وإلزامهم بالحجة.

وأول من قام بجهد بارز في هذا الصدد الداعية عبد الحق فدرياتي وله كتابُ باللغة الإنجليزية سماه «محمد في الأسفار العالمية»، مستفيدا من مقارناته ومن معرفته باللغة الفارسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللغات الأوروبية، وما جاء في كتب فارس والهند وبابل القديمة. ونورد هنا ما جاء في كتاب الفدرياتي مقتبسا من كتب الزرادشتية الفارسية ، التي تنبئ عن دعوة الحق التي يجئ بها النبي الموعود ، وإشاراته إلى البادية العربية:

«إن أمة زرادشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة ابراهيم التي تطهرت من الأصنام ويومئذ يصبحون وهم أتباعاً للنبي رحمة للعالمين، وساده لفارس ومديان وطوس وبلخ وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم وأن نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات». وقد أشار المؤلف إلى فقرات من كتب اليهود والنصارى وأن فيها شواهد قديمة تنبئ عن مكة المكرمة (العقاد، ٢٠٠٠).

وفي هذا السياق، كتاب الدكتور فيد باركاش أبادهاي Dr. Ved Prakash Upaddhay (الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م) المعنون بـ "محمد في كتب الهندوس المقدسة Muhammad in the Hindu Scriptures" الذي ذكر فيه النصوص التي تشير إلى قدسية مكة المكرمة والكعبة وما يتصل بهما من أمور في ضمن سياق البشارات بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: دراسات المستشرقين والمنصرين (من غير المسلمين):

بالغَ عددٌ من المنصريين والمستشرقين من أهل الكتاب في الكتب والدراسات المناوئة للإسلام، في إنكار ما لمكة المكرمة من قدسية دينية ، وحاولوا التقليل من شأنها تارة ، والانتقاص منها تارة أخرى ومنها :

١. نفيهم أن يكون إبراهيم قد ارتحل إلى وادي بكة ، وأن بكة لا صلة لها بإبراهيم عليه السلام ولا بإسماعيل ، مكذبين بذلك مرويات الإخباريين العرب قبل الإسلام والشعر الجاهلي، و ماورد من آيات في القرآن

الكريم وبناء إبراهيم للبيت الحرام ، بل إنهم حددوا مواطنَ سكنى إسماعيل وذريته ببرية سيناء تارة ، وبشمال الجزيرة العربية تارة أخرى. (زعزوع ، ١٤٢٦)

٢. إنكارهم لصلة مكة بالنبوة وتكذيبهم لصلة النبي المرسل محمد عليه الصلاة والسلام بها ، فهو لم يظهر فيها أو منها، رغم أن هناك نصوص تشير للهجرة إلى المدينة (مدير ،زعزوع،١٤٢٦) .

٣. إنكارهم لقدسية مكة المكرمة من خلال تسميتهم لها بـ (بيت الأصنام) في كتبهم لإحاطتها بالأصنام في الجاهلية ، متجاهلين أن مكة المكرمة شرفها الله قد طهرت بعد الفتح الإسلامي من الوثنيات .

٤. زعمهم أن الكعبة هي اله المسلمين لأنهم يستقبلونها في قبلتهم ، وأن المسلمين من الوثنيين لأنهم يعبدون الحجر الأسود ويقبلونه .

منهجية الدراسة :

ارتكزت منهجية دراسة النص وتحليله على النهج العلمي الموضوعي في تحليل نص المزمور الرابع والثمانين ، باستقراء قواعد أهل الكتاب لفهم النص الديني ودلالاته وفق مايلي:

• الاعتماد على مصادر أهل الكتاب المعتمدة لدى مختلف طوائفهم من المعاجم، والقواميس، والموسوعات، والكتب التي تشرح أسفارهم (التفاسير).

• استخدام أسلوب مقارنة النص لعدد من النسخ العربية للكتاب المقدس المعتمدة مع سائر الطبعات والنسخ الكاثوليكية والبروتستانتية (من طوائف النصارى)، واليهودية مع مثيلاتها في الترجمات باللغات الأصلية (العبرية والإغريقية واللاتينية) والترجمات في اللغة الإنجليزية كنسخة الملك جيمس الشهيرة، أو النسخة الدولية الجديدة وغيرها، لفهم النص وتحليل الاختلافات النصية. (قاموس الكتاب المقدس :٧٦٨).

• الاعتماد على مصادر أهل الكتاب المعتمدة لدى مختلف طوائفهم من المعاجم، والقواميس، والموسوعات، وكتب التفاسير ، والفهارس عند التحليل والتفسير وشروحات أهل الكتاب للنص.

• كشف محاولات المعارضين أو المعاندين من أهل الكتاب، عند استخدامهم النصوص لتفسيرات بديلة يلتمسون بها صيغ التعبير المجازية والرمزية.

• مقارنه عدد من أطالس "الكتاب المقدس" في اللغة العربية وغيرها من المراجع الأجنبية

أدوات تفسير النصوص في أسفار الكتاب المقدس :

نشير إلى أن قبل تحليل دلالات الدراسة لنص المزمور الرابع والثمانين، للأدوات المستخدمة في تفسير نصوص أسفار الكتاب المقدس من دائرة المعارف الكتابية النصرانية وهي كالتالي:

١. تحديد الهدف من المعنى المكتوب :

علي الباحث المفسر معرفة الهدف من كتابة السفر ، والظروف التاريخية التي أدت إلى كتابته. ففي العهد القديم،

ارتبط بنو إسرائيل =بسبب أو بآخر= بالمصريين والأشوريين والبابليين والفرس وغيرهم من الشعوب والممالك، وفى العهد الجديد نشأت الكنيسة فى بيئة يهودية ثم امتدت وانتشرت في العالم اليوناني الروماني، فلغات الكتاب المقدسة تعكس هذه الثقافات المختلفة.

٢. مقارنة وتفسير الكلمات في أي فقرة بقرينتها المباشرة:

فالقرينة هي الحكم النهائي في تحديد معنى الكلمة، لأن القاموس قد يعطيك جملة من المعاني، ولكن القرينة هي التي تساعد على تضييق مجال الاختيار وتحديد المعنى، ولا يغيب عن ذهننا أن علينا الأخذ في الاعتبار مبدأ وحدة الكتاب الشاملة ، حتى يمكن أن تصحح التفسيرات والأفكار المبنية على معلومات محدودة.

٣. التعرف على الأسلوب الأدبي المستخدم في النص :

يستلزم التعرف على التعبير عن الأفكار الواردة في النص فهل يؤخذ بألفاظه؟ أو أنه يستخدم صورا مجازية؟ وهل هو سرد لأحداث، أم هو لحوار؟ أم هو مادة تعليمية الهدف منها توصيل فكرة معينة؟

تحليل الدراسة:

دلالات المعنى والمكان في قدسية مكة المكرمة كما ورد في المزمور الرابع والثمانين :

وهب الله تعالى داود عليه السلام صوتا جميلاً حسناً ،كان ينشد به فتؤوبُ معه الجبال والطير: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾ (١٠) سورة سبأ، وقد كان يسبح الله بهذه الترنيمات الرائعة تمجيداً وحمداً لله ، فتتوقف الطير في جو السماء لتردد معه هذه التسابيح ، ولكن هذه الأناشيد جرى تحريفها وأضيف إليها وحذف منها ، ولعل جمال هذه الترنيمات يضيع بسبب أسلوب الترجمة للعربية ، لكننا مع ذلك نلمح بصيصاً من اللمحات النورانية في هذه الترنيمات التي كان داود عليها السلام ينشدها بكرة وعشياً (البار، ١٤١٠هـ).

نحمد الله نحن المسلمون بأن لنا اعتقاداً جازماً أن الله تعالى قد أوحى إلى موسى عليه السلام بالتوراة وأنه أوحى إلى الأنبياء العديدين من بني إسرائيل، وأنه أوحى إلى داود الزبور . وأن هذه الكتب والأسفار مقدسة في أصلها (المفقود)، ولكنها قد حرفت وغيرت وبدلت «ولم يبق منها مما أنزل الله إلا شذرات تلمح هنا وهناك، تضيء مثل الجواهر والألماس» (البار، ١٤١٠هـ: ج٢/٣٩٣).

تحليل الخصائص المكانية ودلالاتها الطبيعية والبشرية والتاريخية في المزمور ٨٤:

نهجنا في تحليل الدراسة الأسلوب الموضوعي ، فعلى الرغم من أن الموضوع يرتكز على الإشارات الجغرافية إلا أننا لم نقع فيما وقع فيه بعض الباحثين في شأن كتب اليهود والنصارى المقدسة الذين يستندون على تصديق (جغرافية التوراة) والتشكيك في مروياتها التاريخية.

ورغم أننا نتفق مع همو ،(١٩٩٩)، في نقد التوراة تاريخها وجغرافيتها ودينها ولغتها في مؤلفه : (التوراة تحريف

وتزوير)، لكننا لا نوافقه الرأي في رفض الكتاب المقدس كله وفق منطقه الذي يقول: «إذا سقط جزء من النظرية انهارت النظرية»، فنلاحظ على سبيل المثال أن موقف كمال الصليبي من القرآن الكريم موقف يختلف تمام الاختلاف عن نظرة الغرب، فالقرآن، لأنه كلام الله المنزل، لا يتبع الروايات المحرفة في التوراة ولهذا فرواية القرآن الكريم رواية مصححة لما وقعت فيه التوراة من أخطاء وتحريفات.

فما يخص وادي بكة، موضوع الدراسة على ضوء المزمور ٨٤ والإشارات الجغرافية العديدة الواردة فيه، والتي استنتجنا منها انطباقها على طبيعة مكة الجغرافية، فإن كمال صليبي يعرج عليها سريعاً فيقول «والواقع هو أن القرآن الكريم يقول بكل وضوح أن مقام ابراهيم كان ببكة ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ** ﴾٩٦﴿ **فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾٩٧ (سورة آل عمران) ويبين لنا همو أن «الاختلاف بين الرواية القرآنية والتوراتية محير للوهلة الأولى، لكن القرآن بمعجزته يوضح غوامض التوراة في أحيان كثيرة (والتي ليست مكان دراستنا هذه) لكنه أمر جدير بالأهمية (همو، ١٩٩٩م: ٧٨٧).

أولا: التصريح باسم بكة وموقعها وموضعها:

التصريح باسم من أشهر أسماء مكة المكرمة وهو اسم (بكة) الوارد ذكره في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران:٩٦) ولا نريد أن نفصل في بحث علل التسمية لكننا نحدِّد المقصود من بكة على النحو التالي:

• أنَّ بكة هي موضع الحجر حيث يَبُكّ الناس بعضهم بعضاً ؛ أي يتزاحمون، أو بكة موضع الكعبة، كما نقل ذلك الأزرقي (أخبار مكة ١ : ٢٨١.) وذكر عكرمة أنَّ المقصود من بكة هي الكعبة نفسها، وقيل أن بكة هي اسم لتمام الحرم، وأن المقصود منها خصوص الحجر.

• أنَّ المراد منها خصوص المطاف (الماوردي الأحكام السلطانية، : ١٥٧ ـ ١٥٨).

• بكة هي نفسها مكة، وقد قلبت: «الميم» إلى «باء» من قول العرب: «ما هذا بضربة لازب ولازم»، وهو شائع في لغة العرب (الزمخشري، الكشاف ١ : ٣٨٦، معجم ما استعجم ١ : ٢٦٩).

• بكة هي المساحة الفاصلة بين جبلي مكة وفيها ساحة المسجد الحرام (أخبار مكة ١ : ٢٨١.)

• ورد في روايات الفريقين أنَّ بكة اسم من أسماء مكة (أخبار مكة ١ : ٢٨١)

يشير نص المزمور الرابع والثمانين إلى موقع هذا الوادي وموضعه فهو بعيد عن مدينة القدس بدلالة تعبير مؤلف النص عن شدة اشتياقه لموضع بيت الله الحرام فيه، كما يشير إلى موضعه بالتصريح باسمه (وادي بكه).

قال الدارمي: أخبرنا زيد بن عوف، حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ذكوان أبي صالح عن كعب أنه قال- وذكر صفة رسول الله في التوراة: محمد- أو أحمد- عبدي المختار، لافظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق،

ولا يجزي السيئة بالسيئة ويعفو ويغفر، مولده بكا-أي مكة-وهجرته طابا وملكه بالشام»...إلى آخر الرواية (طويلة،١٤١٠هـ:٣١٤).

وتنص التوراة على أن إبراهيم عليه السلام أخذ هاجر وابنها إسماعيل إلى مريا فتصف التوراة هذا الجبل بأنه بلوطة مورة (التكوين١٢:٦) ويبين لنا الأعظمي (١٤٠٩) أن أرض المريّا في نص (سفر التكوين ٢١) مشتق من مروة ومرية ومرياه وموريا ومورة وموريءاه إلى غير ذلك والمقصود بها مكة المكرمة. فحادثة الذبح حدثت في مكة ، أما إسحاق فكان مع أمه سارة في ارض كنعان. والقرآن في محكم آياته يقول :**﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾٩٩﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾١٠٠ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ١٠١ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾١٠٢﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾١٠٣ ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾١٠٤﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾١٠٥﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾١٠٦﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾١٠٧﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾١٠٨﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾١٠٩ ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾١١٠﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾١١١ ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ ١١٢﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾** ١١٣ (سورة الصافات ٩٩-١١٣)

فمنذ زمن إبراهيم عليه السلام لم تكن هناك أرض للعبادة سوى مكة ، التي أرسى الله فيها أول بيت وضع للناس ، فعرف أن (أرض المريّا) هي مكة المكرمة ، أو أحد جبالها (فاران) ودست العبارة لبيان أن قصة الذبح والفدي تم بمكة، وذكرت أحد نسخ التوراة العربية المخطوطة ، بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية (أرض العبادة) بدل (ارض المريّا)، فيما ذكرت في التوراة السامرية (الأرض المرشدة) (الصاوي، د.ت:٥٦،٥٧).

ولكن هل وادي بكة هو وادي البكاء؟

إن من أسباب اختيار هذا المزمور للدراسة هو أنه يصرح باسم من أسماء مكة المكرمة ورد ذكره باسم (بكه) بنص القرآن الكريم المذكور حيث يقول تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾** (سورة آل عمران٩٦). فالنص لا يحتاج إلى دليل قاطع بعد أن صرّح باسم مكة (للخصوم) الذين يحددونه في الموسوعة العربية المسيحية ويشير الصاوي في كتابة إلى باحث هندي مسلم ذكر أن كلمة (البكا) ذكرت في اللغات العربية ،والإنجليزية، والأردية الثلاث ، وهي (معرفة) لا تتغير. ووصفت بكلمة الوادي- بالعربية والأردية-قبل كلمة (البكا) ، وقد كتبت باللغة الإنجليزية the valley of Baca .» ويلفت الصاوي الانتباه إلى أن

كلمة (البكا) في النسخ العربية المترجمة في أسفار اليهود والنصارى تضيف للكلمة همزة (البكاء) كما جاء في النسخة الكاثوليكية ونسخة البروتستانت)» . (الصاوي، د.ت: ٣٧٤)

ومن الجدير بالذكر ، أن الصاوي اعتمد على نسخة الكاثوليك إصدار دار المشرق ببيروت طبعة ١٩٨٦م ، لكن الطبعة الصادرة عام ١٩٨٩م بدلت الاسم من (وادي البكاء الجاف) إلى (وادي أشجار البلسان). فبعد مرور ثلاث سنوات تبدل فيها اسم الوادي في طبعات منقحة. ويعلل الزنداني ذلك بأن :النصارى العرب وقعوا في حرج من وادي بكة ! فحرفوه في الطبعة العربية ب: (عابرين في وادي البكاء)، ولا توجد صلة بين وادي بكة والبكاء، وقد ورد اسم «بكة» في النص الإنجليزي مبتدئاً بحرف كبير مما يدل على أنه اسم علم غير قابل للترجمة Baca.

ومن المعروف أن أسماء الأمكنة في اللغة الانجليزية يُكتب حرفها الأول بحرف كبير، كي يميز بأنه اسم لشخص أو لمكان ما، ولو ألقينا نظرة سريعة على كلمة بكة المكتوبة في معظم ترجمات الكتاب المقدس باللغة الانجليزية لوجدناها قد كتبت بهذا الشكل Baca مما يعني أنها اسم لمكان.

وخلاصة ما توصل إليه الباحثون المسلمون أن النص يصرح باسم وادي هو وادي بكة، أو وادي بكا ولكن الاسم يتعرض لمحاولات تمويه وتحريف من قبل القائمين على ترجمات الكتاب المقدس.

وللأمانة العلمية والموضوعية اطلع الباحثان على عدد من الترجمات والنسخ القديمة في أصولها العبرية واليونانية ، لمقارنة الترجمات والنسخ والطبعات المختلفة، حتى بلغ مجموعها (٥٨) نسخة وطبعة وهي كالآتي:

- (٤) ترجمات عربية معتمدة للمزامير ، وترجمة قديمة منها باللغة العربية.
- (٥١) ترجمة ونسخة وطبعات منقحة قديمة ومعاصرة من النسخة الواحدة في الانجليزية.
- طبعة النص الإغريقي القديم (الترجمة السبعينية)، و نص الفولجاتا في اللاتينية.
- طبعة النص اليهودي المسوري القديمة (النص العبري).

واستنتج من المقارنات التالي :

١- ورد (اسم بكة) في ٢٩ نسخة وترجمة من أصل ٥٨ منها ، أي مانسبته ٥٠٪ من المجموع (٥٨) في مختلف ترجمات ونسخ الكتاب المقدس الإنجليزية والعربية ، وهي نسبة ترجح كفة (وادي بكة).

٢- هناك خمس أسماء أو معان مختلفة يتباين كل واحد منها عن الآخر في ترجمة ونسخ نص المزمور، حيث تحول (وادي بكة) إلى (وادي البكاء) ثم إلى (وادي أشجار البلسان) في طبعة لاحقة، أو (وادي الدموع) في أخرى، حتى أصبح واد جاف (غير معرف) ، أو (الوادي الجاف) لنتوه معهم في (عدة أودية متعزلة). لكن نرتكز هنا على القاعدة الأصولية التي تقول: أن ما تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، فلا وزن بعده لرأي يدعي حسم المسألة من جانب معارض بموقفه المتشدد للدلالات والإشارات الجغرافية الواردة في وصف المكان.

ثانيا:الخصـــائص الطبيعية للمكان المقدس كما ورد في المزمور الرابع والثمانين من أسفار اليهود والنصارى :

وصف مكة المكرمة بالوادي جاف:

وصفت مكة المكرمة في القرآن الكريم على لسان خليله إبراهيم ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ (إبراهيم:٣٧). فالوادي في الآية الكريمة، يصف وادي مكة المكرمة وتضاريسها وجبالها ونباتها. وذكر صاحب(شفاء الغرام ١ : ٨٤) سبق وأن سميّت مكة في عصر من عصورها التاريخية باسم «الوادي» في رسالة من الخليفة الثاني إلى عامله على مكة يذكر هذه المدينة باسم «الوادي».

وصف مكة المكرمة بوادي البلسان:

حُرف وصف وادي بكه في أسفار اليهود والنصارى ، من (وادي بكة) إلى (وادي أشجار البلسان) ، وتشتهر مكة المكرمة بالبلسم ، الذي يعرف بشجر البَشَام (البلسان أو البلسم) والاسم العلمي حسب رأي الوليعي هو المعول عليه في حالة الاختلاف على مدلول الاسم الذي يسمى Commiphora Opobalsamm (الوليعي ،١٤١٧) ويعرف هذا النبات بأسماء عدة منها: بلسان - بلسم مكة - بشام (اليمن) وتشتهر به منطقة الحجاز ، وهو نبات ينبت في المناطق الجبلية ، ويصل طوله إلى مترين تقريبا ، وشجرته إذا جرح غصنها فيظهر منة مادة لزجة ذات رائحة عطرة، (الحارثي،١٤٢١ :٧٤-٧٥) ولها فوائد واستعمالات طبية منها: تخفيف السعال ونزلات البرد والحمى . (الحلو،١٤١٧)

ثالثا :الخصائص السكانية والعمرانية لمكة المكرمة في نص المزمور الرابع والثمانين:

• ما أحلى مساكنك يا رب الجنود

يشير النص لبيت الله الموصوف في المزمور الذي يعبد فيه الرب، و له طابع نوارني يتميز بالبهاء وتغشاه الملائكة (الجنود)، يقول الله تعالى :﴿**وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**﴾ (٤) سورة الطور. وبيت الله الحرام ، أول بيت وضع للناس، ورفع على قديم الأساس، بني مثالا للبيت المعمور، ودعى إليه كل مأمور، وأذن إبراهيم صلوات الله عليه بالحج، ودعا إليه الناس فأتوه من كل فج، وشعائره مكرمة، ومشاعره محرمة، عظم في الجاهلية والإسلام، وحرم من حيث بنيت الأعلام ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾وهو البيت المحجوج المحجوب، والمقصود بالزيارة قصد الوجوب،

• تشتاق بل تتوق نفسي...

وفيه دلالة على أن بيت الله الموصوف يقع في مكان تفصله المسافات بعيداً عن القدس ، هذا البعد المكاني للبيت يجعلهم يشتاقون له قال الله تعالى:﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ**﴾ (٣٧) سورة إبراهيم.

إلى ديار الرب:

وصفت مكة المكرمة ببيت الله الحرام لأن فيها مشاعر وأماكن مقدسة لها حدود معلومة (حرمة مكة المكرمة).
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (١٢٥) سورة البقرة.

• قلبي ولحمي يهتفان بالإله الحي:

وهو هنا التوق والإدراك الحسي للمكان في ذهنية حجيج البيت الحرام ولهفتهم وشوقهم له، وتتمثل كذلك في العبادات التي لها سمات مميزة لحجاج بيت الله الحرام مثل (لباس الإحرام) والحج والعمرة وشعائره و الطواف والسعي، والوقوف بعرفة، مع الامتناع عن الجماع وقص الشعر والأظافر ومس الطيب، وهي عبادة تؤدى من أعماق الفؤاد، ويصاحبها هتاف (برفع الصوت بالتلبية).

• العصفور أيضا وجد بيتا والسنونة عشا لنفسها حيث تضع أفراخها

ويصف المكان هنا بأن الحمام وأفراخ الطير تشعر بالأمن الشامل المحيط بالجميع. ولسنا هنا في مقام شرح لحرمة الصيد في الحرم المكي، ولا عن أمن الحرم المكي، وخصائص حمام الحرم، وقد ضرب المثل بأمن حمام الحرم المكي فقيل: "آمَنُ مِن حَمَام الحرم!". ويقول الله عز وجل في محكم كتابه: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾** (سورة العنكبوت ٦٧) وقال الله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾**
(المائدة:٩٥)

• مذابحك يا رب الجنود ملكي والهي:

يشير النص لأماكن مخصصة لنحر الأضحية والهدي وقد ذكرت الآية الكريمة من سورة البقرة ذلك **﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** (١٩٦) سورة البقرة.

• طوبى للساكنين في بيتك:

نحن هنا أمام وصف للخصائص البشرية: وهناك الكثير مما كتب عن فضل مكة ومجاورة البيت، وتاريخ أهل

مكة وخصائص سكانها ، ونموهم والازدهار العمراني والاقتصادي من رخاء ونماء ورغد عيش ولعل أهم كل ذلك الوعد الإلهي بالأمن ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة القصص ٥٧). والرزق الكريم ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾ (سورة قريش ٣، ٤).

• أبداً يسبحونك:

وصف للوظيفة الدينية التي تتسم بالديمومة كظاهرة في هذا المكان المقدس مكة المكرمة شرفها الله حيث بيت الله الحرام وهو بيت العبادة ويقول الله عز وجل : ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾ (سورة النـور ٣٦).

• طوبى لأناس عزهم بك:

نتبين عدد من الدلالات الدينية والتاريخية ،يتضح منها مكانة مكة دينيا وتاريخيا لدى أهلها من العرب والمسلمين ،وعلاقة المسلم بربه في الإسلام واعتزازه بدينه كما في كتابة الكريم: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (سورة المنافقون ٨).

يقول العقاد: " والكعبة هي الجوار الوحيد الذي يشعر عنده العرب (في الجاهلية) هذا الشعور (الفخر والاعتزاز) فهم في الشام رعايا دولة الروم، وهم في الحيرة رعايا دولة الفرس، وهم في اليمن أتباع للحبشة أو فارس أو رعايا لسلطان يدينهم بالمذلة كما يدينهم الملوك الغرباء.ولكنهم عند بيت الله في حرم الله يقدسونه جميعاً لأنه لهم جميعاً يضمهم إليه كما يضم أوثانهم وأصنامهم وأربابهم، يلوذون به، ويأوون إليه، فكلهم من معبود أو عابد في حمى من الكعبة لأنهم في بيت الله.وشعورهم هنا (أي في مكة المكرمة) بأنهم عرب لم يماثله شعور قط في أنحاء الجزيرة العربية ولو لم تكن للعرب وحدة معروفة بينهم قبل البعثة الإسلامية، لما اعتزوا بالبيت الجامع لهم هذا الاعتزاز" (العقاد، د.ت: ٥٦، ٥٧).

• طرق بيتك في قلوبهم:

يشير النص هنا للمسالك والطرق ومواقيت الإحرام وحدود الحل ،وأماكن الأعلام عند دخول مكة المكرمة وكل ما يختص بطرق الحج ودروبه والسفر إليها، ومواقيت الحج المكانية والزمانية ، على الطرق ومداخله ،قال الله تعالى ﴿**ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (سورة البقرة ١٩٩). كما نلمس مهنا طبيعة مكة التضاريسية كما عرف إن « أهل مكة أدرى بشعابها» وأن للبيت العتيق حرمة تُحرّم دخول غير المسلمين ، ومن أسلم دخلها ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ (سورة التوبة ٢٨).

• عابرين في وادي البكاء:

حدد موضع البيت الحرام: بالتصريح باسم من أسماء مكة وهو وادي بكة: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾** (سورة آل عمران ٩٦). وله تفد الوفود من العالم لأداء مناسك الحج والعمرة والزيارة.

• يصيرونه ينبوعا مياهه:

وهو وصف لخصائص مياه مكة المكرمة (وهو إشارة إلى بئر زمزم) حيث أن الحجيج العابرين في هذا الوادي الجاف وسكانه يفجرون فيه الينابيع ، ويستفيدون من مياه الأمطار للسقاية، وهذا معروف من تاريخ السقاية للحجيج منذ الجاهلية ، وهو شرف يتنافس عليه أهل مكة المكرمة خدمة للحجيج ، وحرصوا على تفجير الآبار والعيون حول مكة المكرمة. وكما نعلم أن أمطار مكة تتميز بالتذبذب والفجائية والمحلية وينتج اغلبها عن مرور المنخفضات الجوية القادمة من البحر المتوسط ، وتتركز في الشتاء ثم الربيع والخريف ويقل في الصيف (مرزا، احمد ،١٤٢٢)

• أيضا ببركات يغطون مورة، يذهبون من قوة إلى قوة:

يرجح أن مورة تشير إلى المروة في المسعى أن يذهبون من قوة إلى قوة فيه إشارة إلى السعي بين الصفا والمروة ، ومن الجدير بالذكر أن الحجيج يتوافدون من كل أنحاء العالم لأداء فريضة الحج ، وإن عمليات تفويجهم تتم خلال مراحل ، من مشعر إلى آخر أثناء تأديتهم للنسك (شعائر الحج كالطواف بالبيت، الوقوف بعرفة، المبيت بمنى، مزدلفة). يقول الله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾** (١٥٨) سورة البقرة .

• يرون قدام الله في صهيون

عبارة مدسوسة حرفت في الأصل العبري لصرف النظر لمكان لآخر.

• يا رب اله الجنود اسمع صلاتي وأصغ يا اله يعقوب:

هذا المكان المقدس هو موطن إجابة الدعاء وصلوات من خلال الصلاة التي تقام في البيت الحرام

• يا مِجنّنا انظر يا الله والتفت الى وجه مسيحك:

يشير النص إلى النبي القادم ب (مسيح الرب) وهو لقب يطلق على أولي العزم من الرسل والانبياء عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى . وفي هذه الفقرة يبتهل إلى الله راجياً أن يحقق ماوعد به وبشر من الالتفاف إلى وجه نبيه (أي مسيحه) بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى هذا البيت الحرام في مكة المكرمة قال الله تعالى : **﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ**

عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٤) سورة البقرة.

- **لان يوما واحدا في ديارك خير من ألف:**

يؤكد هذا الوصف للمكان المقدس دلالة أن له أفضلية على غيره من سائر دور العبادة والأماكن، وهذا ثابت بنص الحديث في حق المسجد الحرام بمكة المكرمة: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام)). رواه البخاري.

- اخترت الوقوف على العتبة في بيت الهي:

وهنا الإشارة لمقام إبراهيم عليه السلام: ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ (سورة البقرة ١٢٥)

- **على السكن في خيام الأشرار:**

نلمح من هذه الفقرة لمحة تاريخية لهذا المكان المرتبط بحدث خروج النبي المرسل منه محمد صلى الله عليه وسلم ، حين أضطر فيه المبعوث منه إلى الأمر الإلهي بالهجرة من مكة إلى المدينة المنورة ، عوضاً عن مساومته في أمر دينه ،والتمتع مع الأشرار من كفار قريش وصناديدها في نعيمهم ونفوذهم ، وسكان الخيام (إشارة كتابية عن العرب). (مدير، زعزوع ، ١٤٢٦)

- **لان الرب الله شمس ومجن.الرب يعطي رحمة ومجدا:**

نتبين عدداً من الإشارات والبشارات الدينية ، فالله عز وجل يحصِّن هذا المبعوث نبنا محمد صلى الله عليه وسلم من وادي بكه ،ويحفظه ويعصمه من الناس ،يقول الله عز وجل : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة المائدة ٦٧). وقد أرسل رحمة مهداة للعالمين كما في الآية الكريمة : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ **(سورة الأنبياء ١٠٧)، ويعطيه مجداً خالدا وينزل عليه القرآن الكريم** ﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ**﴾ (سورة البروج ٢١)، ونصراً وتمكيناً لدينه الإسلام :﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ (سورة الفتح ١).

- لا يمنع خيرا عن السالكين بالكمال:

هذا المبعوث من مكة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والذين يتبعونه من غير اليهود ، الذين يصفون أنفسهم بأنهم شعب الله المختار ، الذين صدوا بذلك بقية الشعوب عن عبادة الله واحتكروا توحيده لأنفسهم، ومنعوا الناس من بيوته ، والله لا يفاضل بين الناس إلا بالتقوى ، وإن ما سوف يحصل على يدي هذا المبعوث في هذا المكان المقدس بوادي بكة ، هو أن الخلق هم عباد الله يتساوى فيهم أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم قال الله تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ**

أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)

• يا رب الجنود طوبى للإنسان المتكل عليك:

هي بشارة وإشارة دينية للمبعوث من وادي بكة ، الذي يوصف بأنه يتوكل على الله في كل أمر : **﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾** (سورة التوبة ١٢٩). وقال تعالى : ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (سورة الانشراح ٨). وهي صفة وخصائل محمودة موصوف بها الرسول الكريم محمد عليه السلام ، حتى أن الملائكة تُطوبه أي تباركه ،والناس تصلى عليه في صلاتهم قال تعالى :**﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب ٥٦) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾** (سورة الأحزاب ٢١).

وفي ختام هذه الدراسة :

فإننا نتساءل لماذا ينكرون قدسية مكة المكرمة وقد ذكرت في أسفارهم ؟

يبين لنا هذا التساؤل أهمية المكان الجغرافي ثابتة وحقيقة تشهدها أرض الجزيرة العربية وأحداثها ، حقيقة لا يمكن العبث بها لثبوت دلالاتها ولصعوبة إنكارها عبر الزمان والمكان، ولكن:

❖ لماذا التحـريف والإصـرار على اسـتبدال مواقـع جغـرافية مكان أخـرى في أسـفار أهل الكتاب من اليهـود والنصـارى؟

❖ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يتكرر في طبعات لاحقة في أسفار أهل الكتاب عام بعد آخر ؟

❖ وهل هذا التحريفات صادرة عن الوحي أم من أقلام الكتبة والمحررين في أسفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى ؟

❖ وإن كانت هناك أخطاء مطبعية غير مقصودة (بافتراض حسن النية من وراء مغالطة الحقائق الجغرافية ، ومناقضة سائر أسفار الكتاب المقدس)؟ فمن هو المسئول عن هذه التحريفات ، طالما أن النصارى يؤمنون بأن كل الكتاب بوحي من الله ؟

إن الباحثين تحكمهم المنهجية العلمية الموضوعية عند الكشف عن الدلالات وتفسيرها، وخاصة عندما تعضد تلك الحجج بالوقائع التاريخية عبر السنين، على أرض صلبة هي موقع الحدث في المكان الذي لا يثير الريبة ولا الشك . فيصبح التحريف المتعمد للنص هو التفسير ،والله عز وجل في محكم كتابه يقول: **﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** (٧٥) سورة البقرة.

يتضح الهدف والغاية ، من محاولة صرف مدلولات النصوص، عن مكة المكرمة موقع الحدث، التي تستوجب

الدافع الأهم بدلائل النبوة التي تستدعي الاستحقاق والاعتراف تلقائياً بالمبعوث محمد صلى الله عليه وسلم وبرسالته ، وأنه رسول من عند الله مصدقاً ، وبسيرته الخالدة، وبأنه خاتم النبيين وأن الدين عند الله هو الإسلام .وكل ذلك من الحقائق القطعية الثابتة عند المسلمين ، والتي لا خلاف عليها .

وإننا في هذه الدراسة اقتصرنا على تحليل المزمور الرابع والثمانين ، لكن هناك نصوص أخرى عديدة وردت في أسفار اليهود والنصارى ،تشير إلى مكة المكرمة شرفها الله ، وفيها وصف مكة المكرمة ، ونستدل منها ، بأنه سترتفع فيها دعوة محمد نبي هذه الأمة عليه السلام من فوق رؤوس الجبال ، ويهتف الناس بذكر الله . وقد سميت الديار التي سكنها في جزيرة العرب بـ (قيدار) ، وفي مكة المكرمة شرفها الله تحديدا، وقيدار كما ورد في النص هو أحد أبناء إسماعيل ، كما جاء في سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرون العدد الثالث عشر ، إشارة لمكة المكرمة.

وما الترنم والهتاف إلا ذلك الأذان الذي لا يزال يشق أجواء الفضاء كل يوم خمس مرات في انحاء المعمورة. وهذا ما ذكر في سفر أشعياء الإصحاح الثاني والأربعون : تسبيح للرب

١٠غَنُّوا لِلرَّبِّ أُغْنِيَةً جَدِيدَةً تَسْبِيحَهُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ. أَيُّهَا الْمُنْحَدِرُونَ فِي الْبَحْرِ وَمِلْؤُهُ وَالْجَزَائِرُ وَسُكَّانُهَا ١١لِتَرْفَعِ الْبَرِّيَّةُ وَمُدُنُهَا صَوْتَهَا الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِتَتَرَنَّمْ سُكَّانُ سَالِعَ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتِفُوا. ١٢لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْداً وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. ١٣الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يَخْرُجُ. كَرَجُلِ حُرُوبٍ يُنْهِضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتِفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ. ١٤قَدْ صَمَتُّ مُنْذُ الدَّهْرِ. سَكَتُّ. تَجَلَّدْتُ. كَالْوَالِدَةِ أَصِيحُ. أَنْفُخُ وَأَنْخُرُ مَعاً. ١٥أُخْرِبُ الْجِبَالَ وَالآكَامَ وَأُجَفِّفُ كُلَّ عُشْبِهَا وَأَجْعَلُ الأَنْهَارَ يَبَساً وَأُنَشِّفُ الآجَامَ ١٦وَأُسَيِّرُ الْعُمْيَ فِي طَرِيقٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا. فِي مَسَالِكَ لَمْ يَدْرُوهَا أُمَشِّيهِمْ. أَجْعَلُ الظُّلْمَةَ أَمَامَهُمْ نُوراً وَالْمُعْوَجَّاتِ مُسْتَقِيمَةً. هَذِهِ الأُمُورُ أَفْعَلُهَا وَلاَ أَتْرُكُهُمْ. ١٧قَدِ ارْتَدُّوا إِلَى الْوَرَاءِ. يَخْزَى خِزْياً الْمُتَّكِلُونَ عَلَى الْمَنْحُوتَاتِ الْقَائِلُونَ لِلْمَسْبُوكَاتِ: ((أَنْتُنَّ آلِهَتُنَا!)) حدد في سفر أشعيا(٤٢)»

• حددت أسفار اليهود والنصارى الموقع الجغرافي ، الذي نشأ فيه إسماعيل عليه السلام، كما جاء في سفر التكوين :» وفتح الله عينيها،فأبصرت بئرماء.فذهبت وملأت القربة ماءً وسقت الغلام .وكان الله مع الغلام فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس. وسكن في برية فاران» وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن إسماعيل عليه السلام كان رامياً، فقد مر على نفر من قبيلة أسلم يرمون بالسهام فقال لهم:(ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا).

• ورد في سفر التثنية(٣٣): "جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران». حدد بعض شراح أسفار اليهود والنصارى ممن أسلموا ، أنها أماكن نزول الهدى الإلهي على الأراضي التي حددت من سيناء بنزول التوراة على موسى عليه السلام، ثم إشراقه من ساعير في فلسطين في الأرض التي عاش فيها عيسى عليه السلام: ونزول الإنجيل عليه . ثم تلألأ الهدي الإلهي من جبل فاران : ونزول القرآن على محمد صلى الله عليه

وسلم . وفاران هو الاسم القديم لأرض مكة التي سكنها إسماعيل عليه السلام .

• ورد في سفر أشعيا(٢١): « وحي من جهة بلاد العرب » وهنا اعتراف قطعي جازم ، بإعلان جهة المكان المقدس، وبأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو المكان الذي سيخرج منه الرسول بوحي من الله إلى الناس.

نحن المسلمون، لا نحتاج إلى شهادات من أسفار اليهود والنصارى لإثبات قدسية مكة المكرمة وفضلها، فقد رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد نبياً ورسولا. وقد ثبت ذكر مكة المكرمة، إما بالدلالات والإشارات أو بالتصريح أو التلميح في كتبهم ، وهذا ما يلزمهم قبل غيرهم لأنهم كما سموا في القرآن الكريم (بأهل) هذا الكتاب .

كما أن اعتراف أهل الكتاب وخاصة اليهود منهم بقدسية مكة المكرمة شرفها الله، يترتب عليه الكثير من التداعيات على صعيد أركان وبنيان معتقداتهم ، التي ابتدعوها واستبدلوا بها تعاليم أنبيائهم. ومنها الأباطيل التي يتمسكون بها ، وينشرونها بأن إسماعيل لم يدخل في العهد الذي أبرمه الله مع إبراهيم وذريته، وأنه وذريته غير مشمولة في جملة الوعود والبركات التي اختص به بني إسرائيل أنفسهم بها، وأنها تحققت مع ذرية إسحق.

لكننا نرد بأنه منذ أن "أرسل إسماعيل إلى الحجاز ،الذي كان قد بناه مع أبيه إبراهيم، والتي استقر فيها ، وأصبحت الكعبة قبلة للحجاج، بعد أن نشر إسماعيل دين الله ، وسن مشروعية الختان (وهي علامة العهد بنص توارتهم) ، وقد تكاثرت ذريته حتى صار عددها كنجوم السماء (وفق نصوص البشارات والوعود إلى إبراهيم) ، وحتى زمن قدوم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود يشعرون دوما بالغيرة من إسماعيل ، لأنهم يعرفون بأنه يجسد ويمثل العهد ، وبختانه أبرم وختم هذا العهد. وإنه بدافع من هذا الحقد وتلك الضغينة قام النساخ وفقهاء الشريعة عند اليهود بتحريف وإفساد الكثير من صفحات كتبهم المقدسة" (داود، ١٤٠٥هـ: ٦٠،٦١).

النتائج:

❖ نستنتج من هذه الدراسة لنص المزمور الرابع والثمانين ، وصف الحيز المكاني المقدس لمكة المكرمة ، وخصائصه السكانية والعمرانية ،وطبيعته الجغرافية

❖ التصريح باسم من أشهر أسماء مكة المكرمة وهو اسم (بكة) الوارد ذكره في القرآن الكريم: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ﴾** (آل عمران:٩٦)

❖ وصفت الطبيعة الجغرافية لمكة المكرمة وتضاريسها ، وذكرت تحديد ا بالوادي جاف ، كما وصف نباتها المشهور في هذا الوادي وهو البلسان أو البلسم.

❖ تميز بيت الله المعظم في مكة المكرمة بالبهاء والجمال. وفيه يسبح المصلون ويذكرون الله على الدوام، وهو

قبلتهم ومقصد الحجيج، ومهوى أفئدتهم ،ومحط اشتياقهم، وفيه ينحرون الهدي، وفيه تسكب عبرات الحجيج والمصلين.

❖ مجاورة الساكنين لبيت الله ، واعتزاز أهل مكة بهذا المكان المقدس بالبيت وبرب البيت.

❖ الشعور بالأمن والأمان في هذا البيت والمكان من ساكنيه وطيوره فالحمام آمن فيه لا يخشى الصيد.

❖ معرفتهم بالطرق المؤدية إلى بيت الله الحرام ومشاعر الحج وحدود الحرم وحله ، حيث ينتقلون فيه من أماكن إلى أخرى لتأدية مناسكهم ، كما تؤدى فيه شعيرة السعي بين الصفا والمروة .

❖ وردت إشارات تنبئ بما سوف يواجهه رسولنا الكريم محمد صلي الله عليه وسلم عند مبعثه من ابتلاء في فترة الدعوة المكية قبيل الهجرة.

❖ وصف النص صفات وسمات الرسول محمد صلي الله علية وسلم ، ومنها توكله علي ربه ، وبأن الله أرسله رحمة وسوف يعطيه مجداً ورسالة أبدية خالدة. وقد ورد ذلك في محكم كتابه **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾** سورة الأنبياء (١٠٥-١٠٧).

❖ التنبؤ بأن المساواة بين جميع الناس والأمم والتفاضل بالتقوى ، سوف تتحقق في هذا المكان المقدس. وهو ما تنص عليه الآية **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**١٣ (سورة الحجرات).

❖ أشار النص إلى تحويل القبلة من بيت المقدس إلى هذا بيت الله الحرام ، وجاءت مرتبطة بنبوءة عن الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر مقطع في نص المزمور.

التوصـــــيات:

• التركيز على الدراسات العلمية المنهجية لأنها تفوت الفرص على أصحاب الدعاوى التي تمس ديننا الإسلامي ومقدساته حتى لا يحقق الضجيج الذي يفتعلونه أهدافه من خلال وسائل الإعلام ومن ورائها ، بهدف إشعال نيران الفتن والصراعات، ولنجعل من البحث العلمي والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة والبرهان باعثا لشحذ الهمم والطاقات .

• الرد بالحجة والمنطق ما دامت العنصرية تتخذ عقيدة ومذهبا، ولتحامل بعض من أهل الكتاب ورفضهم دراسة أصول هذه النصوص كتبهم بالدرس والتمحيص الدقيق .

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس، (١٩٨٠) طبعة دار الكتاب المقدس في العالم العربي.
- الكتاب المقدس ،(١٩٨٧) طبعة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط .
- الكتاب المقدس ، (١٩٨٨) طبعة دار المشرق ، بيروت
- الكتاب المقدس ، (١٩٩٢) ترجمة الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية المعروفة بـ (كتاب الحياة)، الطبعة الرابعة.
- أحمد ، إبراهيم خليل (١٤٠٩هـ) محمد في التوراة والإنجيل والقرآن ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة
- الأشقر، عمر سليمان (١٤٠١) الرسل والرسالات ،الطبعة الثالثة ،مكتبة الفلاح ، الكويت .
- البار، محمد علي ،(١٤١٠) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم ، دار القلم ، بيروت.
- الأعظمي ، محمد ضياء الرحمن (١٤٠٩) اليهودية والمسيحية ،مكتبة الدار بالمدينة المنورة، المدينة المنورة.
- الجوزية ، محمد بن أبي بكر القيم ،(١٤٠٧)هداية الحيارى على أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق أحمد حجازي السقا ، الطبعة الرابعة ، المكتبة القيمة، القاهرة.
- الحارثي، عائش بن منصور (١٤٢١) النباتات البرية في المملكة العربية السعودية، الرياض.
- الحاج،محمود أحمد (١٤١٣) حقيقة الإيمان، دار الفنون، جدة.
- الحلو، سمير اسماعيل(١٤١٧) الفوائد العلاجية لبعض النباتات الصحراوية في الجزيرة العربية،دار المنارة للنشر والتوزيع،جدة.
- الدالاتي، عبد المعطي(١٤٢٣هـ) ربحت محمد ولم أخسر المسيح،الطبعة الثالثة، دار الشهاب ،دمشق.
- الراشد، محمد صالح(١٩٩٤) البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب، مكتبة التنوير، الكويت.
- الصاوي ، احمد (البشارات بالرسول صلى الله عليه وسلم في الكتب المقدسة عند غير المسلمين ، مشرعات أبحاث تمهيديه لإقامة المؤتمر العالمي الأول عن البشارات ، هيئة الإعجاز العلمي ، رابطة العالم الإسلامي ، مطابع رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة.
- السقا، أحمد حجازي (١٩٧٧م) البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل، دار البيان العربي، القاهرة.
- العقاد، عباس محمود(٢٠٠٠) مطلع النور، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة.

- الموسوعة الكاثوليكية في موقعها الرسمي على الإنترنت
- الهندي، رحمة الله (د.ت) إظهار الحق ، المكتبة العصرية.
- الوليعي ، عبد الله (١٤١٧) الجغرافية الحيوية للمملكة العربية السعودية (المناخ التربة المياه موارد المياه البيئات المختلفة) ، مؤسسة الممتاز للطباعة والنش، الرياض
- بوكاي، موريس ،(د.ت) دراسة الكتاب المقدس،دار رشا.
- حسين،محمد بن سعد(١٤١٢هـ)الرسالة والرسول ،مطابع الفرزدق، الرياض.
- داود ، مرقس(١٩٥٠) كيف تدرس الكتاب المقدس، مكتبة المدينة، القاهرة
- داود ،عبد الأحد (١٤٠٥) محمد في الكتاب المقدس ،تأليف ديفيد بنجامين ، ترجمة : فهمي شما مراجعة : أحمد محمد الصديق ، الطبعة الثانية ،مطابع الدوحة الحديثة ،قطر.
- ديدات، أحمد (١٤٠٤هـ) ماذا يقول الكتاب المقدس و الغرب عن محمد صلى الله عليه وسلم ، الدار المصرية للنشر والتوزيع ، القاهرة .
- زعزوع ، ليلى صالح محمد ، (١٤٢٦) التفاعل الحضاري في المكان المقدس ، الدار العربية للعلوم ،بيروت
- صليبي،كمال ،(١٩٩٨) خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل ، الطبعة الرابعة ، دار الساقي للطباعة والنشر ،بيروت
- طعمية،صابر(١٤٠٦هـ) الأسفار المقدسة قبل الإسلام ، دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية ، عالم الكتب ، بيروت.
- طويلة، عبد الوهاب عبد السلام (١٤١٠هـ) بشارات الأنبياء بمحمد ، دار السلام،القاهرة.
- عبد الظاهر،عبد الستار (١٩٩٣م) محمد رسول الله علية السلام نبوة تحققت ، نظرة الإسلام لعيسى عليه السلام وبول والفريسين، الإسلام والنظام العلمي الماسوني، هيئة الإغاثة الطبية الخليجية، الكويت.
- عبد الوهاب، احمد (١٤٠٠) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام،مكتبة وهبة ، القاهرة.
- (غنمي،سلامة (٢٠٠٠م) التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير،دار الأحمدي للنشر ، القاهرة.
- قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ومن اللاهوتيين. هيئة التحرير : بطرس عبد الملك ، جون الكسندر طمسن ، إبراهيم مطر ، دار الثقافة .
- مدير ، عصام احمد حسين ، زعزوع، ليلى صالح محمد (١٤٢٦) غزوة بدر الكبرى في بشارات أهل الكتاب ، بحث مقدم إلى اللقاء العلمي المصاحب للجمعية الجغرافية السعودية الموسوم ب" التوثيق الميداني لغزوة بدر" بالاشتراك مع مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ،خلال الفترة من ١٣-١٤ صفر ١٤٢٦ بالمدينة المنورة.

- مرزا ، معراج نواب، احمد ،بدر الدين يوسف محمد(١٤٢٢) أحوال الطقس والمناخ في الشتاء بمكة المكرمة البحوث الجغرافية ،٢٥٣ الجمعية الجغرافية الكويتية.الكويت
- ملكاوي ، محمد احمد عبد القادر(١٤١٦) مختصر كتاب إظهار الحق للعلامة الشيخ رحمت الله الهندي ،وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد ، الرياض.
- همو،عبد المجيد (١٩٩٩) مصادر التوراة ،دار غار حراء ، دمشق.

الملاحق

نسخ مختلفة لنص المزمور الرابع والثمانين من أسفار اليهود والنصارى

سفر المزامير ٥/٨٤ – ١٣

تَضَعُ فيه أَفْراخَها عِندَ مَذابِحِكَ
يا رَبَّ القُوَّات ، مَلِكي وإِلٰهي . مز ٣/٥

٥ طوبى لِسُكَّانِ بَيتِكَ فإِنَّهم لا يَكُفُّونَ عن تَسْبيحِكَ. سِلاه
٦ طوبى لِلَّذينَ بِكَ عِزَّتُهم في قُلوبِهم مَراقٍ إِلَيكَ(٢).

٧ إِذا مَرُّوا بِوادي البَلَسان(٣) جَعَلوا مِنه يَنابيع(٤)
وباكورَةُ الأَمطارِ تَغمُرُهم بِالبَرَكات. حز ٣٤/٢٦
٨ مِن ذُرْوَةٍ إِلى ذُرْوَةٍ يَسيرون حتَّى يَتَجَلَّى اللهُ لَهم في صِهْيون. يوء ٢/٢٣

٩ أَيُّها الرَّبُّ إِلٰهُ القُوَّات اِستَمِعْ صَلاتي وأَصْغِ يا إِلٰهَ يَعْقوب. سِلاه
١٠ أَللَّهُمَّ يا تُرسَنا اُنظُرْ وإِلى وَجهِ مَسيحِكَ(٥) تطَلَّعْ.

١١ إِنَّ يَومًا في دِيارِكَ خَيرٌ من أَلْفٍ كما أَشاء(٦)
والوُقوفَ في عَتَبَةِ بَيتِ إِلٰهي خَيرٌ مِنَ السُّكْنى في خِيامِ الأَشْرار.
١٢ الرَّبُّ الإِلٰهُ سورٌ وتُرْسٌ يَهَبُ النِّعمَةَ والمَجْد
لا يَمنَعُ الخيرَ عنِ السَّائرينَ في الكَمال.

١٣ طوبى للإِنسانِ المُتَّكِلِ علَيكَ يا رَبَّ القُوَّات.

(٢) في النصّ العبري «سُبُلاً» وفي النصّ اليوناني «مراقٍ». كانت مزامير «المراقي» (وهي المزامير ١٢٠ – ١٣٤) تُنشد أثناء صعود الحجّاج الى أورشليم.

(٣) في الترجمات القديمة وفي بعض المخطوطات «وادي البكاء» ولفظ الكلمتين واحد (راجع قض ٥/٢). لا شكَّ أنّ البَلَسان (او «شجر البُكاء») هو المَيْس في هذا النصّ (راجع ٢ صم ٢٣/٥ – ٢٤). كان «وادي المَيْس» يقع شمال وادي هِنّوم (جهنّم) وكان المرحلة الأخيرة للحجّ على مفترق الطرق الآتية من الشمال والغرب والجنوب (راجع ٢ صم ١٧/٥ – ٢٥).

(٤) نصّ غير ثابت ، وفي النصّ اليوناني «المشرِّع يمنح البركات». ذكر مطر الخريف يشير الى أن المزمور كان يُنشد في عيد الأكواخ (خر ٢٣/١٤+).

(٥) المقصود هنا على الأرجح هو عظيم الأحبار، رئيس الجماعة بعد الجلاء.

(٦) حرفيًا «في حريّتي».

١٢٣١

المصدر: الكتاب المقدس

(نسخة الكاثوليك، دار المشرق)

مزمور ٨٣،٨٤،٨٥ ٧٤٠

١٢ الَّذِينَ قَالُوا : لِنَسْتَوْلِ عَلَى مَسَاكِنِ ٱللَّهِ .
١٣ يَا إِلٰهِي ، بَدِّدْهُمْ كَٱلْقَشِّ ٱلْمُتَطَايِرِ ،
وَكَالتِّبْنِ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ . ١٤ كَمَا تَحْرِقُ
النَّارُ ٱلْغَابَةَ ، وَكَمَا يُشْعِلُ لَهِيبُهَا ٱلْجِبَالَ ،
١٥ هٰكَذَا طَارِدْهُمْ بِعَاصِفَتِكَ ، وَأَفْزِعْهُمْ
بِزَوْبَعَتِكَ . ١٦ إِمْلأْ وُجُوهَهُمْ خِزْيًا فَيَلْتَمِسُوا
ٱسْمَكَ يَا رَبُّ . ١٧ لِيَحُلَّ بِهِمِ ٱلْعَارُ وَالرُّعْبُ
إِلَى ٱلْأَبَدِ ، وَلْيَخْزَوْا وَيَهْلِكُوا . ١٨ وَيَعْلَمُوا
أَنَّكَ أَنْتَ وَحْدَكَ ، يَهْوَه ٱلْعَلِيُّ عَلَى ٱلْأَرْضِ
كُلِّهَا .

ٱلْمَزْمُورُ الرَّابِعُ وَالثَّمَانُونَ

لِقَائِدِ ٱلْمُنْشِدِينَ — عَلَى ٱلْجَتِّيَّةِ
مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ

١ مَا أَحْلَى مَسَاكِنَكَ يَا رَبَّ ٱلْجُنُودِ !
٢ تَتُوقُ بَلْ تَحِنُّ نَفْسِي إِلَى دِيَارِ الرَّبِّ . قَلْبِي
وَجِسْمِي يُرَنِّمَانِ بِفَرَحٍ لِلإِلٰهِ ٱلْحَيِّ .
٣ اَلْعُصْفُورُ أَيْضًا وَجَدَ لَهُ وَكْرًا ، وَٱلْيَمَامَةُ
عَثَرَتْ لِنَفْسِهَا عَلَى عُشٍّ تَضَعُ فِيهِ فِرَاخَهَا ،
بِجِوَارِ مَذَابِحِكَ يَا رَبَّ ٱلْجُنُودِ ، يَا مَلِكِي
وَإِلٰهِي . ٤ طُوبَى لِمَنْ يَسْكُنُونَ فِي بَيْتِكَ ،
فَإِنَّهُمْ يُسَبِّحُونَكَ دَائِمًا .
٥ طُوبَى لِأُنَاسٍ أَنْتَ قُوَّتُهُمْ . المُتَلَهِّفُونَ
لِاتِّبَاعِ طُرُقِكَ ٱلْمُفْضِيَةِ إِلَى بَيْتِكَ المُقَدَّسِ .
٦ وَإِذْ يَعْبُرُونَ فِي وَادِي ٱلْبُكَاءِ ٱلْجَافِّ ،
يَجْعَلُونَهُ يَنَابِيعَ مَاءٍ ، وَيَغْمُرُهُمُ ٱلْمَطَرُ
ٱلْخَرِيفِيُّ بِٱلْبَرَكَاتِ . ٧ يَنْمُونَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى
قُوَّةٍ ، إِذْ يَمْثُلُ كُلُّ وَاحِدٍ أَمَامَ ٱللّٰهِ فِي
صِهْيَوْنَ .
٨ يَا رَبُّ إِلٰهَ ٱلْجُنُودِ ٱسْمَعْ صَلَاتِي ،
وَٱصْغَ إِلَيَّ يَا إِلٰهَ يَعْقُوبَ . ٩ يَا ٱللّٰهُ مِجَنَّنَا ،
ٱنْظُرْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ إِلَى مَنْ مَسَحْتَهُ مَلِكًا .
١٠ إِنَّ يَوْمًا وَاحِدًا أَقْضِيهِ دَاخِلَ دِيَارِكَ خَيْرٌ مِنْ
أَلْفِ يَوْمٍ خَارِجَهَا . ٱخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ بَوَّابًا
فِي بَيْتِ إِلٰهِي عَلَى السَّكَنِ فِي خِيَامِ
ٱلْأَشْرَارِ . ١١ لِأَنَّ الرَّبَّ ٱلإِلٰهَ شَمْسٌ وَتُرْسٌ .
الرَّبُّ يُعْطِي نِعْمَةً وَمَجْدًا ؛ لَا يَمْنَعُ أَيَّ خَيْرٍ
عَنِ السَّالِكِينَ بِٱلِاسْتِقَامَةِ . ١٢ يَا رَبَّ
ٱلْجُنُودِ ، طُوبَى لِلإِنْسَانِ ٱلْمُتَّكِلِ عَلَيْكَ .

ٱلْمَزْمُورُ ٱلْخَامِسُ وَالثَّمَانُونَ

لِقَائِدِ ٱلْمُنْشِدِينَ . مَزْمُورٌ لِبَنِي قُورَحَ

١ يَا رَبُّ ، قَدْ رَضِيتَ عَنْ أَرْضِكَ ،
وَأَرْجَعْتَ سَبْيَ يَعْقُوبَ . ٢ إِذْ غَفَرْتَ لِشَعْبِكَ
إِثْمَهُمْ ، وَسَتَرْتَ خَطَايَاهُمْ كُلَّهَا . ٣ سَكَّنْتَ
كُلَّ سَخَطِكَ . رَجَعْتَ عَنْ غَضَبِكَ
الرَّهِيبِ . ٤ رُدَّنَا إِلَيْكَ يَا ٱللّٰهُ مُخَلِّصَنَا ،
وَٱصْرِفْ غَيْظَكَ عَنَّا . ٥ أَتَسْخَطُ عَلَيْنَا إِلَى
ٱلْأَبَدِ ؟ أَتُطِيلُ غَضَبَكَ مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ ؟
٦ أَمَا تُحْيِينَا مِنْ جَدِيدٍ فَيَفْرَحَ بِكَ شَعْبُكَ ؟
٧ أَظْهِرْ لَنَا رَحْمَتَكَ يَا رَبُّ ، وَٱمْنَحْنَا
خَلَاصَكَ .
٨ إِنِّي أَسْمَعُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ ٱللّٰهُ الرَّبُّ ، فَإِنَّهُ
يَتَكَلَّمُ بِالسَّلَامِ لِشَعْبِهِ وَلِأَتْقِيَائِهِ ، فَلَا
يَرْجِعُونَ إِلَى ٱلْجَهَالَةِ . ٩ حَقًّا إِنَّ خَلَاصَهُ
قَرِيبٌ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَهُ ، لِكَيْ يُقِيمَ ٱلْمَجْدُ
فِي أَرْضِنَا . ١٠ الرَّحْمَةُ وَٱلْحَقُّ تَلَاقَيَا ، ٱلْبِرُّ
وَالسَّلَامُ تَعَانَقَا . ١١ يَنْبُتُ ٱلْحَقُّ مِنَ

المصدر: الكتاب المقدس

(نسخة الفانديك)

صناعة الكتاب المكي من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر لمؤلفه عبد الله مرداد أبو الخير

د . هـدى محمد باطويـل - أستاذ مشارك بقسم المكتبات والمعلومات - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

ملخص الدراسة

ركزت الدراسة على جانب مهم من جوانب الحركة العلمية والثقافية التي كانت سائدة في المجتمع المكي خلال القرون من العاشر الهجري وحتى القرن الرابع عشر ، حيث ساد اهتمام من قبل العلماء والأدباء والأعيان به – رجالا ونساء– بتأليف الكتب والرسائل ونسخها وخطها وجمعها وبيعها والمتاجرة بها وتكوين المكتبات الشخصية ، أو وقف مؤلفاتهم ومكتباتهم على طلبة العلم يستزيدون منها دون مقابل . ولهذا اهتمت الباحثة برصد صناعة الكتاب المكي من خلال تتبعها لتراجم أعيان مكة وأدبائها وفضلائها من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر لمؤلفه عبد الله مرداد أبو الخير والذي أسفر عن وجود (٤٩)شخصية مكية مارست مهناً لها علاقة بالكتب والمكتبات كالنسخ والخطاطة والتصحيح وخزن الكتب وجمعها وبيعها وتكوين المكتبات الشخصية والوقفية يدفعهم إلى ذلك حب خالص للكتب وتقديرا لمكانتها . وقد ختمت الدراسة بالعديد من النتائج، من أهمها : إن معظم مكتبات أعيان مكة المكرمة قد نالها الإهمال أو التلف لمقتنياتها بسبب عدم الاهتمام بها أو لسوء تخزينها والانتفاع بها أو التصرف فيها بالبيع أو الإهداء

تمهـــيد :

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز صورة مشرقة لتاريخ مكة المكرمة العلمي والثقافي والحضاري والمتمثل في اهتمام أعيانها وأدبائها وفضلائها رجالا ونساء بالعلم والكتاب والمكتبات ما جعل من هذه العاصمة المقدسة مركزا ثقافيا يؤمه طلبة العلم من كل حدب وصوب.

مقدمة :

مكة المكرمة: بيت الله الحرام وقبلة المسلمين، وأقدس بقاع الأرض ، ومنبر العلم وملتقى العلماء . جاء في

جغرافيتها : أن طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة ، وعرضها ثلاث وعشرون درجة وقيل إحدى وعشرون . أما اشتقاقها ففيه أقوال: يقال : سميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم. ويقال إنما سميت مكة لازدحام الناس بها. ويقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت وقال آخرون : مكة هي بكة وقيل : بكة موضع البيت وما حول البيت مكة وقال قوم : سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها وهي في هبطة بمنزلة المكوك . وسماها الله تعالى « أم القرى « «والبلد الأمين[1] «. أما وصفها : فهي مدينة في واد والجبال مشرفة عليها من جميع النواحي محيطة حول الكعبة وبناؤها من حجارة سود وبيض ملس وعلوها آجر كثيرة الأجنحة من خشب المساج . حارة في الصيف إلا أن ليلها طيب . وكل مانزل عن المسجد الحرام يسمونه (المسفلة) ، وما ارتفع عنه يسمونه (المعلاة) ، وعرضها سعة الوادي، والمسجد في ثلث البلد إلى المسفلة والكعبة في وسط المسجد، وليس بمكة ماء جار ومياهها من السماء وليست لهم آبار يشربون منها ، وأطيبها بئر زمزم فإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وأودية ذات خضر ونخيل . وأما الحرم فليس به شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة[٢].

أولا: لمحة تاريخية عن تطور الحركة العلمية والثقافية في مكة المكرمة حتى القرن الرابع عشر الهجري[٣].

كانت بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم نقطة تحول في تاريخ مكة المكرمة، بدأت به عهدها الجديد كمهبط للوحي وقبلة للمسلمين يتوجهون إليها في كل يوم للعبادة وأداء الفرائض، ويفدون إليها كل عام من كل صوب لإتمام الركن الخامس من أركان الإسلام ألا وهو الحج. وعندما بدأ الوحي ينزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة كان عليه السلام يحرص على أن يدونه بعض الكاتبين ما أمكنهم إلى جانب حفظه في الصدور والذاكرة القوية التي امتاز بها بعض صحابته رضوان الله عليهم. وقد استفادت مكة المكرمة بعد الفتح من ثقافة القرآن وعلومه ما هيأها للفهم الجديد، بالإضافة إلى أن المكيين أنفسهم ظلوا قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يترددون عليه في المدينة المنورة فيجدون ما يروهم من العلم والفهم. وظل المسجد الحرام في عهد خلفائه الراشدين يزدحم بحلقات الدرس والعلم لرجال الحديث والقراء وأصحاب الفتوى. وفي العهد الأموي غصت مكة المكرمة بجمهور كبير من الوافدين الذين آثروا تجنب الفتن والثورات. فهذا ابن العباس - حبر الأمة ومفسر كتاب الله - يضطلع بمكة للتدريس فيعقد حلقات العلم في رحاب بيت الله الحرام وقد اتسعت حلقته فكانت حركة قوية اتصل صداها ببيوت مكة من أطرافها ، وأنتجت هذه المدرسة علماءاً أفذاذا كمجاهد بن جبر وعطاء بن أبي رباح .. وغيرهم وظلت حلقات العلم تؤدي وظيفتها وتنقل معارفها من جيل إلى آخر. ولم يقتصر نشاط مكة الديني والثقافي في العهد العباسي الأول على حلقات الدرس فيها، فقد رحل كثير من علمائها

إلى أمصار الإسلام ينشرون علومهم ويروون أحاديثهم، ورغم ذلك لم تنضب مكة بل ظلت مفتوحة الأبواب لجميع من يقصدها من سائر الأقطار لينهلوا من علومها. وكانت مجالس المناظرات تعقد في بيوت فقهائها وفي حلقاتهم بالمسجد الحرام وقد اشتهرت مجالس العلم فيها بجمهور من الفقهاء أمثال: الأوزاعي وسفيان الثوري . وفي العهد العباسي الثاني برز في مكة مسلم بن خالد الزنجي وغيره من الأعلام ، وكان الإمام مالك ابن انس في المدينة قد لمع نجمه فشرع طلاب العلم في مكة يتصلون به ويرون عنه حتى تتلمذ له الشافعي ، وبذلك ظلت حلقات العلم في مكة تعج بطلاب العلم من أصحاب الإمام مالك والشافعي وابن حنبل ، ولمع بينهم أبو الوليد الأزرقي أول مؤلف في تاريخ مكة واخبارها ... غير انه مالبث أن توجه أعلام مكة إلى الأمصار مما أضعف النشاط العلمي بها، وقد ظل الوهن على ذلك طيلة القرنين الخامس والسادس حيث لم يلمع بمكة إلا بعض أفراد مما كانت بيوتهم تتخصص في طلب العلم وتتوارثه كالأسرة الطبرية التي اشتهر بعض أفرادها من الرجال والنساء بالعلم خلال أجيال متعاقبة من القرن السادس الهجري وحتى القرن الثاني عشر فبرز من بينهم بعض العلماء والعالمات. وفي العهد المملوكي ظلت بيوت العلم المكية على حالها تنشر العلم بين طلابها فازدادت حلقات التدريس بالمسجد الحرام عما كانت عليه وأضيف إلى هؤلاء الطلاب مثلهم من المجاورين الذين اتخذوا مكة موطنا لهم ، فاشتهر احمد علاء الدين والد العلامة قطب الدين من مؤرخي مكة ، وقد سمي فيما بعد بالقطبي نسبة إلى ابنه قطب الدين ، كما اشتهر الشيخ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي والشيخ نجم الدين ابن فهد وابنه عبد العزيز . كما برزت مدرسة أعظم شاه في مكة والتي تعتبر من أوقاف سلطان البنجال أعظم شاه بن اسكندر شاه غياث الدين ابن المظفر والتي بدء التدريس بها عام٨١٤هـ. ومن المؤكد كما يقول يحي ساعاتي «أنها كانت تضم مكتبة حافلة، وكان موقعها عند باب أم هاني بجوار الحرم المكي الشريف، يبدو انها هي ذاتها التي وقف عليها محمد سعيد الشرواني الداغستاني والي الحجاز المتوفي عام١٢٩١هـ كتبه وكانت مجموعة نفيسة». وفي عام ٨٨٢هـ أمر السلطان قاتيناي بتأسيس مدرسة كبيرة بجانب المسجد الحرام عند باب السلام وجعل بها خزانة للربعات وكتب العلم . وفي القرن العاشر من الهجرة اتسعت فتوحات العثمانيين وشمل نفوذهم الحرمين فنزح الكثير من رعاياها إلى مكة حيث كثر المجاورون لبيت الله الحرام فمنهم من جاورها للإنقطاع للعبادة ، ومنهم من تفرغ للتدريس والتأليف مكونين مع علماء مكة المكرمة القدماء حركة علمية نشطة. واشتهرت مكة المكرمة في ذلك الوقت ببيوت علمية منها آل: الفاكهي ، العطاس ، المرشدي ، المنوفي ، الزرعة ، المفتي ، علان ، العتاقي ، البصري ، الزمزمي ... وهكذا بقيت الحياة الثقافية على وتيرتها في مكة المكرمة طوال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري. وفي القرن الثالث عشر من الهجرة اهتم بعض سلاطين الدولة العثمانية بجمع الكتب

الموجودة في أروقة المسجد الحرام والمساجد الأخرى وبعض المكتبات الخاصة حيث وضعوها في مكتبة عامة هي التي عرفت -فيما بعد- بمكتبة الحرم المكي الشريف. كما عنوا بتأسيس العديد من المدارس الوقفية كالرشيدية والفخرية والمدرسة الصولتية التي لعبت دورا حضاريا في المجتمع المكي إذ أنجبت أجل علماء مكة الذين تولوا المناصب الدينية والقضائية من آل مرداد، الدهلوي، الكتبي ... وخلال تلك المسيرة العلمية والثقافية نجد اهتمام المكيين نحو اقتناء الكتب وجمعها يدفعهم إلى ذلك حب خالص للكتب وتقديرهم لمكانتها.

ويستدل على ذلك ما أورده سنوك هورخرونيه في كتابه صفحات من تاريخ مكة المكرمة(١) من « أن بعض المهتمين باقتناء الكتب في مكة المكرمة يحتفظون بمجموعات منها حريصين عليها كل الحرص، فقد دعاه احد الأثرياء لمشاهدة جزء من مكتبته الخاصة، وهو الجزء الذي يضم كتب التراجم المطبوعة في مصر».

لقد هيأت الظروف الدينية والثقافية والعلمية التي سادت مكة المكرمة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر إلى دخول الطباعة بمكة المكرمة عام ١٣٠٠هـ على يد السلطان العثماني عثمان نوري باشا حيث أنشئت (مطبعة حجاز ولايتي مطبعة سي) -والتي عرفت فيما بعد بالمطبعة الميرية أو الأميرية- لتتولى طباعة الأعمال الرسمية وجريدة الحجاز الأسبوعية إلى جانب طباعة بعض مؤلفات علماء الحرمين الشريفين ، وبعض الأعمال التراثية. وفي هذا الصدد يشير عباس طاشكندي في مؤلفه الطباعة في المملكة العربية السعودية ١٣٠٠هـ -١٤١٩هـ (٥) : أنه كان للمطبعة دور واضح في الترويج للكتاب المطبوع حيث ازدهرت في الفترة نفسها أسواق الكتب في مكة المكرمة وخاصة في منطقة باب السلام التي اختصت بحوانيت بيع الكتب. ولعل مما يعكس عناية الناس بشراء الكتب وتكوين المكتبات الخاصة التي أشار إليها سنوك هورخرونيه هو أننا عند تحليلنا للمكتبات الخاصة...وجدنا مئات من مطبوعات الميرية ضمن مقتنيات تلك المجموعات الخاصة مما يعكس مدى الرواج الذي لاقته مطبوعات الميرية لدى المهتمين بأمور الثقافة والفكر . وقد انعكس رواج الكتب المطبوعة على أسواق الكتاب في مكة حتى أصبحت الكتب ولاسيما الدينية منها زادا يقتنيه الحجاج والمعتمرون عند زيارتهم للمشاعر المقدسة، ينهلون منها تعاليم الإسلام وأصول الدين وأحكام الشريعة والحديث والمناسك ...، ودخل الكتاب كواحد من السلع الرائجة في المواسم الدينية مما فتح المجال لأسواق باب السلام للكتب أن تكون من أكبر الأسواق رواجا في مكة المكرمة.» كما يشير إلى(٦) « أن شهرة منطقة باب السلام تعود إلى قرون تسبق دخول الطباعة إلى مكة المكرمة فقد كانت موقعا للوراقين والنساخ ... كما أن المكتبات التي اشتهرت بها منطقة باب السلام كانت موجودة قبل القرن الثالث عشر الهجري إذ تشير تراجم كثير من العلماء المكيين ـ عبر تاريخها ـ إلى انشغالهم بالوراقة والنسخ «.

ويذكر محمد عمر رفيع في كتابه مكة في القرن الرابع عشر الهجري(٧) عند حديثه عن الحالة الاقتصادية بمكة «ومن المهن التي يتعاطاها المكيون مهنة بيع الكتب، ويقولون عنهم « الكتبية « وقد كان مقرهم مابين باب السلام الموالي للمسجد والباب الموالي لشارع المسعى. فقد كانت بينهما ردهة مستطيلة واسعة تقوم على حفافيها بعض الدور والدكاكين التي يشغلها الكتبة ، زالت الرحبة في توسعة المسجد وتعديل المسعى بين الصفا والمروة، فتفرق الكتبية في نواح متعددة متباعدة ، وقد كان المكان الذي يشغلونه أليق مكان لهذه المهنة « .

ويعتبر كتاب عبد العزيز الرفاعي «رحلتي مع المكتبات « (مكتبات مكة المكرمة) .. وثيقة تاريخية لدور مكتبات باب السلام في تفعيل الحركة الثقافية في مكة المكرمة

ثانياً : الدراسة المنهجية

٢/١- مشكلة الدراسة :

بعد أن تم اختيار مكة المكرمة أول عاصمة للثقافة الإسلامية وتكليف جامعة أم القرى عقد ندوة كبرى لإبراز الدور الحضاري لمكة المكرمة عبر العصور، وإظهار مدى حرص الإسلام واهتمامه بحضارات الأمم والتأكيد على الجوانب العلمية والاجتماعية والثقافية والعمرانية والتربوية ... التي أنجزت في هذه البقعة المباركة. ومن هذا المنطلق حرصت الباحثة على إعداد هذه الدراسة والتي تهدف من خلالها إلى تسليط الضوء على جانب هاماً من جوانب الحركة العلمية والثقافية التي كانت سائدة في المجتمع المكي خلال القرون من العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري. هذه الحركة التي كانت تهتم بصناعة الكتاب المكي وتجارة الكتب، واهتمام أعيان المجتمع المكي رجالاً ونساءً بجمع الكتب ونسخها وتكوين المكتبات الخاصة والوقفية . وتحاول الدراسة الإجابة على السؤال الأتي: ماهي ملامح صناعة الكتاب المكي- من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر-؟ وإلى أي مدى تعكس هذه الصناعة الدور الثقافي والعلمي لعلماء مكة وأدبائها وأعيانها رجالاً ونساءً في دعم وتوسيع دائرة الثقافة ونشرها في المجتمع المكي؟

٢/٢- أهمية الدراسة :

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى مايلي:

١. ضالة المعلومات الموثقة والمكتوبة عن صناعة الكتاب المكي- من حيث : نسخه، جمعه، بيعه ومتاجر بيع الكتب، والمكتبات الخاصة في منازل الأعيان أو المكتبات الوقفية- إذ أن كل ما كتب مدون في تراجم أعيان وفضلاء مكة المكرمة . لذا اهتمت الباحثة برصد هذه الصناعة من خلال تتبعها لهذه التراجم. ولقد وقع اختيارها على مختصر كتاب « نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر « لمؤلفه

عبد الله مرداد أبو الخير. فالكتاب جامع ثمين عني بجمع اكبر مقدار من تراجم المكيين علماء وأعيان وأدباء رجالاً ونساءً منذ القرن العاشر الهجري وحتى الرابع عشر. وقد عني باختصاره وترتيبه وتحقيقه محمد سعيد العامودي وأحمد علي. ويرجع السبب في اختيار هذا الكتاب إلى أن مؤلفه استوفى فيه أخبار أكثر من عاشوا في أم القرى خلال القرون الخمسة الأخيرة من علماء أجلاء شغلوا في زمانهم مناصب القضاء والتدريس والإفادة والخطابة وألفوا عشرات الرسائل والكتب، بالإضافة إلى تراجم لبعض الأدباء والشعراء.

٢. الكشف عن جانب من جوانب تاريخ مكة المكرمة الحضاري والثقافي والعلمي خلال القرون من العاشر وحتى الرابع عشر الهجري وخاصة الجانب المتعلق بالكتاب وصناعته واهتمام العلماء بتأليف الكتب ونسخها وجمعها وبيعها وتكوين المكتبات الخاصة ، والمكتبات الوقفية ما جعل من مكة المكرمة مركزاً ثقافيا يؤمه العلماء وطلاب العلم من مختلف أقطار المعمورة والذين وجدوا في مجاورة بيت الله الحرام مكسباً عظيماً ينشرون علومهم فيها واستطاعوا مع العلماء من أهالي مكة القدماء أن يضيفوا إلى قائمة البيوت التي تخصصت للعلم أسماء جديدة أمثال آل: الطبري، القطبي، السقاف، المرشدي ، الزرعة ،المفتي ... وغيرهم من الأسر التي لازال أحفادها يعيشون في مكة وإن كانت ألقابهم قد تغيرت أو استعيرت من أسماء من خلفوهم .

٢/٣ـ أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على:

١. صناعة الكتاب المكي من خلال تتبع سير علماء مكة المكرمة من القرن العاشر الهجري وحتى القرن الرابع عشر .

٢. ملامح صناعة الكتاب المكي -مخطوطاً ومطبوعاً- من خلال رصد المهن التي مارسها بعض أعيان مكة وفضلائها مثل : النسخ، الخطاطة ، التصحيح في المطابع ، خزان أو حفاظ الكتب والمكتبات .

٣. مهنة الوراقة وفئات الوراقين ودورهم في إثراء السوق المكي بالكتب والمصنفات المختلفة وحركة بيع الكتب وتجارتها في المجتمع المكي .

٤. جهود الوراقين وأثرهم في ظهور المكتبات الخاصة والوقفية وزيادتها في المجتمع المكي .

٥. دور مكة المكرمة الثقافي والعلمي والحضاري إلى جانب دورها الديني من خلال ما تضمنه من سير المشاهير من علمائها وأدبائها وفضلائها رجالاً كانوا أو نساء .

٢/٤ـ حدود ومجال الدراسة :

يمكن إيضاح حدود ونطاق الدراسة فيما يلي :

١. الحدود الموضوعية :

تتبع صناعة الكتاب المكي من خلال مختصر كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة لمؤلفه عبد الله مرداد أبو الخير أي أن الدراسة تستبعد كل ما نشر عن صناعة الكتاب في تراجم أعيان مكة المكرمة التي رصدت في كتب التراجم والسير الأخرى .

٢. الحدود الزمانية :

رصد لصناعة الكتاب المكي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري.

٣. الحدود المكانية :

اقتصار الدراسة على صناعة الكتاب في مكة المكرمة وحدها .

٢/٥ـ منهج الدراسة :

اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على :

٢/٥/١ ـ المنهج التاريخي: الذي يستند على التقصي الكامل لتاريخ مكة المكرمة من خلال الإطلاع على بعض المصادر التاريخية القديمة والحديثة والتي تحدثت عن تاريخ هذه المدينة المقدسة عبر عصورها المختلفة .

٢/٥/٢ـ المنهج الوصفي التحليلي: وذلك من خلال القراءة التحليلية المستفيضة لمختصر كتاب « نشر النور والزهر» حيث تم رصد (٤٩) شخصية من أعيان مكة -رجالا ونساء- ممن لهم اهتمام بالكتاب من حيث نسخه، جمعه، بيعه، أو ممن لهم اهتمام بتكوين المكتبات الخاصة أو الوقفية، ولتسهيل الدراسة فقد تم توزيعهم كالتالي :

١ـ النساخ بلغ عددهم (٢٥)

٢ـ المصححون بلغ عددهم (٢)

٣ـ بائعو الكتب بلغ عددهم (٢)

٤ـ خزان وحفاظ الكتب بلغ عددهم (١)

٥ـ جامعو الكتب وأصحاب المكتبات الخاصة بلغ عددهم (١١)

٦ـ واقفو الكتب وخزائن الكتب بلغ عددهم (٨)

وعليه فان الباحثة قد اعتمدت على هذا التقسيم عند حديثها عن ملامح صناعة الكتاب المكي ، وتحت هذه التقسيمات الست تم إدراج أعيان مكة وأدبائها وفضلائها والذين تم ترتيب أسماؤهم حسب الحروف الهجائية ، وقد أعطيت بيانات مختصرة وموجزة ــــ وبشيء من التصرف ــــ عن كل ترجمة تشمل : تاريخ الميلاد والوفاة ، اسمه ،نسبه ، مكان ولادته ، نشأته ، صفاته ، علومه ورحلاته ، وشيوخه ، وظيفته ، تلاميذه وأهم مؤلفاته

وعلاقته بالكتاب وصناعته ... ، ثم مكان وتاريخ وفاته . ومما لاحظته الباحثة أن هناك بعض الأعيان من أهل مكة المكرمة قد عُني بممارسة نسخ الكتب وجمعها أو مارس مهنة دلالة بيع الكتب ولديه مكتبة خاصة . وتجنبا للتكرار فقد آثرت الباحثة رصده في مكان واحد وتحت مهنة واحدة ، كما تم الإشارة إلى بعض الأعيان ممن عاشوا قبل القرن العاشر نظراً لأهميتهم في مختصر الكتاب .

٢/٦ـ الدراسات السابقة :

لم تقف الباحثة على أية دراسة تناولت بالتحليل صناعة الكتاب المكي من حيث المشتغلين بنسخه أو جمعه أو تصحيحه أو بيعه... بالرغم من توفر العديد من المصادر التاريخية القديمة والحديثة التي تناولت تاريخ مكة المكرمة وأخبارها وأوضاعها الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية والثقافية ... ولعل من أبرز هذه المصادر التاريخية على سبيل المثال لا الحصر:

كتاب « أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار » لأبو الوليد محمد الأزرقي[٨] والذي تتبع فيه إنشاء الكعبة المعظمة ومعاهد مكة وما فيها من آثار وأماكن فقد ألم بمجمل تاريخها وجغرافيتها منذ نشأتها، فمكة هي البلدة الوحيدة بين الأمصار الإسلامية التي لا تزال تحتفظ بمواقعها وآثارها.

وكتاب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام » لأبو الطيب تقي الدين الفاسي[٩] والذي رتبه على أربعين بابا جهد فيها لاستقصاء المعلومات والأخبار والوقائع ومجريات الأحداث التي مرت بمكة المكرمة منذ تأسيسها حتى أيامه في الربع الأول من القرن التاسع الهجري. وكتابه الآخر « العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»[١٠] والذي بتضمن تراجم للعلماء والأدباء الذين أخرجتهم مكة المكرمة أو دخلوها ونزلوها، كما ترجم لولاة مكة وأعيانها من الرجال والنساء منذ ظهور الإسلام إلى عصره وقد رتبه على حروف المعجم وبدأه بالمحمدين والأحمدين وصدره بسيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وكتاب « إتحاف الورى بأخبار أم القرى » للنجم ابن فهد[١١] الذي يؤرخ فيه لحوادث مكة المكرمة وإعمالها في الجاهلية والإسلام وفي سنة وقوعها متنقلا من سنة إلى أخرى، ولا يخرج عن إحداث مكة إلا فيما له صلة بها مع الاهتمام ببيت الله الحرام . فهو يقدم صورة واضحة عن مكة وأعمالها من النواحي السياسية والاجتماعية والثقافية والعمرانية والاقتصادية منذ عام ٨٣٠هـ وحتى عام ٨٨٥هـ.

وكتاب السخاوي» الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»[١٢] والذي جمع فيه من علمه من أهل القرن التاسع الهجري الذي أوله عام ٨٠١هـ من سائر العلماء والقضاة والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء مصرياً كان أو شامياً حجازياً أو يمنياً رومياً أو هندياً مشرقياً أو مغربياً ... وقد رتبهم على حروف المعجم في

الأسماء والأباء والأنساب والجدود مبتدئا من الرجال بالأسماء ثم بالكنى ثم بالأنساب والألقاب مردفا بالنساء كذلك . وقد اعتمد السخاوي في تراجم المكيين المتوفين بمكة على كتاب النجم بن فهد.

وهناك كتاب المستشرق هورخرونيه المعنون بـ« صفحات من تاريخ مكة المكرمة»(١٣) والذي يبحث في جزءه الثاني عن الأوضاع الاجتماعية في مكة نهاية القرن الثالث عشر الهجري حيث أفرد فصلا فيه عن التعليم في مكة المكرمة فتحدث عن نزول القرآن ثم علوم الحديث وظهور المعارف العربية، وظهور المدارس الفكرية ، والمعارف العلمية كالطب والفلك والكيمياء ... والمصدر المعيشي لطالب العلم، والمدارس في مكة، والمدرسون في الحرم المكي، وإجازة التدريس، وواجبات شيخ العلماء، وطريقة التدريس في الحرم وحلقات التدريس، والمدرسون على المذاهب الأربعة.

ومن المصادر التاريخية الحديثة كتاب لمحمد عمر رفيع بعنوان « مكة في القرن الرابع عشر الهجري(١٤) والذي تناول فيه حياة مكة الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها وبيوت مكة وحواريها ، وطريقة البناء والأثاث والإضاءة والملابس والأطعمة والمشروبات ، كما تحدث عن حالة مكة الاقتصادية وما فيها من تجارة رائجة وصناعات يدوية والمهن التي يمارسونها مثل مهنة بيع الكتب ، وبيع العقاقير الطبية النباتية. وأشار إلى لهجات المكيين، وأحوال الحكومة والحكام منذ أواخر القرن الثالث عشر حتى العهد السعودي .

وكتاب أحمد السباعي« تأريخ مكة : دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران»(١٥) والذي ركز فيه على النواحي العمرانية والاجتماعية والعلمية والأدبية والفنية التي سادت في مكة منذ القدم وعبر عصورها المختلفة من عهد قريش وحتى العهد السعودي الأول إلى نهاية الحكومة الهاشمية .

إلى جانب تلك المصادر هناك بعض الدراسات والمؤلفات التي تبحث في صناعة الكتاب وتاريخ المكتبات في مكة المكرمة وتاريخ مكتبة الحرم المكي والطباعة في المملكة العربية السعودية .

ففي عام ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م نشر أحمد محمد الضبيب مؤلفه «بواكير الطباعة والمطبوعات في بلاد الحرمين»(١٦) والذي عرض فيه للمطابع الأولى التي أنشئت في مكة المكرمة والمدينة المنورة، كما اعد قائمة ببليوجرافيه بجميع ما حصل عليه من معلومات عن مطبوعات هذه المطابع سواء ماكان منها مختصا بالتراث القديم أو كان من مؤلفات علماء الحرمين ثم ختم كتابه بتقويم مختصر لما نشرته هذه المطابع من علوم وفنون مع الإشارة بشكل خاص إلى طرق التصحيح والمقابلة وإلى المستوى الذي وصلت إليه الطباعة في ذلك العهد .

وفي عام ١٩٨٨م نشر يحي وهيب الجبوري مؤلفه «الكتاب في الحضارة الإسلامية »(١٧) حيث قسمه إلى ثمانية فصول تعرض فيه لنشأة الكتابة ومفهوم الكتاب وبدايات التدوين والتأليف ، ونشأة مهنة الوراقة والوراقين وصناعة الورق ، كما تناول مجموعة من الخطاطين الذين طوروا الخط العربي ، وتحدث عن الأمالي والمجالس العلمية

التي كانت سببا في ازدهار الوراقة وما تدره هذه الحرفة على صاحبها من رزق ، وتطور الترجمة عبر العصور وخاصة في عهد المأمون كما عرض لخزائن الكتب والمكتبات وتطور شكل الكتاب وتجليد الكتب وزخرفتها.

وفي عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م نشر عباس صالح طاشكندي دراسته عن» صناعة الكتاب السعودي المعاصر«[١٨] والذي ركز فيه على دراسة الكتاب السعودي المعاصر خاصة على ضوء مجالات تأليفه ونشره وتوثيقه مستهدفا من ذلك توثيق واقعه المادي المعاصر وتأكيد دوره كواحد من أهم وسائل النشر الثقافي، بالإضافة إلى تسليط الضوء على النواحي التي تستوجب الدعم والمؤازرة والتي يمكن أن تؤدي إلى إثراء الحياة الثقافية بعناصرها المختلفة.

وفي نفس العام أيضا صدر كتاب عبد العزيز أحمد الرفاعي «رحلتي مع المكتبات(مكتبات مكة المكرمة)»[١٩] والذي اسرد فيه مؤلفه ذكرياته الخاصة وعلاقته بمكتبات مكة المكرمة التجارية بحكم نشأته بها والتي كانت أغلبيتها مجتمعة بباب السلام. بفرعيه. باب السلام الكبير وباب السلام الصغير باعتباره مركزا رئيسيا لهذه المكتبات . فعرض لمشاهير الكتبية في باب السلام الكبير كمكتبة عبد الفتاح فدا شيخ الكتبية. الذي انتقلت إليه مشيخة الكتبية بعد وفاة الشيخ أحمد الباز. ودكان عبد الصمد فدا، وعبد الله فدا وحسن فدا ودكان عبد الحليم الصحاف. ودكان الشيخ أحمد الباز الذي ينتمي إلى أسرة كبيرة اشتغلت بتجارة الكتب ومكتبة الشيخ الميرة وعبد العزيز مرزا . ثم عرض لمكتبات باب السلام الصغير كمكتبة الجيل ومكتبة عبد الكريم الباز. والمكتبات الأخرى الموجودة في باب الزيادة وباب العمرة ، كما استعرض بعض الأسر المكية التي تنسب إلى الكتب والتي أصبحت ألقابا لهم مثل أسرة آل الكتبي ، وأسرة كتب خانة . وبعض باعة الكتب القديمة، ودلالي الكتب. وقد زود الكتاب بملحقين : الأول : عن تاريخ مكتبة الثقافة بمكة المكرمة بقلم صالح محمد جمال. والثاني يتضمن رسالة من المؤلف إلى عبد الغني فدا ورد الأخير على الأول .

وفي عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م أصدرت مكتبة الملك فهد الوطنية كتاباً بعنوان « الوراقة وأشهر أعلام الوراقين « لـ علي النملة[٢٠] وقد قسم كتابه إلى قسمين الأول بدأه بالحديث عن الوراقة من حيث مفهومها وآدابها وموقف العلماء والمؤرخين منها . أما القسم الثاني فذكر أشهر أعلام الوراقين وذلك بتتبع أخبارهم فيما توافر لديه من كتب التاريخ والتراجم ، وقد عمد الإيجاز في تراجمه فيذكر اسمه وسنة وفاته والمصادر والمراجع التي اعتمد عليها في الاهتداء على الوراق وكانت حدوده الزمنية منتهية بنهاية القرن السابع الهجري .

وفي عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م أصدر عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان مؤلفه بعنوان " مكة المكرمة : دراسة موجزة لموقعها وأدواتها ومجموعاتها"[٢١] والذي تناول فيه مكتبة مكة المكرمة : الموقع والتاريخ ، الإدارة القديمة والحديثة،رواد المكتبة ، المكتبات الخاصة والمسهمين في تنمية مجموعاتها ، فهارس الكتب المطبوعة وطريقة البحث

فيها ، مجموعة المخطوطات ، مع تقديم صور من صفحات بعض المطبوعات والمخطوطات النادرة ، ونماذج لبعض محتويات هذه المكتبة ومميزات المجموعات الخاصة بالمكتبة، المطبوعة منها والمخطوطة.

ودراسة يحي محمود ساعاتي عن : الوقف وبنية المكتبة العربية : استبطان للموروث الثقافي «[٢٢] والذي يتناول فيه قصة الكتب والمكتبات الوقفية وإسهام الوقف في بناء أركان الثقافة الإسلامية على امتداد العصور الإسلامية ، كما يظهر دور جزء كبير من المجتمع الإسلامي في بناء دور المكتبات الخاصة والعامة و المكتبات الملحقة بالمدارس والمشافي والمساجد والمقابر المنتشرة في كل المدن الكبيرة والصغيرة والقرى القريبة والبعيدة. ومن خلال الحديث عن هذه الأوقاف يسرد سير مجموعة كبيرة من الأعلام الذين ساهموا في مسيرة تطور الكتاب الإسلامي، كما يعرض لعدد هائل من المكتبات المختلفة التي تعكس عظمة التراث العربي الإسلامي ولهذا جاء الكتاب مشتملا على ست فصول : الأول منها يتضمن خطة الدراسة ومنهجها ، والثاني يتحدث فيه عن بدايات وقف الكتب وظهور المكتبات الوقفية ، وفي الثالث يستعرض مكتبات الجوامع والمدارس ، والرابع يتناول فيه وقف الكتب والمكتبات على المارستانات والربط والخانقاهات والترب والأشخاص والذرية والوقف غير المحدد ، وفي الخامس ركز على الوقف وإدارته من حيث طرق إثبات الوقف وأبنية المكتبات الوقفية وسبل الاختيار والتزويد .. ومواعيد فتح المكتبات الوقفية ، أما الفصل الأخير فتحدث فيه عن مصائر الكتب والمكتبات الوقفية. وختم مؤلفه بالعديد من النتائج والتوصيات. وهناك دراسة أخرى لـ عباس صالح طاشكندي نشرت عام ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م تحت عنوان « الطباعة في المملكة العربية السعودية ١٣٠٠ ـ ١٤١٩هـ «[٢٣] حيث ركز فيه على دراسة تاريخ الطباعة والمطابع في المملكة العربية السعودية منذ إنشاء المطبعة الميرية في عهد الدولة العثمانية عام ١٣٠٠هـ وحتى عام ١٤١٩هـ مركزاً على دور الملك عبد العزيز في إحداث نقلة نوعية على المطابع التي لم تقتصر على التجهيزات المادية والبشرية فحسب بل على أهم عنصر من عناصر التغير وهو ترسيخ هوية فكرية انعكست على سمات الإنتاج الفكري الذي أخرجته المطابع منذ عهده وحتى الوقت الحاضر ، كما شملت الدراسة توثيقا لتاريخ المطابع تمثل فيما قامت به الدولة من دور وما قام به الأفراد من خلال إسهامهم في إنشاء المطابع .

وتهدف دراسة يحيى محمود بن جنيد[٢٤] التي نشرها عام ١٤١٩هـ إلى تاريخ صناعة الطباعة في بلاد الحجاز واليمن بشكل موحد ، حيث تم التعرض لنشأة الطباعة فيهما – باعتبارهما ولايتين عثمانيتين – والوضع الإداري والفني الخاص بهما ، كما تم الإشارة إلى ما طبع فيهما بشيء من التفصيل اعتماداً على بعض الدراسات التي تؤكد على وجود معلومات كافية ومفيدة عن الطباعة في الولايتين موضوع الدراسة . من بينها ما كتبه : فيليب دي طرازي ، خليل صابات ، عبدالله الزين ، رشدي ملحس ، محمد الشامخ ، الضبيب ، الساعاتي ، ودليل الصحافة

........، بالإضافة إلى الفهارس والببليوجرافيات التي ضمت إشارات عن بعض ما طبع فيهما ، وبالإطلاع على بعض الأعمال المنشورة التي قدر للمؤلف الإطلاع عليها . وختم دراسته بمجموع من النتائج ، من أهمها : أن المطبعة الميرية بمكة المكرمة كانت أكثر تطور من حيث التجهيزات ، وتتميز بمهارة الفنيين العاملين فيها ، كما حظيت بوضع إداري أفضل، واستخدمت نوعاً من الورق أكثر جودة . كل ذلك قياساً لما كانت عليه مطبعة صنعاء .ويبدو للباحثة أن ذلك قد يرجع إلى الأهمية الدينية لبلاد الحجاز بصفة عامة ومكة المكرمة بصفة خاصة .

وفي عام ١٤٢٢ هـ نشر ابن جنيد[٢٥] دراسة أخرى كانت عن الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي الموافق للأعوام الهجرية من ١٢١٥ هـ إلى ١٣١٧هـ . والتي ركز فيها على المكونات الثقافية التي جعلت من مكة المكرمة مركزاً ثقافياً مؤثراً . وقد وزعت الدراسة على أربع محاور :أولها عن التعليم في مكة المكرمة ودور الحرم المكي والمدارس الرسمية والخاصة في إثرائها ، وثانيها عن مشاهير العلماء والأدباء والشعراء . وثالثها عن الوراقة والنشر وتجارة الكتب ورابعها عن المكتبات الخاصة والرسمية والمجالس والأندية الأدبية . وختم دراسته بملخص شامل وموجز للنتائج التي توصل إليها :وهو أن مكة المكرمة في فترة الدراسة (القرن ١٩ م) كانت تسودها ثقافة لا تختلف في مسارها عما كان يسود في البلدان العربية والإسلامية الأخرى ، كما تميزت الحياة الثقافية فيها بأنها كانت نتاج جهود مجموعة كبيرة من العلماء المكيين أصلا ، وآخرين مِنْ مَنْ انصهروا في بيئة مكة ممن تعود أصولهم إلى مناطق مختلفة من البلاد العربية الإسلامية . والحق دراسته بقائمة بأسماء وأعلام مكة في القرن التاسع عشر المترجم لهم في نشر النور والزهر ،ونماذج من الكتب المخطوطة والمطبوعة والموقوفة في مكة المكرمة ، ونماذج من أعمال بعض المكيين المخطوطة والمطبوعة خلال فترة الدراسة .

واحتفاءً بمرور عشرين عاماً على تولي خادم الحرمين الشريفين مقاليد الحكم فقد أصدرت جامعة أم القرى عام ١٤٢٣هـ إصداراً بعنوان « المكتبات في مكة المكرمة : نشأتها وتطورها عبر العصور» لمؤلفه عبداللطيف بن دهيش[٢٦] والذي تحدث فيه عن نشأة وتطور المكتبة الإسلامية ، وظهور المكتبات الخاصة في مكة وتطورها ثم اتبعها بدراسة لنشأة مكتبة الحرم المكي الشريف وتطورها منذ نشأتها وحتى الوقت الحاضر ، كما أشار إلى المكتبات الوقفية الخاصة التي انتقلت كتبها إلى مكتبة الحرم المكي الشريف بالإضافة إلى التعريف بالمكتبات الخاصة بمكة المكرمة التي أسسها العلماء والأدباء في هذه المدينة المقدسة مع إعطاء نبذه مختصرة عن أصحابها وما آلت إليه مقتنياتها بعد وفاتهم ، وختم دراسته بعرض لبعض المكتبات الموجودة في مكة مثل : مكتبة نادي مكة الأدبي الثقافي ، مكتبة رابطة العالم الإسلامي ، مكتبة المحكمة الكبرى ...

وفي عام ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م نشرت مكتبة الملك فهد الوطنية دراسة «لمحمد باجودة «[٢٧] «بعنوان نشر القلم في

تاريخ مكتبة الحرم » وقد قسم المؤلف كتابه إلى أربعة فصول : استهلها بالحديث عن مكة المكرمة: حرمتها، تاريخها، أسمائها، نشأتها، ثم عرج بالحديث عن مكتبة الحرم المكي الشريف من حيث نشأتها وإطلاق اسمها ونماذج من الوقفيات عليها ، ومصادر ومحتويات مكتبة الحرم ومراحل انتقال المكتبة . أما الفصل الثالث فقد تناول فيه عهود وازدهار المكتبة ومن تعاقب عليها من الأمناء والمدراء وفي الفصل الرابع تحدث فيه عن أقسام المكتبة ومهامها ونفائسها وروادها . وختم مؤلفه بالعديد من الكشافات والملاحق الهامة التي تيسر على الباحثين الإفادة من محتويات الكتاب .

وفي نفس العام أيضا نشر نادي الطائف الأدبي دراسة(٢٨) عرض فيها الباحث لـ ١٩ شخصية علمية وأدبية احترفت الوراقة بالحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة .وقد قسم المؤلف كتابه إلى قسمين : القسم الأول تناول فيه تعريف الوراقه ، ومكانة الوراقة في الإسلام ، فروع الوراقة التقليدية القديمة ، فقه الوراقة وآدابها ، أسواق الوراقين في الحجاز قديماً وحديثاً . وتناول في القسم الثاني : صفوة متميزة من العلماء والأدباء خلال القرن الرابع عشر الهجري ممن انتقلوا إلى رحمة الله . وقد ركز على عنصرين أساسين في هذه الشخصيات ، الأول : توافر العلم أو الأدب في المتحدث عنه . وتحقق ذلك عن طريق الحديث عن : شهرته العلمية ، النتاج العلمي أو الأدبي ، انتظامه في السلك التعليمي ، شهادة الوسط العلمي أو كتب التراجم ،احترافه عملاً له علاقة بالعلم أو الأدب . والثاني:ثبوت احترافه الوراقة في صورة من صورها . لذا جاءت الدراسة عن كل شخصية محتويه على عنوانين رئيسين : بطاقة الوراقة ، و الحياة العلمية . وختمت الدراسة بتصنيف للإعلام – المترجم لهم – حسب توجهاتهم ونشاطاتهم العلمية .

وفي دراسة أخرى نشرت عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣ م(٢٩) بهدف التعرف على الوراقين وأثرهم في الحياة العلمية في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي والوقوف على جهودهم في هذا المجال ، والعوامل التي أدت إلى انتشار مهنة الوراقة والوراقين ، ومدى أثرهم في التقدم الذي طرأ على الحياة العلمية في مكة آنذاك . وقد بدأت الدراسة بمقدمة مختصرة عن مفهوم الوراقة والوراقين ومهامها ومكانتها ، وتاريخ ظهورها في المجتمع الإسلامي، مع الإشارة لبعض آدبها وأخلاقياتها . ثم تحدث بإيجاز عن الوراقة والوراقين في مكة قبل العصر المملوكي ، وأبرز أعلامها وأثرها على الحياة العلمية ، ثم شرع في تتبع مظاهر الوراقين في مكة فتحدث عن الوراقين سواء كانوا من المكيين أو المجاورين ، وحركة بيع الكتب ، وانتشار ظاهرة الكتب والمكتبات ، كما تحدث عن العوامل التي أدت إلى ازدهار الوراقة ، وزيادة أعداد الوراقين ، وأثرهم على الحياة العلمية في مكة المكرمة ، بالإضافة إلى جهودهم في ضبط الكتب ومقابلتها والتعليق عليها . وكان من نتائج هذه الدراسة ما يلي :كثرة عدد المشتغلين بالوراقة في

مكة المكرمة خلال العصر المملوكي عنه في بقية العصور السابقة ، سيما في مجالات النسخ ، كما اتضح اختلاف أجناسهم وتنوع مشاربهم وثقافتهم وقد نتج عن الحضور القوي للوراقين في مكة إثراء متواصل لأسواقها بالكتب فتعددت أماكن البيع ، كما تنوعت معروضاتها من الكتب . وقد فرض الطابع الديني على اهتمامات الوراقين وما ينسخون من كتب .

٢/٧ـ مصطلحات الدراسة :

تحاول الدراسة إعطاء تعريفات لبعض المصطلحات الأكثر استخداماً ، من هذه المصطلحات :

١ . الورق :

يشير القلقشندى(٣٠) إلى مصطلح الورق بقوله : الورق اسم جنس يقع على القليل (الكثير) ، واحدة ورقة ، وجمعه أوراق ، وجمع الورقة ورقات ، وبه سمى الرجل الذي يكتب وراقاً . وقد نطق القران بتسميته . قرطاساً وصحيفة . ويسمى أيضا الكاغد ، ويقال للصحيفة أيضا طرس ، ويجمع على طروس . ومهرق ويجمع على مهارق ، وهو فارس معرب .

٢ . الوراقة :

جاء في لسان العرب(٣١) الوراق : هو الذي يورق ويكتب ، وحرفته الوراقة وفي القاموس المحيط(٣٢) الوراق : مورق الكتب وحرفته الوراقة .

ويعرف ابن خلدون(٣٣) الوراقة بقوله « وجاءت صناعة الوراقين المعانين ... للإنتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتيبية والدواوين «

أما يحي بن جنيد(٣٤) فيشير إلى الوراقة بأنها « لفظ يطلق على من كان يشتغل في صناعة الورق وتجارته . أما المشتغل بالوارقة فكان يطلق عليه بالإضافة للفظ الوراق – الكاغدي والقراطيسي نسبة إلى الكاغد والقرطاس ، كما كان يطلق على المشتغلين بالنسخ والكتابة .. ومع مرور القرون توسع مفهوم الوراقة فأصبح يحوي كل ما يتعلق أو يصل بصناعة الكتاب . وعند شعبان خليفة(٣٥) تعنى الوراقة « سلسلة العمليات الداخلة في إنتاج الكتاب وهو ما يقابل في المفهوم الحالي مصطلح النشر بحلقاته الثلاثة (التأليف ،التصنيع ، التسويق) وأطرافه الأربعة (المؤلف ، الطابع ، الموزع ، الناشر) وغدا الناسخ طرفاً واحداً في عملية الوراقة ، وغدت النساخة حلقة واحدة في حلقات الوراقة « . وهذا ما أكده محمد ماهر حمادة(٣٦) بقوله «فكان الوراقون بمثابة ناشرين لكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها» .

ويشير عبد الوهاب أبو سليمان (٣٧) إلى الوراقة بمفهومها البسيط – بأنها تعنى « بيع الورق وأدوات الكتابة

أو الكتب أو نسخها أو تجليدها أو تذهيبها عملاً باليد أو صنعاً بالآلة في صورتها الأولية أو ابتكاراتها المطورة الالكترونية المعقدة الحديثة .

وتتفق الباحثة في مفهومها للوراقة مع ما جاء في معظم تلك الدراسات من إن الوراقة تنصب في مجملها على صناعة الكتاب وما يتعلق بها من نسخ ، وتصحيح ، وتذهيب وزخرفة ، وتجليد ، وبيع .

٣. النسخ :

قال ابن منظور[٣٨] « نسخ الشيء ينسخه نسخاً وانتسخه واستنسخه : اكتتبه عن معارضة . والنسخ ، اكتتابك كتاباً عن كتاب حرفاً بحرف ، والكاتب ناسخ ومستنسخ والأصل نسخه والمكتوب عنه نسخة لأنه قام مقامه ، والكاتب ناسخاً ومستنسخاً والاستنتاخ كتب كتاباً من كتاب « .

والناسخ هو الشخص الذي ينسخ الكتب بخط يده ، وكان مصطلح الناسخ يطلق على الوراق في بداية ظهور الورق والوراقة[٣٩] .

ويفضل علي النملة[٤٠] مصطلح الوراقة والوراقين على مصطلح النساخة والنساخين لأن المصطلح الأول أشمل في مدلوله وأكثر عملية من مصطلح النساخة والنساخين .

ثالثاً : ملامح صناعة الكتاب المكي :

من المعروف أن للحرف والصنائع في الإسلام آدابا عامة ومشتركة بينها جميعاً ، وأخرى خاصة تنبع من خصوصية تلك الحرفة[٤١] .وتعتبر الوراقة من أجود الصنائع لما فيهامن الإعانة على كتابة المصاحف وكتب العلم ووثائق الناس وعهدهم[٤٢] . وكما في كل مهنة أو حرفة كان هناك الوراقون الذين دعموا مهنة الوراقة مراعية لأخلاقيات العمل وقواعده وهناك من أساء إلى المهنة بقصد تحقيق مكاسب مادية[٤٣]. وقد تصدى بعض الوراقين ممن لهم خبرة بمجال الوراقة إلى وضع مؤلفات حول الأخلاق والصفات والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المشتغل بالوراقة بصفة عامة . من هذه المؤلفات « معيد النعم ومبيد النقم « للسبكي والذي أسرد فيه أخلاقيات الوراقة وقواعدها وما يتصل بها من أمور فيذكر ما يجب أن يتحلى به : الوراق ، الناسخ . المجلد ، المذهب ، ودلال الكتب .

ومن خلال المختصر من كتاب « نشر النور والزهر «يمكن تحديد ملامح صناعة الكتاب المكي على النحو الآتي:

٣/١ ـ النساخ

يشير كثير من مؤرخو مكة كالفاكهي والازرقي وابن فهد .... وغيرهم إلى انتشار الوراقة وازدهارها في المجتمع المكي منذ القرون الأولى وتطالعنا تراجمهم على أن عبد الحكم بن عمرو بن صفوان الجمحي أول من

أتخذ بيتاً له في مكة في القرن الأول الهجري جعل فيه دفاتر من كل علم مايؤكد على علاقة بني جمح بالوراقة وصناعة الكتاب[٤٤] .

ومما لا شك فيه أن لدخول صناعة الورق (الكاغد) لمكة المكرمة عن طريق يوسف بن عمرو المكي الذي اتخذ من القطن ورقاً في حدود عام ٨٨ هـ أثرا في تسهيل مهمة الوراقين وتنوع نشاطهم ، فضلاً عن تزايد اتجاهات العلماء نحو التأليف والتصنيف في مختلف العلوم والفنون لا سيما في مجال الدين والفقه والتشريع ، إضافة إلى تفضيلهم تدوين مؤلفاتهم على الورق بدلاً من المواد الأخرى التي كانوا يستعملونها قبل ظهور الورق[٤٥] .

وعندما نسلط الضوء على سير هؤلاء الوراقين في المجتمع المكي نجد اغلبهم من فئة النساخين أو النساخ ، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود من قام بأمور الوراقة الأخرى كالتصحيح والتجليد والتذهيب ، والبيع والشراء .

والمتتبع لتراجم النساخ من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر يلحظ الآتي :

❖ تعدد النساخ وتنوعهم داخل المجتمع المكي إلى (٣) فئات . فئة عنيت بنسخ الكتب لنفسها لجمع أكبر قدر ممكن من الكتب والمؤلفات أما لتكوين مكتباتهم الخاصة – مثل : أحمد العطار « وله خط حسن وكان سريع الكتابة مع الضبط التام كتب به كتباً عديدة ....، وكان يجمع الكتب الفريدة ،ولقد حاز منها شيئا كثيراً »[٤٦] . وعبد الرحمن سراج « ونسخ بخطه عدة كتب وأقتنى منها شيئاً كثيراً وكان يطلب الكتب النفسية من البلاد الشاسعة »[٤٧] . ومحمد مكي كتبي « وكتب الكتب الكثيرة بخطه الحسن وكان حريصاً على جمعها.[٤٨]- أو ينسخونها خشية التحريف والتصحيف فيها أو رغبة في امتلاكها أمثال : إبراهيم العقيلي « وكان صالحاً مدرساً بالمسجد الحرام صاحب خط جميل حسن ، تخرج على يديه فيه كثير من الطلبه »[٤٩]. ورضى الدين الطبري « وجود الخط وحسن خطه واشتغل بالعلم وكتب بخطه كتباً كثيرة »[٥٠] وعبد الله الحضراوي « وكان .... كاتباً كتب بخطه كثيراً من الكتب »[٥١] ، وعبد العزيز مرداد « وكان .. حسن الخط ذا سرعة فيه مع كمال الضبط كتب بيده جملة من الكتب الكبار »[٥٢] وعبدالله مرداد « وكتب بخطه الكتب الكبار الكثيرة إذ كان ذا خط حسن »[٥٣] . وعيسى الثعالبي « ومكث في مكة سنين أعزبا ثم أشترى داراً وجارية رومية واستولدها أولاداً وحصل كتباً عديدة بعضها بخطه وبعضها بالشراء »[٥٤] . وفئة ثانية عنيت بنسخ الكتب والمخطوطات لتيسير مطالعتها من قبل الفقراء من طلبة العلم مثل : إبراهيم بن علوي « كتب بخطه كتب كثيرة ، وعرضت عليه وظائف فلم يقبل وكان فقيراً متقللاً وكل ما دخل عليه أنفقه على فقراء الطلبه »[٥٥]. والفئة الأخيرة اتخذت من نسخ الكتب وتحصيل أجرها وسيلة لكسب الرزق مثل : محمد علي البخاري « وكان من الفقر والتعفف على جانب عظيم فكان بسبب القلة يتكسب بالكتابة »[٥٦] . ومحمد علي علان « رأى يوماً شرح الأجرومية يباع وليس عنده ما يشريه به

الاملوطته فأشتراه بها ثم رجع إلى والده فخاصمه وأستمر ينسخ ويتكسب بالكتابة حتى كثرت كتبه وولع بالتأليف فصنف أكثر من اربعمائه مؤلف ما بين مطول ومختصر »[٥٧]، ومصطفى العفيفي « وكان .... فقير الحال يتعيش بالكتابة كتب بخطه كثيراً من الكتب »[٥٨] ويبدو على الجانب الأخر من هذه التراجم أن هناك من الوراقين / النساخ من حقق ثروة من وراء هذه المهنة مثل : صادق مير بادشاه « وكان في أوائل عمره مقلاً عن الدنيا يتكسب بالكتابة ثم وسع الله عليه »[٥٩].

❖هناك من النساخ من ضربت شهرته الأفاق وتهافت الناس على النسخ التي ينسخها ودفعوا فيه مبالغ كبيرة مثل : عبد الله الكركي " وكتب بخطه من القاموس سبعة عشر نسخه ، ومن بقيه كتب الفقه والتفسير والحديث ما يطول شرحه ، وخطه حسن في نهاية الصحة و الضبط ، بحيث أن النسخة التي بخطه تباع بأضعاف ثمنها "[٦٠].

❖وظهر من بين النساخ / الناسخ الخطاط الذي يسعى الناس وراء الكتب التي ينسخها ليس حباً في الكتب أو موضوعاتها ، إنما رغبة في الخط نفسه وصاحب الخط مثل : عبد الرحمن عجيمي " وكان ذا خط حسن جيد كتب به الكتب و الرسائل النفسية ، وكانت كتبه مطرزة هوامشها بخطوطه[٦١] ، وعبد الرحمن المرشدي « وجميع ما على أبواب المسجد الحرام و المدارس السلطانية النظام من الآيات والطرازات بخط المشار إليه»[٦٢].

❖ومن النساخ من اقتصر على نسخ مؤلفات المكيين دون سواهم مثل :محمد الكتبي " وكان ذا ... وخط مستحسن كتب به كثيراً من الكتب والرسائل خصوصاً تأليف المكيين مع غاية الضبط التام وتحليته بالهوامش المفيدة "[٦٣].

❖ومن النساخ من كان يكثر من النسخ أمثال : أبو بكر الأنصاري " وكان حسن الخط سريعة الكتب يكتب في يوم كراساً في قطع النصف مع الاشتغال بالدرس والتأليف "[٦٤] واحمد العطار « وكان سريع الكتابة »[٦٥] ، وعبد العزيز مرداد « حسن الخط ذا سرعه فيه»[٦٦].

❖وهناك من النساخ من برع في النسخ مثل : حسين إبراهيم المالكي " كتب كتباً كثيرة بخطه منها صحيح الإمام البخاري ، كتب بقلم ببرية واحدة "[٦٧].

❖إن بعض النساخين تجاوز حدد نسخ المخطوطات و الكتب إلى وضع الهوامش والشروح والتعليق عليها أمثال :صالح سروجي " وشرع في تأليف حاشية على علي ملا مسكين على كنز الدقائق ، كتب منها كثيراً ولم يكملها "[٦٨]، وعبدالله باقشير « وكتب الكتب الكثيرة وحشي الحواشي وعلق التعاليق النفسية والفتاوى العجيبة »[٦٩]وأبو بكر الأنصاري « وألف الحواشي المفيدة على كثير من الكتب »[٧٠] ،ومحمد الكتبي « كتب به كثيراً من الكتب ....

مع غاية الضبط التام وتحليته بالهوامش المفيدة «(٧١) ، ومصطفى العفيفي «كتب بخطه كثيراً من الكتب والكتب التي نسخها جيدة الضبط مملاة بتهميشه الحسن «(٧٢).

❖ عناية بعض النساخ بتصحيح المؤلفات وخاصة كتب الحديث الشريف مثل : عبد الله سالم البصري « ومن مناقبه تصحيحه لكتب السنه حتى صار نسخه وهي المرجع إليها من جميع الأقطار وأعظمها صحيح البخاري « وجمع مسند الإمام بعد أن فرقته الأيدي وصححه . وقد رأى عبد الله مرداد أبو الخير بمصر في خزانه الشيخ محمد بن محمد الأمير المالكي نسخه من مسند الإمام احمد بخطه مصححه ، وجمع من تفسير الكتب مالا يوجد عند غيره «(٧٣) .وفي هذا دليل على أمانته والثقة فيه ، وجمعه بين أكثر من أمر يختص بالوراقة فهو جامع للكتب وناسخ لها ومصحح عليها .

❖ اقتصار بعض النساخ على النسخ داخل الحرم المكي الشريف مثل : عبد رب الرسول المصري « وكان احد الكتبة بالمسجد الحرام «(٧٤).

❖ تزودنا بعض تراجم النساخ ببعض المعلومات عن أدوات الكتابة المستخدمة في عملية النسخ ونوع الخط مثل : صلاح الدين القرشي « وكتب الخط المنسوب «(٧٥)، وأبو بكر الأنصاري « يكتب في يوم كراساً في قطع النصف «(٧٦) ، وحسين المالكي « كتب بقلم ببرية واحدة «(٧٧).

❖ أن هناك بعض الوراقين من جمع بين مهنتي نسخ الكتب والتدريس مثل : مصطفى العفيفي « وأجازوه بالتدريس فجلس له بالمسجد الحرام فدرس وأفاد خصوصاً الجاوات ..... كتب بخطه كثيراً من الكتب «(٧٨) ، وإبراهيم العقيلي « وكان صالحاً مدرساً بالمسجد الحرام صاحب خط جميل «(٧٩) ، وعبد الرحمن المرشدي الذي تولي التدريس بمدرسة محمد باشا في حدود عام ٩٩٩ هـ، ثم ولي التدريس بالحرم المكي الشريف ، كما تولى التدريس بالمدرسة السليمانية الحنفية التي أنشاها سليمان خان (٨٠).

❖ قيام بعض النساخ بإعداد القوائم الببليوجرافية مثل : عيسى الثعالبي الذي وضع فهرستاً بمؤلفات الشيخ محمد البابلي « ثم عاد مكة وتوطنها واخذ عن إجلائها ... ولازم بها الشيخ محمد البابلي واخرج له فهرستاً بمقروءاته «(٨١) .

من ابرز النســـاخ :

١/ إبراهيم العقيلي ١٢٥٠-١٣٢٠ هـ

هو إبراهيم بن احمد موسى العقيلي . ولد بمكة المكرمة عام ١٢٥٠ هـ ونشأ بها واخذ في تحصيل العلوم فجد واجتهد وقرأ للعلامة جمال والشيخ صديق كمال وغيرهما فمهر في كثير منها . وكان صالحاً مدرساً بالمسجد

الحرام صاحب خط جميل حسن ، تخرج على يديه فيه كثير من الطلبة . توفي بالطائف عام ١٣٢٠ هـ .

٢/ إبراهيم بن علوي ٩٠١- ٩٣٨هـ .

هو إبراهيم بن علي بن علوي ولد بتريم عام٩٠١هـ ونشأ بها وحفظ القرآن بتجويده واشتغل بعلم التجويد والقراءات والفقه والنحو ،وأجتهد في تحصيل هذه العلوم حتى حصل طرفا منها ثم رحل إلى عدن وأخذ من بعض شيوخها ثم رحل إلى الحرمين ، فأخذ بالمدينة علم القراءات عن المغربي محمود بن حميدان وأحمد العجمي بمكة . وصحب جماعة من أكابر العارفين وقصده الناس لعلوم سنده في القراءات . واقرأ الناس بمكة دهرا وبرع في علوم الشريعة ، لكن غلب عليه علم القراءات فاشتهر به وكان واسع الرواية حسن الحفظ وجيز العبارة في الدرس والإفتاء. كتب بخطه كتب كثيرة ، وعرضت عليه وظائف فلم يقبل . وكان فقيرا متقللاً وكل ما دخل عليه أنفقه على فقراء الطلبة ، حسن العشرة ، وكان على أبناء الدنيا والملوك مغلظا لهم في القول آمراً بالمعروف ، متواضعاً للفقراء وطلبة العلم . توفي بمكة المكرمة عام٩٣٨هـ وشيعه خلق كثير ودفن بالمعلاه .

٣/ أبو بكر الأنصاري ٩٧١- ١٠٠٦هـ

هو أبو بكر بن علي بن أبي بكر الجمال الأنصاري الخزرجي ولد عام٩٧١هـ وحفظ القرآن الكريم والأربعين النووية وألفية ابن الهائم في الفرائض وألفية بن مالك ... والكثير من متن المنهج وقرأه على الشيخ الرملي وأجازه به وبغيره وأخذ عن : القاضي جار الله بن أمين بن ظهيرة الحنفي وعن ولده علي ، والقاضي يحي الحطاب وولده محمد مؤلف « المتممة « ، والشيخ تقي الدين بن فهد المكي الحنفي ، والشيخ رضي الدين القازاني الشافعي ومحمد بن عبد الحق المالكي ،. وعبد الرحمن بن عبد القادر بن فهد الهاشمي الشافعي . وقد اشتغل بالفقه على الشيخ نور الدين البرنبالي ولازمه وأذن له بالتدريس و الإفتاء فدرس وأفتى وانتفع به جمع كثير ... وألف الحواشي المفيدة على كثير من الكتب في كثير من الفنون وأكثرها في فن الحساب والفرائض والجبر والمقابلة وأعمال المناسخات ... وكانت له مشاركة تامة في فن المعاني والبيان والنحو والصرف والقراءات والفقه. وكان حسن الخط سريعه يكتب في يوم كراسا في قطع النصف مع الإشتغال بالدرس والتأليف . وله نظم بديع وقصائد عظيمة منها قصيدتان في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان انتقاله بالوفاة ضحى يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان عام ١٠٠٦هـ بمكة المكرمة ودفن بالمعلاه .

٤/ احمد الحضراوي ١٢٥٢- ١٣٢٧هـ

هو أحمد بن محمد بن أحمد بن عبده بن احمد بن أحمد بن حسن بن سعد بن مسعود الحضراوي الشافعي . ولد بالإسكندرية عام١٢٥٢هـ ولما بلغ سبع سنين قدم به والده إلى مكة المكرمة وتوطناها ونشأ بها . أخذ عن

مفتي السادة الأحناف الشيخ جمال والشيخ محمد سعيد بشارة،وتسلك في الطريقة الشاذلية على الشيخ الفاسي ثم المكي . وكان عالما فاضلا صالحا متواضعا كاتباً كتب بخطه كثيراً من الكتب مشتغلاً بتأليف التواريخ وله من التآليف : العقد الثمين في فضائل البلد الأمين ، رسالة في فضائل زمزم ، وتخريج رواة أحاديث كشف الغمة ، توفي بمكة المكرمة عام ١٣٢٧هـ ودفن بالمعلاه .

٥/أحمد العطار ١٢٨٠ـ ٠٠هـ

هو أحمد مكي بن عثمان بن علي جمال العطار الحنفي المكي المولد ، الهندي الأصل ولد عام ١٢٨٠هـ . أخذ عن كثير من الشيوخ ومهر في علم الحديث وله معرفة تامة جيدة بالرجال . أقر له بذلك أهل الفضل منهم : الشيخ علي ظاهر المدني ، ومن شيوخه المكيين أحمد دحلان، أحمد أبو الخير مرداد ، عباس بن صديق ....، وحسين حبشي وكلهم أجازوه بسائر مروياتهم وجمع لسائر مشايخه معجما ونثر ، ونظم وله خط حسن جيد وكان سريع الكتابة مع الضبط التام كتب به كتبا عديدة وقد تكررت منه رحلات عديدة إلى الهند وفيها إجتمع بكثير من العلماء الأفاضل وأخذ عنهم وكان يجمع الكتب الفريدة ولقد حاز منها شيئا كثيراً وسافر إلى الهند وتوفي بها .

٦/ حسين بن إبراهيم المالكي ١٢٢٢ـ ١٢٩٢هـ

هو : حسين بن إبراهيم بن حسين بن محمد بن عامر المالكي . مغربي الأصل من قبيلة يقال لها العصور من أعمال طرابلس . كانت ولادته عام ١٢٢٢هـ اشتغل بالعلم الشريف بالجامع الأزهر بعد حفظه كتاب الله تعالى كما أفاده الشيخ الحضراوي ثم قدم مكة وجاور بها في عام ١٢٤٠هـ بواسطة أمير مكة الشريف محمد بن عون وقربه وأدناه وأنعم عليه بوظيفتي الخطابة والإمامة بمقام المالكي وكتب له تقريراً بذلك ورتب له مرتبات . كما تولى الإفتاء بمكة عام ١٢٦٢هـ وكان صاحب مكارم أخلاق وحلم وعلم ونباهة وورع وبشاشة .. كتب كتبا كثيرة بخطه ، منها صحيح الإمام البخاري ، كتب بقلم ببرية واحدة . حيث فرغ من كتابته يوم الجمعة السابع من جمادي الأولى عام١٢٨٤هـ . وله جملة تآليف منها : شرح الحكم لابن عطا الله ، توضيح المناسك في مذهب مالك . وحاشيته عليه . وله حاشية على الحطاب ، وحاشية على العلامة الدردير ... ، ورسالة في مصطلح الحديث توفي في العاشر من ربيع الآخرعام ١٢٩٢هـ بمكة المكرمة ودفن بالمعلاه .

٧/ رضى الدين الطبري ٩٨٤ـ ١٠٣٠هـ .

هورضي الدين بن يحي بن مكرم المحب بن محمد الرضي محمد بن الشهاب أحمد الطبري الحسيني الشافعي المكي . ولد في التاسع عشر من محرم عام ٩٤٨هـ . فنشأ وحفظ القرآن الكريم وجوده وصلى به التراويح وجود الخط وحسن خطه واشتغل بالعلم وكتب بخطه كتبا كثيرة منها : القاموس وصحفا عديدة وعمر طويلا حتى مات

في العاشر جمادى الأولى عام ١٠٣٠هـ وصلى عليه في المقام الشريف وكانت جنازته حافلة .

٨/ صادق مير باد شاه ...-١٠٩٧هـ

هو: صادق بن أحمد بن محمد بن مير بادشاه ويعرف ببادشاه بن أحمد الحسيني الحنفي شيخ الإسلام، حامل راية الإفتاء بمكة المحروسة شيخ أكثر مدرسيها من أهل مذهبه. ولد قبل الألف بسنتين أو ثلاثة فرباه خاله عمر عبد الرحيم البصري فلازم دروسه إلى أن مات في جميع ماكان يقرأ عليه كالمشكاة وشرح الخزرجية للدماميني ... وحضر دروس في الحساب والجبر والمقابلة والمناسخات ولازم الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي في الفقه والحديث والبيان وأخذ المنطق عن الشيخ العارف أحمد بن علان الصديقي، والنحو والعروض عن الشيخ عبد الملك العصامي، وقد شملته إجازة مفتي الشافعية الشيخ محمد بن عبد العزيز الزمزمي ومفتي الحنفية الشيخ محمد بن عبد القادر التحريري. كان في أوائل عمره مقلا عن الدنيا يتكسب بالكتابة ثم وسع الله عليه ودرس بعد وفاة السيد عمر البصري بالمسجد الحرام وانتفع به جماعة وحضره الأجلاء ، وممن قرأ عليه الشيخ إبراهيم ابن أبي سلمة في الفرائض والحساب ، ثم تولى نيابة القضاء بمكة بعد انفصاله عنها بمدة آلت إليه وظيفة الإفتاء ، وقد ألف رسائل منها: رسالة في جواز التلفيق في التقليد ، رسالة في عدم جواز الرمي خلف جمرة العقبة ، رسالة في حكم بيض صيد الحل إذا أدخل في الحرم ، توفي بمكة المكرمة ضحى يوم الأحد سابع عشر شعبان عام ١٠٩٧هـ ودفن بالمعلاه .

٩/ صالح سروجي ١٢٧٠-١٣٢٩هـ

هو صالح بن علي بن حسن سروجي الحنفي المكي. ولد بمكة عام ١٢٧٠هـ تقريبا ونشأ بها وكان ذا ذكاء ونجابة حفظ كثيراً من المتون وأكب على تحصيل العلوم ، وتلمذ على كثير من المشايخ ، وحاز جملة من الفنون ، فقرأ في الفقه وأصوله على يد الشيخ أحمد مرداد والشيخ عباس بن صديق .. ولازم السيد بكري شطا وقرأ عليه جملة كتب في النحو والمنطق والتوحيد والمعاني والبيان والحديث والصرف والعروض والتصوف ...، وبرع ودرس بالمسجد الحرام سنين ، وانتفع به الطلبة ، وشرع في تأليف حاشية على : ملا مسكين على كنز الدقائق ، كتب منها كثيراً ولم يكملها ، ثم اعتراه مرض العين فمنعه عن التدريس ومكث مدة به ثم رحل إلى مصر للتداوي فعولج . ثم رجع إلى مكة ولم يعد إلى التدريس واشتغل بشغل الحجاج. توفي بمكة المكرمة في شهر صفر عام ١٣٢٩هـ ودفن بالمعلاه .

١٠/ صلاح الدين القرشي ....-٩٨٠هـ

هو صلاح الدين القرشي الهاشمي الشافعي المكي ،كان من فضلاء مكة وأدبائها . تلمذ كثيرا للشيخ شهاب الدين

أحمد بن حجر ، وقرأ على الشيخ عبد العزيز الزمزمي في فنون عديدة ، وبرع في الشعر وتولع بالنكت الشعرية . ومدح الشريف أبانمي وولده . وكتب الخط المنسوب . (الخط المنسوب ذو قاعدة) وانفرد بكتابة القاموس . واشتهر بالفضل والأدب وعمل التواريخ اللطيفة ومات عن نحو خمسين عاما بمكة في يوم الإثنين ثالث عشر ربيع الأول عام ٩٨٠هـ .

١١/ عبد الرحمن سراج ١٢٤٩ هـ ...

هو عبد الرحمن ابن عبد الله سراج ابن عبد الرحمن الحنفي المكي . ولد بمكة المكرمة عام ١٢٤٩هـ وحفظ القرآن الكريم وكثيراً من المتون ، وأكب على كسب العلوم وتحصيلها . أخذ عن أكابر العلماء الأعيان وانتفع بهم فدرس وأفتى وأفاد . وتخرج به جماعة من الطلبة وأكثر أخذه للعلوم عن تلميذ والده الشيخ جمال وبه تفقه ، وأخذ عن مفتي الشافعية أحمد دحلان وعن رحمة الله الهندي وأجازوه بسائر مروياتهم وأثنوا عليه ، ولاه أمير مكة الشريف عبد الله منصب الإفتاء فسلك فيه ، كان متصلبا في الدين لاتأخذه في الله لومه لائم ونسخ بخطه عدة كتب واقتنى منها شيئا كثيرا وكان يطلب الكتب النفيسة من البلاد الشاسعة . له حفظ جيد ومذاكرة قوية وكان عارفا بالفقه خبيرا بأحكامه وقواعده مطلعا على نصوصه ، وأما الأدب فكان فيه فريداً يفهم نكتة ويكشف غوامضه ويستحضر من الأخبار والوقائع وأحوال العلماء جملاً كثيرة . وكان من النبلاء حسن السمت عليه مهابة العلم والفضل وكانت بينه وبين الشيخ أحمد مرداد صداقة تامة ومحبة أكيدة .

١٢/ عبد الرحمن عجيمي ١٢٥٣ ـ ١٣٠١ هـ .

هو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن علي بن محمد بن حسن بن علي عجيمي الحنفي المكي . ولد بمكة المكرمة في أربع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٢٥٣هـ، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم وكثيراً من المتون ، وشرع في طلب العلم وقرأ على كثير من المشايخ العظام علماء البلد الحرام ولكن كان غالب تفقهه على الشيخ عبد الرحمن جمال وحضر دروسه أيضا في التفسير والحديث ... وقرأ على العلامة رحمة الله في الفقه والمعاني والبيان والتفسير ... وعلى أحمد دحلان في عدة علوم وأجازه ، واجتمع بالشيخ علي الشامي الحلواني الرافعي وأنتفع به وأجازه ، وعلى الشيخ عبد الرحمن سراج في التفسير والفقه والتوحيد .. ودرس وأفتى وأفاد . قلد قضاء الطائف من طرف أمير مكة الشريف عبد المطلب عام ١٢٩٧هـ ومكث متولياً إلى أن عزل الشريف .وكان ذا خط حسن جيد كتب به الكتب والرسائل النفيسة الكثيرة ، وكانت كتبه مطرزة هوامشها بخطوطه . وكان حسن المحادثة ذا زي حسن ، وهو من كبار الخطباء والأئمة وكانت له غيرة وحمية كبيرة فيمايتعلق بشؤون وظائفهم وضبطها . توفي بمكة عام ١٣٠١هـ وصلى عليه عند باب الكعبة ودفن بالمعلاه .

١٣/ عبد الرحمن المرشدي ٩٧٥- ١٠٣٧هـ .

هو عبد الرحمن المرشدي بن عيسى بن مرشد العمري الحنفي المكي . ولد عام ٩٧٥هـ وجاء تاريخ ولادته بحساب الجمل (الجمل بضم بضم الميم المشدودة هو حساب الأحرف الهجائية المجموعة في أبجد) . شرف المدرسين . فلقب به بمكة وبها نشأ فحفظ القرآن الكريم وجوده على الملا علي قادري وأخذ عن : الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة الفقه والفرائض ،والملا عبد الله السندي آداب البحث . ولي التدريس بمدرسة محمد باشا في حدود عام ٩٩٩هـ فدرس بها صحيح البخاري وفي عام ١٠٠٥هـ ولي التدريس بالمسجد الحرام فدرس في علوم عديدة ، كما ولى إمامة المسجد الحرام وخطابته والإفتاء السلطاني بعد الشيخ أكمل الدين القطبي عام ١٠٢٠ هـ ثم ولي تدريس المدرسة السليمانية الحنفية التي أنشأها السلطان سليمان خان وباشر الدرس فيها بجمع من الأعيان وفوض إليه قضاء مكة وأعمالها من رضوان أفندي لتخلفه عن الوصول إلى مكة فباشر القضاء ،كذلك فوض إليه القضاءثانياً عن صالح أفندي فباشر القضاء، وتولى ديوان الإنشاء في أيام الشريف محسن بن الحسن بن أبي نمي إلى تمام دولته . وفي أواخر رمضان عام ١٠٣٧ هـ قبض عليه بعد نهب داره واستمر مسجونا إلى يوم النحر وقتل خنقا شهيدا بالشبيكة له مؤلفات عديدة تفرقت بعد موته في أيادي طلبته منها : منظومة في علم التصريف سماها « ترصيف التصريف »، شرح كتاب الكافي علم العروض والقوافي سماه « الوافي » ، ألف رسالة في الهلال سماه « براعة الإستهلال فيما يتعلق بالشهر والهلال « ، مسلك الرمز شرح مناسك الكنز ، ألف رسالة في الوقف سماها « وقوف الهمام المنصف عند قول الإمام أبي يوسف « . وقد أورد ابن معصوم في سلافه العصر عنه : أن جده الشيخ مرشد قدم من بلده شيراز إلى الحجاز وتوطن بمكة في حدودعام ٩٣٠ هـ وكان وروده إليها بعدأن وصل إلى الديار الرومية وخدم سلطانها يومئذ ببعض مؤلفاته . ثم استوطن مكة متصديا للتأليف والتدريس مع الإنقطاع للعبادة ، وألف حاشية على تفسير البيضاوي لم تتم بل بقيت مسودة وله عدة تعاليق وشروح وحواشي ورسائل تفرقت كتبه بأيدي تلامذته لصغر أولاده وكان أصغرهم والد صاحب الترجمة الشيخ عيسى فحفظ القران واشتغل وكتب الخط الحسن ، وجميع الآيات والمطرزات التي على أبواب المسجد الحرام والمدارس السلطانيه كانت بخط يده .

١٤/ عبد رب الرسول المصري ... ١٢٩٣هـ .

هو عبدرب الرسول المصري القراء الشافعي . قدم مكة وتوطنها وفتح مكتبا لتعليم القرآن والقراءات . وكان من العلماء الأفاضل ذا خمول وعفة وتقوى وديانة مشتغلا بمطالعة كتب الصوفية وأتباع سنن الإسلام ودفن بالمعلاه عام ١٢٩٣هـ . وقد جاوز الثمانين . وترك ابنين رضوان وأحمد أما رضوان فمات ولم يعقب وأما أحمد فعقب ابنا

اسمه إبراهيم ، وكان أحد الكتبة بالمسجد الحرام .

١٥/ عبد العزيز مرداد ....ـ ١٢٧٥هـ

هو عبد العزيز بن محمد صالح سليمان بن محمد صالح بن محمد مرداد الحنفي المكي . ولد بمكة وقرأ القرآن العظيم وحفظه وجوده واشتغل في غيره من العلوم على شيوخ العصر ، وأتقن في علم الحروف والأوفاق والأسماء . قلد مشيخة الخطباء والأئمة بالمسجد الحرام عام ١٢٧١هـ بعد موت أخيه عبد الله . وكان ذا وقار وهيبة صالحاً ورعاً زاهداً كثير القيام والتهجد والعبادة ، حسن الخط ذا سرعة فيه مع كمال الضبط كتب بيده جملة من الكتب الكبار ، وكانت وفاته بمكة في خمسة عشر شوال من عام ١٢٧٥هـ ودفن بالمعلاه .

١٦/ عبد الله باقشير ١٠٠٣ ـ ١٠٧٦هـ .

هوعبدالله بن سعيد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سعد المعلم بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم باقشير الشافعي الحضرمي الأصل ثم المكي المنتهي نسبه إلى جعفر الأصغر ابن محمد الشهير بابن الحنفية ابن علي بن أبي طالب ، ولد بمكة عام ١٠٠٣هـ فنشأ في تربية والده ، وأخذ علوم القراءات عن الشيخ أحمد الحكمي وأجاز له وأخذ العربية عن الشيخ عبد الرحيم ابن حسان وعبد الملك العصامي ، والبلاغة والحديث عن عبد الرحمن المرشدي والفرائض والحساب عن محمد بيري والفقه عن عمر بن عبد الرحيم البصري ومحمد بن عبد الله الطبري . وأجاز له وكان آية في تحقيق المسائل وتدقيق العبارات . درس بالمسجد الحرام فتخرج به جماعة ، وكتب الكتب الكثيرة وحشى الحواشي وعلق التعاليق النفيسة والفتاوى العجمية . كثير المحفوظ لطيف الأخلاق طارحاً للتكلف ، جميل العشرة قوي الهمة في الإشتغال للطلبة ولازمه الفضلاء مشايخ بلد الله الحرام منهم : محمدالشلي وأحمد بن أبي بكر شيخان .... وله من التآليف: منظومة في الأدب وشرحها ، ونظم تعريف عزي الزنجاني . توفي بمكة المكرمة عام ١٠٧٦هـ ودفن بالمعلاه.

١٧/ عبد الله بن سالم البصري ١٠٤٩ـ ١١٣٤هـ

هو عبد الله بن محمد بن سالم البصري الشافعي المكي . ولد بمكة المكرمة عام ١٠٤٩هـ ونشأ بالبصرة ولذا قيل له البصري ثم رجع إلى مكة وتأهل للعلم فيها . كان إمام الحديث في عصره فقد جمع فيه بين الرواية والدراية وصنف التصانيف الفائقة وقرا في المسجد الحرام عدة كتب من جملتها : البخاري ومسلم والسنن الأربع . وأخذ عن عدة مشايخ منهم : محمد بن علاء الدين البابلي ، ومحمد الكتبي ، وعبد العزيز الزمزمي ... وآخرون وأخذ في التصوف من جماعة منهم : عبدالرحمن بن أحمد الحسني المغربي المكناسي الشهير بالمحجوب . ومن مناقبه تصحيحه للكتب الستة حتى صار نسخه وهي المرجع إليها من جميع الأقطار وأعظمها صحيح البخاري وجمع

مسند الإمام بعد أن فرقته الأيدي وصححه . وقد رأى عبد الله بن أحمد مرداد أبوالخير بمصر في خزانة الشيخ محمد بن محمد الأمير المالكي نسخة من مسند الإمام أحمد بخطه مصححة ، وجمع من تفسير الكتب مالايوجد عند غيره مع اجتهاد تام في العبادة وقيام الليل وتلاوة القرآن ، حدث عنه شيوخ العصر أمثال : عمر بن أحمد بن عقيل العلوي المكي والشهاب أحمد الملوي والجوهري وعلاء الدين المزجاجي الزبيدي ... توفي بمكة المكرمة رابع رجب عام ١١٣٤هـ ودفن بالمعلاه .

١٨/ عبد الله الكركي ١٠٢٩هـ - ...

هو عبد الله بن محمد بن محي الدين شهاب الدين أحمد بن عبد القادر الكركي الدمشقي الأصل ، المكي المنشأ والمولد . كان مولده بمكة عام ١٠٢٩هـ وبها نشأ وحفظ القرآن واشتغل بالكتابة فأتقنها ، وكتب بخطه من القاموس سبعة عشر نسخة ، ومن بقية كتب الفقه والتفسير والحديث مايطول شرحه ، وخطه حسن في نهاية الصحة والضبط ، بحيث أن النسخة التي بخطه تباع بأضعاف ثمنها ، وكان من الملازمين لخدمة عبد الرحمن المكناسي الشهير بالمحجوب ثم بعد موته توطن الطائف . ومن شعره يشكو الملل من النساخة :

قالت النفس ملالاً وضجر طال مكثي في عناءٍ وكدر

ولم يعرف له تاريخ وفاة .

١٩/ عبد الله مرداد ١٢١٠-١٢٧١ هـ

هو عبد الله بن محمد صالح بن سليمان بن محمد صالح بن محمد مرداد الحنفي المكي . شيخ الخطباء والأئمة والمدرس بالمسجد الحرام . ولد بمكة المكرمة عام ١٢١٠هـ ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وحفظ متوناً عديدة واشتغل بطلب العلوم وأخذ عن كبار مشايخ العصر أمثال : ياسين ميرغني ، وعبد الرحمن جمال الكبير وغيرهما ، قرأعليهم الفقه والحديث والتفسير والفرائض والمناسخات والعربية والمعاني والبيان والبديع والمنطق وغيرهما كعلم الحروف والأسماء والأوفاق فمهر فيها وأتقنها وأجازوه بعموم مروياتهم فتصدى للأقراء والأفتاء والتدريس ، وانتفع به كثير أمثال أحمد ابن المفتي ، وعبد القادر خوقير ، وأحمد أمين بيت المال ... وغيرهم . وقد عرض عليه إفتاء مكة فامتنع من قبولها ، ثم وجهت إليه مشيخة الخطباء والأئمة بعد وفاة الشيخ مصطفى مرداد عام ١٢٦٤هـ ومكث فيها إلى أن مات . وكتب بخطه الكتب الكبار الكثيرة إذ كان ذا خط حسن ، وكان كثير التقوى والنفع للمسلمين زاهدا في الدنيا قانعا فيها باليسير، حسن الأخلاق ذا تواضع تام أصيب بداء الوباء وكانت وفاته بمكة المكرمة ١٢٧١هـ ودفن بالمعلاه بحوطة بيت مرداد .

٢٠/ عيسى الثعالبي ١٠٢٠-١٠٨٠هـ

هو عيسى بن محمد بن محمد بن أحمد عامر الثعالبي، المالكي الجعفري نسبة إلى جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه . ولد في حدود عام ١٠٢٠هـ بزواوة (بلدة بالمغرب) ، ونشأ بها وحفظ القرآن ومتونا في العربية والفقه والمنطق والأصول وغيرها وعرض محفوظاته على شيوخ بلده منهم : الشيخ عبد الصادق وعنه أخذ الفقه ثم رحل إلى الجزائر وأخذ بها عن الشيخ الكبير سعيد قدور وحضر دروسه وتلقن منه الذكر ولبس الخرقة والمصافحة والمشابكة ولازم بها أستاذه الإمام الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي مدة تزيد عن عشر سنين فحضر دروسه وقرأ عليه وسمع كتباً كثيرة في الرسم والضبط والنحو والتصريف والمعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي والمنطق والحديث والمصطلح والتفسير والتصوف ، وأجاز له مرارا وأنابه في وظيفة تدريس له وزوجه إبنته واختص به حتى ماتت زوجته فرحل عن الجزائر إلى تونس وأخذ بها عن الشيخ زين العابدين ثم دخل قسطنطينية فأخذ بها عن الشيخ عبد الكريم الفكون المعمر واختص به وقرأ عليه في سفرته جماعة ثم وصل إلى مكة وحج في عام ١٠٥٤هـ وجاور بها ثلاث سنين وسكن في خلوة برباط باب الداودية وأخذ عنه الشيخ علي باحاج فقرأ عليه الصحيحين والموطأ ثم رحل إلى مصر فقرأ على بعض شيوخها مثل الشيخ :علي الأجهوري وشهاب الدين الحقاجي وسلطان المزاحي ... فأجازوه وأثنوا عليه ثم رحل إلى منية الخصيب فأخذ بها عن الشيخ علي المصري وأثنى عليه ثم عاد إلى مكة وتوطنها وأخذ عن أجلائها كالقاضي تاج الدين المالكي والإمام زين العابدين الطبري وعبد العزيز الزمزمي وعلي بن الجمال وأجازوه وأطنبوا في مدحه وأخذ عن الشيخ صفي الدين القشاشي ، ولازم بها الشيخ محمد البابلي وأخرج له فهرستا بمقروءاته فاشتغل بالتدريس في المسجد الحرام في فنون كثيرة ونشر العلم، وكان يزور مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في أثناء كل سنة مرة . ومكث في مكة سنين أعزبا ثم اشترى دارا وجارية رومية واستولدها أولاداً وحصل كتبا عديدة بعضها بخطه وبعضها بالشراء . وله مؤلفات منها : مقاليد الأسانيد، أسماء رواه الإمام أبي حنيفة ، وفهرسة شيخة العلامة البابلي . كانت وفاته بمكة المكرمة في رجب عام ١٠٨٠هـ ودفن بالحجون .

٢١/ محمد علي البخاري ١٠١٥-١٠٧٠هـ .

هو محمد علي بن محمد ولي البخاري الحنفي الشهير بالقَربِي. نسبة إلى شُغل القرب لكون والده كان خزازاً . ولد عام ١٠١٥هـ بمكة فحفظ القرآن ثم جوده على الشيخ أحمد الحكمي وأختص به ولازمه حتى قرأ عليه الشاطبية وجمع عليه السبع والثلاثة المتممة للعشرة ولازمه في قراءة كتب القراءات وأجاز له ، وقرا في فنون على جماعة وكانت بينه وبين الشيخ إبراهيم بن أبي سلمة محبة أكيدة وصداقة تامة واشتغل معه في القراءة على

الشيخ إبراهيم الدهان وغيره ، وأخذ الفقه عن جماعة منهم الشيخ مكي فروخ الرومي ثم المكي والشيخ إبراهيم الدهان . وكان من الفقر والتعفف على جانب عظيم فكان بسبب القلة يتكسب بالكتابة مع ماهو عليه من شهامة النفس وكمال الدين . وكان يجلس للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام ، وانتفع به جماعة كثيرون في القراءات . وكانت وفاته عام ١٠٧٠هـ ودفن بالمعلاه.

٢٢/ محمد علي علان ٩٨٠- ١٠٥٨هـ .

هو محمد علي بن علان بن إبراهيم بن محمد علان بن عبد الله بن علي بن مبارك شاه بن أبي بكر بن محمد بن محمد بن أبي محمد بن طاهر بن قشنويه . يرجع نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولد في حدود عام ٩٨٠هـ تقريبا وحفظ القرآن ونشأ فقيراً ورغب في طلب العلم فأدرك نحو خمسين شيخاً من علماء القرن العاشر كالقاضي علي بن جار الله بن ظهيرة . وشاع أنه كان يقرأ النحو على الشيخ عبد الرحيم بن حسان الحنفي فرأى يوما شرح الأجرومية يباع وليس عنده مايشتريه به إلا ملوطته فاشتراه بها ثم رجع إلى والده فخاصمه وأستمر ينسخ ويتكسب بالكتابة حتى كثرت كتبه ، وولع بالتأليف فصنف أكثر من أربعمائة مؤلف مابين مطول ومختصر . ولذا كان الشيخ عبد الرحمن الخياري يقول : إنه سيوطي زمانه وكان يعقد مجالس الإملاء في الحديث وغيره ، ومن جملة الملازمين للقراءة عليه الإمام فضل بن عبد الله الطبري والشيخ أحمد الأسدي . وكان قوي الإستحضار حتى في الفقه وربما مر في السوق فيعرض عليه سؤال أو أسئلة فيكتب عليها وهو ماشٍ وقد أثرى في أواخر عمره من كثرة مايهدي إليه من الجادين مع مضاربته لبعض سوق أهل مكة في بعض ماله . ومن أشهر مؤلفاته : تفسير في أربع مجلدات، شرح رياض الصالحين في مجلدين ، شرح الطريقة المحمدية في مجلد ، بديع المعاني شرح منظومة عقيدة الشيباني ، العلم المفرد في فضل الحجر الأسود . وله أشعار كثيرة منها : تشطير الهمزية وتخميسها ، ولم يزل على كمال في الإشتغال بالعلم تدريسا وتأليفا حتى توفي عام ١٠٥٨هـ ودفن بالمعلاه في مقبرة آبائه .

٢٣/ محمد الكتبي ...- ١٢٩٥هـ

هو محمد بن محمد حسين الكتبي الحنفي . ولد بمصر واشتغل بالعلم على والده وعلى المشايخ العظام فمهر وتفنن في علوم كثيرة فأجازوه بالتدريس وبما لهم من المرويات ، ولما عزم والده على حج بيت الله الحرام ، والمجاورة بمكة المكرمة قدم معه وجاور بها . ولما فتح والده الدرس بالمسجد المعظم وحضره الأعيان حضره هو بجملتهم،وبعد وفاته جلس للتدريس فحضر درسه التلامذة فدرس وأفاد . وكان ذا تقرير حسن فصيح اللهجة والعبارة وخط مستحسن كتب به كثيراً من الكتب والرسائل خصوصا تأليف المكيين مع غاية الضبط التام وتحليته

بالهوامش المفيدة المقيدة لما أطلق ، المصححة لما هو ضعيف . وقد شرع في تأليف حاشية على ملا مسكين على الكنز إلا أنه توفي ولم يكملها كما أن له حاشية على شرح ابن الشحنة على منظومة والده في الفرائض . وكان احد جلساء أمير مكة الشريف بن عبد الله بن محمد بن عون . توفي في الطائف عام ١٢٩٥هـ ودفن بالمقبرة المجاورة لضريح سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

٢٤/ محمد مكي كتبي ١٢٠٠- ١٣٠٨هـ

هو محمد مكي ابن محمد بن محمد حسين الشهير بالكتبي الحنفي المكي ولد بمكة المشرفة عام ١٢٠٠هـ ونشأ بها في حجر والده وتلا القرآن الكريم واخذ عن جملة من أعيان علمائها كوالده وتفقه عليه وعلى السيد أحمد دحلان وغيرهما وأخذ عن الواردين إليها كالسيد محمد القاوقجي الحنفي وأذنوا له بالتدريس وأجازوه فتصدر له وأفاد . وكتب الكتب الكثيرة بخطه الحسن وكان حريصا على جمعها وعلى الفوائد العلمية وأصابه مرض في آخر عمره ، اختل عقله بسببه فحبس عن الخروج ومكث به نحوسنة ثم مات وكانت وفاته بمكة عام ١٣٠٠هـ ودفن بالمعلاه ، وقد انتقلت وظيفة الخطابة والإمامة من بعده لابنه الأكبر حسين في مدة أمير مكة الشريف علي ، ثم لما تولى إمارتها الشريف حسين بن علي سلخت منه وأعطيت لعمه أحمد .

٢٥/ مصطفى العفيفي...-١٣٠٨هـ

هو مصطفى بن محمد بن سليمان العفيفي الأصل ، ثم المكي الشافعي . ولد ببلدة عفيف . قرية من قرى مصر وبيتهم يعرف ببيت ابن سليمان ثم قدم مصر بعد أن حفظ القرآن وأحسن تجويده وكثيراً من المتون فعرضها على مشايخ الجامع الأزهر . واشتغل بالعلم به ، قرأ على كثير من إجلائه كالشيخ مصطفى البولاقي وحضر دروس شيخ علماء الأزهر . ولما مات والده قدم إلى مكة المكرمة عام ١٢٦٠هـ .فقرأ على الشيخ جمال الحنفي الأشموني ، وعلى عالم جدة الشيخ باصبرين الشافعي وعلى السيد محمد صالح زواوي وعلى السيد حسين الكتبي ، وأجازوه بالتدريس. فجلس له بالمسجد الحرام فدرس وأفاد خصوصا الجاوات فإنه قد تخرج كثير منهم على يده ، وكان أديبا لطيفا له نثر فائق ونظم رائق ، فقير الحال يتعيش بالكتابة كتب بخطه كثيراً من الكتب والكتب التي نسخها جيدة الضبط محلاة بتهميشه الحسن وكان رفيقاً وصديقاً وشريكاً للسيد أحمد مرداد في الطلب على المشايخ ولم يزل مواظبا على التدريس إلى أن توفي بمكة المكرمة عام ١٣٠٨هـ ودفن بالمعلاه وعقب ابناً واحداً تعاطي صنعة الخياطة .

٣/٣ : المصححون :

يؤرخ الباحثون على أن أول مطبعة أنشئت في الحجاز هي مطبعة ولاية الحجاز الحكومية (المطبعة الميرية أو

الأميرية) عام ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م على يد الوالي العثماني نوري عثمان لتتولى طباعة الإعمال الرسمية إلى جانب طباعة بعض مؤلفات علماء الحرمين الشريفين . وكانت المطبعة في بداية الأمر تدار باليد ، وفي عام ١٣٠٢ هـ استحضرت الحكومة العثمانية آله طباعية متوسطة الحجم مزودة بكمية من الحروف المختلفة لتواجه بها حاجات الطباعة لطباعة الكتب العربية والتركية والجاوية . وبحلول عام ١٣٠٥هـ تطور التشكيل الإداري والفني بها حتى بلغ عدد العاملين (٢٨) موظفا[٨٢]، توزعت مسئولياتهم ، منهم عبد الحميد فردوس الذي كان مصححا للكتب العربية ، وأحمد الفطاني للكتب الجاوية . ومما لاحظه يحي بن جنيد «[٨٣] أن المطبعة استعانت بمجموعة من أبناء مكة نفسها ممن جرى تدريبهم وتأهيلهم ،. وان المطبعة اهتمت منذ نشأتها بأعمال التصحيح بالعربية وغيرها . ويعد عبد الحميد فردوس من أشهر المصححين الذين اشتغلوا فيها ، وكان مصححاً محترفاً فرغم تحوله إلى العمل في القضاء فيما بعد عضوا بالمحكمة المستعجلة في مكة المكرمة عام ١٣٣٦ هـ ، ثم رئيساً لمحكمة التعزيزات إلا انه عاد إلى الاشتغال بالتصحيح مرة أخرى في مطبعة الحكومة مما يعني حنينه إلى هذا العمل».

١/ أحمد الفطاني ١٢٧٠ هـ - ...

هوأحمد بن اسماعيل الجاوي الفطاني الشافعي . نزيل مكة المشرفة ولد ببلدة فطاني عام ١٢٧٠ هـ . قدم به والده إلى مكة وعمره ستة سنين فنشأ بها وحفظ القرآن الكريم وبعضا من المتون ، وعرضها على المشايخ بها وقرأ عليهم ولازم السيد عمر الشامي البقاعي . قرأ عليه كثيراً من الكتب في عدة فنون كالعربية والتفسير والحديث والفقه والمعاني والبيان والعروض ... وحين برع إجازة وأذن له بالتدريس فدرس فكان عالماً فاضلاً شاعراً ثم رحل إلى مصر ومكث فيها نحو سبع سنين وأخذ من بعض علمائها، وفي أثنائها صار مصححا في إحدى المطابع الكائنة ثم رجع إلى مكة ووظف بمطبعتها× مصححا للكتب التي بلسان الجاوي ولم يذكر له تاريخ وفاة .

٢/ عبد الحميد فردوس ١٢٧٥- ١٣٥٢هـ

هو عبد الحميد فردوس بن محمد بن عبد الغني الحنفي المكي . ولد بمكة المكرمة عام ١٢٧٥هـ ونشأ بها وقرأ القرآن الكريم واشتغل بالعلم وجد واجتهد على مشايخها العظام ولازم السيد أحمد مرداد وتخرج عليه في الفقه وانتفع به فقرأ : العيني على الكنز والدر المختار بحواشي رد المختار ، الأشباه والنظائر بحواشي السيد الحمودي ، شرع البعلي ، نسك الباب بشرح الملا علي القاري . وقرأ عليه في الحساب متن السخاوي وشرحه ، وفي الفرائض السراجية وشرحها والمناسخات ، وقرا عليه في النحو وغيره ، وقرا على السيد احمد دحلان النحو والمنطق والمعاني والبيان والحديث والتفسير والتوحيد والصرف ، وقرأ على الشيخ أحمد أمين بيت المال في الفقه قليلاً وفي العروض والنحو وانتفع بهم وأجازوه وأذنوا له بالتدريس وتصدر له بالمسجد الحرام ، فدرس وأفتى وأفاد

وفي حياتهم وتوظف غير مره مصححا بالمطبعة الأميرية بمكة .

٣/٤ : بائعو الكتب :

تشير المصادر التاريخية التي تناولت سير علماء مكة وادبائها إلى ولعهم بالتأليف واشتغالهم بالوراقة والنسخ ، ما أدى الى تعدد أماكن بيع الكتب ونسخها وتسويقها . ويشير السنيدي(٨٤) . إلى أن تكاثر النساخ وازدياد عددهم في مكة خلال القرن التاسع عشر قد دفع البعض للجلوس عند باب السلام لممارسة عملهم وربما نقل مكانهم من داخل المسجد إلى باب السلام لإبعادهم عن المطاف مراعاة لزيادة أعداد الحجاج والمعتمرين « .

وتعتبر منطقه باب السلام من أشهر مواقع الوراقين والنساخ ، وسوقاً رائجة لبيع الكتب حتى أصبحت معلماً من معالم المجتمع المكي . ويستدل على ذلك ما أورده مرداد في ترجمته ل» محمد الكناني « الذي يعد هو وعبدالله الباز من أشهر الشخصيات المكية التي مارست مهنة تجارة الكتب وبيعها يقول في ذلك «(٨٥) وكان في شبيبته كتبياً ، ودكانه بباب السلام ، ولم يكن أحد وقتئذ يبيع الكتب إلا هو والباز ، مكث على ذلك سنين « . وقد سجل الرفاعي في مؤلفه « قصتي مع المكتبات « دور مكتبات باب السلام في دعم الحركة الثقافية والعلمية في مكة المكرمة ، والتي حفلت بالعديد من مخازن بيع الكتب التجارية التي تعود ملكيتها لبعض الأسر المكية التي اشتهرت بتجارة الكتب مثل ال : الكتبي ، فدا ، الباز ، النهاري ، الكردي ..... ، كما حفلت الدور المطلة على باب السلام التي كان يقطنها عديد من رجال الدين والثقافه بندوات فكرية تجمع المهتمين حولها وتشيع جواً ثقافياً كانت له آثاره على المجتمع المكي بصفـــة عامة(٨٦) .

يلي باب السلام ، باب الزيادة الذي يبرز دوره ومكانه كسوق رائجة لتجارة الكتب وبيعها من خلال ترجمة فاطمة الزبيرية «(٨٧) ثم حجت وزارت ورجعت إلى مكة المشرفة ، وأقامت بها في باب الزيادة ، في بيت ملاصق للمسجد الحرام ترى منه الكعبة المشرفة « .

وتطالعنا تراجم أعيان مكة لمرداد أبو الخير ببعض علماء مكة المكرمة الذين استوطنوا مصر واشتغلوا بمهنة تجارة الكتب وتسويقها مثل : عبد الله الفتني (وكان بزازاً ، ثم سافر إلى مصر ، وأقام بها ، وقد أفاد بعض الأفاضل بأنه بسط فيه
دكاناً كتبياً)(٨٨) . ويشير أبو سليمان إلى إن أحمد إبراهيم الغزاوي قد أكد هذه الحقيقة وهو إن الفتني كان يبيع الكتب في خان الخليلي(٨٩).

ومن أشهر تجار الكتب في مكة : عبد الله بن عباس فدا صاحب مكتبة بباب السلام الكبير . وأول من فتح باب استيراد الكتب الحديثة ، وعمر بن يحي عبد الجبار صاحب مكتبة المعارف التي كانت في أول أمرها في باب

السلام ثم انتقلت إلى باب الزيادة[٩٠] .

والخلاصة ، كما يشير يحي بن جنيد[٩١] إن الحركة الثقافية الواسعة في مكة المكرمة قد دفعت أبناء مكة إلى التخصص في تجارة الكتب مخطوطاً ومطبوعاً ، وتوزعت تلك التجارة على نوعين : الأول شراء الكتب من المناطق التي كانت تنشط فيها طباعة الكتب مثل : مصر والهند ، وكذلك جلب المخطوطات من خارج مكة أو شراء ما يعرض منها داخل مكة ، والنوع الأخر الإسهام في نشر بعض الكتب وتمويل طباعتها « .

١/عبد الله الفتني ١٢٥٥-١٣٣٢هـ .

هو عبد الملك الفتني الحنفي المكي بن عبد الوهاب بن صالح بن عيد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد أحد أفاضل مكة الأعيان . ولد بمكة عام ١٢٥٥هـ ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم وجوده وصلى به التراويح بالمسجد الحرام وسنه إذ ذاك اثنا عشر سنة ، ثم اشتغل بطلب العلم فقرأ على مشايخ مكة والمدينة فمن أجلهم الشيخ جمال مفتي مكة المكرمة حضر عليه كثيراً من كتب الفقه والتفسير والحديث والنحو.. ، كما قرأ على الشيخ محمد العزب الدمياطي المدني ، والسيد أحمد دحلان ، والشيخ يوسف المغربي المدني والشيخ ملا نواب ... وله من التآليف : نظم متن السراجية ، وهو نظم جيد وشرحه بشرح حسن مفيد وكتاب لطيف في التوحيد ... ، كما كان بنظم الشعر الحر الرقيق فكان ينظم في كل سنة قصيدة في مدح أمير مكة الشريف عبد الله باشا . وقد كان عبد الله الفتني بزازاً ، ثم سافر إلى مصر وأقام بها وقد أفاد بعض الأفاضل بأنه بسط فيها دكانا كتبياً، توفي بمصر عام ١٣٣٢هـ .

٢/ محمد الكناني ١٢٣٠-١٣٠٨هـ

هو محمد بن علي بن أحمد بن مصطفى الكناني - نسبة إلى متِ كنانه بلدة بالقليوبية بمصر - المكي الشافعي ، ولد ببلدة في عام ١٢٣٠هـ وبها نشأ ثم توجه إلى الشام فحفظ القرآن ثم رحل إلى مصر فحضر بالجامع الأزهر على الشيخ الباجوري وغيره ثم قدم مكة عام ١٢٦١هـ وعكف على استحصال العلوم فحضر دروس العلماء وانتفع بهم فقرأ على السادة : أحمد الدمياطي ، ومحمد الكتبي الكبير ، وعثمان الدمياطي ، وأحمد النحراوي ، والشيخ جمال وله منهم إجازات ثم درس بالمسجد الحرام وكان ذا تقرير حسن وخضوع تام ، وكان في شبيبته كُتُبياً، دكانه بباب السلام ولم يكن أحد وقتئذ يبيع الكتب إلا هو والباز ، مكث على ذلك سنين ، واجتمع لديه كتب خطية نفسية كثيرة لأنه كان صاحب ثروة كبيرة ، ثم انه ترك تعاطي ذلك وصار منشغلا بالعلم والتدريس والإفادة والاستفادة ، ولم يزل على ذلك حتى توفاه الله بمكة المكرمة عام ١٣٠٨هـ ودفن بالمعلاه .

٣/٥ـ خزان و حفاظ الكتب

تشير الوثائق العثمانية إلى اهتمام السلاطين العثمانيين بإنشاء وتأسيس المكتبات الرسمية ، وخاصة داخل الحرم المكي ، والتي أطلقوا عليه في بداية الأمر « دار الكتب السلطانية » لتكون مقصداً للعلماء وطلاب العلم من أبناء مكة والوافدين إليها . وقد عمدو إلى تطويرها وتنميتها وتزويدها بالمؤلفات والمصنفات النفسية ، وتنظيمها وترميمها خاصة بعد إن تعرضت للتلف بعد أن إصابتها السيول الجارفة التي دخلت المسجد الحرام عام ١٢٧٨ هـ . . حيث جرى ترميم للكتب بعد تجميع أوراقها المبعثرة وأعادتها إلى مكانها في المكتبة التي خصص لها مبنى مستقل ليكون مقراً لمكتبة الحرم المكي والذي استكمل بناؤه عام ١٢٩٩ هـ . ونقل إليه ما تبقى من كتب السلطان عبد المجيد والشريف عبد المطلب أمير مكة وبعض مكتبات علماء مكة ، مثل مكتبه مدرسة محمد باشا الشرواني[٩٢] .

ولم يقف اهتمام سلاطين الدولة العثمانية عند هذا الحد ، بل عمدوا إلى تعيين علماء -امتازوا بالثقافة الواسعة والعلم الغزير – لإدارة المكتبة وتنظيم محتوياتها والإشراف على سير العمل بها . ويعد محمود شكري بن إسماعيل النقشبندي الشهير بحافظ كتب أو كتبخانه أول – حافظ كتب- أمين لمكتبة الحرم المكي الشريف بعد جمع شتاتها في عهد السلطان عبدالمجيدخان[٩٣] وكان له راتب شهري من طرف الدولة العثمانية ، وقد أعقبه حفيده محمود حقي أفندي في هذه الوظيفة[٩٤].

١/ محمد شكري كتبخانة٠٠٠٠٠ ١٢٣٣ ـ ١٣٠٤هـ

هو محمود شكري حافظ كتب خانة ، ابن إسماعيل بن عمر بن أحمد النقشبندي الحنفي نزيل مكة المعظمة الشهير بحافظ كتب . ولد بطيروز عام ١٢٣٣هـ ولما بلغ من العمر خمس سنين جاء به والده إلى الأستانة وكان قصده حين الخروج مكة المكرمة والمجاورة بها ، لكنه لم يقدر الله تعالى لهما فمكثوا هنالك فحفظ القرآن المجيد وطلب العلوم على علمائها الأفاضل حتى برع في المعقول والمنقول . ولما مات والده بها قدم إلى مكة عام ١٢٦٢هـ وتوطنها وتوظف بها حافظاللكتب الكائنة بالمسجد الحرام ، من طرف الدولة بمعاش شهري . ودرس وأفاد وانتفع به العباد وكان عالما فاضلا فهيماً ذا حدة صالحاً متنسكاً سليم الصدر، محمود الذكر واستمر على حالته يدرس ويفتي ويؤلف إضافة إلى عمله أمينا للمكتبة وحتى وافته المنية بالطائف عام ١٣٠٤هـ .وله من التآليف الحسنة :

رسالتان تتعلقان برمي جمرة العقبة ، رسالة في حكم الصاق الكعبين في ركوع الصلاة ،رسالة تتعلق بالصف الأول ،رسالة في جواز تقليد مذهب الإمام الشافعي في الجمع بين الصلاتين في السفر بشروط .

٣/٥ـ جامعو الكتب وأصحاب المكتبات الخاصة .

تطالعنا المصادر التاريخية التي تناولت مكة وأخبارها وأحوالها بالعديد من العلماء والأدباء الذين حرصوا على اقتناء الكتب النفسية وتكوين المكتبات الخاصة ، التي تعتبر أسبق أنواع المكتبات في الظهور في المجتمع المكي . ولقد لعبت هذه المكتبات دوراً نشطاً وفاعلاً في دعم الحركة الثقافية والعلمية التي سادت مكة المكرمة خلال تاريخها الطويل ، فقد كانت تلك المكتبات ملتقى للعلماء ومنتدى للأدباء والشعراء ، وقاعة بحث لطلبة العلم ، ومركزاً للتأليف والنسخ كمكتبة عبد الكريم قاضي خان ، « وقام بعد عمه مقامه في الإفتاء ، وآلت إليه جميع مخلفاته من الأموال والكتب الكثيرة ونمت معه حتى بلغت أربعة عشر ألف كتاب ما بين مجلد ومجلدين وثلاثة وأكثر ... وكانت الكتبة ملازمين لبيته يكتبون له ما يريد من الكتب مع الاعتناء بتصحيحها وضبطها ، وبذلها لمستحقيها[٩٥] ومكتبة عبد الله عتاقي زاده « الذي كان صاحب جاه وثروة ، وكان زقاق دار الخيزران يسمى « بزقاق عتاقي « وحوى كثيراً من الكتب التي لم يوجد عشرها عند غيره حتى أنه تحدث مرة بأن ثمنها تغني ذريته وذريه ذريته لكثرتها «[٩٦] . ومكتبة فاطمة الزبيرية « التي تردد عليها أغلب علماء مكة وسمعوا منها وأسمعوها ، كما أرشدت خلقاً كثيراً سيما النساء فقد لازمنها ملازمة كلية وانتفعن بها «[٩٧] ما يعطي مؤشراً على إسهام المرأة المكية في الحركة العلمية وتقديراً للمكانة الرفيعة التي تخطى بها في المجتمع . ومن أشهر الشخصيات المكية التي عنيت بتكوين المكتبات الشخصية في منازلها - من خلال المختصر من كتاب نشر النور والزهر – حسين الحبشي « كما انه اقتنى غير كتب والده كتباً كثيرة من الكتب المعتبرة»[٩٨] ، وسالم البصري « جمع من الكتب العظيمة إلى كتب والده مالا يحصى وكانت كتبه في غاية الحسن والضبط والمقابلة والخط الحسن ، مالا يوجد عند غيره «[٩٩] ، وعلوي السقاف « حريصاً على جمع الكتب النفسية ، واقتنى منها أشياء كثيرة»[١٠٠] وقطب الدين النهروالي « وكان يشتري بما يحصله منهم نفائس الكتب ويبذلها لمن يحتاجها واجتمع عنده منها مالم يجتمع عند غيره «[١٠١] ومحمد المنشاوي « وحين قدم مكة كان فقيراً وبواسطتهم صار ذا ثروة فتزوج وأولد بها الأولاد ، وملك داراً وكتباً عظيمة «[١٠٢]ونواوي الجاوي « وصار ذا ثروة واقتنى كتباً كثيرة «[١٠٣] وعلي القباني الذي اشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب واستكتابها « وكان في مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغربية»[١٠٤] .

إلى جانب هؤلاء العلماء نجد مرداد يتحفنا بعلماء آخرين مارسوا مهنة نسخ المخطوطات لأنفسهم لتكوين مكتباتهم الشخصية مثل : احمد العطار «[١٠٥] وله خط حسن جيد ... كتب به كتباً عديدة ...وكان يجمع الكتب

الفريدة « ، وعبد الرحمن سراج « نسخ بخطه عدة كتب واقتنى منها شيئاً كثيراً[١٠٦] ، ومحمد مكي كتبي « وكتب الكتب الكثيرة بخطه الحسن وكان حريصاً على جمعها « [١٠٧].

ومن الظواهر التي يمكن استنتاجها في هذا المجال :

❖ اقتصار بعض علماء الحرم المكي الشريف على تدريس طلبه العلم من الوافدين وبخاصة الجاوات مثل : محمد المنشاوي « فمكث يدرس بالمسجد الحرام في فنون عديدة ، واغلب تلامذته الجاوات وانتفع به كثير منهم ودرسوا في حياته «[١٠٨]. كما أن بعض العلماء من تفرغ للتدريس بداره مثل نواوي الجاوي « وقرا على الشيخ حسب الله، ودرس وأفاد وتخرج به كثير من طلبه الجاوة ، وكان تدريسه بداره ، ودرسه يحتوي على مائتي طالب وأكثر»[١٠٩].

❖ بالإضافة إلى اقتصار بعض أصحاب المكتبات الخاصة على جمع مؤلفات علماء مكة دون سواهم مثل أبو بكر زرعه « وكان كغيره من أهالي البيوت القديمة بمكة قد حازوا الكتب الكثيرة المعتبرة ، لاسيما تآليف أهل مكة كتآليف بيت الطبري وبيت الحطاب «[١١٠].

❖ كما تدلنا تراجم علماء مكة المكرمة ما آلت إليه هذه المكتبات خاصة بعد وفاة أصحابها وانتقالها إلى الورثة ، فمنهم أهملوها ، ومنهم من أوصى بوقفها أما على خزائن الكتب أو على المساجد ليتنفع بها طلبه العلم . ومن المكتبات التي اندثرت مكتبة إبراهيم زمزمي التي بددها أولاده من بعده وباعوها بابخس الأثمان[١١١] ومكتبه أبو بكر زرعه التي بيعت على أهل الهند .

ويوضح لنا عبد الله مرداد أبو الخير ماآلت إليه بعض مكتبات الأسر المكية بعد وفاة أصحابها من خلال ترجمة ابوبكر زرعه[١١٢] فنجده يقول : « وكان المترجم – أبو بكر زرعه – كغيره من أهالي البيوت القديمة بمكة ، قد حازوا الكتب الكثيرة المعتبرة ، لا سيما تآليف أهل مكة ،كتآليف بيت الطبري ، وبيت الحطاب ، والمفتي الشيخ محمد جار الله ابن ظهيرة ، وابنه المفتي الشيخ علي ، والملا علي القاري ، والقطبي ، وبيت علان ، والشيخ عبد الرحمن المرشدي ، وابنه الشيخ ضيف الدين ، والعفيف الكازروني وبيت فروخ وبيت عتاقي زاده ، وبيت العجيمي ، وبيت الريس وبيت القلعي ، وبيت سنبل ، وبيت الميرغني والشيخ عبد الرحمن الفتني ، وكانت رائجة في زمانهم ، ولا يضنون بها على أهلها وأما الآن فقد اندثرت ولم يبق منها الااليسير لحصول التصاريف عليها وذلك بسبب بخل ذريتهم من عدم إعارتها لأهلها لأجل القراءة فيها أو نسخها ، حتى تصير منها نسخ متعددة ، أما بيت المفتي فقد أكلت الأرض كتبهم ، وأما بيت الميرغني وبيت شمس وبيت مرداد فقد أكلت النار كتبهم بسب حريق حصل عندهم ، اما بيت الريس وبيت الزرعة فقد باعوا كتبهم على أهل الهند « .

١/ إبراهيم الزمزمي ١١١٠ـ ١١٩٥هـ

هو إبراهيم بن محمد بن عبد اللطيف بن عبد السلام الريس ، الزمزمي المكي الشافعي . ولد بمكة المكرمة عام ١١١٠هـ وسمع من ابن عقيلة ، وعمر بن أحمد عقيل، والشيخ سالم البصري ، وعطا الله المصري ، وابن الطيب ، وحضر على الشيخ احمد الأشبولي ، وعبد الله ميرغني ، وعبد الله الشبراوي وأحمد الجوهري ... وأجازه السيد الشيخ السيد عبد الرحمن العيدروس بالذكر على طريقة السادة النقشبندية وألف باسمه رسالة سماها « البيان والتعليم لمتبع ملة إبراهيم » ولازم حسن الجبرتي عام١١٥٥هـ ملازمة كلية لمدة سنة ، واخذ عنه علم الفلك والأوقاف ، والاستخراجات ، والرسم .. وغير ذلك ، واقتنى كتباً نفيسة في سائر العلوم بددها أولاده من بعده وباعوها ببخس الأثمان . واشتهر الزمزمي بالصلاح والفضل حتى لحق بربه عز وجل عام ١١٩٥هـ .

٢/ أبو بكر زرعة ...ـ١٢٦٢هـ .

هو أبو بكر بن عبد الوهاب زرعة المكي الحنفي . بيت الزرعة بمكة بيت قديم رفيع البنيان ، أهل علم وثروة وعلو شأن ، وأصلهم من الهنود الفتن . وصاخب الترجمة ولد بمكة المكرمة وأخذ العلم على مشايخها المعتبرين ، ولكن كان جل أخذه على الشيخ عمر عبد رب الرسول ومن مؤلفاته : رسالة تتعلق بالأوقاف السلطانية .. ، ورسالة تتعلق بالأوقاف بما قيل « إن المعدة بيت الداء « وديوان شعر، وكتابات على الكتب تشعر بفضله وعلو قدره . وكان المترجم كغيره من أهالي البيوت القديمة بمكة قد حازوا الكتب الكثيرة المعتبرة ، لاسيما تآليف أهل مكة كتآليف بيت الطبري وبيت الحطاب ، والمفتي محمد جار الله ابن ظهيرة والملا علي القاري وبيت علان ... ، وكانت رائجة في زمانهم ولايضنون بها على أهلها ، وقد اندثرت هذه الكتب ولم يتبق منها إلا القليل وذلك بسبب بخل ذريتهم من عدم اعارتها لأهلها لأجل القراءة فيها أونسخها حتى تصير منها نسخ متعددة .وقد باع بيت الزرعه كتبهم على أهل الهند وكانت وفاته عام ١٢٦٢هـ ودفن بالمعلاة.

٣/ حسين الحبشي ...ـ١٣٣٠هـ

هو حسين حبشي . مفتي الشافعية بمكة المكرمة. وابن مفتيها السيد محمد بن حسين بن أحمد الشافعي ، أحد أكابر علماء مكة العاملين . ولد بسيئون . بلد حضرموت . ونشأبها وأخذ العلوم عن جماعة كثيرين وصحب علماء عارفين منهم والده والسيد عيدروس ابن عمر بن عيدروس الحبشي ، وأجازه بسائر مروياته ، ثم رحل إلى اليمن لتلقي العلوم فأخذ عن السيد محمد بن عبد الباري الأهدل ، ثم قدم إلى مكة المكرمة ولازم بها مفتيها السيد أحمد دحلان ، فقرأعليه كتباً عديدة في فنون شتى وبه نفقه وعليه تخرج ، وأجازه بجميع مروياته وسائر مؤلفاته ، وأخذ عن الشريف محمد بن ناصر ، وعبد الرحمن بن حسن الفتني ، وعمر ابن عبد الله الجفري المدني . وتلقن

الذكر ولبس الحزقة من السيد أبي بكر بن عبد الله العطاس بمكة فنجب وتفنن في فنون وعلوم كثيرة ، ولكن كان اشتهاره بعلم الحديث والتصوف والحقائق والإعتناء بالغرائب والدقائق . وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام ،ولازم العبادة والطباعة والجماعة ، ثم ترك التدريس بالمسجد الحرام ، وصار يدرس ببيته على الدوام . فأخذ عنه خلق كثير وانتفع به جم غفير . ولما عزل والي الحجاز مفتي الشافعية بمكة السيد أحمد دحلان عام ١٣٠٤هـ ولاه الإفتاء ، ثم نصبه أمير مكة الشريف حسين بن علي مفتياً بها بعد وفاة الشيخ المفتي محمد سعيد بابصيل ، وكان قد أقامه ناظراً على أوقاف السيد أسعد ميرة المؤذن . وقد اشتهر رحمه الله بأنه ظاهر الفضل ، باهر العقل مع التواضع والذكاء والصلاح ، كما أنه اقتنى غير كتب والده كتباً كثيرة من الكتب المعتبرة ولم يزل مواظبا على فضائل الأعمال حتى توفاه الله عام ١٣٣٠هـ ودفن بالمعلاه بحوطة السادة آل باعلوي .

٤/ سالم البصري ... ـ ١١٦٠هـ

هو سالم بن عبد الله بن سالم البصري المكي ، كان إماما محدثا ، جليلاً معظماً في الحرمين ، جمع من الكتب العظيمة إلى كتب والده مالا يحصى وكانت كتبه في غاية الحسن والضبط والمقابلة والخط الحسن ، مالا يوجد عند غيره . وكتب الحديث الذي عنده مرجع الكل ، جمع مسندات والده وسماه (الإمداد بمعرفة علو الإسناد) وقد كان رحمه الله صاحب خيرات ومبرات حيث بنى رباطا وجعله ثلاث طبقات في كل طبقة عشر خلاوي ، ومحلاً زائداً لشيخ الرباط ، وأوقفه على السادة آل باعلوي ، توفي عام ١١٦٠هـ ودفن بالمعلاه .

٥/عبد الكريم قاضي خان ٩٦١ـ ١٠١٤هـ

هو عبد الكريم بن محب الدين بن أبي عيسى ، علاء الدين أحمد بن محمد ابن قاضي خان ، ابن بهاء الدين يعقوب بن إسماعيل ... العدني البيجابوري ؟ النهرواني الحنفي القادري المكي الشهير بالقطبي . مفتي مكة المكرمة . ولد عام ٩٦١هـ بأحمد أباد من بلاد الهند ، وكني بأبي الفضائل وهو تاريخ ولادته ، وقدم مكة مع والده وأخيه قطب الدين ، ونشأ بها وقرأ العلوم فيها على والده وأخيه وغيرهما ، ثم رحل إلى البلدين للأخذ عن المشايخ ولازم عمه وأستاذه قطب الدين الحنفي مفتي مكة وبه تفقه وتخرج وأفاد ، وقام بعد عمه مقامه في الإفتاء ، وآلت إليه جميع مخلفاته من الأموال والكتب الكثيرة ، ونمت معه حتى بلغت كتبه أربعه عشر ألف كتاب ، مابين مجلد ومجلدين وثلاثة وأكثر . وكانت الكتبة ملازمين لبيته يكتبون له مايريد من الكتب مع الاعتناء بتصحيحها وضبطها ، وبذلها لمستحقيها. وأخذ عن الشيخ عبد الله السندي ، وتولى إفتاء مكة عام ٩٨٢هـ وأم بالمقام الحنفي عام ٩٩٠هـ وكان حافظا لخطوط سلطانية بأن لاتحدث أمامه وهو أول من جعلت له الخلعة التي تحمل مع الركب المصري يلبسها المفتي الحنفي وأيضاً أحدث له صوفاً من الديارالرومية ، وفي ضمنها مائة دينار . ومن مؤلفاته

: شرح على البخاري لم يكمله سماه (التعبير الجاري على البخاري) ، واختصر تاريخ عمه وزاد فيه زيادة سماه «أعلام العلماء الإعلام» وكانت وفاته بمكة عام ١٠١٤هـ ودفن بالمعلاه .

٦/ عبد الله عتاقي زاده ١٠٤٥. ..هـ

هو عبد الله بن شمس الدين عتاقي زاده ، المكي الحنفي ، مفتي مكة وقاضيها ولد عام ١٠٤٥هـ بمكة المكرمة ونشأ في حجر والده عتاقي زاده شيخ الحرم وأخذ من مشائخها أمثال عبد الله العفيف المكي والسنجاري . تولى إفتاء مكة بعد وفاة المفتي الشيخ عبد الله فروخ المكي ، كما تولى أيضا نيابة الحرم . وكان صاحب جاه وثروة عظيمة ذا عقار ومال جسيم وكان زقاق دار الخيزران يسمى « بزقاق عتاقي» ، وحوى كثيراً من الكتب التي لم يوجد عشرها عند غيره حتى أنه تحدث مرة بأن ظروفها أي ثمنها تغني ذريته وذرية ذريته لكثرتها . وكانت وفاته بمكة ودفن بمكة عام ١١٠٨هـ بالمعلاه ، وخلف ابنين فاضلين أديبين .

٧/ علوي السقاف ١٢٥٥. ١٣٣٥هـ

هو علوي بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد السقاف الشافعي المكي شيخ السادة العلوية ببلد الله الحرام ولدبمكة المشرفةعام ١٢٥٥هـ ونشأ بها وتربى في حجر مفتي الشافعية بمكة الحبيب محمد الحبشي ، وحين شب واجتهد بطلب العلم بها فقرأ على المشايخ : محمد الحبشي ، وعمر عبد الله الجفري المدني ، وأحمد دحلان ولازمه ملازمة تامة وأكثر قراءته عليه ، فبرع وظهر تفوقه في فنون عديدة وأذنوا له بالتدريس وأجازوه بسائر مروياتهم فتصدر له فدرس وأفاد وأجاد وألف التآليف المفيدة ، وكان واسع المحفوظات حسن التقديرات مدققا حافظا محققا للمذهب ، حريصا على جمع الكتب النفيسة واقتنى منها أشياء كثيرة ، وكان على جانب عظيم من العلم ، جمع الله تعالى له بين الحفظ والفهم وله نظم رائق ونثر فائق ، وتلقن الذكر ولبس الخرقه عام ١٢٩٩هـ ، وولى منصب شيخ السادة العلوية عام ١٣٢٧هـ ولم يزل على دوام الإشتغال بالإفادة والتأليف حتى صار مريضاً مقعداً ببيته سنين ، ولكن مع هذا لايخلوا مجلسه عن الإفادة . توفي بمكة المكرمة عام ١٣٣٥هـ ودفن بالمعلاه بحوطة السادة العلوية . وله من المؤلفات الكثير منها : علاج الأمراض الردية بشرح الوصية الحدادية ، فتح الأعلام بأحكام السلام ، القول الجامع المتين في حقوق اخواننا المسلمين ، شرح على الدرة البهية سماه بالنهجة المرضية ، منظومة في تاريخ القرون والأنبياء وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

٨/ علي القباني ١١٣٤. ١٢٢١هـ

هو علي البخاري المعروف بالقباني الشافعي المكي مولداً المدني أصلاً ، ابن أحمد تقي الدين بن تقي الدين المنتهي نسبه إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . ولد بمكة المكرمة عام ١١٣٤هـ وتخرج على والده وغيره

بمكة من مشايخ العصر كالشيخ العمادي والحنفي ثم توجه إلى مصر وأقام بها يشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة ، واستكتابها ومشاركة أشياخ العصر في الاستفادة والإفادة فكان عالماً ماهراً وأديباً شاعراً ،إلى أن انقطع ببيته في عابدين. وله مؤلفات : منها شرحه على منظومته في علم الكلام ، وشرح بديعته التي سماها (مراقي الفرج في مدح عالي الدرج) . وله ديوان شعر وكان في مدة انقطاعه لايشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغربية إلى أن توفي عام ١٢٢١هـ .

٩/ قطب الدين النهروالي ٩١٧-٩٩٠هـ

هو قطب الدين بن علاء الدين أبي عيسى ، أحمد بن محمد بن قاضيخان بن بهاء الدين يعقوب بن إسماعيل بن علي بن القاسم ابن الفقيه محمد بن إبراهيم بن إبراهيم بن إسماعيل النهروالي. نسبة إلى نهروالة من أعمال الهند. المكي الحنفي ، الشهير بمكة بالقطبي . وقد جاءت ترجمته في البدر الطالع : العالم الكبير أحد المدرسين بالحرم الشريف في الفقه والتفسير وسائر العلوم وكان يكتب الإنشاء لأشراف مكة وله فصاحة عظيمة يعرف ذلك من اطلع على مؤلفه «البرق الديماني في الفتح العثماني» وهو مؤلف «الأعلام في أخبار بيت الله الحرام» . وكان عظيم الجاه عند الأتراك لايحج أحد من كبرائهم إلا وهو الذي يطوف به ولايرتضون بغيره ، وكانوا يعطونه العطاء الواسع وكان يشتري بما يحصله منهم نفائس الكتب ويبذلها لمن يحتاجها وأجتمع عنده منها مالم يجتمع عند غيره وكان كثير التنزهات في البساتين وكثيراً مايخرج إلى الطائف ويصطحب معه جماعة من العلماء والأدباء ويقوم بكفاية الجميع ومات عام ٩٨٨هـ بمكة المكرمة

١٠/ محمد المنشاوي ... ١٣١٤هـ

محمد المنشاوي نزيل مكة المكرمة ، الشافعي ، قرأ العلوم في الجامع الأزهر على المشايخ الأجلاء ، كشيخ الإسلام الباجوري ، والعلامة السقا فبرع وتفنن في العلوم ، ثم قدم مكة في نيف وستين ومائتين وألف . فحضر دروس العلامة عثمان الدمياطي ، ولما توفي لازم مفتي مكة الشيخ أحمد الدمياطي وأذن له مشايخه بالتريس وأجازوه ، فمكث يدرس بالمسد الحرام في فنون عديدة ، وأغلب تلامذته الجاوات ، وانتفع به كثير منهم ودرسوا في حياته . وحين قدم مكة كان فقيرا وبواسطتهم صار ذا ثروة فتزوج وأولد بها الأولاد ، وملك داراًوكتباً عظيمة ، وكان ذا خمول وتواضع مشتغلاً بالتدريس والإفادة والعبادة ، محمود السيرة صافي السريرة حتى توفاه الله عام ١٣١٤هـ ، ودفن بالمعلاه وعقب ابنين أصغرهما طالب علم .

١١ / نواوي الجاوي

نواوي الجاوي البنتني ، ابن عمر بن علي الشافعي ، نزيل مكة المكرمة ، قدم مكة صغيراً وجاور بها سنين عديدة،

ونشأ بها وصار ذا ثروة واقتنى كتبا كثيرة وأكب على كسب العلوم على عدة مشايخ منهم السيد أحمد النحراوي، وأحمد الدمياطي ، وقرأ على الشيخ حسب الله ودرس وأفاد وتخرج به كثير من طلبة الجاوة ، وكان تدريسه بداره ، ودرسه يحتوي على مائتي طالب وأكثر وتكررت منه رحلات إلى مصر والشام وأخذ عن أفاضلها وليس له اشتغال إلا بالتدريس والإفادة والتأليف والعبادة.

٣/٦ـ واقفو الكتب وخزائن الكتب .

كان للمناخ الثقافي المتنوع في مكة المكرمة أثره على حرص العلماء على تحصيل الكتب واقتنائها وتكوين المكتبات الخاصة التي أصبحت سمة بارزة في المجتمع المكي . وقد سعى عدد من علماء مكة وأعيانها إلى توفير الكتب وتيسيرها لطلبة العلم خصوصاً من المعسرين منهم ، فعمدوا إلى وقف كتبهم ومكتباتهم أما على المسجد الحرام أو على مكتبات المدارس أو الأربطة رغبة في تعميم فائدتها وتضاعف أجرها . وغدت المكتبات الوقفية من أبرز دعائم حركة الازدهار الفكري والثقافي التي شهدتها مكة المكرمة خلال عصورها المختلفة[١١٣].

ومن العلماء الذين أوقفوا كتبهم على الحرم المكي الشريف. محمد المكناس المالكي « الذي تولى إمامة المالكية بالمسجد الحرام عام ٤٤٨ هـ أوقف كتاب « المقرب « لابن أبي زمنين المالكي ستة مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين يسكنون بمكة وجعل مقره بخزانة المالكية بمكة المكرمة «[١١٤]. يدلنا هذا على تعدد خزائن الكتب داخل الحرم المكي وفقاً للمذاهب الفقهية الأربعة.كما أوقف صالح حريري « سائر كتبه وجعل مقرها في العثمانية الكائنة بالمسجد الحرام»[١١٥] وفي هذا الصدد يذكر محمد باجودة في مؤلفه « نشر القلم في تاريخ مكتبه الحرم « إن هذه المجموعة الوقفية شكلت مع غيرها من المجموعات الوقفية الأخرى نواة مكتبه الحرم المكي [١١٦].

وقد حظيت مكتبات المدارس التي كانت منتشرة بمكة المكرمة بجانب كبير من الكتب والمكتبات الوقفية ، فهذا محمد رشدي باشا الشرواني « أوقف كتبه بالمدرسة الكائنة بباب أم هانيء لينتفع بها طلبة العلم «[١١٧]. ويؤكد يحي ساعاتي في مؤلفه « الوقف وبنيه المكتبة العربية « إن محمد سعيد الشرواني قد أوقف كتبه بمدرسة أعظم شاه وهي من أوقاف سلطان البنجال أعظم شاه بن اسكندر شاه غياث الدين أبي الظفر والتي بدء التدريس بها عام ٨١٤ هـ ، وكانت تضم مكتبه حافلة وكان موقعها عند باب أم هانيء بجوار الحرم المكي الشريف[١١٨]. ويشير محققا المختصر من كتاب نشر النور والزهر إلى أن هذه المكتبة قد ضمت إلى مكتبة الحرم المكي[١١٩].

ومن الظواهر التي تنسحب على المكتبات الوقفية في المجتمع المكي :

❖ اشتراط بعض أصحاب المكتبات الخاصة وقف مكتباتهم وكتبهم على طلبة العلم من مذهب معين مثل فاطمة الزبيرية التي أوقفت كتبها جميعها على طلبه العلم من الحنابلة « وتطالعنا ترجمتها في المختصر من كتاب نشر

النور والزهر ما آلت إليه هذه المكتبة : « وجعلت الناظر عليها محمد الهديبي ، فكانت عنده إلى أن أراد النقلة إلى المدينة فتورع عن إخراجها من مكة فجعلها عند خادمتها شائعة بنت النجار وأولادها ، ثم أرادت التحول إلى المدينة أيضا فأشار إليها – عبد الله مرداد أبو الخير – بان تبقيها في مكة ، فغلب عليها أولادها ، وقالوا أن الشيخة الواقفة لم تشترط ذلك وذهبوا بها معهم ، فتوفاهم الله وذهبت شذر مذر إلا اقلها كان عندي – مرداد – فأبيت إخراجه عن مكة »[١٢٠].

❖ اشتراط بعض أصحاب المكتبات الخاصة – بعد وقفها – بالسماح للمستفيدين منها بالاستنساخ منها وإعارتها والاطلاع عليها دون شروط . مثل : علي القاري « فقد كان له ثلاثمائة من المؤلفات وانه أوقفها وشرط بان لايمنع من استنساخها ، وكتبه كلها متداولة ومنتفع بها »[١٢١].

❖ وهناك مكتبات وقفية أخرى لم يشير مرداد إلى مكان وقفها مثل : مكتبة أبو بكر السقاف "ملك كتباً كثيرة وأوقفها بمكة المكرمة "[١٢٢]، ومكتبة اخوندجان البخاري «قسم ماله قبل وفاته على تلامذته وأوقف كتبه على طلبة العلم «[١٢٣] ،ومكتبة علي بن حسين « وجمع كتباً عظيمة وأوقفها على طلبة العلم «[١٢٤].

من خلال العرض للمكتبات الخاصة والمكتبات الوقفية لأعيان مكة المكرمة ، يتضح إن أكثر هذه المكتبات قد أندثرت مع الأيام وضاعت محتوياتها ، وما بقي منها ضم إلى بعض المكتبات القائمة حالياً كمكتبة الحرم المكي الشريف أو مكتبة مكة أو المكتبات الوقفية التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية .

١/ أبو بكر السقاف ١٠١٨هـ ـ ١٠٧٤هـ

هو أبو بكر محمد بن أبي بكر بن عقيل السقاف . ولد بالقارة إحدى مدائن حضرموت عام ١٠١٨هـ ونشأ في عبادة الله ، وحفظ القرآن ، وتربى في حجر والده ، وصحب جماعة من أكابر السادة منهم أحمد الحبشي ، وعبد الرحمن بن السيد علي باحسن ثم طلبه إلى مكة عم والده السيد علوي بن علي بن عقيل فرحل إليه وقربه وألبسه الخرقة ولقنه بعض الأفكار المنيفة ، ولزم خدمته ، وواظب صحبته ، وصار كخليله وخدنه ، وجعله وصياً بعده على أهله وولده ، ثم اشتغل بتحصيل العلم النافع ، وأخذ عن محمد بن علوي علم التصوف ، كما أخذ عن الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي ، وعبد الله بن سعيد باقشير عدة كتب في عدة فنون في التصوف والعربية والفرائض والحساب والميقات ...، وكان تقيا نقيا مواظباعلى السنن الشرعية يحب الفقراء ويكرم الضيوف والوافدين . ملك كتباً كثيرة وأوقفها بمكة المكرمة ، وتوفي بهاعام ١٠٧٤هـ .

٢/ أخوندجان البخاري ١٢٤٣ ـ ١٣٢٠هـ

هو ابن محمد هادي بن محمد مراد ابن ادريس البخاري الميرغيناني . ولد ببلدة ميرغينان عام ١٢٤٣هـ وحفظ

القرآن ثم قرأ على فضلائها ، ثم أتى مكة المكرمة عام ١٢٧٩هـ للحج وبعد أن أدى الفريضة ذهب إلى المدينة المنورة وأقام بها ، وقرأ على من بها من العلماء أمثال الشيخ عبد الغني الهندي المجددي ولازمه مدة وقرأ عليه كتبا كثيرة حديثاً وتفسيراً وفقهاً ... وغيرها وأجازه بسائر مروياته ، ثم قدم إلى مكة عام ١٣٠٩هـ وتوطنها وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام وانتفع به كثير وألف التآليف العديدة ؛ وكان إماماً فقيهاً ذا ذهن مستقيم وطبع سليم مع كثرة التواضع والخلق الرضي والوقار مشتغلاً على الدوام بالتدريس والإفتاء حتى توفاه الله عام ١٣٢٠هـ ودفن بالمعلاه ، ولم يعقب ، وقسم ماله قبل موته على تلامذته ، وأوقف كتبه على طلبة العلم .

٣/ علي بن حسين ... ١٠٦٩هـ .

هو علي بن حسين بن عمربن حسين بن عمر بن علي ، ولد بلحج من أرض اليمن ونشأ به وحفظ القرآن ، وصحب جماعة من أهل العلم منهم : السيد عبد الله بن علي، والسيد أبو الغيث ، ثم رحل إلى مكة المكرمة فحج واعتمر وأقام بها وجاورها ، وصحب كثير من علمائها ، منهم الشيخ أحمد بن إبراهيم علان ، والسيد محمد الحبشي، والشيخ محمد بن علاء البابلي والشيخ محمد مكي بن فروخ الحنفي ... وغيرهم ، وزار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بطيبة عن الشيخ أحمد بن محمد القشاشي ، ومحمد بن علوي ثم قطن بمكة المكرمة وتجرد للعبادة والطاعة قليل المخالطة للناس وكان قانعا بالكفاف متقشفاً متواضعاً لا يرى أنه للتدريس أهل ، مع أنه كان للعلوم جامعاً وفي فنونها بارعاً ، ولم يتزوج ، وجمع كتبا عظيمة ووقفها على طلبة العلم، توفي بنبدرجدةعام ١٠٦٩هـ .

٤ / علي القاري ١٠١٤هـ

هو علي بن سلطان بن محمد القاري الهروي ، المكي الحنفي ، وقرأ ببلده ثم رحل إلى مكة ، وأخذ بهاعن الأستاذ أبي الحسن البكري ، وزكريا الحسيني ، وأحمد بن حجر الهيثمي . وعبد الله السندي ، وقطب الدين المكي ... وغيرهم . واشتهر ذكره وطار صيته ، وهو من كبار المصنفين ، وعظماء المؤلفين وتآليفه لاتحصى ولا تستقصى ، وقد أفاد بعض شراح الحزب الأعظم بأنه قال : سمعت من حفيد المترجم بمكة المكرمة أنه قال : إن لجدنا ثلاثمائة من المؤلفات ، وأنه أوقفها وشرط بأن لايمنع من استنساخها وكتبه كلها متداولة ومنتفع بها .. وكان يأ كل من عمل يده وكان له خط من عجائب الدنيا يكتب في عام كل مصحفا وعليه طرز. أصلها طغراء ، وهي لفظة فارسية كانت توضع على المناشير السلطانية . من القرآن والتفسير ويكفيه في القوت من العام إلى العام وقيل يكتب مصحفين في السنة ويبيعها ويتصدق بثمن واحد إلى فقراء البيت ويتعيش بالآخر . وقد جاء في ترجمته أنه علامة زمانه وواحد عصره والمفرد الجامع لأنواع العلوم العقلية والنقلية والمتضلع من علوم القرآن والسنة النبوية

. ولم يزل مشغولا بالعلم والأوراد إلى أن مات بمكة المكرمة عام ١٠١٤هـ ودفن بالمعلاه ومن مؤلفاته : التفسير الشريف (في أربعة مجلدات) وشرح صحيح مسلم ، وشرح الأربعين للنووي ، وحاشية على تفسير الجلالين سماها بالجمالين وشرح قصيدة بانت سعاد ، وشرح المشكاه في مجلدات وهو أكبرها وأجلها .

٥/ فاطمة الزبيرية ١٢٠٠-١٢٤٧هـ .

هي فاطمة بن حمد الفضيلي الحنبلي الزبيرية وتعرف بالشيخة الفضيلية ، الشيخة الصالحة العالمة العابدة الزاهدة ، ولدت في بلد سيدنا الزبير رضي الله عنه عام ١٢٠٠هـ ونشأت بها وقرأت على شيوخها وخاصة عن الشيخ إبراهيم ابن جديد فأخذت عنه التفسير والحديث والفقه والتصوف ، وقرأت على غيره كثيراً وتوجهت إلى العلم ، وتعلمت الخط من صغره فأتقنته ، وكتبت كتباً كثيرة في فنون شتى ، وخطها حسن ، وصار لها همة في جمع الكتب ، فجمعت كتباً جليلة في سائر الفنون . واشتهرت في مصرها وعصرها وكاتبها الأفاضل وكاتبتهم بأبلغ العبارات ، ثم حجت وزارت ورجعت إلى مكة المكرمة وأقامت بها في باب الزيادة ، في بيت ملاصق للمسجد الحرام ترى منه الكعبة المشرفة وعزمت على الإقامة فيها ، فتردد إليها غالب علماء مكة وسمعوا منها وأسمعوها وأجازتهم وأجازوها خصوصا الشيخ عمر عبد رب الرسول الحنفي ، والشيخ محمد صالح الريس مفتي الشافعية . وقد أصبح للشيخة شهرة عظيمة وصيت بالغ وأسندت كثيراً من المسلسلات وأخذت الطريقة النقشبندية والقادرية ، وكان لها أوراد وأحزاب ومشرب روى في التصوف وأرشدت خلقاً من الناس سيما النساء فقد لازمنهاملازمة كلية وانتفعن بها . وقد كانت من عجائب الزمان جمالا للوقت وفخرا للنساء ، ووقفت كتبها جميعها على طلبة العلم من الحنابلة ، وجعلت الناظر عليها الشيخ محمد الهديبي فكانت عنده إلى أن أراد النقلة إلى المدينة فتورع عن إخراجها من مكة فجعلها عند خادمتها « شائعة بنت النجار وأولادها « ثم أرادت التحول إلى المدينة أيضا فأشرت عليها بأن تبقيهافي مكة فغلب عليها أولادها وقالوا إن الشيخة الواقفة لم تشترط ذلك وذهبوا بها معهم فتوفاهم الله تعالى ولم يبقى منها إلا القليل الذي كان عند الشيخ عبد الله مرداد ابو الخير الذي امتنع عن إخراجها عن مكة . توفيت رحمها الله عام ١٢٤٧هـ ودفنت بالمعلاه .

٦/ محمد رشدي باشا الشرواني ...١٢٩١هـ

هومحمد رشدي باشا الشرواني الداغستاني ، والي ولاية الحجاز ، كان عالما علامة صالحا فهاما موفقاً متفنناً ، وكان صديقا للصدر الأعظم فؤاد باشا فأعطاه رتبة الوزارة وأدخله في سلك الملكية - أي المناصب المدنية - وترقى إلى إن ولي الصدارة بعد علي باشا ومحمود نديم باشا ثم عزل من الصدارة . وأعطي ولاية الحجاز فقدم مكة في شهر رجب عام ١٢٩١هـ وتوجه إلى الطائف وتوفي به في آخر شعبان من السنة المذكورة ودفن في قبة الحبر

رضي الله عنه ، وكان قد حاز كتبا نفيسة وأوقفها وأوضعها بالمدرسة الكائنة بباب أم هاني لينتفع بها طلبة العلم ، وقد سرق الكثير منها وبيع.

٧ / صالح الحريري ١٢٩٢هـ

هو صالح الحريري الأفندي الحنفي المدرس المجاور بمكة المشرفة مدة كبيرة من الزمن . كان من خيار الناس وله صلاح وانعكاف على العبادة جميل الطبع ذا أخلاق حسنة . كتب بخطه الحسن كثيرا من الكتب والرسائل مع الضبط التام أوقف سائر كتبه وجعل مقرها في العثمانية الكائنة بالمسجد الحرام توفي بمكة المكرمة في شهر رمضان ١٢٩٢هـ ودفن بالمعلاه.

٨/ محمد المكناس ...٤٩٢هـ

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن فتوح بن محمد المكناس المالكي ولي إمامة مقام المالكية بالمسجد الحرام عام ٤٤٨هـ . أوقف كتاب « المقرب « لابن أبي زمنين المالكي ستة مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين يسكنون بمكة وجعل مقره بخزانة المالكية بمكة المكرمة . توفي عام ٤٩٢هـ .

رابعا : النتائج والتوصيات .

٤/١ النتائج :

أسفرت الدراسة عن العديد من النتائج يمكن إيجازها في الآتي :

١. رصدت الدراسة (٤٩) شخصية من أعيان مكة المكرمة – رجالاً ونساء – ممن لهم مشاركة فاعلة بصناعة الكتاب من حيث نسخة . جمعه ، بيعه ، أو ممن لهم اهتمام بتكوين المكتبات الخاصة أو الوقفية . وقد جاء توزيعهم كالتالي : النساخ (٢٥) ، المصححون (٢) ، بائعو الكتب (٢) ، خزان وحفاظ الكتب (١) ، جامعوا الكتب وأصحاب المكتبات الخاصة (١١) ، واقفو الكتب وخزائن الكتب (٨) .

٢. ضآلة الدراسات والمؤلفات التي تناولت الحياة الثقافية والعلمية في مكة المكرمة خلال القرنين الخامس والسادس الهجري ، ولعل ذلك يرجع إلى الاضطرابات السياسية والثورات والفتن التي سادت الدولة الإسلامية عامة والحجاز خاصة . والذي بدورة اثر في حركة التواصل العلمي والثقافي بين العلماء في مكة وبقية مدن الدولة الإسلامية ، ما نتج عنه تراجع الاهتمام بتأليف الكتب ونسخها وبيعها وشرائها داخل المجتمع المكي .

٣. إن الاستقرار السياسي الذي عم مكة المكرمة خلال القرن العاشر وحتى القرن الرابع عشر الهجري كان من أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار الوراقة ورواج تجارة بيع الكتب ونسخها وتكوين المكتبات الخاصة والوقفية بها .

٤. ندرة المعلومات عن أدوات الكتابة (الورق، الأقلام ، الأحبار ، أدوات البري ....) الملازمة لعملية النسخ في سير أعلام مكة المكرمة خاصة ممن امتهنوا حرفة الوراقة .

٥. عدم توفر معلومات كافية عما آلت إليه المكتبات الخاصة لأعيان مكة وأدبائها خاصة بعد وفاتهم وانتقالها إلى الورثة ،وربما يرجع ذلك إلى تزويد المساجد بها أو وقفها على طلاب العلم .

٦. يتبين من تراجم أعلام مكة المكرمة أن الحرم المكي الشريف كانت به ساحة لنسخ أمهات الكتب الدينية وخاصة كتب الصحاح الستة ، وكتب المذاهب الفقهية الأربعة .

٧. إن هناك بعض النساخ من تجاوز حدود نسخ المخطوطات إلى وضع الهوامش والشرح عليها .

٨. تعدد أماكن بيع الكتب في مكة المكرمة وتمركزها على جنبات أبواب الحرم المكي الشريف . ويعتبر باب السلام من أكثر الأسواق التي ازدهرت فيها دكاكين بيع الكتب وتجارتها مثل دكان محمد الكناني ، يليه باب الزيادة ، وباب أم هاني ، وزقاق عتاقي .

٩. تعتبر الأسرة الطبرية (آل الطبري) المع الأسر المكية التي أشتهر كثير من رجالها ونساؤها بطلب العلم وجمع الكتب واقتناؤها .

١٠. يعتبر عبد الله الكركي من أجود النساخ خطاً في مكة المكرمة ، حيث امتاز بجمال خطة وحسنه ما ضاعف من قيمة أثمان كتبه .

١١. لم تمدنا تراجم النساخ في نسخ بإعداد الكتب التي نسخوها ولا بأثمانها .

١٢. تخصص بعض النساخ في نسخ مؤلفات علماء مكة المكرمة وتفضيلهم عما سواهم من العلماء الذين توطنوا مكة واستقروا بها .

١٣. يمكن تقسيم فئة النساخين في المجتمع المكي إلى (٣) فئات : فئة اعتنت بنسخ الكتب لنفسها لجمع أكبر قدر ممكن من الكتب والمؤلفات أما لتكوين مكتباتهم الشخصية ، أو ينسخونها خشية التحريف والتصحيف فيها أمثال : أحمد العطار ، عبد الله سراج ، عبد العزيز مرداد ، فاطمة الزبيرية . وفئة اعتنت بنسخ الكتب أما لبيعها أو أهدائها أو وقفها أمثال : علي القاريء ، إبراهيم بن علوي . وفئة اتخذت من نسخ الكتب حرفة لها لكسب لقمة العيش مثل : صادق مير بادشاه ، محمد علي علان ، محمد علي البخاري .

١٤. أن مجالس الاملاء التي كانت تعقد في رحاب الحرم المكي الشريف أو في بيوت كبار العلماء والأدباء كانت سبباً رئيساً في إزدهار مهنة الوراقة ونشر الكتاب ووفرته في أسواق مكة المكرمة .

١٥. إن معظم مكتبات أعيان مكة المكرمة قد نالها الإهمال أو التلف لمقتنياتها بسبب عدم الاهتمام والعناية بها

أو لسوء تخزينها والانتفاع بها أو التصرف فيها بالبيع أو الإهداء .

١٦. اقتصار بعض علماء الحرم المكي الشريف على تدريس طلبة العلم من الوافدين وبخاصة الجاوات مثل : مصطفى العفيفي ، ومحمد المنشاوي .

١٧. يعتبر أبو بكر زرعة من أكثر أعيان مكة المكرمة إهتماماً بجمع الكتب لا سيما تآليف أهل مكة كتآليف بيت الطبري وبيت الحطاب .

١٨. من الظواهر الملحوظة لإعمال الوراقة في المجتمع المكي كثرة الملازمين للكتابة والمكثرين من النسخ رغبة في اقتناء الكتب الهامة وتكوين المكتبات الخاصة .

١٩. يعتبر عبد الحميد فردوس وأحمد الفطاني من أوائل المشتغلين بتصحيح الكتب في المطبعة الأميرية ، حيث أختص الأول للكتب العربية ، والآخر للكتب الجاوية .

٢/ ٤ـ التوصيات :

نظرا لأهمية الموضوع فإن الباحثة توصي بمايلي:

١. ضرورة توجيه اهتمام الباحثين وطلبة أقسام التاريخ والمكتبات والمعلومات بالجامعات السعودية بصفة خاصة إلى الاهتمام بتأريخ صناعة الكتاب المكي وتتبع هذه الصناعة من خلال دراسة سير وتراجم أعلام مكة المكرمة في مختلف العصور لتكوين صورة واضحة عن هذه الصناعة ولإبراز دور مكة الثقافي والحضاري على مر العصور .

٢. تركيز الاهتمام من جانب المشتغلين بالكتاب وصناعته والمهتمين بحركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية إلى إعداد قوائم ببليوجرافيه بمؤلفات علماء مكة المكرمة وأدبائها في مختلف الموضوعات وعلى مر العصور والتي تمثل خلاصة التراث الفكري المخطوط للمجتمع المكي مع تزويدها بالكشافات اللازمة التي تسهل البحث والاستفادة من هذه القوائم.

٣. إعداد دراسة مماثلة عن صناعة الكتاب المدني من خلال تتبع سير وتراجم علماء المدينة المنورة لإبراز دورها العلمي والثقافي إلى جانب دورها الديني في تطور الحركة الحضارية في العالم الإسلامي .

٤. إعداد دراسة علمية عن الحياة الثقافية في المجتمع المكي خلال القرنين الخامس والسادس الهجري للتعرف على الجوانب السلبية والايجابية التي أثرت على الدور الحضاري لمكة المكرمة كعاصمة للثقافة الإسلامية.

٥. إنشاء مكتبة متخصصة في مجال الثقافة الإسلامية يكون مقرها العاصمة المقدسة "مكة المكرمة"، هدفها رصد وجمع مجموعات هذا المجال من جميع أنحاء العالم (سواء كانت قديمة أو حديثة ، منسوخة أو مطبوعة) ، .

والعمل على الإفادة منها لكل طالب علم وثقافة في مختلف دول العالم (إسلامية هي أو غير إسلامية) وذلك من خلال الإعداد الفني الجيد، واستخدام كل ما أنتجته التكنولوجيا الحديثة في مجال الاتصالات كالانترنت مثلاً ... حيث يقوم بهذه المهمة المتخصصون في علوم المكتبات ومراكز المعلومات. ولابأس من إنشاء مكتبات فرعية تابعة لتلك المكتبة المتخصصة في بعض الدول الإسلامية.

٦. تشكيل "لجنة حكماء" تضم عدداً من كبار رجال الدين والفقه والأدب، ينوط بها مسئولية "الثقافة الإسلامية" من جميع جوانبها بدءاً من دعمها ونشرها إلى الدفاع عنها بالحوار فيما تواجهه من عداء ولاسيما في حلبة مايسمى حالياً صراع الحضارات والأديان أو الثقافات.

٧. استخدام بعض القنوات الفضائية المختارة لنشر الثقافة الإسلامية في أنحاء العالم.

٨. الاشتراك في المعارض الدولية بما يتيح نشر الثقافة الإسلامية من خلال مجموعات الكتب أو الندوات التي يشارك فيها نخبة من جلة العلماء والأدباء.

الهوامش

(١) ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابو عبد الله . معجم البلدان .ـــ بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. جـ٥ ، ص١٨١

(٢) نفس المصدر . ص١٨٧

(٣) نقلا بتصرف عن:

أحمد السباعي . تأريخ مكة : دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران . . ط ٦ . . مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . ٢جـ

يحي ساعاتي . الوقف وبنية المكتبة العربية : استبطان للموروث الثقافي. . ط ٢ . . الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

٥(٤) سنوك هورخرونيه. صفحات من تاريخ مكة المكرمة:دراسة في الاوضاع الاجتماعية في نهاية القرن الثالث عشر الهجـري ترجمة محمد محمود السرياني، معراج

نواب مرزا ؛ مراجعة محمد ابراهيم علي .-الرياض:دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.جـ٢،ص ص ٤٨١-٤٨٢ .

(٥) عباس طاشكندي. الطباعة في المملكة العربية السعودية ١٣٠٠هـ- ١٤١٩هـ .- الرياض :مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م . ص٧٧

(٦) نفس المصدر . ص٢٧

(٧) محمد عمر رفيع . مكة في القرن الرابع عشر الهجري .- مكة المكرمة :نادي مكة الثقافي ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م. ص١٥٧

(٨) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي . أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار / تحقيق رشدي الصـالح ملحس ط٤ .- مكة المكرمة : مطابع دار الثقافة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م . ٢جـ

(٩) أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد علي الفاسي . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام / حققه ووضع فهارسه عمر بن عبد السلام تدمري .- بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م. ٢جـ

(١٠) أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد علي الفاسي .العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين / تحقيق محمد حامد فقي ط٢.- بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . ٨مج

(١١) النجم محمد بن محمد بن فهد . اتحاف الورى بأخبار أم القرى / تحقيق فهيم محمد شلتوت .- مكة المكرمة : جامعة ام القرى، ١٤٠٣هـ . ٤جـ

(١٢) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي . الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .- بيروت : دار مكتبة

الحياة ،(د.ت.) ٥مج .

(١٣) هورخرونيه ، ك . سنوك . صفحات من تاريخ مكة المكرمة "مصدر سابق" ٢ جـ

(١٤) محمد عمر رفيع . مكة في القرن الرابع عشر الهجري "مصدر سابق" ٣٩٠ص

(١٥) أحمد السباعي . تأريخ مكة المكرمة : دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران . "مصدر سابق" ٢جـ

(١٦) أحمد محمد الضبيب . بواكير الطباعة والمطبوعات في بلاد الحرمين.- الرياض :مكتبة الملك فهد، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م. ٤٥ص

(١٧) يحيى وهيب الجبوري . الكتاب في الحضارة الاسلامية .- بيروت :دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٨م. ٥٤٨ص

(١٨) عباس صالح طاشكندي . صناعة الكتاب السعودي المعاصر : دراسة تحليلية .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م . ٣٦ص.

(١٩) عبد العزيز أحمد الرفاعي . رحلتي مع المكتبات (مكتبات مكة المكرمة) .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م . ٨٣ ص

(٢٠) علي ابراهيم النملة . الوراقة واشهر اعلام الوراقين : دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات .- الرياض :مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٥هـ/١٩٩٥م. ١١٨ص.

(٢٠) عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان . مكتبة مكة المكرمة :دراسة موجزة لموقعها وأدواتها ومجموعاتها .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ،١٤١٦هـ / ١٩٩٥م . ١١٣ص

(٢٢) يحي محمود ساعاتي . الوقف وبنية المكتبة العربية : استبطان للموروث الثقافي «مصدر سابق» . ٢٣٨ص

(٢٣) عباس صالح طاشكندي . الطباعة في المملكة العربية السعودية ١٣٠٠ - ١٤١٩ هـ «مصدر سابق» ٣٤٦ص

٢(٢٤) يحيى محمود بن جنيد . الطباعة في شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي (١٢٩٧ - ١٣١٧هـ) . - الرياض : دار أجا للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ ١٦٧ص

٢(٢٥) يحيى بن جنيد . الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي ١٢١٥ - ١٣١٧ هـ .- الرياض : مؤسسة اليمامة الصحيفة ، ١٤٢٢ هـ ١٩٢ ص .

(٢٦) عبد اللطيف عبد الله بن دهيش . المكتبات في مكة المكرمة : نشأتها وتطورها عبر العصور .- مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٢٣هـ. ١٢٨ص

(٢٧) محمد بن عبدالله باجودة . نثر القلم في تاريخ مكتبة الحرم .- الرياض :مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م . ٣٤٥ص

(٢٨) عبد الوهاب ابراهيم ابو سليمان . العلماء والادباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري. الطائف : نادي الطائف الادبي ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م . ٢٥٣ص .

(٢٩) عبد العزيز بن راشد السنيدي .» الوراقون واثرهم في الحياة العلمية في مكه خلال العصر المملوكي «.- عالم الكتب . - مج ٢٥ ، ع ٢،١ (رجب - شعبان / رمضان - شوال ١٤٢٤ هـ الموافق سبتمبر - اكتوبر / نوفمبر - ديسمبر٢٠٠٣ م) ص ص ٣- ٥٦

(٣٠) أحمدد بن علي القلقشندى . صبح الأعشى في صناعة الانشا .- القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٥ هـ /١٩٨٥ م . جـ٢ ، ص ٤٨٧

(٣١) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور . لسان العرب .ـــ بيروت : دار صادر ،(د . ت) مج ١٠ ، ص ٣٧٥

(٣٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي . القاموس المحيط / تحقيق مكتب التراث بإشراف محمد نعيم العمرقسوسي .- ط٦ .- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م . ص ٩٢٨

(٣٣) عبد الرحمن محمد ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون = كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر .- بيروت : دار الجيل ، (د . ت) جـ ١ ، ص ٤٦٧

(٣٤) عبد العزيز السنيدي . مصدر سابق . ص ص ٤-٥)

(٣٥) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ؛ الشرق المسلم ، الشرق الأقصى .ـــ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٨ هـ/١٩٩٧م. ص ١٤٩ .

(٣٦) محمد ماهر حمادة . المكتبات في الإسلام .ـــ ط ٠- بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م . ص ٧٥.

(٣٧) عبد الوهاب أبو سليمان .. العلماء والأدباء الوراقون في القرن الرابع عشر الهجري « مصدر سابق « ص ١٩.

(٣٨) جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. مصدر سابق . جـ ٣ ، ص ٦١

(٣٩) شعبان خليفة . مصدر سابق .ص ١٤٩

(٤٠) علي النملة . مصدر سابق . ص ٢١

(٤١) عبد الوهاب أبوسليمان. العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز « مصدر سابق « .ص ٢٧.

(٤٢) تاج الدين عبد الوهاب السبكي . معيد النعم ومبيد النقم / حققه وضبطه وعلق عليه محمد النجار ، ابو زيد شلبي ، محمد ابو العيون . - ط٢ .- القاهرة :مكتبة الخانجي، ١٤١٣/ ١٩٩٣م. ص ١٢٣

(٤٣) شعبان خليفه . مصدر سابق . ص ١٦٤

(٤٤) عباس طاشكندي . الطباعة في المملكة العربية السعودية " مصدر سابق " . ص ص ٢٦ - ٢٧

(٤٥) عبد العزيز السنيدي . مصدر سابق . ص ٦ .

(٤٦) عبد الله مرداد أبو الخير . مصدر سابق . ص ١٠٥.

(٤٧) نفس المصدر . ص ٢٤٤.

(٤٨) نفس المصدر . ص ٤٧٨.

(٤٩) نفس المصدر . ص ٥٠.

(٥٠) نفس المصدر . ص ١٩٧.

(٥١) نفس المصدر . ص ٨٥.

(٥٢) نفس المصدر . ص ٢٦١.

(٥٣) نفس المصدر . ص ٣٢٠.

(٥٤) نفس المصدر . ص ٣٨٤.

(٥٥) نفس المصدر . ص ٥١.

(٥٦) نفس المصدر . ص ٤١٠.

(٥٧) نفس المصدر . ص ٤٦٥.

(٥٨) نفس المصدر . ص ٤٩٩ .

(٥٩) نفس المصدر . ص ٢١١.

(٦٠) نفس المصدر . ص٣١٥-٣١٦.

(٦١) نفس المصدر . ص ٢٤٨.

(٦٢) نفس المصدر . ص ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٦٣) نفس المصدر . ص ٤٧٧.

(٦٤) نفس المصدر . ص ٦٢.

(٦٥) نفس المصدر . ص ١٠٥.

(٦٦) نفس المصدر . ص ٢٦١.

(٦٧) نفس المصدر . ص ١٨١.

(٦٨) نفس المصدر . ص ٢١٨.

٦(٦٩) نفس المصدر . ص ٢٩٠.

(٧٠) نفس المصدر . ص ٦٢.

(٧١) نفس المصدر . ص ٤٧٧.

(٧٢) نفس المصدر . ص ٤٩٩.

(٧٣) نفس المصدر . ص ٢٩١.

(٧٤) نفس المصدر . ص ٣٥٧.

(٧٥) نفس المصدر . ص ٢٢٣.

(٧٦) نفس المصدر . ص ٦٢.

(٧٧) نفس المصدر . ص١٨١.

(٧٨) نفس المصدر . ص ٤٩٩.

٧(٧٩) نفس المصدر . ص ٥٠.

(٨٠) نفس المصدر . ص ص ٢٥٠- ٢٥٥.

(٨١) نفس المصدر . ص٣٨٤.

(٨٢) عباس طاشكندي . الطباعة في المملكة العربية السعودية " مصدر سابق " ص ص ٣٦ – ٣٩.

(٨٣) يحيى بن جنيد . الطباعة في شبه الجزيرة العربية .. " مصدر سابق " ص ٣٧.

× يشير عباس طاشكندي في مؤلفه الطباعة في المملكة العربية السعودية الى انه كان مصححا للكتب الجاوية بالمطبعة الميرية أو الاميرية . ص ٣١.

(٨٤) عبد العزيز السنيدي . مصدر سابق . ص ١٥.

٨(٨٥) عبدالله مرداد أبو الخير . مصدر سابق . ص٤٧٨.

(٨٦) عبدالعزيز الرفاعي. مصدر سابق . ص٨٢)

٨(٨٧) عبدالله مرداد أبو الخير. مصدر سابق. ص٣٨٧)

(٨٨) نفس المصدر .ص ٣٢٧.

٨(٨٩) عبد الوهاب أبو سليمان . العلماء والادباء الوراقون في الحجاز " مصدر سابق " . ص ٦٧.

٩(٩٠) أحمد الرفاعي . مصدر سابق . ص ص ١١- ١٤.

(٩١)يحيى بن جنيد "الحياة الثقافية في مكة المكرمة" مصدر سابق . ص٦٥.

(٩٢) يحيى بن جنيد . الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي " مصدر سابق " . ص ص ٧٦ – ٨٨.

(٩٣) محمد باجودة . مصدر سابق . ص ٦٧.

(٩٤) عبدالله مرداد أبو الخير . مصدر سابق . ص ٤٩٥.

(٩٥) نفس المصدر . ص٢٨١.

٩(٩٦) نفس المصدر .ص ٣٠٩.

٩(٩٧) نفس المصدر.ص ٢٨٨.

(٩٨) نفس المصدر.ص ١٧٨.

(٩٩) نفس المصدر .ص ٢٠٢.

١٠(١٠٠) نفس المصدر .ص ٣٤٣.

(١٠١) نفس المصدر . ص ٣٩٧.

(١٠٢) نفس المصدر . ص ٤٨٤.

(١٠٣) نفس المصدر . ص ٥٠٤.

(١٠٤) نفس المصدر . ص ٣٦٩.

(١٠٥) نفس المصدر . ص ١٠٥

(١٠٦) نفس المصدر . ص٢٤٤

(١٠٧) نفس المصدر . ص٤٧٨.

(١٠٨) نفس المصدر . ص٤٨٤.

(١٠٩) نفس المصدر . ص ٥٠٤

١(١١٠) نفس المصدر . ص٦٣

١(١١١) نفس المصدر . ص٤٥

(١١٢) نفس المصدر . ص ص ٦٣-٦ .

١(١١٣) يحيى ساعاتي . الوقف وبنية المكتبة العربية " مصدر سابق " ص ٣٤

١(١١٤) عبد الله مرداد أبو الخير . مصدر سابق . ص ٤٨٣

١(١١٥) نفس المصدر . ص٢١٤

١(١١٦) محمد باجودة . مصدر سابق . ص ٩٣

(١١٧) عبد الله مرداد أبو الخير . مصدر سابق . ص٤٤٧

(١١٨) يحي ساعاتي . الوقف وبينه المكتبة العربية " مصدر سابق " ص ٨٩.

٩(١١٩) عبد الله مرداد أبو الخير . مصدر سابق .ص ٤٤٧

٢(١٢٠) نفس المصدر . ص٣٨٨

.٢(١٢١) نفس المصدر. ص ٣٦٨

.١٢٢) نفس المصدر . ص ٦٦)

٢(١٢٣) نفس المصدر . ص ١٢٦

(١٢٤) نفس المصدر .ص٣٥٥ .

× القاري لقب لقبه لنفسه لأنه كان حاذقاً في علم القراءة ، ولهذا قال في بعض مؤلفاته المقرىءبدل القاري .

× يتبين من تاريخ الوفاة ان المترجم قد عاش قبل القرن العاشر الهجري وهذا ما أخذه المحققان على أصل الكتاب .

قائـــمـــة المصـــادر

أبو الخير، عبد الله مرداد .

المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر / اختصار وترتيب وتحقيق محمد سعيد العامودي ، أحمد علي .-ط٢؛ طبعة متقنة ومجودة .- جدة : عالم المعرفة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

أبو سليمان، عبد الوهاب .

مكتبة مكة المكرمة : دراسة موجزة لموقعها وأدواتها ومجموعاتها - الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

أبو سليمان عبد الوهاب بن إبراهيم .

العلماء والأدباء الوراقون في الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري - الطائف : نادي الطائف الأدبي ، ١٤٢٣/ ٢٠٠م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن محمد .

مقدمة ابن خلدون =كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - بيروت : دار الجيل ، (د . ت)

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم.

لسان العرب .- بيروت : دار صادر، (د.ت) ١٥مج.

باجودة ، محمد بن عبد الله .

نشر القلم في تاريخ مكتبة الحرم .- الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

بن جنيد ، يحيى محمود .

الحياة الثقافية في مكة المكرمة في القرن التاسع عشر الميلادي ١٢١٥ – ١٣١٧ هـ - الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية ، ١٤٢٢هـ

بن جنيد ، يحيى محمود .

الطباعة في شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي (١٢٩٧ – ١٣١٧ هـ) - الرياض : دار أجا للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ .

بن دهيش ، عبد اللطيف عبد الله .

المكتبات في مكة المكرمة : نشأتها وتطورها عبر العصور - مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٢٣هـ .

بن فهد ، النجم محمد بن محمد .

إتحاف الورى بأخبار أم القرى / تحقيق فهيم محمد شلتوت - مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، ١٤٠٣هـ ٤جـ

الجبوري، يحي بن وهيب .

الكتاب في الحضارة الإسلامية .- بيروت : دار الغرب الإسلامي ، ١٩٨٨م .

حماده ، محمد ماهر .

المكتبات في الإسلام - ط٣ - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

خليفة ، شعبان عبد العزيز .

الكتب والمكتبات في العصور الوسط ؛ الشرق المسلم ، الشرق الأقصى - القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .

الرفاعي ، عبد العزيز أحمد .

رحلتي مع المكتبات (مكتبات مكة المكرمة) .- الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

رفيع ، محمد عمر .

مكة في القرن الرابع عشر الهجري - مكة المكرمة :نادي مكة الثقافي ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الأزرقي ، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد .

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار / تحقيق رشدي ملحس - ط ٤ - مكة المكرمة : مطابع دار

الثقافة ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م . ٢جـ

ساعاتي، يحي محمود .

الوقف وبنية المكتبة العربية : استبطان للموروث الثقافي .-ط٢.- الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

السباعي ، أحمد .

تأريخ مكة : دراسات في السياسة والعلم والإجتماع والعمران - ط ٦- مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . ٢جـ .

السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب .

معيد النعم ومبيد النقم / حققه وضبطه وعلق عليه محمد النجار ، ابو زيد شلبي ، محمد أبو العيون - ط٢ - القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣ م .

السخاوي ،شمس الدين محمد بن عبد الرحمن .

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.- بيروت : دار مكتبة الحياة، (د.ت).٥مج

السنيدي ، عبد العزيز بن راشد .

« الوراقون وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي « - عالم الكتب - مج ٢٥ ، ع ٢،١ (رجب - شعبان / رمضان - شوال ١٤٢٤ هـ الموافق سبتمبر - أكتوبر / نوفمبر - ديسمبر ٢٠٠٣ م ص ٣- ٥٦)

الضبيب، أحمد محمد .

بواكير الطباعة والمطبوعات في بلاد الحرمين - الرياض: مكتبة الملك فهد ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

طاشكندي، عباس صالح .

صناعة الكتاب السعودي المعاصر: دراسة تحليلية - الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٣هـ /١٩٩٢م .

طاشكندي، عباس صالح .

الطباعة في المملكة العربية السعودية ١٣٠٠-١٤١٩هـ - الرياض : مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد علي .

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام / حققه ووضع فهارسه عمر عبد السلام تدمري - بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م . ٢جـ .

الفاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد علي .

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين / تحقيق محمد حامد فقي - ط٢- بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م . ٨مج .

الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب .

القاموس المحيط / تحقيق مكتب التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي - ط ٦ -بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م

القلقشندي ، أحمد بن علي .

صبح الاعشى في صناعة الانشا - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

النملة ، علي بن إبراهيم .

الوراقة وأشهر أعلام الوراقين : دراسة في النشر القديم ونقل المعلومات - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥هـ .

هورخرونيه ، ك. سنوك .

صفحات من تاريخ مكة المكرمة / ترجمة محمد محمود السرياني ، معراج نواب مرزا ؛ مراجعة محمد إبراهيم علي - الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م . ٢جـ

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله .

معجم البلدان - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. ٥مج**هورخرونيه ، ك. سنوك .**

صفحات من تاريخ مكة المكرمة / ترجمة محمد محمود السرياني ، معراج نواب مرزا ؛ مراجعة محمد إبراهيم علي - الرياض : دارة الملك عبد العزيز ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م . ٢جـ

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله .

معجم البلدان - بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. ٥مج

Makkah Capital of Islamic Culture 2005
مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

حول عمارة التوسعة الأخيرة للحرم المكي الشريف

د . هشام بن علي مرتضى - أستاذ مشارك، في كلية تصاميم البيئة



مقدمة

تعتبر توسعة الحرم المكي الشريف والتي تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيزرحمه الله اكبر وأضخم توسعة تتم في تاريخ الحرم وأحد أهم الإنجازات التي قام بها مقامة الكريم لذا، ولحداثة وضخامة هذه التوسعة، فان تحليل هذا العمل معماريا ليس بالأمر السهل نظرا لندرة المراجع المحلية والعالمية التي تتحدث معماريا عن هذه التوسعة بأسلوب علمي تحليلي دقيق، حيث إن معظم ما كتب محليا لا يخرج عن إطار كتابات وصفية لهذه التوسعة قام بإعدادها شركات المقاولات الوطنية التي نفذت تلك التوسعة بمناسبة الانتهاء منها، ويستثنى من ذلك الدراسات التي قام بها الباحث المعماري محمد بن عبد الله بن صالح حول توسعة الحرمين الشريفين لندوة « عمارة المساجد » التي عقدت بالرياض في عام ١٩٩٩ م على الرغم من تركيزها على النواحي التاريخية لبناء الحرمين الشريفين (بن صالح والقوقاني، ١٩٩٩ م).

أما على المستوى العالمي، فالدراسات الأكاديمية عن عمارة هذه التوسعة تكاد تكون غير موجودة، ربما لحداثة المشروع أو لعدم توافر المعلومات عن التوسعة في الجامعات ودور البحث في الخارج،

إلا إن المخطط السويسري، ستيفانو بيانكا، Stefano Bianca، تحدث عن التوسعة ولكن من منظور تخطيط عمراني urban perspective حيث يناقش في كتابه Urban Form in the Arab World النواحي العمرانية لتوسعة الحرم خاصة فيما يتعلق بالمواصلات وشبكة الطرق المحيطة بالمسجد الحرام وربط ذلك بالمخططات العامة master plans التي أعدتها أمانة العاصمة المقدسة ، هذا مع التعرض للتوسعات السابقة (Bianca، ٢٠٠٠، pp. ٢١٩-٢٤٩) ، هذا الحي التقليدي المعروف الذي قام بدراسته العديد من الباحثين المحليين والعالميين لثرائه في تراثه المعماري والعمراني .

لذا فقد اعتمد الباحث على مسح بصري visual analysis لهذه التوسعة مع الإشارة إلى التوسعات السابقة التي تمت خلال عهود إسلامية مختلفة تشكلت خلالها مفردات هامة للعمارة الإسلامية، وبالتحديد عهود العثمانيين، الفاطميين، والمماليك، وغيرهم، كذلك اعتمد الكاتب على المنشورات الوصفية التي أعدها المقاولون المحليون بهذه المناسبة .

أهـــداف التوسعة

إن السبب الرئيسي لتوسعة الحرم المكي الشريف هو أن مساحته لم تعد كافية لإستيعاب الأعداد الضخمة والمتزايدة من المصلين خاصة الحجاج والمعتمرين . لقد شهد العالم خلال العشرين سنة التي سبقت التوسعة تطوراً مذهلاً في التقنية والمواصلات وتضاعف عدد المسلمين في جميع أنحاء العالم حيث وصل عددهم إلى ما يزيد عن ألف مليون مسلم، أي ما يزيد عن ثلث سكان العالم . كل هذه التطورات وما صاحبها من تغييرات اقتصادية وسياسية ايجابية ومشجعة في العديد من الدول الإسلامية والأخرى، زادت من عدد القادمين للمملكة بقصد الحج والعمرة والزيارة، حيث تضاعف عددهم ٢٦ ضعفا خلال خمسين سنة . فقد كان عدد الحجاج القادمين

من خارج المملكة عام ١٣٦٤ هـ ٣٧٦٣٠ حاجا، ووصل هذا العدد إلى ١٠١٢١٤٠ حاجا في عام ١٤١٤ هـ (المنظمات الدولية، ١٩٩٣ م، ص . ٥٤) ، ومن المتوقع أن يصل عددهم إلى أربعة ملايين حاج في عام ١٤٢٥ هـ وذلك كما أشارت إحصائية لرابطة العالم الإسلامي أثناء تنفيذ التوسعة في عام ١٤٠٨ هـ (مجلة رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٨ هـ) ، كما أن ظاهرة تطور أعداد الحجاج الأهالي من داخل المملكة إلى ما يزيد عن المليونين تعضد هذه التوقعات (بن صالح، التوسعات السعودية للحرم المكي، ١٩٩٩ م، ص . ٥٧). كل هذه الزيادة المطردة كان يواجها محدودية في المساحة والخدمات .

ولحرص الملك فهد بن عبد العزيز، رحمه الله، على رفع معاناة الاكتظاظ عن الحجاج وتسهيل أداء مناسكهم، تم رصد أربعة بلايين دولار أميركي لتوسعة الحرمين الشريفين في الخطة الخمسية الرابعة ١٤٠٥-١٤١٠ هـ، إلا إن ما صرف فعليا تجاوز ذلك بكثير حيث وصل إلى تسعة بلايين حيث شملت التوسعة إضافة وتعزيز خدمات مختلفة . وقد حرص رحمه الله على أن تتم التوسعة في وقت قياسي، وقد تحقق ذلك على الرغم من ضخامة الإنشاءات وتعددها (مجلة المجلة، ١٩٩٠ م).

موجز تاريخي

لم يذكر المؤرخون القدماء وجود أي بناء للمسجد الحرام حول الكعبة المشرفة التي كانت محاطة بمنازل تتخللها طرق يدخل منها الناس إلى ارض المطاف حول الكعبة إلى أن أتى الخليفة عمر بن الخطاب الذي جعل حول المطاف حائطا ارتفاعه دون القامة من جميع الجهات (جاهين، ١٤٠٥ هـ، ص . ٢١٧) وقد كان ازدياد عدد المسلمين وبالتالي صغر مساحة المسجد الحرام بالنسبة لعدد المصلين الشغل الشاغل للعديد من خلفاء المسلمين . فعلى سبيل المثال،

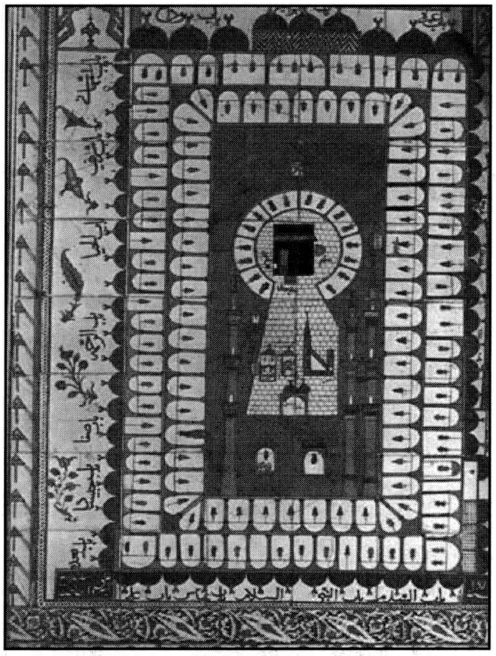
أمر الخليفة عمر بن الخطاب بشراء الدور المجاورة حول المسجد الحرام وهدمها وضمها إلى المسجد وذلك بعدما شاهد بنفسه ضيق المسجد بالمصلين، وبذلك بلغت مساحة هذه التوسعة ٣٦١٣ مترا مربعا بعد أن كانت ١٤٨٧ مترا، إي بنسبة زيادة تعادل ٧٠٪ . تكرر الأمر بعد تسع سنوات وبالتحديد في عهد الخليفة عثمان بن عفان حين ضاق المسجد الحرام مرة أخرى، فقام الخليفة عثمان بشراء الدور المحيطة بالمسجد وإدخالها في التوسعة التي شملت ولأول مرة أروقة arcades لكن غير مسقوفة . وبعد ٣٩ سنة من هذه التوسعة، قام الأمويون بتسقيف المسجد على أعمدة من رخام مع تكسيه أرضية ما حول الكعبة ببلاط ناعم الملمس . وقد اتسعت مساحة الحرم إلى ١٢٥١٢ متر مربع، أي بنسبة ٨١٪ أثناء عهد الخليفة العباسي المهدي، حيث تم في هذه التوسعة استخدام رخام جلب من محاجر بلاد الشام . واستمرت توسعة الحرم المكي في عهد العثمانيين حيث ضاعف السلطان سليمان المساحة في عام ٩٧٢ هـ وجدد سطح الكعبة وفرش المطاف وانشأ مئذنة بالغة الارتفاع ومن عدة طبقات (باسلامة، ١٩٩٤ م، ص. ١٠٠) (جدول ١ وشكل ١).

بدأت أولى التوسعات السعودية للحرم المكي في عهد الملك عبد العزيز الذي قام بإعادة بناء المسجد والمسعى وتوفير الخدمات من مياه وصرف وإنارة في عام ١٣٤٦ هـ . وتضمنت تلك التوسعة إنشاء دورين للحرم وتوسعة المطاف . وفي عام ١٤٠٣ هـ اصدر الملك فهد أوامره بتوسعة المساحات المغطاة وذلك بإزالة المباني في السوق الصغير بمكة وضمها إلى الحرم وتخصيص ٣١ ألف متر مربع كمساحات للصلاة، وفي عام ١٤٠٦ هـ أمر يرحمه الله بتحسين سطح المسجد وإضافة مساحات جديدة من سوق الذهب والشامية والشبيكة وتبليطها بالرخام المقاوم للحرارة مع ما يلزم من مظلات ودورات مياه وغيرها من الخدمات . إلا أن مقامة

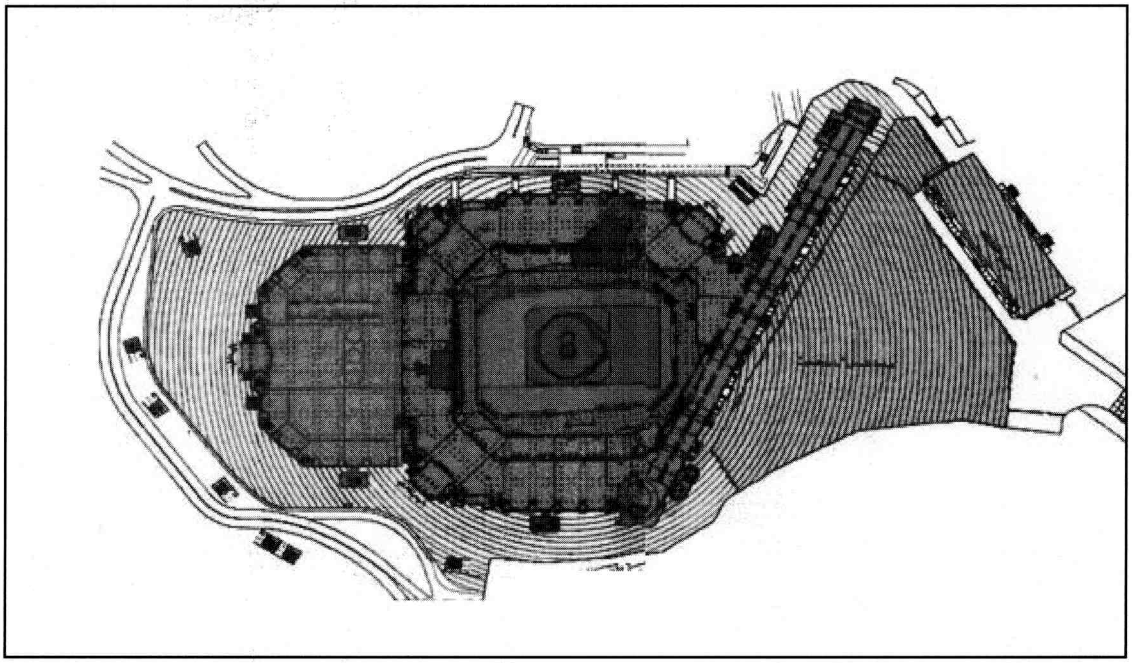
الكريم رأي ضرورة إجراء توسعة أخرى تستوعب عدداً اكبر من المصلين، فأمر بإجراء التوسعة التي بصددها هذا البحث (عباس، ١٩٩٤ م، ص . ٢٩٥).

جدول (١) أهم توسعات المسجد الحرام عبر التاريخ

السنة	العهد	التوسعة
١٨ق	قريش	تحديد مساحة حول الكعبة المشرفة
١٧	عمر بن الخطاب	أول تحديد للحرم
٢٦	عثمان بن عفان	إقامة أروقة حول الحرم
٦٥	عبد الله بن الزبير	تسقيف الكعبة
٩١	الوليد بن عبد الملك	
١٣٧	أبو جعفر المنصور	ضاعف مساحة المسجد
١٦١ - ١٦٤	محمد المهدي	جعل الحرم مربعا
٢٨٤	المعتضد العباسي	زيادة دار الندوة
٣٠٦	المقتدر العباسي	زيادة باب إبراهيم
١٣٧٥	الملك عبد العزيز	ضم المسعى للحرم
١٤٠٩	الملك فهد بن عبد العزيز	اكبر توسعة في التاريخ



شكل (١) صورة نادرة من السيراميك عملت في عام ١٠٧٧ في نهاية العهد المملوكي لمسقط أفقي للحرم المكي يوضح الكعبة والأروقة المحيطة بها والمآذن والأبواب. تعتبر هذه اللوحة أقدم مسقط أفقي عمل للحرم المكي



شكل (٢) المخطط العام للحرم المكي بعد التوسعة

الحــــرم (قاعـــة الصـلاة)

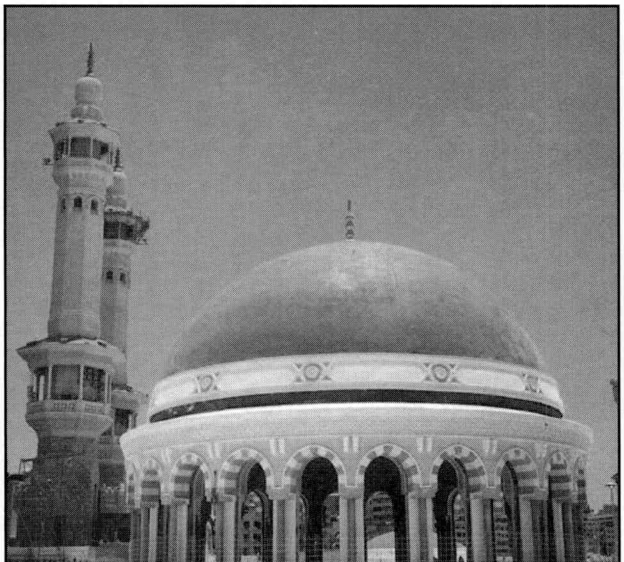
تبلغ مساحة الجزء المغطى من توسعة الحرم المكي ٧٦٠٠٠ متر مربع . وهي تشمل طابقين، أرضي وأول، هذا بالإضافة إلى بدروم. ويبلغ ارتفاع الدور الأرضي عشرة أمتار، كذلك الدور

الأول، أما البدروم فهو أربعة أمتار . ويبلغ عدد الأعمدة في الطابقين ٤٩٢ عامود بقطر ٨١ سم للأعمدة المستديرة و ٩٣ سم للأعمدة المربعة. كما يبلغ ارتفاع أعمدة الطابق الأرضي ٣ ، ٤ م والطابق الأول ٧ ، ٤ م وذلك من منسوب الأرضية حتى نهاية تاج العمود، وكل عامود يرتفع فوق قاعدة . فقواعد الأعمدة المربعة تبلغ أبعادها ١٠X ١٠٢ X ٥٤ سم، أما قواعد الأعمدة المستديرة، وهي مسدسة المسقط، يبلغ عرضها الكلي ٩٧ سم بارتفاع ٥٤ سم (شكل ٢).

إن القيمة الفنية في عمارة الجزء المغطى من التوسعة تبرز في أروقته التي تحاكي بوضوح الطراز العربي في بناء المساجد الذي بدأ من المسجد الكبير في الكوفة وانتهى بمساجد مصر وشمال أفريقيا والأندلس (بن



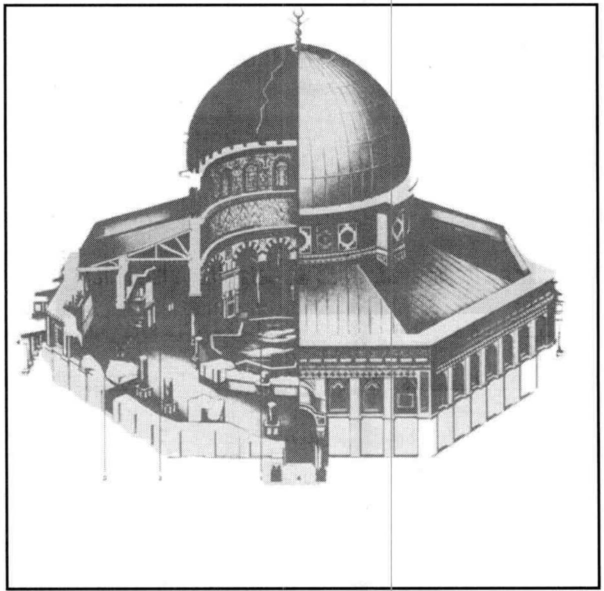
شكل (٣) أعمدة وأقواس الطابق الأول من توسعة الحرم المكي



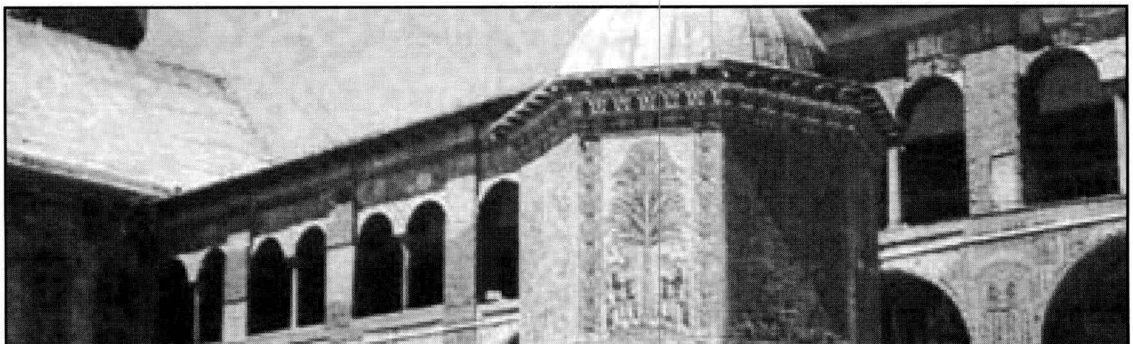
شكل (٤) إحدى القباب العلوية في توسعة الحرم المكي

صالح، التوسعات السعودية للحرم المكي، ١٩٩٩ م، ص . ٧٤). ويتميز هذا الجزء باستخدام الرخام وتطويعه جماليا لكل عنصر فيه، فعلى سبيل المثال، تم تغطية أعمدة الطابقين الأرضي والأول بصفائح من رخام تم صقلها بحيث تعطي لمعة خاصة تتجانس مع لمعة الذهب الذي يطلي فتحات التكييف الموجودة في بعض الأعمدة والإضاءة والمراوح والثريات . أما بالنسبة لتيجان الأعمدة، فهي مكسية بجص محفور عليه خمسة مقرنصات على وجه كل ضلع جمعت بحيث تشكل قاعدة لطرف القوس الذي يعلوها، فالأقواس أو العقود الخاصة بهذه التوسعة صممت بحيث تعطي من بعد شكل متطور للعقود الموجودة في الجزء العثماني وعن قرب تعطي نفس الشكل ولكن بزيادة النقوش والقاعدة (شكل ٣). وهذه الأقواس ذات النمط العباسي (مدبب مكسور، نتاج لدائرة كبيرة وأخرى صغيرة في كل جنب) المعروف في العمارة الإسلامية مكسوة بالجص وتبرز منها قولبات جصية أيضا ومحفور عليها أشكال زهرية floral pattern، وهو نوع من الزخرفة التي برع فيها الأمويون كما هو ملاحظ في جامع دمشق الأموي الذي يقال أن زخرفته الزهريه هي امتداد للزخرفة الرومانية التي سادت تلك المنطقة قبل دخول الإسلام (الريحاوي، ١٩٩٠م، ص.ص ٦١-٦٤). وعلى جانبي هذه القولبات تمتد محاريب أيضا جصية بحيث يعلو كل تاج محراب الذي هو أيضا مؤطر framed بقولبات . وتتميز هذه المحاريب بأقواسها المستقيمة من الأعلى .

أما الأسقف فهي أيضا مكسوة ببلاطات من الجص المزخرف، وتزداد هذه الزخرفة عند نقاط توزيع الثريات ومعظمها بلون فاتح، غالبا أبيض، لتتماشى مع الأقواس أسفلها ومع وحدات الإضاءة البيضاء والمذهبة . وعن زخرفة لوحات الأسقف هذه يقول الباحث محمد بن صالح : أستخدمت أشكال نموذجية عديدة من الزخارف الإسلامية في أسقف أروقة الصلاة، وبنيت



شكل (٥) قطاع لقبة الصخرة حيث يوجد فراغ مابين السطح الخارجي للقبة والطاسة الداخلية



شكل (٦) قبة الخزنة بجامع دمشق الأموي، ويلاحظ على جدرانها الزخارف الزهرية الرومانية الأصل

أشكال السقف المستطيلة والمربعة على شبكة هندسية موزونة، فكثيرا ما تظهر حلية مركزية من نجوم مثمنة الزوايا أو حلزونية أو رسوم زهرة اللوتس وتظهر في السقف بوضوح عدة ألوان كالأحمر الوردي أو المائي الطبيعي، وهي الألوان الوحيدة التي استعملت بالمبنى علاوة على القشرة الذهبية في كتابة الخطوط وتدرج الأحجار من اللون الأبيض إلى الأسود ولون يقارب الأخضر أحيانا (بن صالح، التوسعات السعودية للحرم المكي، ١٩٩٩ م، ص . ٧١).

الجدير بالملاحظة هنا هو أن محاور أعمدة هذا الجزء المغطى من التوسعة هي استمرار لمحاور الأعمدة الموجودة في أجزاء ما قبل التوسعة الأمر الذي يجعل الجزء الجديد يتكامل فراغيا مع الحرم القديم ويحافظ استمرارية رؤية visual continuity الكعبة المشرفة من معظم أنحاء هذه الجزء الحديث، خاصة وان رفع مستوى أرضيات هذا الجزء عزز من محاور الرؤية visual access تلك .

إن توسعة الداخل لم تقتصر على زيادة مساحة الحرم، بل شملت تحسين وترميم ما كان قائما. فعلى سبيل المثال، تم استبدال الحجر الطبيعي في التوسعة العثمانية برخام ذي درجات مختلفة من الألوان الفاتحة، من البني الفاتح إلى الأبيض، خاصة في الرواق العثماني . وفي هذه التوسعة تم إدخال مادة الألمنيوم كعنصر جمالي خاصة في دروات parapets الأروقة بدلا من الشرافات (العرائس) ، وتكرر ذلك الاستخدام في السياج الواقع مابين الدور الأول والسطح . وقد تم أيضا إعادة تبليط الأسقف بجرانيت صناعي لمتانته مقارنة بالحجر الصناعي الذي قد يتفتت مع الوقت والاستعمال . وقد تم جلو بلاط الأسقف والعقود والحوائط لضمان ثبوت الألوان وعدم تغيرها مع الزمن .

بلا شك، أن تبليط السطح (إجمالي ٦١٠٠٠ متر مربع)وجعله خالياً من أي منشآت يتماشى

مع فلسفة تصميم التوسعة إلا وهي الاستفادة القصوى من المساحة لاستيعاب أكبر عدد ممكن من المصلين، لذا فقد تم تجميـع شبكات الكهـرباء تحت القباب (عباس، ١٩٩٤م، ص . ٣٤٢)، ويتضمن السطح ثلاث قباب متجاورة بارتفاع ١٣متراً عن سطح المبنى، تقع بين المنارتين الموازيتين لمدخل الملك فهد وتطل على الفناء في الدورين الأول والأرضي كي تتشابه مع القباب الأربعة المتواجدة على أسطح مباني التوسعة السعودية الأولى . وتقوم هذه القباب على رقبة اسطوانية مرتفعة ومفرغة بعقود تشكل رواق بداخله نوافذ من الزجاج المعشق بالخشب . ويذكرنا أسلوب رفع هذه القباب على هذا النوع من العقود بقبة الخزنة بجامع دمشق الأموي المرتفعة عن الأرض بما يزيد عن مترين فوق قناطر رخامية . الجدير بالذكر هنا هو أن الفراغ الموجود بين الغلاف الخارجي للقبة و الطاسة الداخلية لكل من قباب التوسعة والمستغل لوضـع التمديدات الكهـربائية مطبق في قبة الصخرة بالقدس (Creswell، ١٩٥٨، p. ٢١) (أشكال ٤-٦).

ولتسهيل الحركة الرأسية vertical circulation بين السطح الذي جهز للصلاة والطابقين السفليين، تم إنشاء مبنيين للسلالم المتحركة escalators في شمال وجنوب مبنى التوسعة يستوعبان ٣٠ ألف شخص في الساعة، وبذلك أصبح مجموع السلالم المتحركة ٥٦ سلما موزعة على أرجاء الحرم بطاقة حركة ١٠٥٠٠٠ شخص/ساعة، هذا بالإضافة إلى ستة سلالم ثابتة أضيفت في التوسعة ليصبح المجموع ١٣ سلماً في كامل الحرم.

إن التواصل الفراغي spatial continuity في توسعة الحرم المكي ملموس للغاية مابين مبنى التوسعة والمساحات الخارجية الجديدة (٤٦٠٠٠ متر مربع) حول الحرم والتي جهزت للصلاة (عباس، ١٩٩٤ م، ص . ٣٤٢). وقد ساعد تعدد أبواب المداخل، كما سيتضح لاحقا،

على تعزيز هذا التواصل الذي هو بلا شك هام للغاية لوظيفة function كالصلاة والتي تتطلب تواصل الصفوف . كذلك، فان نوعية الرخام الأبيض العاكس لحرارة وأشعة الشمس المستخدم في أرضية تلك الفراغات وملاءمتة للأجواء الحارة لمدينة مكة ساهم إلى حد كبير في الاستفادة من الساحات الخارجية للصلاة في إي وقت من الأوقات، لاسيما وان تمرير مواسير تبريد مياه بئر زمزم تحت أرضية المطاف لتبريدها أثناء حرارة النهار ساعد على خلق جو مناخي microclimate ذي درجة حرارة تقارب تلك التي في النطاق المريح comfort zone لمدينة مكة، إلا وهي ٣٧ -٣٩ درجة مئوية (Hulen، ٢٠٠٠، p. ٣) .

الواجهـــــات

بالإضافة إلى ألواح رخام وادي فاطمة ذات الألوان الفاتحة التي تكسو واجهات التوسعة، تتميز الواجهات بمداخل على شكل أواوين iwans حيث إنها شبه مقفلة من ثلاثة جهات ومفتوحة في الرابعة، وعدد هذه المداخل ١٤ في مبنى التوسعة و ٣٥ موزعة على باقي واجهات الحرم. ويتضمن كل من هذه الأواوين التي لا تبرز عن جدار الواجهة إلا قليلا، ثلاثة عقود مرفوعة على أعمدة رخامية تبدأ زخرفتها من التاج بأشكال هندسية geometric patterns . ولكل عقد من هذه العــقود المدببة حـلية أو أفريز frame يحـدد العقد، وهذه الحـلية هي من الحجر الذي تتبادل ألوانه مابين الأبيض والأزرق لخـلق نوع من التضــارب البسيط contrast وتعزيز الشكل الدائري للقوس . أن هذا الأسلوب من تناوب الألــوان ملاحــظ جدا في الجزء العثمـــاني للحـــرم، وقد بدأه المســلمون الأوائل وبالتحديد السلاجقة في مساجـــدهم (الريحاوي، ١٩٩٠ م، ص . ١٦٤).

داخل كل إيوان أو بوابة في الواجهات نجد ثلاث فتحات لأبواب مصنوعة من الخشب المشغول

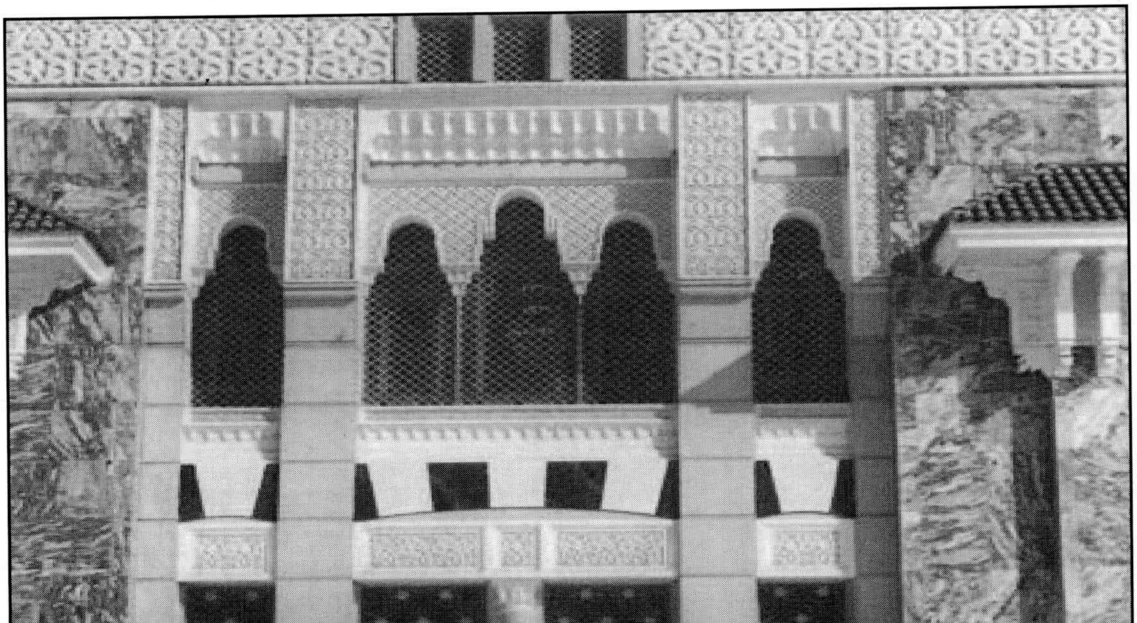
يشابه الارابيسك arabesque الفاطمي إلا انه مطعم بقطع من النحاس المصقول وشبابيك ومشربيات من الألمنيوم تتماشى مع نظيراتها في التوسعة السعودية الأولى . ويعلوا كل باب فتحتين كل منهما تنتهي بعقد حدوي مع دائرة تتوسط الفتحتين بشبك نحاسي، وهذا أيضا أسلوب ميز عمارة المماليك في مصر .

وقد أبرزت بوابة الملك فهد، كونها تقع على محاور حركة مشاة circulation access رئيسية بمئذنتين على جانبيها .وقد تم استخدام قرميد اخضر لإبراز شرفات المنارتين البالغتي الارتفاع (٨٩ مترا) ، وهاتان المنارتان تتشابهان في تصميمهما المعماري والزخرفي مع المآذن السبع الموجودة منذ قبل التوسعة حيث تتكون كل مئذنة من خمسة أجزاء تم تجميل وتكسية كل جزء منها بأحزمة زخرفيه وكرانيش مختلفة تتماشى مع تلك التي تحيط بجدران الواجهة، وذلك لتأصيل اندماج المآذن بأكتاف المداخل .

وقد تم تزيين الشرفة الأولى بحاجز (درابزين) مزخرف بزخارف هندسية مثمنة، ويأتي بروز الشرفة بتدرج مائل مزخرف بمثلثات متداخلة، ويرتفع من الشرفة ثمانية أعمدة رفيعة، لكل عامود قاعدة، وهذه الأعمدة بدورها تحمل مظلة مسقوفة بقرميد نصف دائري أخضر اللون . وعصب المئذنة هو الجزء المثمن الرشيق من أعلى الشرفة الأولى، وقد تمت معالجة هذا الجزء بخطوط طولية وعرضية، ويبدأ هذا الجزء بعد الشرفة الأولى بأحزمة مزخرفة متلاحقة، والملاحظ على هذه الزخارف استعمال الخطوط الهندسية في الحزام الأكبر والخطوط النباتية في الحزام الأصغر . أما الشرفة الثانية، فقد تم التمهيد لها بمجوعة أرضيات بارزة شكلت بأقواس مزخرفة برزت منها أرضية الشرفة التي أرتفعت عليها ثمانية أعمدة على نفس الوضع الذي كان في الشرفة الأولى . وغطاء المئذنة، وهو الجزء العلوي ويصغر فيه قطر المثمن بشكل



شكل (٧) منظر يوضح البوابة الرئيسية لتوسعة الحرم المكي تم إبرازها بمئذنتين



شكل (٨) تفاصيل لإحدى الفتحات في إحدى واجهات التوسعات بالحرم المكي

واضح، يهيئ للعناصر التي تليه ويستمر هذا المثمن الصغير في ارتفاع بسيط يزينه حزام مزخرف بارز يحتوي على صرر دائرية بارزة في أربعة أضلاع فقط، ويعلو المثمن بناء مقبب شبيه بالخوذة المضلعة وذلك لوجودها في أعلى المئذنة والخطوط الطولية المحفورة فيها، ويحمل هـذا البناء القـاعدة البرونزية المذهـبة للهـلال (عباس، ١٩٩٤ م، ص.ص ٣٨٧-٣٨٨) (شكلي ٧ و ٨).

الخـــلاصــة

إن توسعة الحرم المكي الشريف التي تمت في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله هدفت إلى استيعاب أكبر عدد من المصلين والزوار التي تضاعفت أعدادهم منذ أخر توسعة شهدها كل من المسجد الحرام والمسجد النبوي . وعلى الرغم من أن هذا الهدف كان وظيفيا functional إلا أن الجانب الفني المعماري المبتكر كان على مستوى الوظيفة من حيث الأهمية والتنفيذ، حيث إن التوسعة ضمت أنماط معمارية تتماشى مع النمط أو الأنماط التي تميزت بها الأجزاء القديمة من الحرمين والتي تمثل خصائصها عمارة عهود إسلامية مختلفة كالأموي والعباسي والسلجوقي والمملوكي والعثماني، سواء كان ذلك في أشكال الأقواس والقناطر والقباب وزخارف داخل الحرم المغطى أو الواجهات وما بها من مداخل ومآذن .

إن هذه التوسعة وماتضمنته من ضخامة في الإنشاءات ودقة بالغة وجمال في العمارة وزمن قياسي في التنفيذ وأهداف سامية لتخفيف معاناة الازدحام عن المصلين ما كانت لتتم لولا حرص خادم الحرمين الشريفين ومتابعته الدقيقة لها وإشرافه المباشر عليها الذي طالما سعى وتطلع إلى تحقيقها خدمة لحجاج بيت الله لأداء مشاعرهم في يسر وراحة وأمن، وهذه التوسعة هي بحق مدعاة فخر واعتزاز للمسلمين في أنحاء المعمورة .

المراجـــــــع

المراجع العربية

الريحـــاوي، عبد القـــادر، العمـــارة في الحضـــارة الإسـلامية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٩٩٠ م .

المنظمة الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي، تقرير، ١٩٩٣ م . باسلامة، حسين عبد الله سالم، تاريخ عمارة المسجد الحرام، دار مصر للمطبوعات، القاهرة، ١٩٩٤ م .

بكر، سيد عبد المجيد، أشهر المساجد في الإسلام، مطابع سحر، جدة، ١٩٨٠ م .

بن صالح، محمد بن عبد الله، " الحرمان الشريفان : توطئة لنشوئهما وتوسعهما وتأثيرهما على محيطهما العمراني على مر العصور " سجل بحوث ندوة عمارة المساجد، المجلد الأول: عمـــارة الحرمين، محـمد عبد الله بن صـــالح وعبد الحفيظ القوقـــاني، الرياض، ٣٠ يناير- ٣ فبراير ١٩٩٩ م، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩ هـ، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩ م، ص.ص ١-٣٣ .

بن صالح، محمد بن عبد الله، " التوسعات السعودية للحرم المكي الشريف وتأثيرها على محيطه العمراني " ، سجل بحوث ندوة عمارة المساجد، المجلد الأول : عمارة الحرمين، محمد عبد الله بن صالح وعبد الحفيظ القوقاني، الرياض، ٣٠ يناير- ٣ فبراير ١٩٩٩ م، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩ هـ، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩ م، ص.ص ٥٥-٩٥ .

بن صالح، محمد بن عبد الله، " التوسعات السعودية للحرم النبوي الشريف وتأثيرها على محيطه العمراني " ، سجل بحوث ندوة عمارة المساجد، المجلد الأول : عمارة الحرمين، محمد

عبد الله بن صالح وعبد الحفيظ القوقاني، الرياض، ٣٠ يناير- ٣ فبراير ١٩٩٩ م، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩ هـ، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩ م، ص.ص ١٣٧-١٧٧ .

بن صالح، محمد بن عبد الله وعبد الحفيظ القوقاني، سجل بحوث ندوة عمارة المساجد، المجلد الأول : عمارة الحرمين، محمد عبد الله بن صالح وعبد الحفيظ القوقاني، الرياض، ٣٠ يناير- ٣ فبراير ١٩٩٩ م، ١٣-١٧ شوال ١٤١٩ هـ، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٩ م .

جاهين، مصطفى أمين، " مكة المكرمة في التاريخ " ، الدارة، العدد الأول، السنة الحادية عشر، شوال ١٤٠٥ هـ، ص.ص ٢١٧-٢٢٥ .

حافظ، علي عبد القادر، فصول في تاريخ المدينة المنورة، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، جدة، ١٩٨٥ م .

عباس، حامد، قصة التوسعة الكبرى، مجموعة بن لادن السعودية، جدة، ١٩٩٤ م .

مجلة المجلة، العدد ٥١٦ ، يناير، ١٩٩٠ م .

مجلة رابطة العالم الإسلامي، العدد ٢٧١ ، صفر ١٤٠٨ هـ .

المراجـع الأجـنبية

- Bianca، Stefano، Urban Form in the Arab World: Past and Present، Thames and Hudson، London، 2000.

- Creswell، K. A. C.، A Short Account of E. M. A.، Penguin Books، London، 1958.

- Grabar، Oleg، "The Architecture of Power: Palaces، Citadels and Fortifications"، in Architecture of the Islamic World: Its History، and Social Meaning، George Michell (ed.)، Thames and Hudson، London، 1996، pp. 4879-.

- Hulen، Thomas G.، The Desert House، Desert Botanical Garden، Tucson، 1997.

- Itzkowitz، Norman، “The Ottoman Empire”، in The World of Islam: Faith People، Culture، Bernard Lewis (ed.)، Thames and Hudson، London، 1992، pp. 273200-.

معرض العمارة المكية

معرض العمارة المكية



نظمت جامعة الملك عبدالعزيز بجدة ممثلة في كلية تصاميم البيئة معرض «العمارة المكية» وذلك ضمن فعاليات «مساهمة الجامعة للاحتفاء بمكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية للعام ١٤٢٦هـ بناءً على الأمر السامي الكريم رقم ٥/ب/٥١٦٤» وذلك في الفترة من ١٦-١٩ ذي القعدة ١٤٢٦هـ بسوق الضيافة بمكة المكرمة.

وهدف هذا المعرض إلى استعراض ثلاثة محاور رئيسية تعبر عن فنون العمارة المكية وصور تعبيرية من الحياة والعلاقات الاجتماعية ومشروعات من التطور العمراني الذي شهدته وتشهد العاصمة المقدسة مكة المكرمة، وتشكل المحاور الثلاثة من الآتي:

- فنون وعمارة وعمران مكة المكرمة تاريخياً.
- عمارة وعمران مكة المكرمة بين الماضي والحاضر.
- عمارة وعمران مكة المكرمة مستقبلياً.

من خلال هذه المحاور انطلقت فكرة المعرض الذي تدور فكرته حول تقاطع الزمان مع المكان. الزمان ويمثله الماضي والحاضر والمستقبل، والمكان ويمثله منطقة الحرم المكي الشريف والمشاعر المقدسة والنسيج

الحضري المحيط بالمنطقة محل الحدث. وقد تم من خلال عرض وإظهار المعروضات على هيئة رسومات معمارية تفصيلية وتخطيطية وتصوير فوتوغرافي وفن تشكيلي وتعبيري لأهم الفنانين وعرض مرئي من خلال شاشة عرض اليكتروني ليتحقق بذلك لغة تعبيرية مختلفة تتوافق مع شرائح المجتمع المختلفة من زائري المعرض. كما قامت الكلية بتصميم وعمل وطباعة قرص ممغنط CD عليه جميع محتويات المعرض من صور فوتوغرافية ورسومات معمارية وتخطيطية، وقد تم توزيع الـCD على رواد المعرض والزوار كهدية رمزية من المعرض.

جدير بالذكر أن المعرض لاقى إقبالاً وترحيباً كبيراً من المفكرين والأدباء والسادة المتخصصين في مجال الهندسة المعمارية والتخطيط العمراني على الأخص وكذلك الشخصيات العامة طوال أوقات فترة المعرض، كما تم على هامش المعرض العديد من اللقاءات والمناقشات مع الجمهور. مما أسهم في المساعدة على تعريف جمهور المعرض على الجوانب المشرقة للتطور العمراني الذي تشهده العاصمة المقدسة مكة المكرمة حالياً.

وقد قام بافتتاح فعاليات المعرض معالي مدير جامعة الملك عبدالعزيز بجدة الأستاذ الدكتور/ أسامة بن صادق طيب، ومعالي مدير جامعة أم القرى الأستاذ الدكتور/ ناصر الصالح، وسعادة وكيل جامعة الملك عبدالعزيز بجدة الأستاذ الدكتور/ عبدالرحمن بن عبيد اليوبي، وسعادة عميد كلية تصاميم البيئة الدكتور/ حسني بن محمد عزيز الرحمن وقد أثنى كل منهم على فكرة ومحتويات المعرض.

كانت جميع المحتويات من معروضات وهدايا بالمعرض مساهمة من جامعة الملك عبدالعزيز والممثلة في كلية تصاميم البيئة.

كان على رأس هذا العمل والانجاز فريق عمل دأب كثيراً على إظهار وإنجاح المعرض بصورة مشرفة ومرموقة وعلى رأسهم عميد كلية تصاميم البيئة . ولا شك أن هذا العمل لم يكن ليتم ويحقق النجاح المأمول منه لولا جهود عمادة الكلية المميزة ومتابعتها الدقيقة لإنجاح العمل، حتى تظهر مكانة الجامعة دائماً في أحسن صورة.


وجوه
BE DELICIOUS
BE DELICIOUS
the fragrance for women & men


BE DELICIOUS
BE DELICIOUS

فعاليات
شطر الطالبات

لقاء علمي بشطر الطالبات



أقام مركز البحوث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بشطر الطالبات احتفالاً بمناسبة مشاركة الجامعة في فعاليات "مكة عاصمة الثقافة الإسلامية" في يوم ١٦/١١/١٤٢٦هـ تخلله لقاء علمي شاركت فيه عضوات هيئة التدريس اشتمل على العديد من البحوث العلمية التي تناولت عدة جوانب من مكة المكرمة وهي :

- بحث بعنوان " قدسية مكة المكرمة وفضلها – دراسة في دلالات المعنى والمكان ، كما ورد في المزمور الرابع والثمانين من أسفار اليهود والنصارى". لسعادة الدكتورة/ ليلى زعزوع من قسم الجغرافيا
- بحث بعنوان : " قدسية مكة المكرمة في الشعر العربي"، لسعادة الدكتورة/ ابتسام باحمدان من قسم اللغة العربية .
- بحث بعنوان : " المواطنة " . لسعادة الدكتورة/ نورة السعد من قسم علم الاجتماع
- بحث بعنوان : " سدانة الكعبة عبر التاريخ " للدكتورة/ فتحية القرشي من قسم علم الاجتماع.
- بحث بعنوان " صياغة الكتاب المكي " ، للدكتورة/ هدى العمودي من قسم المكتبات.
- بحث بعنوان : " الخصائص الحرارية في مكة المكرمة وبعض آثارها على حجاج بيت الله الحرام " للدكتورة/

فايدة بوقري من قسم الجغرافيا.

- بحث بعنوان : " المرأة المكية والحياة العلمية" للدكتورة/ ابتسام كشميري من قسم التاريخ.

- كما اشتمل الحفل على نشيد " خطى الحبيب صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة" ، للأستاذة/ عائشة القرني من قسم الدراسات الإسلامية.

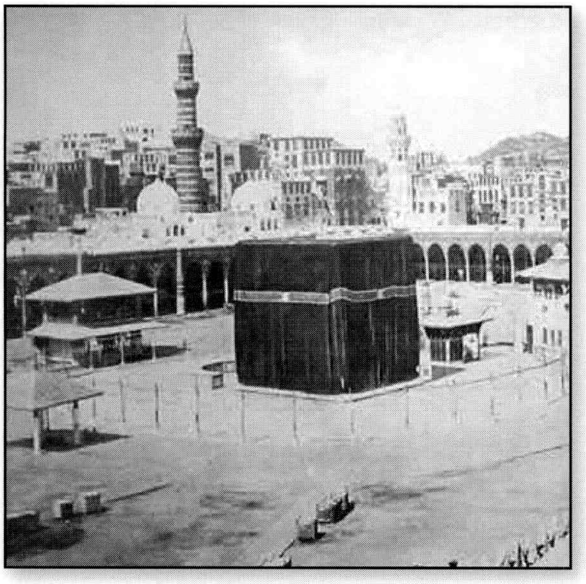
- العروض المرئية : أبرزت النواحي الثقافية والحضارية في مكة المكرمة وهي من إعداد :

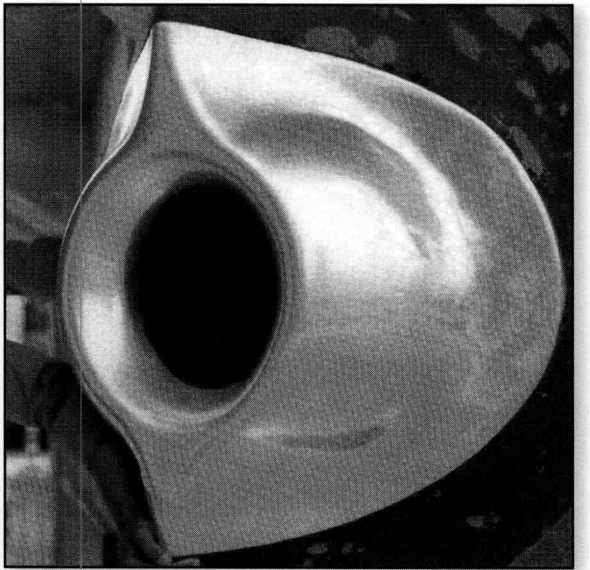
أ) ندى برنجي من قسم اللغات الأوروبية : قدمت عرضاً مرئياً تضمن صوراً تاريخية نادرة عن الحرم المكي .

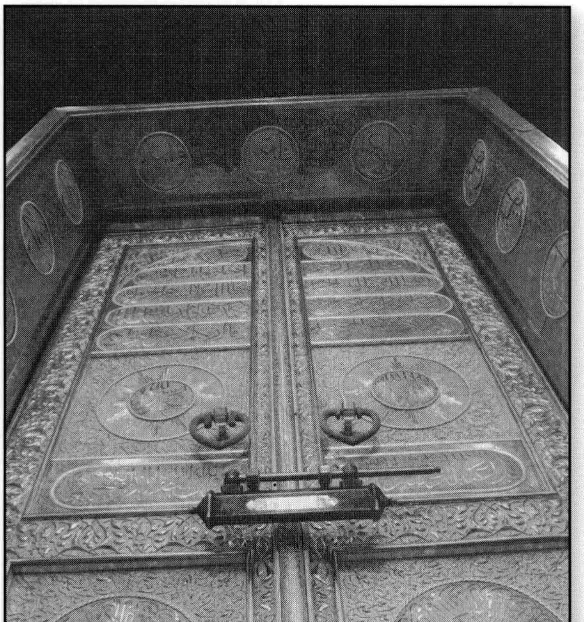
ب) د. ابتسام كشميري : أعدت أربعة عروض مرئية نفذتها طالبات قسم التاريخ.

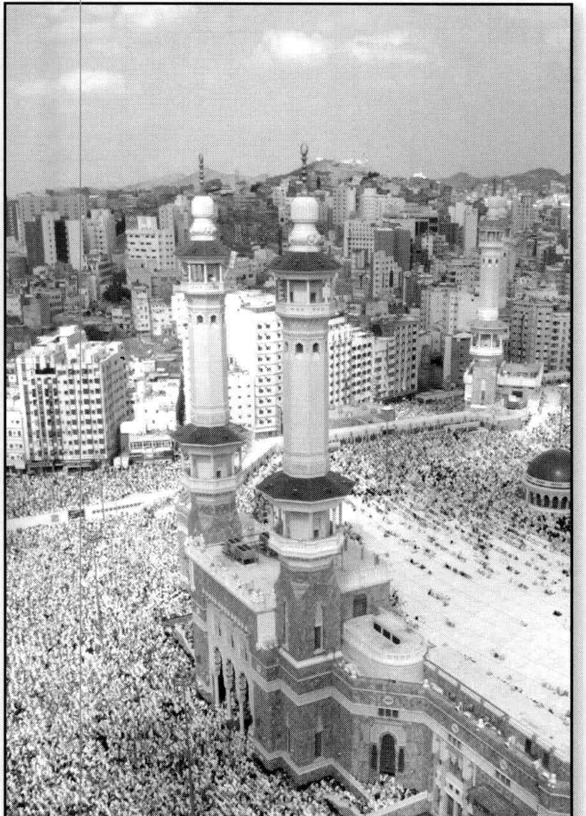
ج) عروض مرئية قدمتها أقسام علم النفس وعلم الاجتماع.

٣ - معرض حوى مجسمات وصوراً لمواقع جغرافية وأعمالاً حرفية وإنشائية أبرزت الكثير من الجوانب الحضارية في مكة عبر عصور تاريخها.









Makkah Capital of Islamic Culture 2005

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

فعاليات
عمادة شؤون الطلاب

فعاليات عمادة شؤون الطلاب



ثانيا: فعاليات عمادة شؤون الطلاب

ضمن مشاركة جامعة الملك عبدالعزيز في فعاليات مكة المكرمة أول عاصمة للثقافة الإسلامية نظمت عمادة شؤون الطلاب العديد من البرامج والأنشطة والتي تمحورت موضوعاتها حول مكة المكرمة ومنها التالي:

١ - محاضرات.

- صور من حياة السلف.
- العمارة الإسلامية.
- الحج - الركن الخامس في الإسلام.
- الشورى في الإسلام.

٢ - أمسية شعرية.

٣ - رحلات وزيارات.

- مناسك العمرة.

- كسوة الكعبة.

- المناطق التراثية والأثرية بمكة (غار حراء - جبل ثور بمكة المكرمة).

٤ - معسكر الحج.

انتهزت إدارة النشاط الطلابي فرصة تجمع المسلمين من كافة أرجاء العالم لتعريفهم بمكة المكرمة أول عاصمة للثقافة الإسلامية.

٥ - البرامج الثقافية:

- تنظيم مسابقة بعنوان ثمار العقول وهي مسابقة مكتوبة تشمل أسئلتها موضوعات تخص مكة المكرمة ودورها الإسلامي والثقافي.

- تنظيم مسابقة الحصاد السنوية في مجالات الشعر والقصة والمقالة والتأليف المسرحي، والبحوث الثقافية والاجتماعية والعلمية وجميعها تتناول موضوعات خاصة بالمناسبة.

٦ - البرامج الاجتماعية:

تنظيم عمرة في شهر رمضان المبارك شاركت فيها اللجنة العامة والفرعية والأنشطة المركزية تخللها زيارة إلى أهم معالم مكة المكرمة.

٧ - البرامج الفنية:

- إقامة معرض في مجالات الخط، والرسم، والتصوير، والأشغال اليدوية.

- المشاركة مع كلية تصاميم البيئة في معرض عن عمارة الحرم المكي.

٨ - البرامج الرياضية:

إقامة مسابقات رياضية في سداسيات كرة القدم وكرة السلة، والكرة الطائرة، وقد تم طبع شعار المناسبة وعبارة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية على الملابس الرياضية للاعبين.

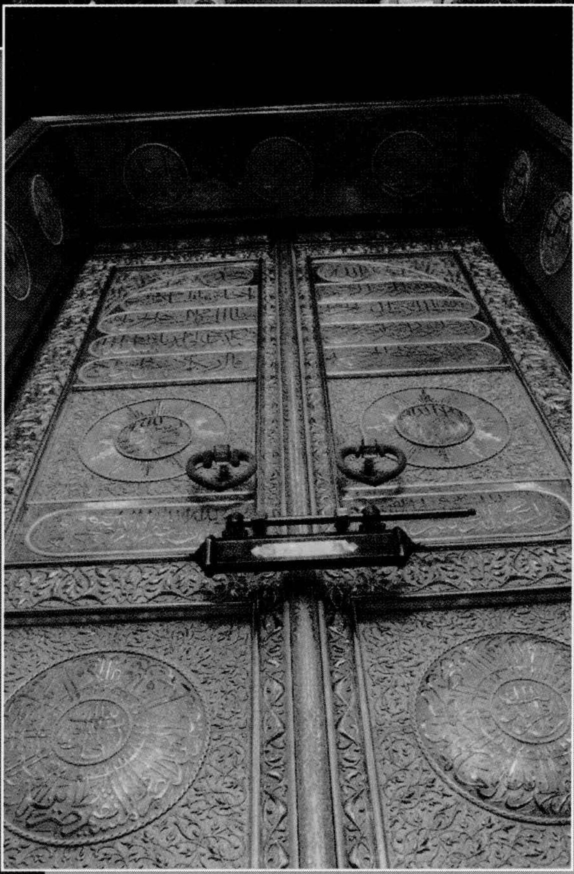
٩ - برامج إعلامية:

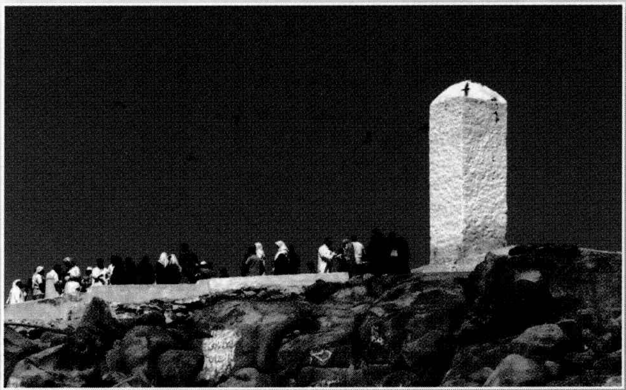
قامت العمادة بالإعلان عن المناسبة (في مجلة الجامعية) وتوزيع هدايا عينية على الطلاب تحمل شعار المناسبة وكذلك عمل لوحات إعلانية وتم توزيعها على قطاعات الجامعة المختلفة ذات الكثافة الطلابية.

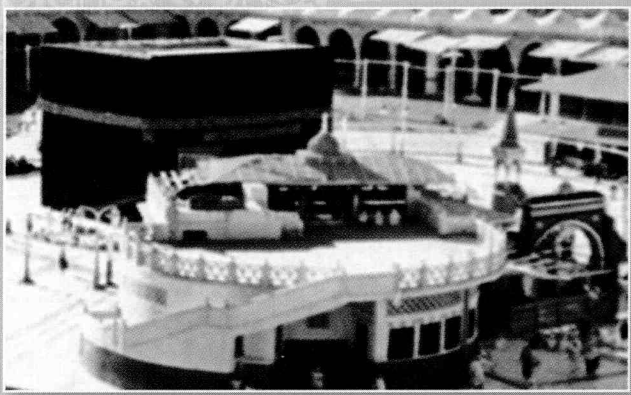
Makkah Capital of Islamic Culture 2005
مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

المحتويات











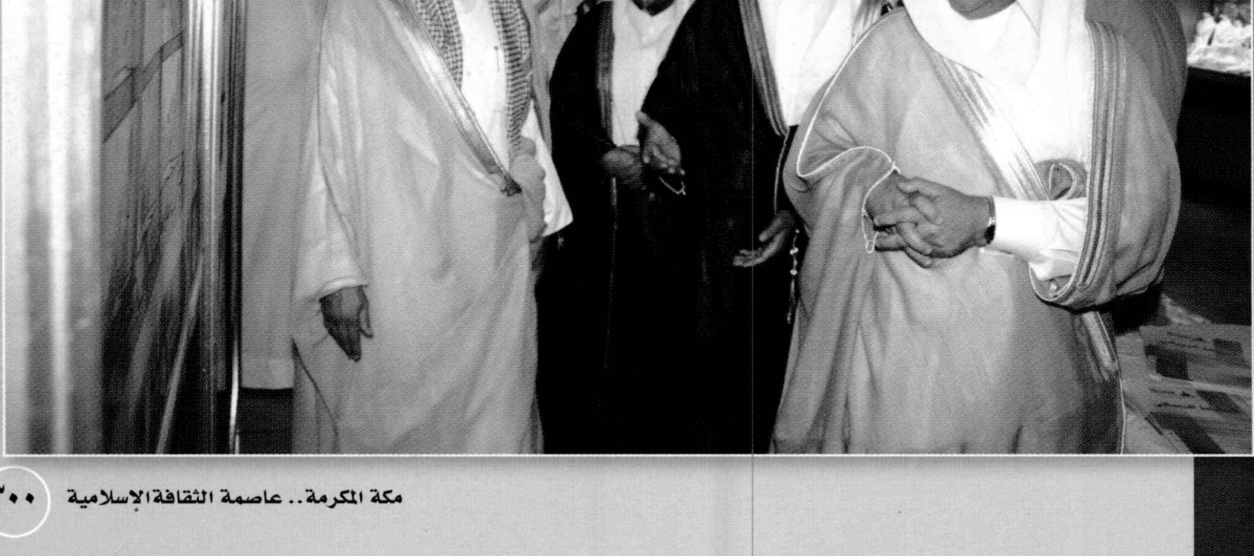

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية
١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م
تحت رعاية معالي مدير الجامعة أ. د. أسامة بن صادق طيب
الأحد ٢٨/٨/١٤٢٦ هـ
إنطلاق
فعاليات



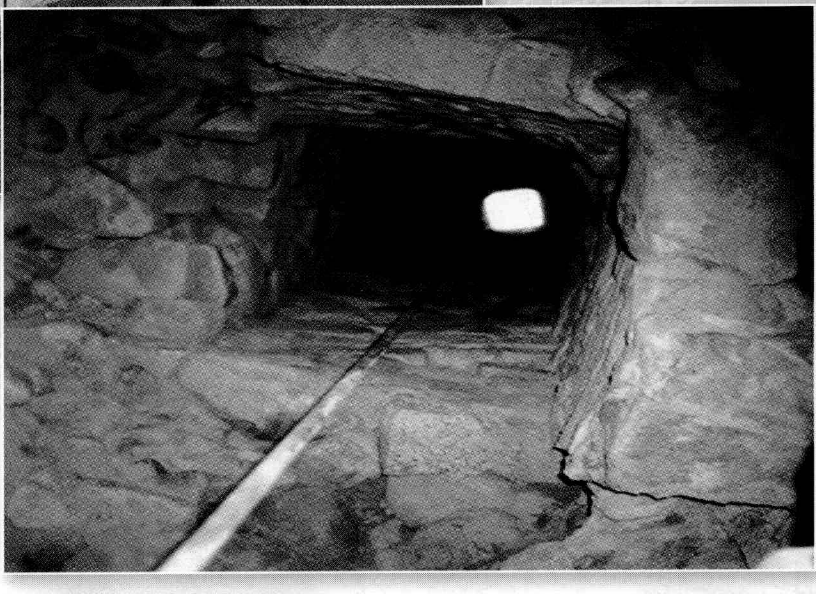














جامعة الملك عبدالعزيز

مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ

Makkah Capital of Islamic Culture 2005




نظام العناية بالقرآن الكريم
خلال القرن الرابع عشر الهجري
للدكتور/ أحمد بن محمد مغربي







الإشـــراف والإعـــداد



أ.د. عبدالرحمن بن عبيد اليوبي
وكيل الجامعة



أ.د. اسماعيل بن خليل كتبخانة
أمين اللجنة العليا



د. عبدالرحمن بن إبراهيم الحبيب
رئيس قسم الإعلام



د. حامد بن محمد أحمد القداح
قسم الإعلام

طبعت بمطابع مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر التجارية